منشورات اتحاد



القاهــــرة

مجلة المؤرخ العربى

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

المحتويات

صفحة

المحتويات

صفحة

د.طارق منصور (*)

فتوح الشام وفلسطين فى ضوء حولية ثيوفانيس المعترف: دراسة فى إيديولوجية المؤلف تجاه الإسلام

مرت فترة من الوقت من عمر بيزنطة نضب فيها معين التاريخ لمدة قرنين من الزمان(١)، وهى الفترة التي انهمكت فيها الإمبراطورية البيزنطية في صراع طويل، شديد المراس، مع القوة الإسلامية الصاعدة، طوال القرنين السابع والثامن الميلاديين. ويعود المؤرخون إلى أقلامهم وصحائفهم ثانية مع القرن التاسع الميلادي، حيث تصلنا مدونة الراهب ثيوفانيس المعترف Theophanes the Confessor (٧٦٠-٨١٨م/١٤٣-٢٠٣هـ) الذى دون الأحداث فيها منذ عام ٢٨٤م وحتى عام ٨١٣م/١٩٨هـ، وسار في تدوينه على النظام الحولي، شأنه في هذا شأن سلفه يوحنا مالالاس(٢). وقد كتب ثيوفانيس مدونته باللغة اليونانية الدارجة فيما بين عامي ٨١٠، ٨١٤ م، وتعتبر استكمالاً لتلك التي كتبها صديقه جورج السينكللوس George Synkellos؛ واعتمد في كتابتها على مجموعة من المصادر التاريخية التي فقد معظمها، ولم تصلنا بصورة مباشرة(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن ثيوفانيس كتب مدونته التاريخية متأثراً بتحيز الرهبان القاطع، بيد أنه كان يحتفظ لنفسه بحكمه على الأشياء. ولا يزال عمله هو المرجع الثقة الوحيد عن القرون السابقة لعصره عن تاريخ بيزنطة،(٤) وقد اعتمد عليه بعض من المؤرخين الذين جاءوا بعده، ومن أشهرهم قسطنطين بورفيروجنيتوس (٥).

* أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، مصر.

ويحتل الراهب البيزنطي ثيوفانيس أهمية بالغة في الكتابة التاريخية البيزنطية لعدة أسباب:

أولاً: عاش ثيوفانيس في فترة غامضة من تاريخ الدولة البيزنطية (القرنين ٨-٩م) لم تصل إلينا منها مدونات تاريخية تعكس حقيقة تاريخها وعلاقاتها بالأمم المجاورة في ذلك الوقت، باستثناء كتابات رجال الدين المسيحي، التي غلب عليها الطابع الديني والخطابي المضاد للإسلام (٦).

ثانياً: تعتبر رواية ثيوفانيس الرواية الأكثر أهمية من المؤرخين البيزنطيين الآخرين، لاسيما وأنها ذات قيمة تاريخية عالية، خاصة فيما يتعلق بتاريخ العلاقات العربية البيزنطية، في الفترة من ظهور الإسلام وحتى عام ٨١٣م/١٩٨هـ (٧).

ثالثاً: اعتمد كثير من المؤرخين البيزنطيين والغربيين ممن جاءوا بعد ثيوفانيس على رواية الأخير، نظرا لأنها اعتمدت على عدد من الكتابات التاريخية المفقودة، والتي تعود إلى القرنين السابع والثامن الميلاديين (٨).

رابعاً: تعتبر رؤية ثيوفانيس لحياة الرسول ﷺ وللفتوحات الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين انعكاساً لبعض المصادر التاريخية السابقة عليه،(٩) لاسيما المصادر السريانية، التي نقل عنها ثيوفانيس أفكاراً مشوشة عن الإسلام إلى بيزنطة. فقد اعتمد في هذا الصدد وبصورة أساسية على ما كتبه يوحنا الدمشقي، بالإضافة إلى ديونيسيوس التلمحري.(١٠) ولا نبالغ إذا قلنا أن هذه الرواية بأفكارها المشوهة عن الإسلام لا زالت تلوكها ألسن الرهبان في أوروبا حتى الآن، وساعدت علي عدم بيان الصورة الحقيقية للإسلام في الغرب الأوروبي.

وتأتي هذه الدراسة لا لتنقل رواية ثيوفانيس بهذا الصدد إلى العربية وتناقشها فحسب، مقارنة بالمصادر التاريخية الأخرى، بل لتبحث في إيديولوجية المؤلف تجاه الإسلام؛ ولتبحث عن أسباب خروج روايته عن الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام وفلسطين زمن الرسول والخلفاء الراشدين بالشكل الذي سنعرضه، وإلى أي مدى أثر في كتابات المتعاقبين عليه من المؤرخين البيزنطيين.

وإذا اتجهنا نحو رؤية ثيوفانيس للفتوحات الإسلامية، ولكي نفهم إيديولوجية هذا الراهب تجاه الإسلام، علينا أن نناقش أولاً حديثه عن الرسول الرسول ﷺ لأنه سيساهم كثيراً في استيعاب رؤيته للفتوحات الإسلامية في بلاد الشام، والتي تعكس رؤية أحد رجال الدين البيزنطيين؛ حيث يبدأ ثيوفانيس حديثه، تحت أحداث عام ٦٢٩-٦٣٠م/٨-٩هـ، بذكر ما يلي عن الرسول الذي جعله حاكماً للعرب لمدة تسع سنوات: «في هذا العام توفي محمد، زعيم العرب ونبيهم المزيف، بعد أن عين أبا بكر، وهو أحد أبناء قبيلته، ليخلفه في الرئاسة...(١١) وهنا يبدأ ثيوفانيس حديثه باتهام الرسول الرسول ﷺ

بزيف نبوته، وهو موضوع سيعود إليه فيما بعد، ويجعل وفاته في عام ٦٢٩-٦٣٠م/٨-٩هـ. والصحيح أنه توفي في عام ١١هـ/٦٣٢م؛(١٢) كما أن الرسول الرسول ﷺ لم يعين أبا بكر الصديق خليفة له، بل تم اختياره من قبل المسلمين في اليوم الذي توفي فيه الرسول الرسول ﷺ في سقيفة بني ساعدة،(١٣) إتباعاً للمنهج القرآني «وأمرهم شورى بينهم».(١٤) ثم ينتقل ثيوفانيس للحديث عن أصل ونسب الرسول الرسول ﷺ حيث يقول:

«...وأعتقد أنه من الضروري أن أتحدث عن أصل هذا الرجل. فهو ينحدر من قبيلة واسعة الانتشار جدا، وهي من نسل إسماعيل بن إبراهيم، حيث يعتبر نزار، وهو من نسل إسماعيل، أباهم جميعا. وقد رزق ولدين هما مضر وربيعة. ورزق مضر قريشا، وقيسا، وتميما، وأسدا، وآخرين غير معروفين. وقد سكنوا جميعهم صحراء مدين (١٥)، حيث عاشوا في خيام، وعملوا في تربية الماشية. وكان هناك أيضا آخرون يعيشون في أماكن بعيدة وليسوا من قبيلتهم، بل من الحميريين Homerites الذين كانوا يعرفون باسم العمالقة Amanites (١٦). وكان بعض هؤلاء يتاجرون في إبلهم»...(١٧) وفي هذا المقام يتفق ثيوفانيس مع المؤرخ الأرمني سيبيوس، الذي عاش في القرن السابع الميلادي وعاصر حركة الفتوحات الإسلامية، حيث يشير سيبيوس أيضاً إلى نسب الرسول ويعود به إلى أبناء إسماعيل عليه السلام.(١٨) غير أن ثيوفانيس، على الرغم من أن مصدره يعود إلى بدايات القرن التاسع الميلادي، إلا أنه يقدم تفصيلات أكثر من سيبيوس، مؤرخ القرن السابع الميلادي. ومن المحتمل أن ثيوفانيس اعتمد على مصادر شرقية في الحصول على معلومات دقيقة إلى حد كبير عن أصل العرب ونسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ وهو، حسب المصادر العربية، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب، وينتهي نسبه إلى إسماعيل عليه السلام بن الخليل إبراهيم.(١٩) وقد اتفق النساب على أن مضر وربيعة هما من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام،(٢٠) وهو ما يتفق مع رواية ثيوفانيس، التي يضيف فيها أنهم كانوا يعملون بالرعي والتجارة. ثم ينتقل ثيوفانيس للحديث عن فترة شباب محمد قائلاً:

«ولأن محمد كان معدماً ويتيماً فقد قرر الدخول في خدمة امرأة ثرية، كانت من أقاربه، وتدعى خديجة، كأجير عندها على أن يعمل في تجارة القوافل ما بين مصر وفلسطين. ورويداً رويداً أصبح جريئاً وحظي بمكانة عند هذه السيدة، وكانت آنذاك أرملة، فاتخذها زوجة له، وامتلك إبلها وثروتها...» (٢١) وفي هذا الصدد لا يحيد ثيوفانيس عما نعرفه عن اشتغال الرسول ﷺ بتجارة السيدة خديجة، ثم زواجهما بعد ذلك، غير أنه يحاول تصوير محمد الرسول ﷺ في صورة أنه تزوجها حتى يستولي على أموالها، وأنه هو الذي قرر الدخول في خدمتها؛ على عكس المؤرخين المسلمين الذين يذكرون أنها هي التي أرسلت في طلبه ليخرج

بمالها إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، بعد أن سمعت عن صدقه وأمانته.(٢٢)ولا يوجد دليل تاريخي على أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يخرج بالتجارة إلى مصر، كما زعم ثيوفانيس، بل كان يخرج بها إلى فلسطين والشام؛ واشتغال الرسول بالتجارة مؤكد عند سيبيوس أيضاً، الذي يشير صراحة إلى أنه كان تاجراً (٢٣).

وقد تزوج محمد ﷺ السيدة خديجة بنت خويلد بعد ذلك، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرون عاماً، وهي تكبره بخمسة عشر عاماً أو بعشرين عاماً على الأقصى، أي كان عمرها آنذاك أربعون أو خمسة وأربعون عاماً.(٢٤) ولزواجه من السيدة خديجة بنت خويلد قصة، حسب المصادر العربية، تثبت أن محمداً ﷺ لم يسع للزواج منها، كما صور ثيوفانيس، بل هي التي طمعت في الزواج منه وأرسلت تخطبه لنفسها، فبعد أن ذهب محمد ﷺ بتجارتها إلى الشام مع غلامها «ميسرة» باعا ما حملا معهما، واشتريا بما عادا به، وربحا ربحاً عظيماً. ولما عادا إلى مكة سمعت خديجة من ميسرة الكثير عن أمانة محمد ﷺ وما رأى منه، فسرت لذلك سروراً عظيماً، وأرسلت إليه تخطبه لنفسها، حيث قالت له: «يا بن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك»، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ «أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً».(٢٥) وذهب محمد مع أعمامه إلى عمها عمرو بن أسد، فخطبوها منه فزوجه منها.(٢٦) غير أن اليعقوبي يذكر رواية مختلفة، وإن كانت تعكس أيضاً أن السيدة خديجة هي التي رغبت في الزواج منه، حيث يقول: (٢٧) «...روى بعضهم عن عمار بن ياسر أنه قال أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله خديجة بنت خويلد، كنت صديقاً له فإنا لنمشي يوماً بين الصفا والمروة إذا بخديجة بنت خويلد وأختها هالة، فلما رأت رسول الله جاءتني هالة أختها فقالت: يا عمار ما لصاحبك حاجة في خديجة؟ قلت والله ما أدري فرجعت فذكرت ذلك له فقال ارجع فواضعها وعدها يوماً نأتيها فيه ففعلت. فلما كان ذلك اليوم أرسلتُ إلى عمرو ابن أسد وسقته ذلك اليوم، ودهنت لحيته بدهن أصفر وطرحت عليه حبراً، ثم جاء رسول الله في نفر من أعمامه تقدمهم أبو طالب...«وقد توفيت عن عمر يناهز الخامسة والستين.(٢٨) وهكذا لا يصيب ثيوفانيس في هذا الجزء من روايته حول زواج محمد ﷺ من السيدة خديجة، والذي لا نجد له أثراً في رواية سيبيوس، الذي يتناول بعد ذلك بالقول بعضا من تعاليم الإسلام، بل ويستشهد بالآية القرآنية «إن ينصركم الله فلا غالب لكم» (٢٩) في نهاية حديثه عن الرسول ﷺ.(٣٠)

وينتقل ثيوفانيس بعد ذلك ليشن هجوماً على الرسول ﷺ متهماً إياه بعدد من الاتهامات الباطلة، منها أنه كان على اتصال باليهود والهراطقة من المسيحيين، والمقصود هنا إما الأريوسيين، الذين كانوا على مذهب أريوس الباطل من وجهة نظر الكنيسة، والذي يقضي بأن المسيح عليه السلام ليس من جوهر الأب، ومن ثم ليست له صفة الإلوهية، بل مخلوق تسري عليه قوانين الخليقة؛ وهو المذهب الذي خرج على أيدي الأسقف المصري أريوس عام ٣١٨م، ولاقى انتشاراً واسعاً في بلاد الشام، لاسيما فلسطين، وآسيا الصغرى؛ (٣١) أو النساطرة،

ممن كانوا على مذهب نسطور، الذي نادى بأن السيدة مريم ينبغي أن تُكنى بوالدة المسيح، وليس والدة الإله، لأنها لم تلد إلها، بل ولدت إنسانا هو إله لله.(٣٢) ولهذا سيجعل ثيوفانيس ورقة بن نوفل، راهباً منبوذاً، بسبب هرطقته المسيحية. وبهذا يحاول أن يوحي للقارئ بأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إنما نقله عن اليهود والمسيحيين الأريوسيين أو النساطرة في فلسطين، أثناء رحلاته التجارية إلى بلاد الشام؛ ومن ثم فديانته هذه هرطقة جديدة. والاتهام الباطل الآخر الذي يتهم به الرسول ﷺ هو أنه كان مصاباً بالصرع، وفي هذا المقام يقول:

«... وعندما قدم إلى فلسطين رافق يهوداً ومسيحيين، وتعلم منهم أموراً محددة من الكتاب المقدس. وبالإضافة إلى ذلك فهو مصاب بالصرع. وعندما تيقنت زوجته من هذا صدمت بشدة؛ وبقدر ما كان لهذه السيدة من مكانة بين قومها، تزوجت مثل هذا الرجل، الذي لم يكن فقيراً فقط بل مريضاً بالصرع أيضاً. وقد حاول أن يخدعها قائلاً: 'إنني أرى دائماً ملاكاً يدعى جبريل، ولست بقادر على تحمل رؤيته، وإنني أخر وأسقط.' والآن كانت (خديجة) تعرف راهباً يعيش قريباً من المكان، وهو أحد أصدقائها (قد نفي بسبب مذهبه المنبوذ)، وقصت عليه كل شيء، بما في ذلك اسم الملاك. ورغبة منه أن يرضيها قال لها: «إنه نطق بالحق، لأن هذا هو الملاك الذي نزل على كل الرسل» وعندما سمعت كلمات هذا الراهب المزيف، كانت أول من آمن بمحمد وأخبرت نسوة قبيلتها بأنه كان نبياً. ومن ثم انتشر الخبر من النسوة إلى الرجال، وكان أبو بكر أولهم، الذي تركه كخليفة له. وقد انتشرت هذه الهرطقة في منطقة يثرب، ثم لجأ إلى الحرب: في البداية كانت سراً لمدة عشر سنوات، وبالحرب عشر أخرى، وجهراً تسع سنوات... (٣٣)

وهكذا، يحاول ثيوفانيس أن يؤكد على مسألة علاقة الرسول صلي الله عليه وسلم باليهود والمسيحيين أثناء رحلاته التجارية إلى فلسطين، ليوحي للقارئ بأنه استقى منهم أخبار النبيين السابقين، وغير ذلك من المسائل اللاهوتية، وهو بهذا ينحرف بالرواية التاريخية عن تلك الواردة في بعض المصادر العربية عن الراهب الذي استضاف أبو طالب وابن أخيه محمد عندما خرجا للتجارة في فلسطين، وكان هذا قبل البعثة النبوية بسنوات طويلة، حيث كان عمره آنذاك تسع سنوات أو اثنتا عشرة سنة، حيث يقول الطبري في هذا المقام:

... خرج (أبو طالب) به معه فلما نزل الركب بُصرى (٣٤) من أرض الشام، وبها راهب يقال له بَحِيرى في صومعة له، (٣٥) وكان ذا علم من أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة ... راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيما يزعمون يتوارثون كابراً عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك أنه رأى رسول الله وهو في صومعته عليه غمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله حتى استظل تحتها، فلما رأى

ذلك بحيرى نزل من صومعته، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً، فلما رأى بحيرى رسول الله جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته؛ فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا سأل رسول الله عن أشياء في حالة يقظته وفي نومه، فجعل رسول الله يخبره فيجدها بحيرى موافقة لما عنده من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، ثم قال بحيرى لعمه أبي طالب ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، فقال له بحيرى ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال فما فعل أبوه؟ قال مات وأمه حبلى به، قال صدقت ارجع به إلى بلدك، واحذر عليه من يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنه كائن له شأن عظيم. فأسرع به إلى بلده، فخرج به عمه سريعاً حتى أقدمه مكة. وقال هشام بن محمد خرج أبو طالب برسول الله إلى بصُرى من أرض الشام وهو ابن تسع سنين...» (٣٦)

وتذكر المصادر العربية (٣٧) أنه عندما شب محمد صلي الله عليه وسلم عن الطوق صار يخرج بالتجارة، وقد خرج بتجارة السيدة خديجة مع غلامها ميسرة إلى الشام حيث مرا على صومعة راهب، «فنزل رسول الله في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان يدعى نسطور، (٣٨) فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.» وهكذا، لم تقابلنا غير هاتين الروايتين عن رؤية محمد صلي الله عليه وسلم لبعض رهبان الشام وهو في طريقه للتجارة من مكة إلى الشام، ولا يوجد ما يثبت أنه استمع لهم أو نقل عنهم، ومن ثم فلا سند يجعل رواية ثيوفانيس حقيقة؛ ومن ثم لا يستطيع الباحث أن يعول على روايته في هذه النقطة، والتي يبدو أنه نقلها عن مصدر سرياني، بصورة واضحة، حيث نجد يوحنا الدمشقي، أحد رهبان دير القديس سابا ببيت المقدس، يردد فكرة اتصال الرسول ﷺ بورقة بن نوفل، الأريوسي المذهب، الذي ساعده على دراسة العهدين القديم والجديد، والإعداد لظهور مذهبه أو دعوته. (٣٩)

جدير بالذكر أن حديث ثيوفانيس هذا نجد صداه عند بعض المؤرخين المحدثين، حيث يردد ستراتوس، على سبيل المثال، رواية ثيوفانيس السابقة؛ بل ويضيف أن الرسول صلي الله عليه وسلم تلقى معرفته الأولية عن المسيحية من الراهب بُحِيرى، المونوفيزي المذهب، وعن اليهودية من اليهود العرب؛ وأنه تعلم أموراً بعينها عن العقيدة المسيحية منه وكذلك أجزاء من العهدين القديم والجديد. (٤٠)

أما قصة اتهام الرسول صلي الله عليه وسلم بالصرع، فقد ابتكرها المستشرقون للطعن في واقعة الوحي الذي نزل على الرسول ﷺ حتى يستطيعوا القول أن ما كان يقوله إنما صدر عن شخص مريض، تفوه به أثناء نوبة الصرع. (٤١) إن الثابت تاريخياً أن الرسول ﷺ كانت تنتابه شدة من الوحي، (٤٢) وقد عاد إلى السيدة خديجة وهو يرتجف، عندما نزل عليه الوحي أول مرة، ويقول لها زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، حينئذ أخذ يقص

عليها ما حدث. وعلى أثر ذلك اتجهت السيدة خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وهو شيخ كبير في السن، كان يدين بالمسيحية، متبحرا في العلوم الدينية،(٤٣) لتقص عليه ما رآه الرسول صلي الله عليه وسلم. وهنا بشرها ورقة بن نوفل بأن هذه أعراض الناموس الأكبر (٤٤) الذي نزله الله من قبل على موسى. وعلى الفور عادت إلى محمد فأخبرته بقول ورقة.(٤٥) ويخطئ ثيوفانيس في روايته السابقة بقوله أن ورقة بن نوفل «كان أحد أصدقاء السيدة خديجة»، والصحيح أن ورقة بن نوفل كان ابن عمها،(٤٦) كما أن الصداقة بالمفهوم البيزنطي بين الرجل والمرأة لم تكن منتشرة في بيئة محافظة كبيئة العرب.(٤٧) غير أنه يتفق مع الرواية العربية في القول أنها أول من آمنت به من النساء، ومن الرجال كان أبو بكر الصديق(٤٨)، وأن الإسلام انتشر في يثرب المدينة فيما بعد دخول الرسول صلي الله عليه وسلم إليها، والتي انتشر منها بعد ذلك إلى كل أرجاء الجزيرة العربية.

أما عن مسار الدعوة فقد أصاب ثيوفانيس في القول أنها كانت سرية في البداية، وقد نجم صلي الله عليه وسلم عن هذه المرحلة إسلام ستين شخصاً كان أغلبهم من وجهاء قريش. ثم تأتي مرحلة الجهر بالدعوة بناء على أمر الله سبحانه وتعالى، بعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية في مكة،(٤٩) لا عشراً كما قال ثيوفانيس، وتستمر مرحلة الجهر بالدعوة حتى فتح مكة ٨هـ/٦٣٠م، ثم وفاة الرسول ﷺ ١١هـ/٦٣٢م.(٥٠) غير أن ثيوفانيس يجعل مغازي الرسول ﷺ مرحلة مستقلة ويجعلها بعد مرحلة الدعوة السرية، وهذا أمر يشوبه شيء من عدم الصحة، نظراً لأن مرحلة الجهر بالدعوة صحبتها معارك وغزوات عدة داخل وخارج الجزيرة العربية في سبيل نشر الإسلام؛ ومن ثم فإن الدعوة الإسلامية انتشرت على مرحلتين هما الدعوة سراً، ثم جهراً بدءاً من عام ٦١٣م/٩ ق.هـ. ومن الأخطاء التي انزلق إليها ثيوفانيس أيضاً أن جعل مدة الدعوة إلى الإسلام تسعة وعشرون عاماً، بيد أن الدعوة الإسلامية منذ أن نزل الوحي على الرسول ﷺ عام ٦١٠م/١٣ق.هـ وحتى وفاته عام١١هـ/٦٣٢م كانت جملتها ثلاثة وعشرون عاماً تقريباً؛ حيث كان عمر الرسول وقت نزول الوحي عليه أربعون عاماً (٥١) وتوفي عن عمر يناهز الثالثة والستون.(٥٢)

على أية حال ينتقل ثيوفانيس في هجومه بعد ذلك على الرسول ﷺ بمحاولة الربط بينه وبين اليهود، حتى يقول أنه ورث عداء اليهود للمسيحيين. وفي هذا الموضوع يقول:

«...وفي نفس الوقت ذاع صيته في الخارج، وكان كل شخص مرتعدا (منه) وعند مطلع ظهوره اعتقدت فئة من اليهود أنه المسيح (٥٣) الذين ينتظرون ظهوره، ومن هنا انضم له بعض قادتهم ودخلوا دينه، بينما تخلوا عن دين موسى، الذي رأى الله. وكان عدد هؤلاء اليهود عشرة، وقد ظلوا معه حتى مقتله. ولكن عندما وجدوا أنه يأكل لحم الإبل أدركوا بالفعل أنه ليس من يعتقدون بظهوره،(٥٤) وأصبحوا في حيرة فيما عليهم فعله، فهم يخافون أن يرتدوا عن دينه؛ ولقنته تلك الفئة الضالة مبادئ غير مشروعة ضدنا، نحن المسيحيون، وقد ظلوا معه...» (٥٥)

ويبدو أن ثيوفانيس يتحدث هنا عن رهط من الخزرج التقى بهم الرسول ﷺ ذات يوم وهم في طريقهم للحج عام ٦٢٠م/١٠ من النبوة، عند العقبة، وكان عددهم ستة عند البعض أو سبعة وهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك بن العجلان، وعامر بن عبد حارثة، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابيء، وجابر بن عبد الله بن رباب، وعرض عليهم الرسول ﷺ الإسلام وتلا عليهم القرآن فقبلوا ذلك منه وأثر في قلوبهم ثم عادوا إلى المدينة، حيث ذكروا لقومهم أمر النبي ودعوته إلى الإسلام فأسلم كثيرون منهم.(٥٦) حتى إذا كان العام التالي ٦٢١م/١١ من النبوة لقي الرسول اثنى عشر رجلاً من الأنصار عند العقبة وبايعوه بيعة عرفت باسم بيعة العقبة الأولى أو بيعة النساء.(٥٧) ويبدو أن ثيوفانيس خلط هنا بين الأوس والخزرج وهما من القبائل العربية المقيمة في يثرب، وبين قبائل اليهود، التي كانت مقيمة هناك أيضاً وتُناصر الأوس والخزرج، فقد كان بنو قريظة وبنو النضير حلفاء الأوس، وبنو قينقاع حلفاء الخزرج.(٥٨) ومن الأخطاء التي وقع فيها ثيوفانيس قوله:«...وبقوا معه حتى مقتله أي الرسول .. وهذا غير صحيح لأن الرسول توفي وهو على فراشه، بعد فترة من المرض، ولم يقتل كما يذكر ثيوفانيس في هذا الموضع.(٥٩) ويبدو هنا أن هذه العبارة خطأ في الترجمة انزلق إليه سيريل مانجو وروجر سكوت، والمقصود كما يقول كدرينوس، الذي يسير على نهج ثيوفانيس، أنهم «...بقوا معه حتى الموت».(٦٠)

وأخيراً ينتقل ثيوفانيس للهجوم على القرآن الكريم نفسه من خلال مفهوم الجنة في الإسلام، وهي قضية دينية خاض فيها المستشرقون المحدثون، وكالعادة فإننا نقابل ثيوفانيس كواحد من أقدم الكتاب المسيحيين الذين أثاروا هذه القضية في الجدل بين المسيحية والإسلام. ولا نود الخوض في هذه القضية الجدلية بين أنصار الفريقين حتى لا نخرج عن الإطار التاريخي لموضوع البحث.(٦١)

على أية حال، يستهل ثيوفانيس روايته عن هذه الفتوحات من خلال حديثه عن سرية مؤته التي وقعت في عام ٨هـ/٦٢٩م، عند قرية مؤتة، على أطراف الشام الجنوبية، غير أنه يضعها في العام الأول من عهد أبي بكر الصديق، في عام ٦٣٠م/٩هـ.(٦٢) ويقص ثيوفانيس روايته عن غزوة مؤتة على النحو التالي:

«كان محمد، الذي توفي منذ عهد قريب، قد عين أربعة من الأمراء لقتال هؤلاء العرب الذين كانوا يدينون بالمسيحية، وقد وصلوا عند قرية تسمى موخايا Mouchaea، حيث كان يعسكر عندها الفيكاريوس Vicarius ثيودور، على أمل أن ينقض على العرب يوم تقديمهم القرابين لأصنامهم. وعندما علم الفيكاريوس بهذه الأخبار من رجل قرشي Koraishite يدعى Koutabas،(٦٣) كان يعمل لحسابه، جمع كل حشود قواته من حراس الصحراء؛ وعندما تأكد من ذلك العربي عن اليوم وساعة الهجوم المرتقبة، قام بمهاجمتهم بنفسه عند قرية تسمى مؤتة Mothous، وقتل ثلاثة من قادتهم وأباد معظم الجيش. وتمكن واحد من هؤلاء الأمراء ويسمى خالد، ويدعونه سيف الله، من الهرب.» (٦٤)

عند هذه النقطة يتوقف حديث ثيوفانيس عن غزوة مؤته، ولنأت إلى تحليل هذه الرواية التي تحتوي على عدة أخطاء تاريخية، فقد وقعت الغزوة في عهد الرسول ﷺ في عام ٨هـ/٦٢٩م وليس في عهد أبي بكر الصديق أو في عام ٩هـ/٦٣٠م.(٦٥) ويشير ثيوفانيس إلى أن سبب غزوة مؤته كان قتال العرب المسيحيين القاطنين بالشام، ولا نعرف هل كان يقصد الغساسنة هنا أم من؟ غير أن الرواية العربية تشير إلى أن سبب هذه الغزوة أن الرسول صلي الله عليه وسلم كان قد أرسل رسوله الحارث بن عمير الأزدي إلى عامل هرقل (٦١٠-٦٤١م) على بُصرى يدعوه للإسلام، غير أن رجلاً من الغساسنة يدعى شرحبيل بن عمرو الغساني قتل رسولَ رسولِ الله ﷺ، فما كان من الرسول ﷺ إلا أن أمر بتجهيز حملة عسكرية وضع على رأسها زيد بن حارثة، وقد اشترك فيها أيضاً جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وخالد بن الوليد وغيرهم. وعلى أثر هذا العمل أصبحت المواجهة حتمية بين المسلمين والبيزنطيين في بلاد الشام. وهنا يقدم ثيوفانيس معلومة مهمة تشير إلى تعاون ما، تم بين قريش وبين ثيودور، الوالي البيزنطي بالشام، حيث زودوه بأخبار الجيش الإسلامي الخارج لقتال البيزنطيين؛ وهي معلومة تبدو حقيقة، لاسيما وأن التجارة والعداء لمحمد ﷺ كانا العاملان اللذان يجمعان بين قريش والبيزنطيين بالشام. ومن ثم رابطت القوات البيزنطية بالآلاف عند مآب، عندما وصلتها الأنباء بتحرك الجيش الإسلامي ووصوله إلى معان، حيث تحركت والتقى الطرفان عند مؤتة. وقد قام الوالي ثيودور بهجوم ناجح ضد الجيش الإسلامي وقتل من قادته زيد بن حارثه وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، عدا خالد بن الوليد، الذي تمكن من النجاة بجزء من الجيش والعودة به إلى المدينة سالماً.(٦٦) وهذا فيه اتفاق بين ثيوفانيس والمصادر العربية.

وهكذا، فإن سبب غزوة مؤتة كان تأديب والي بُصرى والثأر لمقتل رسول الله، وليس الإغارة على العرب المسيحيين، كما ادعى ثيوفانيس؛ أو ربما بسبب مقتل والي معان، فروة بن عمرو الجذامي، الذي كان قد دخل الإسلام وأقام علاقات مع المسلمين دون الحصول على إذن من بيزنطة.(٦٧) ومع هذا تعتبر رواية ثيوفانيس عن غزوة مؤته هي الشاهد الفريد الواضح باليونانية عن المعركة والوضع الذي كان قائماً شرقي نهر الأردن، بعد استعادة السلطة البيزنطية هناك؛ (٦٨) كما أنها تقدم الدليل الحي على سبب هزيمة المسلمين في مؤته، وهو ما تصمت عنه المصادر العربية. ولا نعرف السبب الذي جعل ثيوفانيس يخلط بين العرب المسلمين وبين القبائل العربية، التي كانت تهاجم فصائل منها حدود الشام الجنوبية من حين لآخر، لسبب أو لآخر، سواء المسيحية منها أو المشركة. ويشير ثيوفانيس إلى نقطة مهمة أيضاً وهي العرب الذين كانوا يعملون لصالح بيزنطة، وإلى التعاون الذي كان قائماً بينهم وبين البيزنطيين ضد المسلمين.

وفي موضع آخر يشير ثيوفانيس إلى أن «...بعض العرب المجاورين للبيزنطيين كانوا يتقاضون رواتباً قليلة من الأباطرة مقابل حراسة التخوم القريبة من الصحراء...» (٦٩) وبهذا كان من الطبيعي أن يظهر من بين العرب الحدوديين من يعمل لصالح البيزنطيين ويبلغهم بتحركات القوات الإسلامية، مما جعل البيزنطيين يعدون العدة جيداً للقوات الإسلامية عند

مؤتة. ويشير أيضاً إلى أن هذه الرواتب قد انقطعت في عهد الإمبراطور هرقل، على أثر الأزمة الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد آنذاك، فقد ذهب ذات يوم أحد خصيان الإمبراطور لتسليم الرواتب للجند بالشام، وعندما قدم العرب ليحصلوا على رواتبهم، طبقا للعادة، قام هذا الخصي بطردهم قائلا لهم: «إن الإمبراطور يستطيع بالكاد دفع رواتب جنوده، وهي الأقل بكثير مما يمنحه لهؤلاء الكلاب».(٧٠) وكان من نتيجة ما فعله هذا الخصي أن انقلب هؤلاء العرب على الإمبراطور البيزنطي، وقرروا التعاون مع ذويهم من بني جنسهم، حيث قادوهم إلى إقليم غزة الغني، الذي يعد بوابة الصحراء إلى جبل سيناء.(٧١) وهكذا، يشير ثيوفانيس إلى نوع من التوتر في العلاقات بين القبائل العربية الحدية، التي كانت تعمل على مراقبة وحماية حدود بيزنطة الشامية الجنوبية، مقابل هذه الرواتب،(٧٢) وبين الإمبراطور البيزنطي، مما سيكون له أكبر الأثر عند دخول المسلمين إلى بقية أنحاء بلاد الشام.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن من هم هؤلاء العرب الذين كانوا يتلقون رواتبا قليلة من الإمبراطور وأشار إليهم ثيوفانيس؟ هل هم الغساسنة أم قبائل عربية أخرى حدية؟

من المعروف أن الحارث بن جبلة كان أول أمراء بني جفنة وأعظمهم شأناً بلا منازع وقد اختاره الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) حوالي عام ٥٢٨م ليكون بجانبه ضد المنذر ملك الحيرة. ولقد رفع جستنيان الحارس إلى مرتبة الملوك وبسط سيادته على كثير من قبائل العرب بالشام حتى يقيم خصماً قوياً في وجه المنذر ملك الحيرة؛ (٧٣) بل أصبح سيداً على كل القبائل العربية من الفرات حتى البحر الأحمر.(٧٤) وتقول المصادر البيزنطية أن الإمبراطور أسبغ على الحارث لقب بطريق Patricius (٧٥) Phalarch او رئيس قبيلة Phlarch (٧٦) ويبدو أن إمارة الغساسنة قد بلغت شأناً عظيماً في عهد الحارث بن جبلة، ليس بسبب الألقاب البيزنطية الشرفية التي حملها، ونفهم هذا من عبارة وردت عند يوحنا الافسوسى عندما أراد خدم الإمبراطور جستين الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) أن يخيفونه، بعد أن أصيب بلوثة عقلية جعلته يهذي ويصرخ، فقالوا له «اهدأ، هاهو الحارث بن جبلة قادم إليك»، عندئذ أسرع جستين الثاني ليختبئ أسفل السرير ويتشبث بأحد أركانه.(٧٧)

لقد أصبح الغساسنة قوة ذات شأن تعمل كمعاهدين لبيزنطة، فرضت سيادتها على كل القبائل العربية القاطنة بالشام. وقد لعبوا دورا مهما في الحياة الاقتصادية في تلك المنطقة في القرن السادس الميلادي، حيث كان طريق التوابل الواقع غربي شبه الجزيرة العربية واحدا من الشرايين العظمى للتجارة العالمية آنذاك، والذي كان يعيش حوله الغساسنة، لاسيما عند الطرق التجارية المؤدية إلى مدينة بُصرى وغزة (٧٨).

وقد حالف الغساسنة البيزنطيين محالفة الند للند ضد الفرس والعرب المغيرين علي أطراف دولتهم واشترطوا أن يمدوهم بثلاثين أو أربعين ألفاً إذا حاربهم العرب، وأن يمدوا البيزنطيين بعشرين ألفاً من المقاتلين إذا تحاربوا مع الفرس.. غير أن التوتر أصاب العلاقات البيزنطية الغسانية على عهد المنذر بن الحارث بن جبلة (٥٦٩ - ٥٨٢م). لعدة أسباب منها الاضطهاد الدينى الذى مارسه جستين الثانى ضد المسيحيين المونوفيزيين، الذين كان ينتمى إليهم الغساسنة (٧٩)

ومن ناحية ثانية كان الإمبراطور جستين الثانى قد دبر مؤامرة للتخلص من المنذر بن الحارث، كان مصيرها الفشل (٨٠) مما جعل الغساسنة يشقون عصا الطاعة على البيزنطيين لمدة ثلاث سنوات. وكان الإمبراطور جستين الثانى قد غضب على المنذر بن الحارث بن جبلة وقطع عنه الإعانة المالية التى كان يرسلها إليه من القسطنطينية، إلا أن بعد اجتماع المنذر بالبطريق جستنيان ممثل الإمبراطور جستين الثانى، تم التفاهم بين الطرفين وعادت المياه بينهما إلى سالف عهدها(٨١).

بيد أنه عندما توفي الإمبراطور جستين الثاني عام ٥٧٨م حاول خليفته الإمبراطور تيبريوس (٥٧٨-٥٨٢م) أن يكسب ولاء الغساسنة تلبية لمقتضيات الحرب ضد الفرس. وقد زار المنذر بن الحارث القسطنطينية في عهد هذا الإمبراطور، حوالي عام ٥٨٠م، بصحبة اثنين من أبنائه، حيث استقبله الإمبراطور وأكرم وفادته. غير أنه عندما عاد المنذر إلى بلاد الشام شك تيبريوس في ولاءه متهما إياه بالاتصال بالفرس، فدبر مؤامرة تمت بنجاح في إحدى كنائس حوران عام ٥٨١م، وحمل المنذر أسيراً إلى القسطنطينية حيث أدين بالخيانة ونفي إلى صقلية. وفي نفس الوقت أصدر تيبريوس الأمر بوقف المعونات المالية السنوية التي كانت بيزنطة تمنحها للغساسنة.(٨٢)

وقد كان لهذا السلوك البيزنطي تجاه حلفائهم من العرب أكبر الأثر في التوتر بين الطرفين، حيث شق النعمان بن المنذر بن الحارث بن جبلة عصا الطاعة على الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م)، غير أن الأخير تمكن بالحيلة والغدر من القبض عليه وإرساله إلى القسطنطينية أيضاً. وقد أعقب هذا حالة من الفوضى والاستياء بين عرب الشام تجاه البيزنطيين، الذين فقدوا ولاء عرب الشام لهم.(٨٣) ويمكن القول أن الغساسنة كما وقفوا بجانب البيزنطيين في حروبهم ضد الفرس في عهد الإمبراطور جستنيان الأول ومن بعده الإمبراطور تيبريوس (٥٨٧-٥٨٢م) وموريس (٥٨٢-٦٠٢م)، (٨٤) لعبوا نفس الدور أيضاً في عهد الإمبراطور هرقل في حروبه ضد المسلمين إلى أن فتحت أراضيهم وأسلم معظمهم.(٨٥)

وهكذا، قد يبدو للوهلة الأولى أن ثيوفانيس كان يقصد «بالعرب الحدوديين» الذين قطع هرقل الرواتب عنهم الغساسنة، خاصة وأن الأحداث التاريخية تعكس لنا أن العلاقة بين البيزنطيين والعرب الغساسنة لم تكن على ما يرام طوال الوقت، بل كثيراً ما كان يشوبها التوتر الذي وصل في أكثر من مرة إلى حد شق عصا الطاعة على بيزنطة. غير أن موقف جبلة بن الأيهم الغساني إلى جانب هرقل في معركة اليرموك، وإصراره على قتال المسلمين، كما سنرى، يشير إلى أنهم ليس هم العرب الذين قصدهم ثيوفانيس، الذين انقلبوا على هرقل وساعدوا أبناء ذويهم عند دخولهم إلى غزة. وهذا يدفعنا للقول أنه ربما قصد قبائل عربية أخرى، كانت تعيش على أطراف الشام، وليس الغساسنة، أصحاب السيادة العربية في بلاد الشام، والقيادة العسكرية العظمى التي أسسها جستنيان هناك تحت سيادتهم منذ عام ٥٣٠م؛ (٨٦) والتي جمعت تحت قيادتها قبائل لخم وجذام وبلقين وبلي العربية، وهي قبائل من قضاعة وغسان.(٨٧) ومن المحتمل أن تلك القبائل التي أشار إليها قد أقامت في تجمع خاص بها بالقرب من غزة.(٨٨)

على أية حال، ينتقل ثيوفانيس بعد ذلك إلى عهد أبي بكر الصديق، فيشير تحت أحداث عام ٦٣١-٦٣٢م، إلى حملة عسكرية أرسلها أبو بكر الصديق، في العام الثاني من حكمه، بقيادة أربعة من القادة المسلمين، إلى الحيرة وإقليم غزة، الذي استولوا عليه، بعد أن أرشدتهم عناصر عربية [عن طرقه ومسالكه.] وقد صل القائد البيزنطي سرجيوس ومعه ما يقرب من ثلاثمائة جندي من قيصرية فلسطين، بصعوبة بالغة، لصد المسلمين؛ فدخل في معركة معهم، كان هو أول قتلاها، وانتهت بهزيمة جنوده. وبعد هذا الانتصار المبهر عاد المسلمون إلى ديارهم سالمين فائزين محملين بالغنائم والأسرى.(٨٩)

وعند مناقشتنا لهذه الرواية، إذا أقررنا بأنها تنتمي إلى عهد أبي بكر الصديق، استناداً إلى تعيينه أربعة من قادة المسلمين من أجل الفتوح الخارجية في الشام والعراق، فإن التاريخ الذي وضعه ثيوفانيس هنا خاطئ تماماً، لأن الرسول ﷺ توفي في عام ١١هـ/٦٣٢م،(٩٠) وهو نفس العام الذي تولى فيه أبو بكر الصديق الحكم.(٩١) وهنا يغفل ثيوفانيس الحديث عن غزوة تبوك ٩هـ/٦٣٠م، وحملة أسامة بن زيد بن حارثة على مشارف الشام عام ١١هـ/٦٣٢م؛ (٩٢) وينتقل مباشرة إلى الحديث عن بدايات الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام والعراق، مستهلاً روايته عنها بالحديث عن دخول يزيد بن أبي سفيان إلى حدود الشام الجنوبية، أو بالتحديد إلى إقليم غزة، على حد ذكره، دون أن يذكر اسم يزيد صراحة، كواحد من القادة الأربعة الذين أخرجهم أبو بكر الصديق لتولي حركة فتوح الشام والعراق.

جدير بالذكر أن حملة أسامة بن زيد على مشارف الشام، عند مؤتة، انتهت بانتصاره وعودته سالماً غانماً في أولى سني عهد أبي بكر الصديق؛ غير أن الإمبراطور هرقل حشد جيوشه في منطقة البلقاء على الحدود بين العرب والبيزنطيين، ولما علم أبو بكر بهذا أعد جيشاً ضخماً دعى له جميع المقاتلين المسلمين في الجزيرة العربية، عام ١٣هـ/٦٣٤م، وولى إمرة هذا الجيش إلى أربعة من القادة، ولكل قائد منهم منطقة معينة يتجه إليها على النحو التالي: (٩٣)

أبو عبيدة بن الجراح، ووجهته حمص ومركز القيادة فى الجابية.
عمرو بن العاص ووجهته فلسطين.
يزيد بن أبى سفيان، ووجهته دمشق
شرحبيل بن حسنة، ووجهته منطقة الأردن.

وطبقا للرواية العربية فقد أمرهم أبو بكر الصديق بأن يتعاونوا سوياً، وأن يكونوا جميعاً تحت إمرة أبى عبيدة بن الجراح، وأن يستقل عمرو بفتح فلسطين، وأن يدعم الجيوش الأخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك.(٩٤) وقد رسم أبو بكر الصديق الخطة لأبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص، والتي سارا بمقتضاها إلى فلسطين عن طريق أيلة، حيث نزل عمرو بن العاص بمنطقة وادي عربة أو غمر العربات؛ أما يزيد وشرحبيل بن حسنة فكان عليهما أن يسلكا طريق تبوك، ومنها يتجه كل منهما إلى المدينة المكلف بفتحها.(٩٥)

وتتفق رواية ثيوفانيس في هذا الخصوص مع الرواية العربية، بينما يجعل أغابيوس المنبجي جيشاً من هذه الجيوش الأربعة قد أرسل لقتال نصارى العرب.(٩٦)

وجدير بالذكر أن المؤرخ الأرمني جيفوند، مؤرخ القرن الثامن الميلادي، يشير إلى أن أهل فلسطين هم الذين دعوا العرب للإسراع بمساعدتهم وتخليصهم من اضطهاد البيزنطيين الديني، وأنه عقب تحرير أراضيهم سيشتركان في إدارة البلاد معاً. ومن ثم تشجع العرب، بناءً على هذا الاقتراح، وقرروا فتح فلسطين.(٩٧) غير أن الثابت من خلال المصادر العربية وحولية ثيوفانيس أيضاً أن خطة الفتوح الإسلامية خارج الجزيرة العربية كانت تتبع منهجاً منظماً يهدف إلى نشر الإسلام وضم تلك البلاد إلى دار الإسلام، وقد خرجت الجيوش الأربعة طبقاً لهذه الخطة. وربما قصد جيفوند هنا القبائل العربية التي انقلبت على هرقل وقررت مساعدة العرب في فتح فلسطين؛ ولو صح هذا الافتراض تصبح هناك صلة بين رواية جيفوند وثيوفانيس بهذا الصدد.

وتجدر الإشارة إلى أنه وقعت عدة اشتباكات متفرقة بين المسلمين والبيزنطيين، أولها كان اشتباكاً بين القوات الإسلامية بقيادة يزيد بن أبي سفيان والقوات البيزنطية بقيادة سرجيوس، بطريق فلسطين، بقرية من قرى إقليم غزة يقال لها داثن، وانتهت بهزيمة البيزنطيين وانسحابهم إلى غزة. وبينما يزيد يطارد فلول البيزنطيين جاءه خبر أن حشوداً بيزنطية اجتمعت في وادي عربة، جنوب البحر الميت، فسَيّر إليها قائداً من قواده يسمى أبو أمامة الصدي الباهلي، حيث تمكن من الإيقاع بهم وقتل أحد قوادهم.(٩٨) ويعلق المؤرخ الأمريكي «والتر كيجي» على انتصار المسلمين على البيزنطيين في داثن أنه أزاح كل حاجز عسكري جدي من طريق المسلمين، حيث أصبح الهجوم على جنوبي فلسطين وفقا لإرادة المسلمين.(٩٩)

وهكذا، تتفق رواية ثيوفانيس مع الرواية العربية في تعيين أبي بكر الصديق لأربعة من القادة المسلمين على رأس القوات الإسلامية المتجهة إلى الفتوح خارج الجزيرة العربية، بينما يذكر ثيوفانيس اسم «سرجيوس»، قائد القوات البيزنطية في فلسطين، الذي قتله المسلمون آنذاك.(١٠٠)

على أية حال، ينفرد ثيوفانيس دون المصادر المعاصرة بالقول أنه بعد «هذا الانتصار المبهر عاد المسلمون إلى ديارهم سالمين فائزين محملين بالغنائم والأسرى»؛ ويشير أيضاً إلى أن سبب عدم توغل قوات يزيد بن أبي سفيان في إقليم غزة، كان بسبب وقوع زلزال آنذاك وظهور ظواهر ضوئية في السماء، كانت تتحرك هالاتها من الجنوب إلى الشمال، لمدة ثلاثين يوما، وهو ما أشار إليه أغابيوس المنبجي أيضاً.(١٠١) بيد أن الواقع كان غير ذلك، فقد كان يزيد بن أبي سفيان معنياً بفتح دمشق وليس التغلغل في إقليم غزة، وهو جزء من أرض فلسطين، المكلف بفتحها عمرو بن العاص وليس يزيد بن أبي سفيان؛ ومن ثم كان عليه التوجه لتنفيذ ما أمره به أبي بكر الصديق، وليس العودة إلى الجزيرة العربية، وهو الجزء الذي لم يصب فيه ثيوفانيس.

ويعود ثيوفانيس إلى القول أن أبا بكر الصديق توفي في عام ٦٣٢م/١١هـ، بعد أن حكم عامين ونصف العام، وتولى عمر بن الخطاب الحكم بعده. بيد أن روايته عن الفتوح الإسلامية

لبلاد الشام في هذه الفترة يشوبها الخلط والتشويش، مثلما أصاب روايته التاريخية عن تاريخ وفاة أبي بكر الصديق. وفي هذا المقام يذكر ثيوفانيس ما يلي: (١٠٢) «مات أبو بكر الصديق في هذا العام، بعد أن تولى الحكم لمدة عامين ونصف العام، وخلفه عمر في السلطة. وقد أرسل (حملة ضد الجزيرة العربية) واستولى على مدينة بُصرى وغيرها من المدن. وتقدم الجيش حتى وصل إلى الجابية. وقد التحم معهم ثيودور، شقيق الإمبراطور هرقل، غير أنه هزم منهم، ومن ثم جاء إلى هرقل في الرها. وقد عين الإمبراطور قائداً آخر يدعى بانيس وأرسل السَكيلاريوس (١٠٣) ثيودور (١٠٤) على رأس جيش الروم ضد العرب. (١٠٥) وعندما جاء إلى حمص، قابل حشداً كبيراً من العرب، حيث قتلهم وقتل معهم أميرهم؛ وطارد البقية الباقية منهم حتى وصلوا إلى دمشق؛ وعسكر هناك عند نهر بردي. أما هرقل فقد ترك بلاد الشام بعد أن أخذ الصليب المقدس معه من بيت المقدس، وعاد إلى القسطنطينية. وقد وجه بانيس والسَكيلاريوس ثيودور من دمشق إلى حمص على رأس جيش قوامه أربعون ألف مقاتل، وهم الذين طاردوا العرب من حمص إلى دمشق».

بهذا الوصف أنهى ثيوفانيس تقريباً حديثه عن الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام في عهد أبي بكر الصديق، ثم انتقل إلى عهد عمر بن الخطاب؛ وكان حديثه كالعادة مشوشاً وبه بعض الأخطاء التاريخية، ويحتاج إلى الفحص التاريخي الدقيق، حتى نستخلص منه الحقيقة. يتحدث هنا ثيوفانيس عن فتح بُصرى، والجابية وغيرها من المدن دون تحديد، ثم موقعة اليرموك. وتظهر أولى أخطاء ثيوفانيس في تاريخ وفاة أبي بكر الصديق ومدة حكمه، حيث جعل وفاته في عام ١١هـ/٦٣٢م، وهو العام الذي توفي فيه الرسول ﷺ وليس أبي بكر الصديق. ومن المعروف أن أبا بكر الصديق حكم لمدة عامين وثلاثة أشهر وعشرة أو اثنتا عشرة يوم، وليس عامين ونصف العام، وتوفي عام ١٣هـ/٦٣٤م. (١٠٦)

أما عن الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام في روايته السابقة فمن المعروف للمؤرخين، طبقا للمصادر العربية، أنه عندما كان عمرو بن العاص يفتح فلسطين كان أبو عبيدة بن الجراح يجاهد بجيوشه في بلاد الشام محاولاً فتح مدنها، لكن بالرغم من بسالة القوات الإسلامية إلا أنها عجزت عن صد قوات الروم، خاصة الحملة التي أرسلها أبو عبيدة إلى مدينة بُصرى. وأمام هذا كله راسل أبو عبيدة بن الجراح الخليفة ليمده بالمدد والمساعدات العسكرية، فأرسل الخليفة أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد يأمره بترك العراق والتوجه إلى بلاد الشام لمساعدة الجيوش الإسلامية التي كانت تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح. وترك خالد ابن الوليد المثنى بن حارثة في العراق، وأخذ شطراً من جنده وتوجه إلى بلاد الشام، حيث وصل إلى بُصرى وعليها شرحبيل بن حسنة ويزيد بن معاوية وأبو عبيدة بن الجراح، وقد اشترك معهم في حصارها؛ واستطاعوا بعد قتال شديد مع القوات البيزنطية بالشام أن يستولوا على مدينة بُصرى بفضل مساعدة واليها رومانوس الذي اعتنق الإسلام، والذي دلهم على سرداب للدخول منه إلى المدينة. (١٠٧) وبهذا تتفق رواية ثيوفانيس عن فتح المسلمين لبُصرى مع الرواية العربية، والتي يتفق مؤلفوها على تمكن المسلمين من السيطرة على المدينة التجارية المهمة جنوب بلاد الشام.

وقد تمكن المسلمون بعد سقوط بُصرى من التغلغل في بطون الشام، حيث ذهب خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة بن الجراح لنجدة عمرو بن العاص، الذي كان موجودا بوادي عربة (غمر العربات)، حيث اجتمعت الجيوش الإسلامية جميعاً عند أجنادين والتحمت مع القوات البيزنطية بقيادة ثيودور، أخو الإمبراطور هرقل، وليس روبيس كما يذكر الواقدي،(١٠٨) في يوليو ٦٣٤م/جمادى الآخر ١٣هـ. غير أنها منيت بهزيمة ثقيلة من المسلمين؛ (١٠٩) الأمر الذي أصاب البيزنطيين بالإحباط وجعلهم ينسحبون نحو دمشق وحمص وغيرهما. وهنا يشير المؤرخ الأرمني سيبيوس إلى واقعة أجنادين ويبين كيف انقض العرب على البيزنطيين وأعملوا فيهم السيف.(١١٠)

ويشير ثيوفانيس في هذا الجزء من الأحداث إلى انسحاب القوات البيزنطية شمالاً وتحصنها بأسوار المدن، وبالطبع لحقت بها الجيوش العربية، حيث التقت بها عند الجابية، ودار القتال بين الطرفين، كمرحلة تمهيدية من نهاية القتال، أدت في المطاف إلى معركة اليرموك. وفي هذه المرحلة من القتال عند الجابية، التي ربما تولاها ثيودور أخو الإمبراطور هرقل، الذي هزم فيها مما اضطره إلى الانسحاب والذهاب إلى هرقل في الرها، حسب رواية ثيوفانيس،(١١١) ربما لمناقشة الوضع العسكري معه. وتبدو هنا إشكالية تاريخية وهي أن البلاذري (١١٢) يذكر أن هرقل كان مقيماً في حمص آنذاك، وليس الرها كما يذكر ثيوفانيس، ولما انهزم البيزنطيون في أجنادين وبلغه الخبر نقل مقر إقامته إلى أنطاكية. ونظرا لتضارب الروايات حول هذا الموضوع فسوف نرجئ نقاشها إلى ما بعد الانتهاء من الحديث عن معركة اليرموك.

وتجدر الإشارة إلى أن هرقل أقصى أخيه ثيودور عن الجيش وأرسله إلى القسطنطينية، بعد أن بلغه نبأ سبه له،(١١٣) أو بسبب هزيمته أمام المسلمين. ومن ثم أدخل تعديلاً في القيادة العامة للقوات البيزنطية حيث أرسل السكيلاريوس ثيودور، المعروف باسم ترايثيريوس Trithyrios ، أي أمين الخزانة، بدلاً من أخيه ثيودور لقيادة الجيوش في الشرق؛ (١١٤) كما عين معه في القيادة العامة أيضاً بانيس، على حد قول ثيوفانيس، الذي ينفرد بذكر اسمه.(١١٥) ولا شك أن التعديل الذي أدخله ثيوفانيس في القيادة العامة للقوات البيزنطية في الشام كان دليلاً على خطورة الموقف العسكري هناك، وتحرج موقف البيزنطيين أمام العرب.

وعندما علم المسلمون بتجهيزات هرقل العسكرية وتعديله في القيادة، أتفق القادة المسلمون على التجمع بجيوشهم في اليرموك(١١٦)، حتى تتوحد قواتهم ضد القوات البيزنطية(١١٧). وقد أوصى الإمبراطور هرقل أحد قادته ويدعى باهان أو ماهان، وهو أرمني الأصل، بالاتصال بالمسلمين لطلب الصلح، فأرسل إليهم جبلة بن الأيهم ملك الغساسنة ليفاوضهم، وكان المسلمون مازالوا تحت قيادة أبى عبيدة بن الجراح الذي رفض مطالب البيزنطيين، إلا بعد استيلائه على بلاد الشام وفلسطين. كما أرسل أبو عبيدة

رسلاً إلى جبلة بن الأيهم يؤنبونه لانضمامه إلى البيزنطيين ضد بني جلدته، وينصحونه بأن يكف عن قتال المسلمين وينضم إليهم؛ غير أن هذا لم يزده إلا مكابرة.(١١٨) وهذا النوع من المفاوضات بين الطرفين والذي أشار إليه الواقدي، مؤكد عند سيبيوس، مؤرخ القرن السابع الميلادي، في الوقت الذي أغفله ثيوفانيس، حيث يقول سيبيوس أن العرب هم الذين أرسلوا سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي هرقل يطالبونه فيها بالتنازل لهم عن الأراضي التي احتلتها بيزنطة حتى يعم السلام بين الطرفين، وإلا سيقوم العرب باجتياحها، واستعادتها بالقوة.(١١٩) ويوضح سيبيوس وجهة نظر العرب في ذلك بقولهم لهرقل «أن الله منحنا هذه البلاد كملكية متوارثة لإبراهيم، ولأبنائه من بعده. ونحن أبناء إبراهيم. وإنه لشيء كثير أن تستولي علي بلادنا. فلترحل في سلام، وإلا سنطالبك بكل ما استوليت عليه». وقد رفض هرقل هذا، ولم يول هذه الرسالة أي اهتمام في الرد باستثناء قوله لهم «هذه البلاد ملك لي، أما ميراثكم فهو الصحراء، فلتذهبوا في سلام إلى بلادكم».(١٢٠) وهكذا تعكس الروايات الأخيرة كيف أن العرب كانوا ينظرون إلى بلاد الشام على أنها أرض عربية، ينبغي أن تعود إليهم. وهكذا يمكن أن تصبح هذه الرؤية عاملا جديدا من العوامل التي دفعت المسلمين لفتوح الشام.

على أية حال، عندما وصل خالد بن الوليد من العراق إلى اليرموك، بناءً على أمر أبي بكر الصديق، تولى القيادة هناك حيث رتب الجيوش الإسلامية على النحو التالي: أبو عبيدة بن الجراح على قلب الجيش، وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة على الميمنة، ويزيد بن أبى سفيان على الميسرة؛ في الوقت الذي جهز فيه هرقل ما يقرب من سبعين ألف مقاتل لمواجهة العرب. (١٢١) وفي هذه المرحلة الحرجة من تاريخ معركة اليرموك جاء البريد من المدينة إلى خالد بن الوليد فأبلغه بنبأ وفاة أبي بكر الصديق في ليلة النصف من جمادى الثاني عام ١٣هـ/٦٣٤م، وخلافة عمر بن الخطاب، كما أبلغه بنبأ عزله عن إمارة الجيش وتولية أبي عبيدة بن الجراح؛ (١٢٢) غير أن خالد أخفى كل هذه الأخبار،(١٢٣) حرصاً على وحدة المسلمين، إلى أن تنتهي المعركة. ودارت رحى القتال بين الجانبين وظلت دائرة سجالاً بينهما إلى أن جاء يوم الواقوصة/الياقوصة، الذي اشتد فيه القتال بين المسلمين والبيزنطيين، وفيه خسر البيزنطيون آلافاً من خيرة جنودهم؛ وانتهت المعركة بهزيمة البيزنطيين هزيمة ساحقة.(١٢٤)

وتجدر الإشارة إلى أن جبلة بن الأيهم الغساني اصطحب معه عدداً من أتباعه ومن الأسر العربية التابعة له وعبر الحدود إلى أراضي الدولة البيزنطية، وهو متأثر أشد الأثر لفقدان نفوذه بضياع موطنه بلاد الشام(١٢٥). وتقول الرواية العربية أن عمر بن الخطاب عرض عليه الإسلام وأداء الصدقة فأبى ذلك وقال أقيم على ديني وأؤدي الصدقة فقال عمر إن أقمت على دينك فأد الجزية فانف منها. فقال عمر ما عندنا لك إلا واحدة من ثلاث إما الإسلام وإما أداء الجزية وإما الذهاب إلى حيث شئت فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفا(١٢٦).

وعلى الرغم من أن ثيوفانيس لا يسرد كل هذه التفاصيل إلا أنه يشير في الجزء الأول من روايته عن الفتوح الإسلامية للشام إلى أن هرقل أخذ الصليب المقدس من بيت المقدس وترك بلاد الشام وكر عائداً إلى القسطنطينية،(١٢٧) ويضع هذا الحدث خطأ قبل انتهاء معركة اليرموك، ويغفل القول أن هرقل ذهب من حمص إلى أنطاكية، قبل فراره النهائي إلى القسطنطينية.(١٢٨)

وفي هذه المرحلة من الفتوح يزودنا ثيوفانيس بتفاصيل جديدة عن أسباب هزيمة البيزنطيين في اليرموك، تختلف نسبياً عن التي نستشفها من المصادر العربية، حيث يقول: «وفي هذا العام (٦٣٣-٦٣٤م) انطلق جمع غفير من السراقنة (١٢٩) من الجزيرة العربية، وشنوا حملة على إقليم دمشق. وعندما علم بانيس بهذا، أرسل رسالة إلى السكيلاريوس الإمبراطوري، يطلب فيها منه أن يأتي بجيشه لنجدته، حيث كان يرى أن عدد العرب كثيف جداً. لذلك لحق السكيلاريوس ببانيس وانطلقوا من حمص لمواجهة العرب. وبدأ اليوم الأول من المعركة في يوم الثلاثاء الموافق الثالث والعشرون من شهر لوُز (= يوليو) حيث هزمت قوات السكيلاريوس. وهنا أعلنت قوات بانيس التمرد وأعلنت الأخير إمبراطوراً، حيث لعنوا هرقل. وعندئذ انسحبت قوات السكيلاريوس، وهنا انتهز العرب الفرصة واشتبكوا في القتال. وعندما هبت رياح جنوبية في اتجاه الروم، لم يستطيعوا مواجهة العدو بسبب التراب، وهزموا. وألقى الروم أنفسهم في مضايق نهر اليرموك Heirmouchthas، حيث هلك الجميع، وكان تعداد جيش القائدين معاً ٤٠,٠٠٠. وعلى أثر هذا النصر الباهر تقدم العرب صوب دمشق واستولوا عليها؛ بالإضافة إلى إقليم فينيقيا، حيث استقروا هناك، ووجهوا حملة ضد مصر.» (١٣٠)

وقد انهزمت القوات البيزنطية لعدة أسباب، طبقا لرواية ثيوفانيس، وهي:

١- الحالة النفسية المتردية التي أصابت قوات بانيس على أثر هزيمة قوات السكيلاريوس.

٢- العاصفة الترابية التي هبت عليهم وكانت مواجهة لهم، مما أعاق تقدمهم في القتال ضد المسلمين.(١٣١)

٣- انسحاب قوات السكيلاريوس من الميدان، على أثر تمرد بانيس وقواته؛ وربما كان هذا خوفا من اتهام هرقل له بالخيانة إذا استمر في مشاركتهم على هذا النحو.

٤- لعب التمرد الذي تزعمه بانيس دوراً سلبياً فت في عضد القوات المشتركة وأدى إلى إضعافها.

٥- ويضيف المؤرخ الأرمني سيبيوس، مؤرخ القرن السابع الميلادي، أسباباً جديدة لم يذكرها ثيوفانيس منها غزارة رمال أرض المعركة، حتى أن الجندي البيزنطي كان يغوص فيها حتى ركبتيه، في الوقت الذي أخذ المسلمون يطاردون البيزنطيين فيه.

٦- كما يضيف سيبيوس أن ارتفاع درجة حرارة الشمس كانت من الأسباب التي أودت بالبيزنطيين، حتى أن قتلاهم بلغوا الألفين على حد ذكره.(١٣٢)

٧- وهناك معلومة مهمة ذكرها سيبيوس يمكن أن نستنتج منها تكتيك جديد استخدمه المسلمون لإرهاب البيزنطيين في الميدان، ويعتبر عاملاً من العوامل التي ساعدت على انتصار المسلمين؛ حيث تربص فيلق من جيوش المسلمين في كمائن للبيزنطيين، ونصبوا خيامهم حول معسكرهم، ثم أحاطوا معسكرهم وخيامهم بالجمال، بعد أن قاموا بربط أرجل الجمال بالحبال ببعضها البعض؛ (١٣٣) وذلك حتى لا تتحرك الجمال وتبدو في شكل مهيب يرهب البيزنطيين الذين لم يكونوا قد اعتادوا عليها في المعارك قبل ذلك.

٨- أخيراً يذكر سيبيوس أن البيزنطيين قابلوا القوات الإسلامية وهم مشاة في أرض رملية، بعد أن خارت قواهم بسبب سيرهم لمسافات طويلة قبل لقائهم بالمسلمين.(١٣٤)

٩ - أما المؤرخ الأرمني جيفوند، مؤرخ القرن الثامن الميلادي، فيضيف أن البيزنطيين وقعوا في خطأ فادح، وذلك عندما تركوا خيولهم وأمتعتهم في معسكرهم وابتعدوا عنه لمسافة.١٣٥وربما أدى هذا إلى الفوضى التي وقعت بين صفوفهم، والتي نجم عنها خلل أيضا في التكتيكات الحربية، فأعطى بذلك الفرصة للقوات الإسلامية للتسلل بين قوات الفرسان والمشاة البيزنطيين، وتنزل بهم الهزيمة الساحقة.(١٣٦) وهو الأمر الذي لم يشر إليه ثيوفانيس.

١٠- أما البطريرك نقفور فيسوق أسباباً تختلف عن الأسباب التي ساقها ثيوفانيس للهزيمة وتتمثل في عدم إطاعة ثيودور لأوامر هرقل، حيث أمره الأخير بعدم الدخول في معركة مع المسلمين؛ (١٣٧) وهو ما يتفق مع ما ذكره سيبيوس أيضاً من قوله أن هرقل أسرع بحشد سبعين ألفا من قواته وأسند قيادة الجيش إلى واحد من طواشيته المخلصين وأمره بالزحف نحو بلاد العرب. وأصدر أوامره للجند بألا يخوضوا حرباً ضد العرب، بل عليهم اتخاذ موقف الدفاع لحين اكتمال تعبئة القوات البيزنطية.(١٣٨)

١١- كما يشير نقفور أيضاً إلى سبب مهم وهو الثقة الزائدة عن الحد التي كانت عند القوات البيزنطية، حيث كانوا يؤمنون أن النصر سيكون في جانب الإمبراطور هرقل.(١٣٩)

وهكذا، لم يفلح ثيوفانيس في إجمال الأسباب التي أدت إلى هزيمة البيزنطيين في اليرموك أمام المسلمين، بل نجد أن الأسباب التي ساقها المؤرخ الأرمني سيبيوس تعتبر أكثر أهمية من التي ذكرها ثيوفانيس، وربما الأكثر واقعية أيضاً. كما أغفل ثيوفانيس ذكر الفرقة الأرمنية التي شاركت في القتال إلى جانب القوات البيزنطية. والتي كانت تحت قيادة جيورجيوس.(١٤٠)

على أية حال، لم يحالف ثيوفانيس الصواب عندما قال: «في هذا العام (٦٣٣-٦٣٤م) انطلق جمع غفير من السراقنة من الجزيرة العربية، وشنوا حملة على إقليم دمشق». بينما واقع الأحداث يقول أن المسلمين كانوا آنذاك بالشام، ولم يعودوا إلى الجزيرة العربية حتى ينطلقوا منها ثانية. غير أن ثيوفانيس يكشف حقيقة مهمة وهي أن ثيودور الذي كان يقود القوات البيزنطية في اليرموك كان أمين الخزانة الإمبراطوري (السكيلاريوس) وليس ثيودور شقيق هرقل.

وجدير بالذكر أن ثيوفانيس أشار إلى أن معركة اليرموك حدثت عام ٦٣٣-٦٣٤م/١٢-١٣هـ (١٤١). أما المصادر العربية فقد انقسمت إلى مجموعتين تقول أولهما أنها وقعت في عام ١٥هـ/٦٣٦م(١٤٢)، وتذكر ثانيهما أنها وقعت عام ١٣هـ/٦٣٤م، وهي السنة التي جاء فيها كتاباً من عمر بن الخطاب إلى خالد بن الوليد، وهو في اليرموك مع المسلمين، يعلمه بنبأ موت أبي بكر الصديق وينحيه عن قيادة الجيوش.(١٤٣) فيشير البلاذري (١٤٤) إلى أن نبأ موت أبي بكر الصديق وصل إلى المسلمين وهم مرابطون في الياقوصة، عند اليرموك. أما اليعقوبي (١٤٥) فيؤكد على أن أول شيء فعله عمر بن الخطاب بعد توليته الحكم أن رد سبايا أهل الردة وأرسل كتاباً إلى أبي عبيدة بن الجراح يخبره بنبأ وفاة أبي بكر الصديق ويعقد له ولاية الشام بدلاً من خالد بن الوليد. أما الطبري (١٤٦) فيذكر أن المسلمين كانوا في الواقوصة على ضفة اليرموك، عندما طلبوا المدد من أبي بكر الصديق، في عام ١٣هـ/٦٣٤م، والذي أرسل بدوره إلى خالد بن الوليد في العراق يستحثه على مؤازرة إخوانه في الشام؛ وقد توفي أبو بكر الصديق في ذلك العام، بعد وصول خالد إلى اليرموك. ويحدد ابن الجوزي (١٤٧) التاريخ بدقة أكثر عندما يقول: «كانت وقعة اليرموك في سنة ثلاث عشرة وكانت أول فتح فُتِحَ على عمر بعد عشرين ليلة من أبي بكر رضي الله عنه». أما أغابيوس المنبجي (١٤٨) فيقول أن عمر ابن الخطاب وجه جيوشه في أول سنة من حكمه إلى البلقاء وافتتح بُصرى ومدناً كثيرة وحصوناً، وهو ما تم بمساعدة خالد بن الوليد قبيل اتجاهه إلى اليرموك مباشرة.

وإذا كانت معظم المصادر العربية تتفق على أن نبأ وفاة أبي بكر الصديق وصل إلى المسلمين وهم باليرموك، أي عام ١٣هـ/٦٣٤م، فليس من المعقول أن يظل المسلمون يحاربون ثلاث سنوات في اليرموك، أي حتى عام ١٥هـ/٦٣٦م، وهو الرأي الذي تأخذ به كوكبة أخرى من المؤرخين؛ لاسيما وأن ثيوفانيس يقول أن المعركة بدأت بين الطرفين في «يوم الثلاثاء الموافق الثالث والعشرون من شهر لوُز (=يوليو)».

وفي ختام هذه القضية فإنه من الناحية التكتيكية العسكرية لا يمكن للقوات العربية أن تصول وتجول في فتوح الشام إلا بعد انكسار قوات العدو تماماً، أي قوات الجيش البيزنطي المتأهب لقتالها، وهو ما تم بصورة حاسمة في اليرموك؛ وهو ما يؤكده ثيوفانيس بقوله: «...وعلى أثر هذا النصر الباهر تقدم العرب صوب دمشق واستولوا عليها، بالإضافة إلى إقليم فينيقيا، حيث استقروا هناك...»،(١٤٩) أو كما يقول سيبيوس أن العرب قسموا قواتهم

إلى ثلاثة جيوش، يذهب إحداها لفتح مصر، والثاني إلى الشمال، أي إلى شمال الشام، لقتال البيزنطيين، والثالث إلى فارس.(١٥٠) وبناءً على هذا قد يكون من الأنسب، طبقاً لهذه الشواهد التاريخية، أن تكون معركة اليرموك قد وقعت عام ١٣هـ/٦٣٤م وليس عام ١٥هـ/٦٣٦م أو عام ٦٣٣-٦٣٤م/١٢-١٣هـ.

وتشير المصادر العربية أيضاً إلى اثنين من القادة البيزنطيين في اليرموك، وهما ماهان أو باهان والسفلار أو السقلار أو الصقلار،(١٥١) لعبا دوراً في الأحداث السابقة بين البيزنطيين والمسلمين؛ (١٥٢) وتعكس هذه المصادر أن المؤرخين المسلمين فهموا أن السقلار هو اسم لقائد بيزنطي. بيد أن السقلار (السكيلاريوس) كان لقباً وظيفياً للقائد البيزنطي ثيودور، وهو اللقب الوظيفي الذي يذكره ثيوفانيس مقروناً باسم ثيودور؛ بينما يمكن اعتبار اسم باهان تصحيف لاسم القائد البيزنطي بانيس. وهكذا يصحح ثيوفانيس الخطأ الوارد في الرواية العربية، وأن ثيودور هو السكيلاريوس ثيودور وليس تذراق (ثيودور) أخو هرقل.(١٥٣)

ونعود الآن إلى إشكالية أين كان هرقل أثناء هذا الصراع بين البيزنطيين والمسلمين في بلاد الشام؟

يذكر ثيوفانيس في الجزء الأول من روايته عن فتوح الشام أن هرقل كان موجوداً في الرها عندما جاءه ثيودور، عقب هزيمته في الجابية. ثم يقول أن هرقل أخذ الصليب المقدس ورحل من بيت المقدس إلى القسطنطينية؛ (١٥٤) ثم يعود ويستكمل حديثه في أحداث السنة التالية عن موقعة اليرموك. أما المؤرخ البيزنطي كدرينوس فيسير على نفس رواية ثيوفانيس دون تغيير.(١٥٥) ونأتي إلى المؤرخين المسلمين حيث يقول الواقدي (١٥٦) أن هرقل رحل من أنطاكية إلى القسطنطينية بحراً، بعد سقوط أنطاكية. أما البلاذري (١٥٧) فيذكر أن هرقل كان بحمص عندما وقعت موقعة أجنادين ١٣هـ/٦٣٤م، ولما هزم البيزنطيون فيها رحل هرقل إلى أنطاكية ليقيم فيها؛ وقد ظل بالأخيرة حتى بعد هزيمة اليرموك يستنفر البيزنطيين وأهل الجزيرة لقتال المسلمين في فحل بيان.(١٥٨) غير أنه يعود للقول أن هرقل هرب من أنطاكية إلى القسطنطينية عقب هزيمة قواته في اليرموك، على أساس أنه يضع اليرموك في عام ١٥هـ/٦٣٦م.(١٥٩) ويأخذ الطبري والدمشقي بنفس رأي البلاذري، أي هروب هرقل من أنطاكية إلى القسطنطينية بعد هزيمة اليرموك.(١٦٠) أما ابن الجوزي (١٦١) فيذكر أن هرقل جعل مدينة حمص بينه وبين المسلمين، بعد هزيمة اليرموك، مما يشير إلى تحركه إلى أنطاكية آنذاك. وأخيراً يذكر ابن الأثير(١٦٢) أن هرقل كان مقيماً في حمص عند هزيمة قواته في اليرموك. ويتفق ابن الأثير والنويري (١٦٣) مع ثيوفانيس وكدرينوس وميخائيل السورياني (١٦٤) على أن هرقل كان انذاك في الرها، التي رحل منها عبر سميساط، ثم عبر دروب الأناضول عائداً إلى القسطنطينية. وعندما كان يمر قبالة الشام قال قولته المشهورة: «السلام عليك يا

سورية سلام لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً. . .» أو حسب رواية أخرى: «عليك يا سورية السلام، ونعم هذا البلد للعدو».(١٦٥) ويحدد ابن الأثير (١٦٦) تاريخ رحيل هرقل من الرها إلى القسطنطينية عام ١٥هـ/٦٣٦م أو ١٦هـ/٦٣٧م بعد فتح العرب لقنسرين. ويتفق المؤرخان رفيق العظم (١٦٧) ووالتر كيجي (١٦٨) في الرأي مع ابن الأثير وثيوفانيس والنويري وميخائيل السورياني، ويشيران إلى أن ذهاب هرقل إلى الرها هو الأصوب، حيث أتاح هذا له الوقت الكافي آنذاك ليرتب دفاعاته في الأناضول ضد العرب، ويشرف على انسحاب قواته من بلاد الشام؛على عكس المؤرخ اليوناني أندرياس ستراتوس الذي يعتقد أن الرها تصحيف لغوي لحمص، حيث تكتب الأولى Edessa، والثانية Emesa.(١٦٩)

وأياً كان الخلاف بين المؤرخين فإنه من المحتمل أنه مع اشتداد المعارك بين البيزنطيين والمسلمين في الشام أن يكون هرقل قد أقام في حمص بعد عودته من الحج في بيت المقدس عام ٦٣٠م.(١٧٠) وحتى هزيمة قواته في أجنادين؛ وعند تقدم المسلمين نحو وسط الشام، نحو حمص ودمشق، اتجه هرقل إلى أنطاكية، على حد ذكر البلاذري، والتي أدار منها معركة اليرموك. وعندما هزمت قواته في اليرموك، أرسل المدد العسكري من أنطاكية إلى قنسرين، ليحول دون سقوطها في أيدي المسلمين؛ حيث أرسل أحد البطارقة ومعه جبلة بن الأيهم الغساني في مدد عسكري إلى قنسرين.(١٧١) غير أنه بسقوط قنسرين في أيدي المسلمين، اضطر هرقل إلى أن ينقل مقر القيادة إلى الرها، حاضرة إقليم الجزيرة، ليرتب دفاعاته في الأناضول ضد العرب، ويشرف على انسحاب قواته من بلاد الشام، على حد قول والتر كيجي؛ خاصة وأن أبا عبيدة بن الجراح أرسل عياض بن غنم ليتتبع فلول البيزنطيين الهاربة شمالا نحو ملطية، فصالحه أهلها على الجزية ثم انصرف. ولما سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومن فيها فساقهم إليه وأمر بملطية فحرقت.(١٧٢) وعندما تأكد له توجُه المسلمين بعد ذلك نحو الدروب المؤدية إلى الأناضول، كان عليه الإسراع بترك الرها والعودة إلى القسطنطينية على وجه السرعة؛ حيث أمر عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح، بعد فتحه أنطاكية، بالتوجه لفتح الدروب.(١٧٣) وهي المنطقة الفاصلة بين شمال الشام وجنوب الأناضول، والمؤدية إلى قلب آسيا الصغرى البيزنطية، وبالفعل أرسل ميسرة بن مسروق بسرية إلى الدروب، حيث التحم مع البيزنطيين في موقعة مرج القبائل.(١٧٤) وبناءً على كل هذا يمكن تتبع القيادة البيزنطية للعمليات الحربية في بلاد الشام، في الفترة من ٦٣٠م-٦٣٧م، على النحو التالي:

بيت المقدس حمص أنطاكية الرها سميساط القسطنطينية

وبعد هذا النصر الباهر الذي أحرزه المسلمون في اليرموك، وبينما كان أبو عبيدة بن الجراح يتتبع فلول البيزنطيين الفارين إلى فحل بيان، جاءته الأخبار بمدد عسكري بيزنطي متجهاً من حمص إلى دمشق، فتعذر عليه أخذ قرار حاسم حيال قتال البيزنطيين في فحل بيان

أم التوجه إلى دمشق. ومن ثم راسل أبو عبيدة بن الجراح الخليفة عمر بن الخطاب الذي رد عليه ينصحه بأن يبدأ بفتح دمشق لأنها حصن الشام وبيت ملكهم، وفي نفس الوقت يشغل أهل فحل بيان ببعض الفرسان المسلمين حتى يصرفهم عن أمر دمشق. وبالفعل توجه أبو عبيدة بن الجراح إلى دمشق في المحرم من عام ١٤هـ/٦٣٥م (١٧٥) بعد أن ترك مجموعة من الجنود المسلمين يحاصرون فحل بيان. وتمكن أبو عبيدة بن الجراح ومن معه من القادة المسلمين من فتح دمشق، ودخولها بعد أن صالحه أهلها.(١٧٦) وقد انسحبت القوات البيزنطية إلى الوراء نحو حمص، على أثر ضغط القوات الإسلامية عليها،(١٧٧) والتي سيفتحها المسلمون فيما بعد.

وبعد النصر الذي أحرزه المسلمون في دمشق وفتحهم لها، بدأ القادة المسلمون يوجهون قواتهم نحو فتح بقية بلاد الشام، لاسيما المدن الساحلية، والتي أشار إليها ثيوفانيس بقوله أن المسلمين استولوا على إقليم فينيقيا. وقد استولى المسلمون على فحل بيان، وبيسان، وطبرية، بفلسطين؛ بالإضافة إلى جميع مدن الأردن. ثم زحف أبو عبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد إلى حمص، حيث صالح أهلها، على مثل ما صالح به أهل دمشق، ثم قصد بعلبك وحماة وشيزر فسالمهم أهلها. وواصل أبو عبيدة الفتح حتى وصل معرة النعمان، ففتحها صلحاً. وقد عهد أبو عبيدة بن الجراح إلى عبادة بن الصامت بفتح سواحل بلاد الشام، ففتحها عنوة؛ ثم افتتح انطرسوس، وجبلة عنوة أيضاً. أما أبو عبيدة ومعه خالد بن الوليد فقد سارا إلى قنسرين، حيث صالح أهلها مثل صلح حمص، وهناك أسلم بعض أهلها. ثم رحل أبو عبيدة بن الجراح إلى حلب ومعه عياض بن غَنم، فافتتحها صلحاً؛ وزحف من هناك شمالاً نحو أنطاكية، واشتبك مع أهلها، وانتهى القتال بأن صالحوه على الجزية في عام ١٦هـ/٦٣٧م، على حد ذكر المصادر العربية.(١٧٨) ومن جملة هذه الأحداث يذكر ثيوفانيس، تحت أحداث عام ٦٣٦-٦٣٧م، فتح أنطاكية، الواقعة في شمال بلاد الشام. وهو العام الذي قام فيه عمر بن الخطاب بتعيين معاوية بن أبي سفيان والياً على كل المنطقة، من مصر إلى الفرات؛ (١٧٩) وبهذا يكون العرب قد تقدموا بفتوحاتهم حتى أطراف الشام الشمالية طبقاً للمصادر العربية والبيزنطية. وهكذا، تتطابق رواية ثيوفانيس حول نشاط المسلمين في هذه المرحلة من فتوح الشام مع الرواية العربية، من فتحهم دمشق وكل فينيقيا وأنطاكية. وتنبغي الإشارة إلى أن التاريخ الذي وضعه ثيوفانيس لولاية معاوية بن أبي سفيان على الشام غير صحيح، والصحيح أن عمر بن الخطاب ولاه على الشام عام ١٨هـ/٦٣٩م، بعد أن هلك واليها يزيد بن أبي سفيان، وقبله أبو عبيدة بن الجراح في طاعون عَمواس.(١٨٠)

وأخيراً ينتقل ثيوفانيس للحديث عن فتح بيت المقدس على أيدي المسلمين، حسبما يلي: «في هذا العام (٦٣٤-٦٣٥م) غزا عمر فلسطين، بعد حصار المدينة المقدسة لمدة عامين، استولى عليها باستسلامها له؛ نظراً لأن صفرونيوس، أسقف بيت المقدس، حصل على وعد بالعفو عن كل فلسطين. ودخل عمر المدينة المقدسة مرتدياً رداءً بالياً من شعر الإبل، في مظهر

شيطاني، وبحث عن معبد اليهود - الذي بناه سليمان - (١٨١) حتى يجعله مكان عبادة لدينه الهرطوقي. وعندما رأي صفرونيوس هذا قال 'حقاً ما قيل أيام النبي دانيال أن خرابا بغيضا سيحل بالمكان المقدس.' وبمزيد من الدموع ناح حامي التقوى على الشعب المسيحي...» (١٨٢)

ومن خلال النص السابق نجد أن ثيوفانيس قد صور عمر بن الخطاب على أنه غزا فلسطين، والثابت من المصادر التاريخية أن عمرو بن العاص هو الذي كان مكلفاً بفتح فلسطين من البداية، كما سبق وأوضحنا، وأن أبا عبيدة بن الجراح وبقية القادة المسلمين اشتركوا في حصار بيت المقدس، بعد أن فرغوا من اليرموك وما حولها من مدن شامية، هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية، جاء عمر بن الخطاب إلى فلسطين، بناء على طلب أهل إيلياء (بيت المقدس)، وعلى رأسهم البطريرك صفرونيوس، الذين اشترطوا على أبي عبيدة بن الجراح أن يأتي عمر بنفسه ليمنحهم كتاب الصلح والأمان، ويتسلم إيلياء.(١٨٣) وعلى هذا، استجاب عمر بن الخطاب إلى طلب أهل إيلياء، وقدم إلى الشام، وهناك اجتمع بقادة المسلمين في الجابية، ثم اتجه إلى إيلياء، حيث منح أهلها، وعلى رأسهم البطريرك صفرونيوس، كتاب أمان.(١٨٤) على عكس سيبيوس الذي يشير إلى أن سكان بيت المقدس حل بهم الرعب من العرب فأخذوا الصليب المقدس وأوعية كنائس الرب وهربوا بها في قارب إلى القصر [الإمبراطوري] في القسطنطينية، وأن هذا وقع عند دخول العرب إلى بيت المقدس، حيث سألهم سكانه عهداً.(١٨٥) ويعمد ثيوفانيس إلى القول أن معبد اليهود، الذي اندثر منذ زمن بعيد،(١٨٦) كان لا يزال قائماً، ويلقي بواحدة من الاتهامات، التي لا زالت تُلصق بالمسلمين حتى عصرنا الحديث، وهي تحويل هيكل سليمان عليه السلام إلى مسجد لهم، ويحاول تصوير عمر بن الخطاب على أنه مغتصب لواحد من أماكن اليهود بالمدينة؛ (١٨٧) في وقت لو شاء عمر فيه أن يصلي داخل الكنيسة لفعل، وليس خارجها؛ وهو الذي أعطى صفرونيوس وكل أهل إيلياء كتاب أمان جامع شامل؛ كما أن هذا الاتهام لا يستقيم مع شخص كعمر بن الخطاب، الذي وضع القواعد المنظمة لمعاملات أهل الذمة في الإسلام.(١٨٨)

وفي هذا المضمار يفند سيبيوس، مؤرخ القرن السابع الميلادي، رواية الأخير، حيث يؤكد على عدم وجود هيكل سليمان من أساسه عند فتح العرب لبيت المقدس، وذلك عندما يقول: «...أنهم (أي اليهود) خططوا لإعادة بناء هيكل سليمان في بيت المقدس...» (١٨٩) وبالرغم من شهادة سيبيوس المهمة إلا أنها تشير إلى أن اليهود «...وجدوا دعماً من العرب لبعض الوقت...»،(١٩٠) في الوقت الذي أقر فيه عمر بن الخطاب في كتابه إلى أهل إيلياء، ألا يسكن أحداً من اليهود معهم.(١٩١) وقد جاء إجراء عمر هذا متماشيا مع مرسوم كان قد أصدره الإمبراطور هرقل، عندما كان في بيت المقدس، يقضي بعدم اقتراب اليهود من بيت المقدس لمسافة ثلاثة أميال.(١٩٢) ويبدو أن اليهود طلبوا بعد ذلك وساطة عمر بن الخطاب عند البطريرك صفرونيوس ليسمح لهم بدخول بيت المقدس، حيث استجاب البطريرك لوساطة عمر بن الخطاب فسمح لخمسين عائلة يهودية فقط، في الوقت الذي طلب اليهود فيه دخول مائتي عائلة، وفي النهاية سمح عمر بن الخطاب لسبعين عائلة منهم فقط.(١٩٣)

على كل حال، من الثابت أن عمر بن الخطاب، بعد أن انتهى من عقد الصلح مع أهل إيلياء، ذهب إلى موقع المسجد الأقصى ليلاً فدخله وصلى في محراب داوود، ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة وتقدم فصلى بالناس بسورة «ص»، في الموضع الذي صلى فيه الرسول ﷺ، (١٩٤) ثم انصرف بعد أن حدد القبلة به. (١٩٥) وعلى هذا فإن التفسير الأقرب إلى الواقع هو أن عمر بن الخطاب ذهب إلى موقع المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين، (١٩٦) الذي يحوي محراب داوود، وحائط البراق، (١٩٧) والصخرة التي عرج منها الرسول ﷺ (١٩٨) حتى يصلي فيه. وربما لم يدرك ثيوفانيس، أو من نقل عنهم، مدى قدسية هذه الأماكن وأهميتها الرفيعة عند المسلمين ليحرص عمر ابن الخطاب ومن معه من المسلمين على زيارتها.

ونأتي إلى وصف ثيوفانيس لمظهر عمر بن الخطاب عند قدومه إلى بيت المقدس بأنه «مظهر شيطاني»، فنجد أنه في هذا لا يشذ عن الكتاب البيزنطيين وبعض الكتاب من المسيحيين الشرقيين، في وصفهم للمسلمين عامة، كمحاولة لتفسير العجز الذي أصابهم أمام المد الإسلامي الناجح في بلاد الشام، لاسيما الفترة من ٦٣٢-٦٣٨م. فنرى على سبيل المثال البطريرك صفرونيوس، بطريرك بيت المقدس، يصف «سيف المسلمين بالبربرية والتوحش.. .وقد امتلأ بكل أنواع الوحشية الشديدة». كما يصف المسلمين في موضع آخر بأنهم كفرة، ومتوحشون، ومتعطشون للدماء، وأنهم أنذال وأعداء للرب؛ (١٩٩) أما ماكسيموس المعترف فيصفهم بأنهم شعب بربري. (٢٠٠)

وفي ختام هذا الجزء من رواية ثيوفانيس عن فتح بيت المقدس ينبغي تصحيح التاريخ الخاطئ الذي وضعه ثيوفانيس لفتح بيت المقدس وهو٦٣٤-٦٣٥م/١٣-١٤هـ. بينما تشير بعض الروايات العربية إلى أن بيت المقدس فتحه المسلمون في عام١٥هـ/٦٣٦م (٢٠١) أو ١٦هـ/٦٣٧م، والأخير هو الغالب بين جمهرة المؤرخين. (٢٠٢)

ويعود ثيوفانيس ثانية إلى الحديث في موضع آخر عن موضوع عمر بن الخطاب واليهود عندما يقول تحت أحداث عام ٦٤٢-٦٤٣م ما يلي: «في هذا العام شرع عمر في بناء معبد في بيت المقدس، غير أن البناء لم يعلو وظل يسقط. وعندما استفسر عن السبب في هذا قال له اليهود: إذا لم تنزع الصليب الموجود فوق الكنيسة الواقعة على جبل الزيتون، فإن البناء لن يعلو. ولهذا السبب أزيل الصليب من هناك، وهكذا ارتفع بنيانهم. ولهذا السبب أنزل أعداء المسيح العديد من الصلبان». (٢٠٣)

وهكذا، ألقى ثيوفانيس ظلال الاتهام ثانية على عمر بن الخطاب، من خلال محاولته القول أنه كان يعمل بمشورة اليهود، الذين حثوه على النيل من مقدسات المسيحيين في بيت المقدس، حتى يتسنى له إقامة بناء ما. وهذا بطبيعة الحال يخالف العهد الذي قطعه عمر بن الخطاب على نفسه للبطريرك صفرونيوس وكل أهل إيلياء، بتأمين المسيحيين على أنفسهم وكنائسهم وأموالهم وألا يسكن أحداً من اليهود معهم في بيت

المقدس؛ (٢٠٤) ومن ثم فإن رواية ثيوفانيس هنا لا أساس لها من الصحة. غير أننا ينبغي أن نتساءل عن ماهية هذا البناء الذي يشير إليه ثيوفانيس وشيده عمر بن الخطاب.

يشير المؤرخون إلى أن عمر بن الخطاب ذهب إلى الشام أربع مرات، اثنتين في عام ١٦هـ/٦٣٧م، الأولى منهما عندما ذهب لتسلم بيت المقدس، والثانية ليس لدينا أخبار عنها؛ واثنتين أثناء طاعون عَمواس وبعده، غير أن انتشار الطاعون هناك حال دون الزيارة فعاد إلى المدينة؛ ثم ذهب ثانية إلى الشام بعد انتهاء طاعون عَمواس، لينظر في أمور الناس بعد هذا المصاب الأليم الذي دهمهم. (٢٠٥) غير أنه لا يوجد دليل تاريخي على تشييد عمر بناء ما أثناء زياراته هذه للشام. فمن أين إذن جاء ثيوفانيس بهذه الرواية الغريبة؟

وإذا فحصنا رواية سيبيوس الأرمني التي تقول: «أنهم (أي اليهود) خططوا لإعادة بناء هيكل سليمان في بيت المقدس... وعند المكان المسمى قدس الأقداس، أقاموا المعبد مع قاعدة، ليصبح مكاناً لصلاتهم. غير أن العرب حقدوا على اليهود وطردوهم من المكان، وجعلوا المكان نفسه موضعاً خاصاً لصلاتهم. ومن ثم فقد بنى اليهود معبداً آخر في مكان ما لعبادتهم...» (٢٠٦) فإن روايته تشير إلى محاولة يهودية لإعادة بناء هيكل سليمان، ربما في موقع المسجد الأقصى، الذي كان عمر بن الخطاب قد حدد القبلة فيه وجعلها نحو الكعبة عند قدومه إلى فلسطين في المرة الأولى، ومن ثم استولى المسلمون على هذا البناء ومنعوا اليهود من هذه المحاولة، التي يشير سيبيوس إلى أن اليهود شرعوا فيها مستغلين تسامح المسلمين مع أهل الذمة. ومع ذلك لا يمكننا الثقة في رواية سيبيوس في هذا الخصوص. ويمكن القول أن عمر بن الخطاب قد قام ببناء مسجد للمسلمين عند الصخرة المقدسة، التي عرج منها الرسول، (٢٠٧) حيث سأل عن الصخرة المقدسة، عندما ذهب إلى بيت المقدس في المرة الأولى، فدلوه عليها؛ (٢٠٨) فإذا القمامة أو الكناسة تغطيها، (٢٠٩) فبدأ بنفسه في إزاحة القمامة عنها، وقد اقتدى به من رافقه من المسلمين وشاركوه العمل؛ وبهذا ظهرت الصخرة المقدسة على سطح الأرض ثانية، وأمر المسلمين ألا يصلوا بها حتى يصيبها الماء ثلاث مرات، (٢١٠) وبنى هناك مسجداً للمسلمين شرقي المسجد الأقصى. (٢١١)

وإلى جانب رواية سيبيوس التي تقدم جزءاً مقنعاً من الحقيقة، وهو محاولة اليهود إعادة بناء هيكل سليمان ثانية، إلا أن هناك رواية لأحد الرهبان غاية في الأهمية تؤكد رواية سيبيوس من أن اليهود هم الذين تعدوا على كنيسة جبل الزيتون ونزعوا صليبها. ولهذا، حسب تفسير الرواية، سقط البناء الذي عُمل لإقامة الهيكل، وكان هذا في عهد الإمبراطور قنسطانز (٦٤١-٦٦٨م). (٢١٢) ولعل ما يؤكد ذلك أن عمر بن الخطاب، بعد أن رتب الأمر مع بطريرك بيت المقدس بشأن اليهود، سمح لسبعين عائلة فقط بدخول بيت المقدس. (٢١٣)

ولذلك من المحتمل أن تكون رواية الراهب المجهول صحيحة أكثر من روايتي ثيوفانيس وسيبيوس، وأن اليهود الذين سُمح لهم بدخول بيت المقدس قد حاولوا بناء هيكل سليمان ثانية، وأنهم تحرشوا بالمسيحيين هناك، بعد أن حرموهم زمناً من دخول بيت المقدس، مما أدى إلى تدخل المسلمين فأوقفوا البناء، أو استولوا عليه حسب رواية ثيوفانيس، هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية يتطابق التاريخ الذي وضعه ثيوفانيس لهذا الحدث، ٦٤٢-٦٤٣م، مع رواية الراهب المجهول، الذي يضعها في عهد الإمبراطور قنسطانز.

ويحاول ثيوفانيس في موضع آخر إبراز أن صفرونيوس كان ذا قلب رحيم عندما يقص رواية لم نقرأ عنها في المصادر الأخرى من أنه أشفق على عمر بن الخطاب من بساطة ملابسه ومظهره، عندما جاء إلى بيت المقدس في المرة الأولى، وحاول صفرونيوس أن يعطيه ملابس من عنده غير أن عمر رفضها، مما جعل صفرونيوس يحثه على ارتدائها لحين غسيل ملابس أمير المؤمنين، الذي أعادها إليه ثانية.(٢١٤) ولا يستطيع المرء أن يجذم ماذا أراد ثيوفانيس أن يقول من وراء هذه الرواية، هل أراد القول أن صفرونيوس كان رحيما، حتى مع أعدائه، أو أن البيزنطيين رحماء مع أعدائهم؟ على أية حال، بفحص المصادر العربية تقابلنا رواية تمت إلى هذا الموضوع بصلة، وتدحض رواية ثيوفانيس تماماً، يقول فيها الواقدي:(٢١٥) «... لما هم [عمر بن الخطاب] بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من صوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم، فقال له المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت بدل بعيرك جواداً ولبست ثياباً بيضاً؟ قال ففعل. قال الزبير أحسب أنها كانت من ثياب مصر تساوي خمسة عشر درهماً، وطرح على عاتقه منديلاً من كتان ليس جديداً ولا بالخلق، دفعه إليه أبو عبيدة، وقدم إليه برذون أشهب من براذين الروم. فلما صار عمر على ظهره جعل البرذون يهملج به، فلما نظر عمر إلى البرذون وأفعاله نزل عنه مسرعاً وقال: أقيلوا عثرتي أقال الله عثرتكم يوم القيامة، فقد كاد أميركم أن يهلك بما دخل من العجب والكبر، وأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر، ولقد كاد أن يهلكني ثوبكم الأبيض وبرذونكم المهملج؛ ثم إن عمر رضي الله عنه نزع ما كان عليه ثم عاد إلى لبس مرقعته...» وبناءً على هذه الرواية الأخيرة للواقدي، إذا كان عمر بن الخطاب قد رفض لبس ما أشار عليه به أصحابه من قادة المسلمين، فليس من المقبول أن يفعل ذلك بواسطة عدوه.

وفي موضع آخر يشير ثيوفانيس أيضاً إلى أن عمر بن الخطاب أمر بعمل إحصاء لكل البلاد المفتوحة، وقد شمل الإحصاء كل السكان والحيوانات والزروع، وذلك تحت أحداث عام ٦٣٨-٦٣٩م/١٧-١٨هـ.(٢١٦) أما في عام ٦٤٠-٦٤١م/١٩-٢٠هـ فقد فتح معاوية قيصرية فلسطين (٢١٧) بعد حصار دام سبع سنوات وقتل ٧,٠٠٠ من الروم فيها؛ (٢١٨) وهو ما يشير إليه المؤرخون المسلمون، ويجعلونه في عام ١٥هـ/٦٣٦م،(٢١٩) أو ١٩هـ/٦٤٠م، ويؤكدون على أنه كانت هناك مقتلة عظيمة من الروم.(٢٢٠) وإذا صح تاريخ ١٩هـ/٦٤٠م الذي يضعه الواقدي وخليفة بن خياط، فإن رواية ثيوفانيس تتفق معهما في تاريخ الواقعة، غير أنها تختلف معهما في ماهية القائد المسلم الذي فتحها، حيث عندهما عمرو بن العاص. والحقيقة أن

هناك تضارب في الروايات العربية حول شخصية الفاتح لقيصرية فلسطين، وقد رصد البلاذري (٢٢١) هذا الخلاف بقوله: « . . . قال قائلون فتحها معاوية، وقال آخرون بل فتحتها عياض بن غنم بعد وفاة أبي عبيدة وهو خليفته، وقال قائلون بل فتحها عمرو بن العاص، وقال قائلون خرج عمرو بن العاص إلى مصر وخلف ابنه عبد الله، فكان الثبت من ذلك. والذي اجتمع عليه العلماء أن أول الناس الذي حاصرها عمرو بن العاص نزل عليها في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، فكان يقيم عليها ما أقام، فإذا كان للمسلمين اجتماع في أمر عدوهم سار إليهم فشهد أجنادين وفحل والمرج ودمشق واليرموك ثم رجع إلى فلسطين فحاصرها بعد إيلياء، ثم خرج إلى مصر في قيسارية، وولى يزيد ابن أبي سفيان بعد أبي عبيدة، فوكل أخاه معاوية بمحاصرتها، وتوجه إلى دمشق مطعونا فمات بها. . .» وهكذا، طبقا لرواية البلاذري، والتي تتفق مع غالبية آراء الرواة العرب، وكذلك ثيوفانيس، فإن من أتم فتح قيصرية فلسطين هو معاوية بن أبي سفيان وليس عمرو بن العاص.

على أية حال، يشير سيبيوس، تعقيباً على هذه المرحلة من الفتوحات الإسلامية، إلى أن المسلمين صارت لهم السيادة على المنطقة من مصر إلى جبل طوروس الكبير، ومن البحر الغربي إلى ميديا (فارس) وخوزستان.(٢٢٢) أما جيفوند فيقول أن العرب بعد انتصارهم وفتحهم بيت المقدس، وفرضهم الجزية على السكان والكنائس هناك، صاروا سادة على فلسطين وبلاد الشام.(٢٢٣)

والآن، يلوح سؤال في الأفق وهو: من أين استقى الراهب البيزنطي ثيوفانيس معلوماته التاريخية عن المسلمين، من عهد الرسول إلى عصر الفتوحات الإسلامية؟

لا يقدم ثيوفانيس أية معلومات مباشرة توضح المصادر التي اعتمد عليها، سواء أكانت خطية أم شفهية. بيد أنه يمكن أن نستخلص بعض الخيوط التي قد تساعدنا على الإجابة على هذا التساؤل.

أولا: لنبدأ بتحليل بعض الأسماء العربية التي أوردها ثيوفانيس، حسب الجدول التالي:

الاسم بالعربية	الاسم كما ورد عند ثيوفانيس
مضر	**Moudaros**
ربيعة	**Rabias**
قريش	**Kourasos**
قيس	**Kaisos**
أسد	**Asados**
محمد	**Mouhamed**
خديجة	**Chadiga**
أبو بكر	**Aboubacharos**
قرشي (صفة)	**Koraishite**
خالد	**Chaled**
عمر	**Oumaros**
عثمان	**Outhman**
عفان	**Phan**
معاوية	**Mauias**
حبيب	**Abibos**
أبو الأعور	**Aboulauar**
علي	**Ali**
المسيح	**Messaih**
تميم	**Themimos**

وبنظرة متفحصة للجدول السابق نستنتج، بعد حذف نهاية الاسم اليوناني الوارد هنا، os أو as، والمميزة لحالة الفاعل أو المبتدأ في اليونانية، سنجد أن كل الأسماء الواردة عند ثيوفانيس قد كتبها بصورة صحيحة تماماً كما تكتب بالعربية؛ على عكس الكتاب المسلمين الذين صحفوا الأسماء البيزنطية عند نقلهم إياها إلى العربية، وخلطوا بين الألقاب وأسماء الأعلام؛ وهذا ببساطة بسبب جهلهم بتلك اللغة، حيث كانوا يستخدمون التراجمة في معاملاتهم مع البيزنطيين. وهذه الملاحظة اللغوية إن دلت على شيء فإنها تدل على أن ثيوفانيس اعتمد على مصدر شرقي، كان كاتبه يجيد العربية؛ لاسيما وأن تداول ونسخ المخطوطات كان من الأشياء المعتادة في الأديرة آنذاك.

ثانياً: اتفاق ثيوفانيس مع المصادر الشرقية المسيحية في عدد من الأحداث التي عرضناها، وتشوش روايته في أحيان أخرى، ولا يعني هذا أنه اعتمد على مصادر عربية، بل يعني أنه اعتمد على مصادر شرقية كتبت باليونانية، (٢٢٤) يشن فيها كُتابها هجوماً عنيفاً على الإسلام بصفة خاصة، وعلى المسلمين بصفة عامة، مثل خطب صفرونيوس وكتابات يوحنا الدمشقي وأنستاسيوس السيناوي وماكسيموس المعترف وثيودور أبو قرة وغيرهم ممن كتبوا باليونانية. (٢٢٥)

ثالثاً: تتفق رواية ثيوفانيس مع سيبيوس الأرمني في محاولة الربط بين الرسول ﷺ واليهود والهراطقة من المسيحيين، وكذلك بين عمر بن الخطاب واليهود، وإثارة قضية استيلاء المسلمين على هيكل سليمان من اليهود كذباً، مما قد يعني أن هذه القضايا كانت متداولة بين الرهبان دون التحقق منها.

رابعاً: تتفق رواية ثيوفانيس مع يوحنا الدمشقي في كثير من التفاصيل عن المسلمين، لاسيما عند حديثه عن الرسول ﷺ (٢٢٦) ومن الممكن أيضا أن يكون ثيوفانيس قد اعتمد على مصادر بيزنطية أيضاً سابقة عليه، فقدت ولم تصل إلينا.

وهكذا، نستطيع القول أن ثيوفانيس اعتمد على مصادر مسيحية شرقية عند حديثه عن المسلمين، ربما كان كُتابها معاصرون لأحداث الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام، ويعرفون العربية. (٢٢٧)

ونأتي الآن إلى قضية مهمة وهي: إلى أي مدى كان لرواية ثيوفانيس عن الرسول وخلفائه أبو بكر وعمر بن الخطاب وفتوحاتهم في الشام، أثر على من جاء بعده من المؤرخين البيزنطيين؟ أو بمعنى آخر هل عاشت رواية ثيوفانيس بعد وفاته عام ٨١٨م/١٩٨هـ، بين أروقة التاريخ البيزنطي أم ماتت بموته؟

وللإجابة على هذا التساؤل سنأخذ مثالاً من المصادر البيزنطية يعود إلى القرن العاشر الميلادي، وهو كتاب «عن الإدارة الإمبراطورية» لقسطنطين بورفيروجنيتوس (٩١٣-٩٤٤م)، حيث يبدو تأثر الأخير بثيوفانيس بصورة واضحة. ويتميز قسطنطين بورفيروجنيتوس بأنه

يذكر صراحة في أكثر من موضع أنه نقل عنه، ويظهر هذا التأثر في كثير من كلامه عن الرسول ﷺ وعن الخلفاء الراشدين. (٢٢٨) وفي هذا المقام يكرر قسطنطين بورفيروجنيتوس نفس كلام ثيوفانيس عن الرسول ﷺ، حيث يقوم بسبه واتهامه بالكفر، وأن العرب يدعونه رسولاً، ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن سلسلة أنسابه، ويتطابق في كلامه مع ما قاله ثيوفانيس تماماً. (٢٢٩)

وبعد انتهاء قسطنطين بورفيروجنيتوس من حديثه عن نسب محمد ينتقل للحديث عن موضوع زواجه من السيدة خديجة، قائلاً:

«... ولأن محمد كان معدماً ويتيماً فقد قرر الدخول في خدمة امرأة ثرية، كانت من أقاربه، وتدعى خديجة، كأجير عندها على أن يرعى إبلها ويتاجر لها في مصر بين الأجانب، وفي فلسطين. ورويداً رويداً أصبح أكثر جرأة في الحديث وحظي بمكانة عند هذه السيدة، وكانت آنذاك أرملة، فاتخذها زوجة له.» ثم ينتقل بالحديث بعد ذلك عن موضوع نبوة محمد ومحاولة الربط بينه وبين اليهود والمسيحيين الأريوسيين، ويسير فيه على نهج ثيوفانيس أيضاً بقوله: (٢٣٠) «والآن، أثناء زياراته لفلسطين اختلط باليهود والمسيحيين، حيث اعتاد إتباع أمور بعينها من مذاهبهم وترجماتهم للكتاب المقدس...» ويستكمل قسطنطين بورفيروجنيتوس حديثه، متبعاً ثيوفانيس، حيث يثير مسألة اتهام محمد صلى الله عليه وسلم بالصرع وأنه أخفى مرضه عن زوجته السيدة خديجة، وقصة نزول الوحي عليه، وتفسير ورقة بن نوفل لما رآه النبي(٢٣١) غير أنه يشير صراحة أن ورقة بن نوفل كان أريوسياً، (٢٣٢) على عكس ثيوفانيس الذي يقول أنه «قد نفي بسبب مذهبه المنبوذ». (٢٣٣) وهنا يتأكد ما قلناه في بداية صفحات البحث من محاولة هؤلاء الكتاب الربط بين الحركة الأريوسية ورؤية الإسلام للمسيح عليه السلام بصفة خاصة، ومن ثم فالإسلام عندهم هرطقة منبوذة، مثلما لَفِظت الأريوسية ونبذت من الكنيسة بسبب قضية جوهر المسيح.

وينتقل قسطنطين بورفيروجنيتوس للحديث عن مسألة إيمان السيدة خديجة بالرسول ﷺ، ونشرها خبر النبوة بين نسوة القبيلة، وإيمان أبي بكر الصديق به. غير أن قسطنطين بورفيروجنيتوس يضيف أن السيدة خديجة توفيت بعد ذلك، وأن الرسول ﷺ أصبح مرموقاً وثرياً جداً، بعد أن ورث أموالها. ويتفق مع ثيوفانيس في القول: «وقد انتشرت هذه الهرطقة في منطقة يثرب»؛ غير أن قسطنطين يظهر حنقه صراحة عندما يجعل من الذين اتبعوا الرسول (رجالاً مجانين وضالين. (٢٣٤) وأخيراً يتفق قسطنطين بورفيروجنيتوس مع ثيوفانيس في قولهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم «قد علم أتباعه أن من يَقتل عدواً أو يقتله عدو يدخل الجنة». (٢٣٥)

وفي الفصل السابع عشر من كتابه «عن الإدارة الإمبراطورية» ينقل قسطنطين بورفيروجنيتوس حديث ثيوفانيس صراحة، عندما يُعنون هذا الفصل بـ «من حولية ثيوفانيس طيب الله ثراه»، (٢٣٦) ويردد في هذا الفصل حديث ثيوفانيس عمن بايعوا الرسول

صلي الله عليه وسلم من الأوس والخزرج، فيما عرف باسم بيعة العقبة الأولى، والذين يعتبرهم يهوداً، لا عرباً مشركينَ، وأنه تعلم منهم بعض العادات، وأنهم كانوا يعتقدون بأنه جاء لهم إلى أن شاهدوه يأكل لحم الإبل.. .إلى آخر حديث ثيوفانيس الذي تقدم ذكره.

أما حديث قسطنطين بورفيروجنيتوس عن الفتوحات الإسلامية فإنه يتفق مع ثيوفانيس في قوله أن غزة فتحت في عهد أبى بكر الصديق، بيد أنه يختلف معه في مدة حكم أبي بكر، والتي جعلها ثلاث سنوات.(٢٣٧) وينقل قسطنطين بورفيروجنيتوس حديث ثيوفانيس عن عمر بن الخطاب، ولكن باقتضاب وبنفس أخطاء ثيوفانيس التاريخية، مشيراً إلى مسألتين رئيسيتين هما التوكيد على كتاب الأمان الذي منحه عمر بن الخطاب لسكان بيت المقدس من المسيحيين، ودور صفرونيوس فيه، والثانية مسألة اتهام عمر بن الخطاب بالاستيلاء على هيكل سليمان واتخاذه مسجداً للمسلمين.(٢٣٨)

وهكذا، من خلال رواية قسطنطين بورفيروجنيتوس يبدو جلياً التأثير المباشر لتاريخ ثيوفانيس على من جاء بعده من المؤرخين البيزنطيين، الأمر الذي ساهم كثيراً في ترسيخ العداء البيزنطي للمسلمين طوال القرون الوسطى، بل وتعداه إلى الغرب الأوربي أيضاً، حيث تعترف الكاتبة البريطانية كارين أرمسترونج أن هذه المعتقدات الخاطئة التي تعود إلى العصور الوسطى لازالت عالقة بذهن المواطن الأوربي البسيط حتى الآن.(٢٣٩)

وعند هذا الحد من البحث رأينا الإطار الأيديولوجي الذي سار فيه ثيوفانيس في حديثه عن الرسول وغزواته على أطراف الشام وفتوح الشام وفلسطين في عهد أبي بكر وعمر، والتي احتوت على كثير من الأخطاء التاريخية وغلفتها روح العداء والكراهية للإسلام.

والسؤال الذي يطرح نفسه في ختام البحث: لماذا كن ثيوفانيس كل هذا العداء في صدره للإسلام ورسوله أكثر من غيره من المؤرخين البيزنطيين سواء المعاصرين له أو السابقين عليه؟ والإجابة على هذا السؤال قد تبدو سهلة في ظاهرها، وتكمن في أنه راهب بيزنطي كره الإسلام والمسلمين. غير أنه إذا قارنا بين رواية ثيوفانيس وبين بعض روايات رجال الدين المسيحي الشرقيين، ممن حرر العرب كنائسهم من نير القسطنطينية، أمثال المؤرخ الأرمني سيبيوس، الذي عاش في القرن السابع الميلادي وعاصر الفتوحات الإسلامية،(٢٤٠) أو أغابيوس المنبجي، أو سنكسار الكنيسة المصرية سيساهم كل هذا في استجلاء الحقيقة والإجابة على السؤال المطروح.

يتفق سيبيوس مع ثيوفانيس والمصادر العربية في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم. وامتهانه بالتجارة، ويبدو من روايته اعتداله في الحديث عن الرسول ﷺ، على عكس ثيوفانيس، مما يشير إلى أنه نال شيئا من المعرفة الصحيحة عن الإسلام ورسوله، بحكم أنه عاش في القرن السابع الميلادي/الأول الهجري، وعاصر الفتوحات الإسلامية لأرمينية؛ وفي هذا الصدد يقول: «في ذلك الوقت ظهر رجل معين من العرب، وهو رجل من نسل أبناء إسماعيل، اسمه محمد، ويعمل تاجراً. وأخذ ينشر بينهم الموعظة عن طريق الصدق، بأمر

كلفه به الله، وعلمهم محمد أن يؤمنوا برب إبراهيم، خاصة منذ أن أصبح على دراية بتاريخ موسى. ولأن الأمر صدر من عال، فقد أمر الجميع أن يجتمعوا معا وأن يتحدوا بالإيمان. وقد تحولوا إلى الله الحي، الذي ظهر لأبيهم إبراهيم، بعد أن تخلوا عن تبجيل الأشياء التافهة. وقد استن لهم محمد قوانين بألاً يأكلوا الجيفة، وألا يشربوا الخمر، وألا يتحدثوا بالأكاذيب، وألا يزنوا». (٢٤١)

بيد أنه في نهاية هذا الجزء من الرواية يبدأ في الإشارة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم اكتسب شيئاً من المعرفة عن تاريخ اليهود، وهو ما ردده ثيوفانيس، ثم يدعي سيبيوس أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ يحث المسلمين على الاستيلاء على فلسطين، لأنها الأرض التي وعد بها بني إسرائيل، وهم من بعدهم؛ فقال لهم: «...لقد وعد الله بأن هذا البلد لإبراهيم ولابنه من بعده، من أجل الخلود. (٢٤٢) وما وعد به تحقق عندما أحب الله بني إسرائيل. والآن، من ناحية ثانية، فإنكم أبناء إبراهيم، سوف يتحقق هذا الوعد الذي قطعه الله لإبراهيم ولابنه فيكم. لذا، أحبوا رب إبراهيم، واذهبوا وخذوا البلد الذي منحه الله لأبيكم إبراهيم. إن ينصركم الله فلا غالب لكم.» (٢٤٣) وهو بهذا يمهد للقول أنه كان هناك تعاون مشترك بين العرب واليهود فيما بعد ضد المسيحيين في بيت المقدس، بل يصل به الحد أنه يجعل ألفاً من اليهود يعملون في الجيش الإسلامي المنطلق صوب فلسطين في عهد أبي بكر. وفي هذا الجانب لا يحالف سيبيوس الصواب، لأنه لم يَثبت أن الرسول تعاون مع اليهود، بل على العكس فقد قام بطردهم من المدينة، ثم تم إخلاء الجزيرة العربية منهم فيما بعد في عهد عمر بن الخطاب. (٢٤٤) وهكذا، تتسم رواية سيبيوس بالاعتدال إلى حد كبير على عكس ثيوفانيس.

أما أغابيوس المنبجي فيقول: «تحرك العرب بيثرب ورأسوا عليهم رجلاً يقال له محمد بن عبد الله، فصار لهم رئيساً وملكاً، ودبرهم عشر سنين، واجتمع إليه أهله وأقاربه وقومه فأخذهم بالإيمان بالله وحده لا شريك له ورفض عبادة الأوثان وأفرد الله وحده بالعبادة وأمرهم بالختانة وترك شرب الخمر، ولا يأكلون لحم الخنزير ولا الميتة والدم وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فمن قبل ذلك سلم ونجا، ومن رفضه وامتنع منه حاربه، وقتل صناديد العرب من قومه وغيرهم، وفتح مدنا كثيرة للأمم المطيفة به. وأتاه النصارى من العرب وغيرهم فأمنهم وكتب لهم كتباً، وكذلك ساير الأمم المخالفين له، أعني اليهود والمجوس والصابئة وغيرهم، فبايعوا له على أن يؤدوا له الجزية والخراج. وأمر أمته بالإيمان بالأنبياء والرسل وما أنزل الله عليهم، وأن يؤمنوا بالمسيح بن مريم ويقولوا أنه رسول الله وكلمته وعبده وروحه وبالإنجيل، والجنة والنار، والحساب...وفرض عليهم الصوم والصلوات الخمس وغير ذلك...» (٢٤٥)

هذا عن رواية أغابيوس المنبجي عن عهد الرسول ﷺ، أما روايته عن فتوح الشام في عهد خلفائه فلم يضف جديداً في الأحداث سوى أن هرقل بعد أن تأكد من فشل قواته في صد

المسلمين، وأن القوات الإسلامية دخلت بلاد فارس، وكان إذاك بأنطاكية، كتب إلى سكان مصر والشام والجزيرة وأرمينية يأمرهم ألا يحاربوا العرب ولا يقاوموا أمر الله.٢٤٦وهذه الرواية الأخيرة بطبيعة الحال رواية ضعيفة لا تتسق مع الأحداث التاريخية التي وقعت بعد ذلك.

وهكذا تتسم رواية أغابيوس المنبجي بالاعتدال أيضاً، مقارنة بالروايات البيزنطية، عند حديثه سواء عن الرسول أو الفتوح الإسلامية لبلاد الشام، علماً بأن منبج كانت تحت السيادة الإسلامية.

وإذا أخذنا رواية سنكسار الكنيسة المصرية، والتي يسير عليها ساويرس بن المقفع أيضاً،(٢٤٧) سنجد أنها تتسم بالاعتدال مقارنة بالروايات البيزنطية، وإن كانت مقتضبة، حيث تقول: (٢٤٨) «...وبعد أيام قليلة ثار واحد اسمه محمد، فرد عبادة الأوثان من العربان إلى معرفة الله، انه واحد وأن يشهدوا ويقولوا أن محمد رسوله. وكانت أمة (العرب) مختونة بالجسد، غلف القلوب، ولهم ناموس، يصلوا قبلي شرقي موضع يسمى الكعبة. وملك محمد هذا وصحبه دمشق والشام، وعبر الأردن وبين النهرين...» (٢٤٩)

والآن إذا قارنا بين أيديولوجية ثيوفانيس، وهو رجل دين مسيحي شرقي، تجاه المسلمين، وبين روايات رجال الدين المسيحي الشرقيين الآخرين، الذين ذكرناهم على سبيل المثال، سنجد أولاً: أن هناك فريقان من رجال الدين المسيحي الشرقيين، فريق يتسم بالاعتدال كسيبيوس وجيفوند وأغابيوس المنبجي وساويرس بن المقفع وسنكسار الكنيسة المصرية، وفريق يتسم بالتعصب لبيزنطة والتحامل على الإسلام، كيوحنا الدمشقي وأنستاسيوس السيناوي وثيودور أبو قرة ومكسيموس المعترف وغيرهم، وينضم ثيوفانيس إلى الفريق الثاني من رجال الدين المسيحي الشرقيين. لكن ما يميز ثيوفانيس عنهم هو صفة «البيزنطي» التي تجعله معتداً بنفسه، يرى كسائر البيزنطيين، أنه واحد من أبناء أمة مصطفاة، وأن الآخرين برابرة.(٢٥٠)

والعامل الثاني والمتعلق بصفته كبيزنطي أنه واحد من أبناء أمة جريحة، نزف دماؤها على فراش الكبرياء البيزنطي فلم تجد طبيباً لها بين ثنايا التاريخ سوى أمثال ثيوفانيس ويوحنا الدمشقي وثيودور أبو قرة، ليحاولوا تعليل الإخفاق البيزنطي في الدفاع عن بلاد الشام ومصر وبقية البلاد التي فتحها المسلمون، من خلال الهجوم العنيف على الإسلام وعلى رموزه أمثال الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين. حيث لم يجدوا تفسيراً يقدمونه للتاريخ ولأبناء وطنهم يفسر أسباب هزيمة القوات الإمبراطورية، التي لم يمض على دحرها للفرس، أعداؤهم التقليديون، سوى بضعة أشهر، على أيدي قوات عربية خرجت من صحراء الجزيرة العربية؛ وكيف تمكن هؤلاء العرب في بضع سنين من غزو آسيا الصغرى وإلحاق الضرر بها،(٢٥١) بل وتهديد القسطنطينية نفسها أكثر من مرة.(٢٥٢) وهو الأمر الذي لم يحدث منذ أمد طويل، منذ دق الجرمان أبواب القسطنطينية في العصر البيزنطي الباكر، والذي أصاب البيزنطيين بصدمة شديدة. فقد أظهر مكسيموس المعترف، فيما بين ٦٣٤-٦٤٠م، مشاعر الصدمة والاشمئزاز من تقدم الفتوح العربية.(٢٥٣) وفي نفس الوقت نسي هؤلاء المؤرخون

البيزنطيون كيف لعب الضغط الديني الذي كانت تمارسه القسطنطينية وبعض أباطرتها على الكنائس الشرقية ورجال الاكليروس فيها، دوراً جعل السنكسار السكندري يسب اللعنات والشتائم على الإمبراطور هرقل ونوابه في البلاد، ويفسر هزائمه، بفرح شديد، تفسيراً دينياً يتمثل في عقاب الرب، وهو نفس الاعتقاد الذي آمن به صفرونيوس، بطريرك بيت المقدس.(٢٥٤) ولم تعكس رواية السنكسار السكندري وفريقه من الاكليروس حنقاً على المسلمين أو شحنة من الغضب كتلك التي نفثها ثيوفانيس في كتاباته عنهم.

والعامل الثالث الذي ساهم في عداء ثيوفانيس للمسلمين هو اتجاهاته الأيقونية، حيث كان ثيوفانيس من مناصري الأيقونات، مما جعله يشن هجوماً شديداً على الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري وابنه قسطنطين الخامس بصفة خاصة؛ حيث يُعتبر ليو الثالث الأيسوري شرقي المولد، هذا من ناحية؛ ومن ناحية ثانية يتهمه بأنه تأثر بتحريم الصور عند المسلمين، خاصة عندما أصدر يزيد بن عبد الملك مرسوما في عام ٧٢٣م يقضي بإزالة جميع الأيقونات من الكنائس الخاضعة للسيادة الإسلامية؛ (٢٥٥) ومن ثم شن ليو الثالث هجوماً على الصور المقدسة في الكنائس البيزنطية بدءاً من عام ٧٢٦م.(٢٥٦) وكان من نتائج سياسة ليو الثالث الدينية هذه أن جنت عدداً كبيراً من المعارضين له، لاسيما من رجال الدين أمثال البطريرك جرمانوس، بطريرك القسطنطينية، ويوحنا الدمشقي.(٢٥٧) وهذا العامل كفيل بأن يجعل ثيوفانيس لا يكن عداء للأباطرة اللأيقونيين فحسب بل للمسلمين أيضاً، فيتناولهم بشيء من غلظة الحديث المصحوبة بمغالطات تاريخية وبألفاظ غير لائقة واتهامات باطلة.

أما العامل الرابع والأخير فيكمن في أن ثيوفانيس، كغيره من البيزنطيين، لم يكن يعرف الكثير عن الإسلام؛ ولهذا لم يعتبره ديانة.(٢٥٨) بل اعتبره هرطقة مسيحية، مثله مثل يوحنا الدمشقي وثيودور أبو قرة، اللذان اتسما ببطء فهم الدين الإسلامي، واعتبراه مزيجاً من تعاليم الكتاب المقدس، العهدين القديم والجديد، والمذهب الأريوسي؛ (٢٥٩) أو كدرينوس الذي قال أن الرسول ﷺ «أخذ عن اليهود عقيدة الله الواحد، وعن الأريوسيين كون الكلمة والروح القدس مولودين، وعن النساطرة طقوساً جديدة، وجعل لنفسه منها ديناً جديداً...» (٢٦٠) ويقر ستراتوس هنا بأن الغرب الأوربي أساء أيضاً فهم رسالة الدين الجديد، وأستخف بقوته تماماً، حيث اعتقد الجميع هناك، كالبيزنطيين، أنه هرطقة مسيحية جديدة.(٢٦١)

هوامش الدراسة

١) رنسمان، س، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة، ١٩٦٢)، ص ٢٩٥.

٢) انظر: The Chronicle of Theophanes, Eng. trans. H. Turrtledove (Pennsylvania 1982)

وتوجد ترجمة أفضل وأحدث من السابقة، وهي التي سنعتمد عليها، انظر:

Theophanes the Confessor, Chronographia, Eng. trans. C. Mango and R. Scott (Oxford 1997).

٣) D. Nicol, A Biographical Dictionary of the Byzantine Emperors (London 1991), 127.

٤) رنسمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢٩٦.

٥) طارق منصور، قطوف الفكر البيزنطي، ج١، الأدب (القاهرة، ٢٠٠١)، ص ١٥-١٦.

٦) تعتبر كتابات البطريرك صفرونيوس، والمدعو ميثوديوس، وأنطونيوس الخوزبيتي، وماكسيموس المعترف، وأنستاسيوس السيناوي، ويوحنا الدمشقي من الكتابات اليونانية السابقة على ثيوفانيس، في القرنين السابع والثامن الميلاديين، غير أنها غلب عليها الطابع الجدلي الهجومي على الإسلام. انظر D.

Constantelos, "The Moslem Conquests of the Near East as Revealed in the Greek Sources of the Seventh and Eighth Centuries"، Byz. 42(1972), 328-333.

قد بنيت كتاباتهم على الهجوم على قضايا دينية إسلامية مثل مسألة وحدانية الله، والقضاء والقدر، وقدر الإنسان، وتجسيد المسيح وصلبه، مكانة مريم العذراء واستخدام الأيقونات أو الصور الدينية. انظر:

J. L. Boojamra, "Christianity in Greater Syria: Surrender and Survival", Byz. 67(1997), 160.

٧) Constantelos, The Moslem Conquests of the Near East, 334, 335.

٨) A. S. Proudfoot, The Sources of Theophanes for the Heraclian Dynasty, Byz. 44(1974), 367ff.

٩) Idem.

١٠) انظر: Proudfoot, The Sources of Theophanes, 384, 386-387, 396-397.

١١) Theophanes, Chronographia, 464.

١٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، (بيروت، ١٤٠٧هـ)، ص ٢٢٤ وما بعدها؛ محمد رضا، محمد رسول الله (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٣٥٢-٣٥٤. عن تفاصيل وفاة الرسول انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المهدي، (بيروت، ٢٠٠٤)، ص ٧٠٦-٧٢٣.

١٣) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ٧١٤-٧١٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ج٤ (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٢٢٥-٢٢٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٢٣-١٢٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢٣٣-٢٣٦؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ج٤ (بيروت، ١٩٩٢)، ص ٦٤-٦٨؛ ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق زينب إبراهيم القاروط (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٥٠-٥٢؛

السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي ومحمد العثماني (بيروت، د.ت.)، ص ٥٥-٥٨؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٣٩٠-٣٩٦.

١٤) سورة الشورة، آية ٣٨.

١٥) صحراء مدين المقصود بها أرض مدين، وكانت تقع شمال الحجاز وحتى أطراف الشام الجنوبية. وأهل مدين نزل فيهم النبي شعيب عليه السلام. انظر: محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم (الإسكندرية، ٢٠٠٤)، ص ١٩٢-١٩٤.

١٦) عن الآراء التي دارت حول أصل العمالقة وكذلك الحميريين انظر: بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ص ١٧٦-١٨٣، ٣٣٥-٣٦٨.

١٧) **Theophanes, Chronographia, 464.**

١٨) Sebéos, Histoire d, Héraclius, trad. Fran F. Macler (Paris, 1904), 95, Schéos History, Eng. trans Rebort Bedrosian (New York 1985), chap. XXX in http://rbedrosian.com/seb 9.htm

١٩) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٧-٢٠٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص ٤٩٧-٥١٥؛ بيومي مهان، تاريخ العرب القديم، ص ٤٠٠-٤٠١؛ مونتجمري واط، محمد في مكة، ترجمة عبد الرحمن الشيخ وحسين عيسى، مراجعة أحمد شلبي، الألف كتاب الثاني (القاهرة، ٢٠٠٢)، ص ٨٩؛ تهذيب سيرة بن هشام، هذبها عبد السلام هارون (القاهرة، ١٣٧٤هـ)، ص ١٧.

٢٠) انظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، ١٩٦٢)، ص ١٠؛ محمد رضا، محمد رسول الله، ص ١٠.

٢١) Theophanes, Chronographia, 464.

٢٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ١٧١-١٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ج١ (بيروت، ١٩٩٥)، ص ٥٦٩؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٤٩.

٢٣) Sebéos, Histoire d, Héraclius, 95, Sebeos, History, chap.XXXin http://rbedrosian.com/seb9.htm Héraclius,95

٢٤) تختلف بعض الأقوال حول سن رسول الله وقت زواجه من السيدة خديجة، فمنهم من يقول إحدى وعشرون عاماً، أو خمسة وعشرون عاماً، أو ثلاثون عاماً. بيد أنه صار من المتفق أنه تزوجها وهو ابن خمسة وعشرون عاماً. انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢ (بيروت، د.ت.)، ص ٢٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق طه محمد الزيتي، ملحق على كتاب الإصابة في تمييز الصحابة (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ٦٨-٦٩. وكذلك يقول بعض المؤرخين أن عمر خديجة كان أربعون عاما. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٦٩. بينما يذكر مونتجمري واط أن عمرها لابد وأن يقل عن الأربعين عاماً، بحكم أنها أنجبت للرسول سبعة أبناء، ولا يعقل أن تكون قد أنجبت الابن السابع وهي فوق الخمسين من عمرها. انظر: واط، محمد في مكة، ص ٩٩-١٠٠).

٢٥) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٢٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ص ١٧٢-١٧٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٦٩.

٢٦) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٣٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٧٤؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٥٠؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي قبل البعثة وبعده، ج١-٢ (بيروت، ١٩٩١)، ص ٤٨؛ محمد الصادق عرجون، محمد من نبعته إلى بعثته (الرياض، ١٩٨٣)، ص ٣٤٣-٣٤٤.

٢٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٠-٢١؛ محمد الصادق عرجون، محمد من نبعته إلى بعثته، ص ٣٤٢-٣٤٣.

٢٨) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٧٥.

٢٩ القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية ١٦٠.

٣٠) Sebéos, Histoire d, Héraclius, 95-96 Sebeos History, chap XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm

٣١) راجع: رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج٢(القاهرة، ١٩٨٢)، ص ١٥٥-٢٥٤؛ ج٣ (القاهرة، ١٩٨٣)، ص ٤٩-٣١٠؛ لوريمر، ج. ، تاريخ الكنيسة (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ٣٩-٨٢.

٣٢) انظر: عبد المنعم جبري، المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين وحقيقة الثالوث (دمشق، ٢٠٠٥)، ص ١٧٦-١٧٩.

٣٣) **Theophanes, Chronographia, 464-465.**

لقد علق البطريرك نقفور على هذه المرحلة من مراحل نشر الدعوة الإسلامية بقوله: «بدا العرب (المسلمون) بالظهور في تلك الفترة في يثرب، كما كانت تسمي (وهي إحدى بلاد العرب السعيدة) وحاولوا أن يبسطوا سلطانهم على القرى القاحلة المجاورة». انظر:

Nikephoros Patriarch of Constantinople, Short History, Eng. trans. C. Mango, CFHB 13 (Washington, D.C. 1990), 64-76

٣٤) كانت بُصرى تقع خلف نهر الأردن، وهي من أعمال دمشق، وقصبة كورة حوران. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١ (بيروت، ١٩٥٥)، ص ٤٤١؛ السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ١١٥.

٣٥) كان بَحِيرى راهباً من رهبان بلاد الشام. وقد اتخذ له صومعة عند بُصرى، على الطريق الموصل من الجزيرة العربية إلى الشام، وكان يأمر الناس بنبذ الأصنام وعبادة الله. انظر: محمد الطيب النجار، السيرة النبوية (القاهرة، ١٩٩٩)، ص ٢٩. وقد تفضل الأب د. سهيل قاشا السرياني بالتوضيح لي أن اسم بَحِيرى أو بَحِيرا هو اسم سرياني يعني المتبحر في العلم، وقد طرد من الدير بسبب أعتناقة الركوسية، وهي من المذاهب الكنسية الخارجة التي تناهض الصليب والأيقونات، فاتخذ له الصومعة المشار إليها. وهناك مصدر بالسريانية عن سيرة هذا الراهب. وتجدر الإشارة إلى أن ا.د. سهيل زكار قد شكك في وجود هذا الراهب من الأساس، واعتبر أن سيرته مفتعلة وغير حقيقية.

٣٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥١٩. لمزيد من التفاصيل عن الراهب بُحيرا ومحمد (انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٢٢-١٢٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٦٥-١٦٧.

٣٧) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٢٨-١٢٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٧٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٦٩.

٣٨) محمد عرجون، محمد من نبعته إلى بعثته، ص ٣٣٢.

٣٩) Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, ed. R. Jenkins and Others, vol. II (London 1962), 71.

٤٠) A. N. Stratos, Byzantium in the Seventh Century, Eng. trans. H. T. Hionides, II (Amsterdam 1972), 3.

٤١) تعود بدايات هذا الاتهام إلى فترة باكرة كما نرى، حيث يلقي به الراهب البيزنطي ثيوفانيس (القرن٨-٩م). جدير بالذكر أن أعراض الصرع لا تتطابق مع الحالة التي كان عليها الرسول (وقت أن هبط عليه الوحي لأول مرة وهو مختلياً بنفسه في غار حراء، كعادته التي دأب عليها. فقد نزل عليه ملاك، لم يكن يعرف وقتها من هذا، على عكس ما يدعي ثيوفانيس أن الرسول ذهب إلى خديجة وأخبرها باسمه وهو جبريل. والمصروع تعتريه النوبة فجأة فيقطع الكلام ويسقط مغشياً عليه وتثبت حدقة عينه ويفقد السيطرة على نفسه؛ وقد يصاب بأذى من جراء وقوعه على الأرض، وتتقلص عضلات الوجه والفك، وهي كلها أعراض لم تثبت أي منها إطلاقاً على الرسول ﷺ. انظر: محمد رضا، محمد رسول الله، ص ٣٥٩.

٤٢) ورد عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله (كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيُفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً» انظر صحيح البخاري، باب بدء الوحي، حديث رقم ٢؛ صحيح مسلم، حديث رقم ٤٣٠٤؛ سنن الترمذي، حديث رقم ٣٥٦٧؛ سنن النسائي، الافتتاح، حديث رقم ٩٢٤.

٤٣) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٦٣.

٤٤) كلمة الناموس التي استخدمها ورقة بن نوفل تعني الشريعة أو الكتاب الموحى به، والمقصود هنا التوراة؛ وهي كلمة يونانية الأصل. انظر: واط، محمد في مكة، ص ١٢٠.

٤٥) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٦٧-١٧٠، ١٧٦-١٧٧؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٢١٥-٢٢٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٣١-٥٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١،

ص ٥٧٤–٥٧٧؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج١-٢، ص ٥٠-٥٥؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٥٧-٦٠. جدير بالذكر أن بعضا من المؤرخين المذكورين هنا يذكرون أن السيدة خديجة اصطحبت رسول الله وذهبت به إلى ورقة بن نوفل.

٤٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٢٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٧٦؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٥١.

٤٧) كانت الصداقة بين الرجل والمرأة، سواء متزوجة أو غير متزوجة، من الأمور الشائعة في بيزنطة، وقد يصل الحد أنها تستضيف صديقها في بيتها، حال غياب زوجها عن البيت؛ بل وتشبع معه شهوتها. لمزيد من التفاصيل انظر: عبد العزيز رمضان، المرأة في الإمبراطورية البيزنطية (القاهرة، ٢٠٠٥)، ص ١٨٠-١٨٢.

٤٨) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ١٧٧-١٧٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٢٢٤-٢٢٥، ٢٣١؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٣٧؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٦١، ٦٣.

٤٩) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٤.

٥٠) انظر: تهذيب سيرة بن هشام، ص ٦٥ وما بعدها؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج١-٢، ص ٥٩ وما بعدها؛ محمد رضا، محمد رسول الله، ص ٧٧-٨٤.

٥١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٢١٦٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٧٤؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٥٧.

٥٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١١٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٤٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٤.

٥٣) من اللافت للنظر هنا أن ثيوفانيس استخدم الكلمة العربية «المسيح Messiah » في النص، مما يوحي أنه اعتمد على مصدر شرقي في هذه المعلومات. لأن اسم المسيح في اللغة اليونانية التي يكتب بها ثيوفانيس ينبغي أن يكون خريستوس «Xristos» وليس بالصيغة العربية.

٥٤) أحلت الشريعة اليهودية ذبح الحيوانات وأكلها، والتي لها أظافر مشقوقة كالأغنام والماعز والبقر، وحرمت لحوم الإبل لأن لها خفا، وليس أظافر، وهي نجسة عند اليهود؛ كما حرمت ذوات الوبر كالأرانب، كما حرمت أكل الطيور آكلة اللحوم كالنسر والعقاب والحدأة والبومة وغيرها. انظر: عطا أبو رية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر (القاهرة، ٢٠٠٥)، ص ٢٠٩.

٥٥) Theophanes, Chronographia, 464.

٥٦) بن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٥٥ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٧؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٠-٢٥؛ واط، محمد في مكة، ص ٢٨٣.

٥٧) روى «عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض الحرب على ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم شيئا من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة، فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم... فلما انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين فكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ.» لمزيد من التفاصيل انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٥٦-٥٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٥٨-٥٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٦١٠-٦١١؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٢-٣٤؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ١١٤-١١٦؛ محمد رضا، محمد رسول الله، ص ١٢٣؛ محمود شيت خطاب، الرسول القائد (بيروت، ١٩٧٤)، ص ٦٦.

٥٨) محمد عزة دروزة، اليهود في القرآن الكريم (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٤٢. تجدر الإشارة إلى أن رسول الله ﷺ قال قبل وفاته: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان»، وقد قال عمر بن الخطاب: من كان عنده عهد من رسول الله فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتجهز للجلاء؛ فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله منهم»، بل أن هناك حديث منسوب إلى الرسول ﷺ يقول فيه: «أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب». انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤١، ٧٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٤١. في موضع آخر يقول الطبري أن الرسول قال عند وفاته «لا يترك بجزيرة العرب دينان». انظر: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٢٤٠؛ محمد عزة دروزة، اليهود في القرآن الكريم، ص ٣١.

٥٩) عن مرض ووفاة الرسول انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص ٢١٢- ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٢-٢٢٤؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ج١ (دمشق، ١٣٩٧هـ)، ص ٩٤-٩٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١١٣-١١٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ٢٢٤-٢٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ١٨٢-١٩٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، ج٥ (القاهرة، ١٩٩١)، ص ٢٢٣-٢٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك، ج٤، ص ١٥-٥٠؛ Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 29; A. S. Ali, A Short History of the Saracens (New Delhi 1981), 18-19.

٦٠) Cedrenus, Compendium Historiarum, ed. J. P. Migne, PG 121(Turnholti n.d.), col. 807.

٦١) يقول ثيوفانيس: «... وقد علم أتباعه أن من يقتل عدوا أو يقتله عدو يدخل الجنة، وأن هذه الجنة كانت جنة طعام وشراب سرمدي ونكاح نساء، وبها نهر من الخمر والعسل واللبن، والنساء بها لا يشبهن النساء هنا، بل نساء مختلفات، وفيها يدوم النكاح طويلا والمتعة دائمة؛ وأشياء أخرى تعج بالخلاعة والحماقة؛ كما علمهم أن على الرجال أن يتعاطفوا مع بعضهم البعض ويساعدوا أولئك المظلومين».

انظر: Theophanes, Chronographia, 465. Cf. also Constantelos, The Moslem Conquests of the Near East, 334.

٦٢) Theophanes, Chronographia, 466.

٦٣) يعتقد مانجو وسكوت أن هذا الاسم ربما يكون قتبة. انظر: Theophanes, Chronographia, 467, n. 6.

٦٤) Ibid., 466.

٦٥) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ٥٠٤-٥١٢؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٧-٢١؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٨٦-٨٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٦٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٤٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المغازي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت، ١٩٩٠)، ص ٤٨٠؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٢٧١؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، البيزنطيون والعالم الإسلامي (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ٣٩؛ والتر كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ترجمة نيقولا زيادة (بيروت، ٢٠٠٢)، ص ١١٨.

٦٦) ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ٥٠٤-٥١٠؛ الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ج٢ (لندن، ١٩٦٦)، أعيد طبعه في (بيروت، ١٩٨٤)، ص ٧٥٥-٧٦٩؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ٢٧١-٢٧٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٤٩-١٥٢؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣١٨-٣٢١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، المغازي، ص ٤٧٩- ٤٩٩؛ عبد الرحمن سالم، المسلمون والروم في عصر النبوة (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ٨٧-١٠٢؛ ليلى عبد الجواد، الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل وعلاقاتها بالمسلمين (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ٣٤٥-٣٤٩؛ محمد حسين هيكل، حياة محمد (القاهرة، ٢٠٠١)، ص ٤١٠-٤١١؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٣٩-٤٠.

٦٧) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١١٤.

٦٨) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١١٨.

٦٩) Theophanes, Chronographia, 466.

٧٠) Idem.

٧١) Idem.

٧٢) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٣٩.

٧٣) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج١(القاهرة، ١٩٩٦)، ص ٣٧.

٧٤) I. Shahid, Ghassanid and Umayyed Structures: a Case of Byzance après Byzance in La Syrie. de Byzance á L'orient Méditerranéen, Paris, Institut du Monde, Arabe, 11-15 Septembre 1990 (Damas 1992), 299.

٧٥) كان هذا اللقب، الذي يعني النبيل أو الشريف آنذاك، من الألقاب الإمبراطورية الشرفية الرفيعة جدا. وقد أسس الإمبراطور قسطنطين الأول من البداية طبقة تحمل اسم البطارقة، ظلت قائمة حتى العصر البيزنطي المتأخر. وقد فتح جستنيان باب البطرقية على مصراعيه، حيث زاد عدد البطارقة في عهده بدرجة ملحوظة. انظر: J. B. Bury, The Imperial Administrative System in the Ninth Century (London 1911), 27-28.

٧٦) نولدكة، ثيودور، أمراء غسان من آل جفنة، ترجمة قسطنطين زريق (بيروت، ١٩٣٣)، ص ١١-١٢؛ بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ص ٥٦٧-٥٦٨؛ على إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام (القاهرة، د.ت.)، ص ٨٩؛ أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ج١(بيروت، ١٩٥٥)، ص ٢٠٢-٢٠٣.

٧٧) يوحنا الأسيوى، تاريخ الكنيسة، الكتاب الثالث، ترجمة صلاح عبد العزيز محجوب (القاهرة، ٢٠٠٠)، ص ٣٢.

٧٨) Shahid, Ghassanid and Umayyed Structures, 302-303.

٧٩) طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٢٤.

٨٠) عبد الرحمن سالم، المسلمون والروم، ص ٤٣-٤٤.

٨١) انظر: محمد فتحي الشاعر، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي، عصر جوستنيان (القاهرة، ١٩٨٩)، ص ١٦٦-١٧١؛
P. Ure, Justinian and his Age (London 1951), 68, 74-75.

عن أسباب تصدع العلاقة بين المنذر والإمبراطور جستين الثاني انظر: يوحنا الأسيوي، تاريخ الكنيسة، ص ٩٠-٩٣؛ أسد رستم، الروم، ج١، ص ٢٠٣.

٨٢) نولدكة، أمراء غسان، ص ٢٥-٣١؛ بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ص ٥٧٢-٥٧٤؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٢٥.

٨٣) عبد الرحمن سالم، المسلمون والروم، ص ٤٤-٤٥.

٨٤) عن تفاصيل حروب الغساسنة مع موريس ضد الفرس وفي عهد تيبريوس انظر: يوحنا الأسيوي، تاريخ الكنيسة، ص ٦٢-٦٥، ١٠٦- ١٠٧؛ أسد رستم، الروم، ج١، ص ٢٠٣-٢٠٦.

٨٥) ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٧٢ ؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ٣٧.

٨٦) Shahid, Ghassanid and Umayyed Structures, 302.

٨٧) الواقدي، فتوح الشام، ج١، (بيروت، د.ت.)، ص ١٧٠؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٢٧.

٨٨) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٣٩-١٤٠.

٨٩) Theophanes, Chronographia, 467. Cf. also Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, Histoire Universelle, ed. et trad. fran. A. Vasiliev, PO 8(Paris 1912), 468-469.

٩٠) تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٨٦؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٤٢.

٩١) تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٨٩-١٩٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت، ١٩٨٧)، ص ٥-١٤.

٩٢) عنهما انظر: الواقدي، كتاب المغازي، ج٣، ص ٩٨٩-١٠٧٦، ١١١٧-١١٢٧؛ تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٩٢، ١٠٠-١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٤٩-١٥٢، ١٨٢، ١٩٩-٢٠٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٣٦٢-٣٦٥، ج٤، ص ٧٣-٧٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، المغازي، ص ٦٢٧-٦٤٣، ٧١٣-٧١٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٩-٢١.

٩٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٣٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣١-٣٣٣، ٣٣٥؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١١٥-١١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٥٢-٢٥٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٨١؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٤؛ السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب: تاريخ الدولة العربية، ج٢ (الإسكندرية، ١٩٩٣)، ص ٢٠١-٢٠٢؛ Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II,137,

٩٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، تحقيق لجنة تحقيق التراث (بيروت، ١٩٩٣)، ص ٢٦٤.

٩٥) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت، ١٤١٣هـ)، ص١١٦؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص٢٠١-٢٠٢.

٩٦) Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, 468.

٩٧) Ghévond, Histoire des guerres et des conquêtes des Arabes en Armenie, trad. Fran. G. V. Chahnazarian (Paris 1856), 2.

انظر أيضا: فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية (الإسكندرية، ١٩٨٠)، ص ١٧.

٩٨) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٤١؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٢؛ كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٣٧، ١٤٢-١٤٣.

٩٩) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٤٧.

١٠٠) Chronique de Michael le Syrien, ed. et trad. fra. J. B. Chabot, II (Paris 1904), 413; Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 49.

١٠١) Theophanes, Chronographia, 467; Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, 469.

١٠٢) Theophanes, Chronographia, 468.

١٠٣) السكيلاريوس: لقب وظيفي بيزنطي كان يعني أمين الخزانة الإمبراطورية، التي كانت تتلقى الفائض المرسل من المقاطعات الإمبراطورية. وقد تولى السكيلاريوس في القرن السابع الميلادي بصفة خاصة المهام المالية للوزراء، الذين كانوا يديرون المقاطعات؛ حيث أصبحت الخزانة وزارة مهمة. انظر:

Bury, The Imperial Administrative System, 85.

١٠٤) كان السكيلاريوس ثيودور واحداً من خصيان الإمبراطور هرقل، ممن نالوا الحظوة عنده حتى أصبح أميناً للخزانة الإمبراطورية. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٢٨.

١٠٥) عند هذا الحد تتفق رواية ثيوفانيس مع رواية البطريرك نقفور. انظر:

Nikephoros, Short History, 69.

١٠٦) تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١١٩-١٢١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣٥، ٣٤٨؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٢٩-١٣١؛ ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص ٥٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٨٧؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٥؛ رفيق بك العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام (القاهرة، ١٩٢١)، ص ١٣٧؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٧؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون (بيروت، ١٩٧٩)، ص ١٠٨. يجعل اليعقوبي مدة حكمه سنتين وأربعة أشهر. انظر: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٣٨.

١٠٧) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ٢٧-٣٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٤٦؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٧٣-٧٤؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٥؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٤٣-٤٤؛ كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٦٣؛ Chronique de Michael le Syrien, II, 417; G. Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815; Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 52, 53-54.

١٠٨) فتوح الشام، ج١، ص ١٨.

١٠٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٠-١٥٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٤٧؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٢٣؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٤-١٨٥؛ كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص١٤٨-١٥١.

١١٠) تخطيء الترجمة الانجليزية لسيبيوس بجعلها اسم ثيودوسيوس بدلا من ثيودور، طبقا للترجمة الفرنسية. انظر:
Sebèos, Histoire d' Hèraclius, 96: Sebeos History,chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm

١١١) Theophanes, Chronographia,468; Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815.

١١٢) فتوح البلدان، ص ١٢٠، ١٢١.

١١٣) ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٦٦.

١١٤) Nikephoros, Short History, 69.

١١٥) Theophanes, Chronographia,468; Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815.

١١٦) كان نهر اليرموك ينبع من مرتفعات حوران ويصب في نهر الأردن جنوبي بحيرة طبرية. وعلى نحو ثلاثين ميلا من التقائه بنهر الأردن يكون في الطرف الشمالي شرجاً على شكل نصف دائرة يحيط بسهل متسع. انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٦؛ Ali, A Short History, 37.

١١٧) طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٤٥.

١١٨) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ١٦٧-١٦٩؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٦.

١١٩) فايز نجيب اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس (صنعاء، ١٩٩٣)، ص ٢٤.

١٢٠) Sebèos, Histoire d' Hèraclius, 96; Sebeos, History,chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm

١٢١) Idem.

١٢٢) يذكر البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٢، أن المسلمين كانوا آنذاك في الواقوصة يوم وفاة أبي بكر. انظر أيضا: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٥٩؛ ١٢٣١٠ Ali, AShort Hisory, 38.

١٢٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٦٠؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٧؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٦.

١٢٤) لمزيد من التفاصيل عن موقعة اليرموك انظر: الواقدى، فتوح الشام، ج١، ص١٦٠ وما بعدها؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٠-١٤٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣٥-٣٣٩؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١١٨-١٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٥٤-٢٦٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٣٩-١٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ص ٨-٢١؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٥-١٨٧؛ ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٧١-٣٧٩؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٥-٢٠٨؛ عبد

الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٩٥-١٠٢؛ فايز نجيب اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس ، ص ٢٤-٢٦؛ كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٦٧-١٧٥؛ Nikephoros, Short History, 69; Cedrenus, Compendium Historiarum, col.815. Cf. also D. Nicolle, Yarmuk 636 AD. the Muslim Conquest of Syria (London 1994), 65-83.

١٢٥) كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ٢٣٢-٢٣٣؛ Nicolle, Yarmuk 636 AD, 86.

١٢٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٢.

١٢٧) Theophanes, Chronographia, 468.

١٢٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٢؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول (بيروت، ١٩٥٨)، ص ١٠٢؛ Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 73.

١٢٩) أطلقت المصادر البيزنطية لفظة السراقنة على العرب، لاسيما القاطنين شبه الجزيرة العربية؛ وكان يرادفها أيضا مصطلح الإسماعيليون، نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم، أو الهاجريون، نسبة إلى السيدة هاجر زوج الخليل إبراهيم. ويقول بعض المؤرخين أن السراقنة نسبة إلى السيدة سارة، زوج الخليل إبراهيم؛ والبعض الآخر يقول أنها تعني البدو سكان الخيام، كمعنى لغوي حرفي. وهو المعنى الذي أطلق أيضا على الغساسنة في الشام، على الرغم من أنهم كانوا أكثر تطورا وحضارة وثقافة من بني ذويهم في شبه الجزيرة العربية. (انظر: Shahid, Ghassanid and Umayyed Structures, 299.) وبعد ظهور الإسلام وانتشاره ظلت المصادر البيزنطية تطلق نفس المسميات القديمة على المسلمين، ونعتتهم بصفات لاذعة. عن المسميات والصفات التي أطلقتها المصادر البيزنطية على العرب انظر:
Constantelos, The Moslem Conquests of the Near East,327; E.Jeffreys, The Image of the Arab in Byzantime Literature The 17th International Byzantine Congress,Washington, 1986 (New York 1986), 306 ff; A. Savvides, Some Notes on the Terms Agarenoi, Ismaelitai and Sarakenoi in the Byzantine Sources Byz. 67(1997), 89-96.

١٣٠) Theophanes, Chronographia,469-470.

١٣١) F.R. Trombley, "Military Cadres and Battle during the Reign of Heraclius" in The Reign of Heraclius (610-641) Crisis and Confrontation, eds. G. J. Reinink and B. H. Stolte (Leuven-paris 2002), 250.

١٣٢) Sebèos, Histoire d' Hèraclius, 97-98; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm; Trombley, Military Cadres,250.

فايز اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس، ص ٢٥. يلاحظ أن المؤرخ الأرمني جيفوند نقل عن سيبيوس معظم أسباب هزيمة البيزنطيين في اليرموك. انظر: Ghévond, Histoire des guerres et des conquêtes des arabes en Armenie, 3.

١٣٣) Sebèos, Histoire, d' Hèraclius, 97; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

١٣٤) Idem

فايز اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس، ص ٢٤-٢٥.

١٣٥) Ghévond, Histoire des guerres et des conquêtes des arabes en Armenie, 3.

١٣٦) انظر: كيغي، بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ١٧٤.

١٣٧) Nikephoros, Short History, 69.

١٣٨) Sebeos' Histoire, d' Hèraclius, 96-97; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

فايز اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس، ص ٢٤.

١٣٩) Nikephoros, Short History, 69.

١٤٠) فايز اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس، ص ٢٥-٢٦.

١٤١) Theophanes, Chronographia,469-470.

١٤٢) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ٢١٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤ (بيروت، د.ت.)، ص ١٣٨، ١٩٦؛ تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٢٨؛ ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، ص ٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٨١، ٣٤٢؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج١(الكويت، ١٩٤٨)، ص ١٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٣٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٠٣؛ الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١ (بيروت، د.ت.)، ص ٢٧؛ محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية (القاهرة، ١٩٧٩)، ص ٤٤-٤٥؛ فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية، ص ٢١؛ عائشة أبو الجدايل، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي، ص ٢٠٢؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٤٦.

Nicolle, Yarmuk 636AD, 75; W.E.Kaegi, "Reflections on the Withdrawal of the Byzantine Armies from Syria", in: La Syrie de Byzance a L'Islam VII-VIII Siècles, actes du colloque International, Lyon-Maison de I'Orient Mèditerranèen, Paris, Institut du Monde Arabe, 11-15 Septembre 1990 (Damas 1992), 365; Idem, Byzantum and the Early Arab Conquests (Cambridge 1997), 114ff.

١٤٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٥٢ وما بعدها؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٧٦-٧٧؛ Ali, A Short History، ٧٣.

١٤٤) فتوح البلدان، ص ١٢٢. يبدو هنا أن البلاذري نقل عن مصدرين مختلفين، حيث عاد وقال أن معركة اليرموك وقعت عام ١٥هـ/٦٣٦م. انظر: فتوح البلدان، ص ١٤٢.

١٤٥) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٣٩.

١٤٦) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣٤-٢٣٥.

١٤٧) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٢٣.

١٤٨) Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, 469.

١٤٩) Theophanes, Chronographia,470.

١٥٠) Sebeos' Histoire, d' Hèraclius, 98; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

١٥١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٠, ٣٦٠، ٤٢٨؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٥٥.

١٥٢) تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص١٤٠.

١٥٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٣٤.

١٥٤) Theophanes, Chronographia, 468.

١٥٥) Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815.

١٥٦) فتوح الشام، ج١، ص ٣٠٩.

١٥٧) فتوح البلدان، ص ١٢٠، ١٢١. انظر أيضاً: L. I. Conrad, :Heraclius in Early Islamic Keygma", in the Reign of Heraclius (610- 641) Crisis and Confrontation, eds. G.J. Reinink and B. H. Stolte (Leuven- Paris 2002), 131.

١٥٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٢.

١٥٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٢.

١٦٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٥٩؛ الدمشقي، شذرات الذهب، ج١، ص ٢٧.

١٦١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٢٢.

١٦٢) الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٦٢.

١٦٣) الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٤١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، ١٩٧٥)، ص ١٦٤.

١٦٤) **Chronique de Michael le Syrien, II, 424. Cf. also Kaegi, Reflections on the Withdrawal of the Byzantine Armies from Syria, 266.**

١٦٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٢؛ ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٨٢-٣٨٤؛ عائشة سعيد أبو

الجدايل، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي دراسة في التطورات والتغيرات (الرياض، ١٩٩٥)، ص ٢٠٢.

١٦٦) الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٤١.

١٦٧) رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢٥٩-٢٦٠.

١٦٨) Kaegi, Reflections on the Withdrawal of the Byzantine Armies from Syria, 266.

١٦٩) Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 56.

١٧٠) Kaegi, Byzantium and the Early Arab Conquests, 74-83.

١٧١) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ١٢١.

١٧٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٢٨.

١٧٣) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ٣١١.

١٧٤) الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص ٥-١٦.

١٧٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ٣٥٩؛ ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص ٩١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٢٣؛ الدمشقي، شذرات الذهب، ج١، ص ٢٦؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢٢٠-٢٢١؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٢٠٧-٢٠٨. يشير أغابيوس إلى أن خالد بن الوليد هو الذي قام بفتح دمشق وبقية مدن الشام. انظر: Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, 470; Constantelos, The Moslem Conquest of the Near East, 326.

١٧٦) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٧-١٣٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٤٢-١٤٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٧٨-٢٧٩؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٨-٢٠٩. لمزيد من التفاصيل حول فتح العرب لدمشق، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص ٢٧-٣٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص١٢٣-١٢٥؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢١٧-٢٢٦؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٨٧-١٨٨؛ ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٦٨-٣٧١، ٣٧٩-٣٨١.

١٧٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٦-١٣٧.

١٧٨) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٦-١٤٠؛ تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٤-١٣٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٥٩ وما بعدها؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٤٤-١٤٥، ١٩٠-١٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٨٠-٢٨١، ٣٣٩-٣٤٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٢٨، ١٦٢؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢٣٥-٢٣٩، ٢٥٨-٢٥٩، ٢٦١-٢٦٦؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ج٢، ص ٢٠٩-٢١٠؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٢٠٩-٢١٤. يرى قسطنطيلوس وبوجامرا أنها فتحت عام

٦٣٨م. انظر:

Constantelos, The Moslem Conquest of the Near East, 326; Boojamra, Christianity in Greater Syria, 153.

١٧٩) Theophanes, Chronographia, 473; Agapius de Menbidj, Kitab al-Unvan, 470

١٨٠) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٨، ١٥٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٠١؛ عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، عصر الخلفاء الأمويين (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ١٧.

١٨١) أي المسجد الأقصى، وقد بناه داوود عليه السلام، على أساس قديم، بأمر من الله تعالى، ثم أكمل البناء سليمان عليه السلام على الصورة التي كانت من عجائب الدنيا. وقد زينه بالذهب والفضة والدر والياقوت والمرجان وشتى أنواع الجواهر في شتى أرجائه. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ١٧٣-١٧٤؛ المقدسي، أبي المعالي، فضائل بيت المقدس، تحقيق أيمن نصر الدين الأزهري، (بيروت، ٢٠٠٢)، ص ١٧-٢٧ المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (القاهرة، ١٩٩١)، ص ١٦٨؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج ١، ص ١١٣-١٢٦؛ المقدسي، شهاب الدين، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الخطيمي، بيروت، ١٩٩٤)، ص ١٣١-١٥١.

١٨٢) Theophanes, Chronographia, 471-472.

١٨٣) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ٢٢٩-٢٣٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٤؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٢٨-٢٣١.

١٨٤) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ٢٣٨-٢٤٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٤-١٤٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٤٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص ٧٤-٨٠؛ **Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815** انظر أيضا: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٥٣-٦٢. وطبقا لهؤلاء المؤرخين كان نص هذا الكتاب كالتالي: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم. . .إلى نهاية الكتاب. وقد شهد على هذا العهد خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، وذلك في عام ١٥هـ/٦٣٦م. انظر أيضاً: السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٣٢-٢٣٣؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٦١-١٦٢؛ محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة (القاهرة، د.ت.)، ص ٢٨٦-٢٨٧؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٢١٤-٢١٨؛ جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية، ص ٤٦. وجدير بالذكر هنا أن عمر بن الخطاب لم يشأ أن يتخذ من كنيسة قسطنطين مسجدا،

حيث صلى خارجها، حتى لا يتخذها المسلمون الصلاة في الكنائس سنة من بعده، وبهذا يخالفون عهده مع أهل الذمة. انظر: Ali, A Short History, 39-40.

١٨٥) Sebéos; Histoire, d' Hèraclius, 98; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

١٨٦) جدير بالذكر أن هيكل سليمان، أو المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام، قد دمر ثلاث مرات قبل ظهور الإسلام بعدة قرون، أولها على أيدي الملك نبوخذ نصر، عام ٥٨٨-٥٨٧ ق.م، وقد أعيد بناء المعبد عام ٥٢٠-٥١٥ ق.م؛ وثانيها في عهد انطيوخس الرابع، ملك السلوقيين، بعد قمع الفتنة التي قام بها اليهود عام ١٧٠ ق.م، وقد أعيد بناءه للمرة الثانية على أيدي هيرودوس، الذي أصبح حاكما على اليهود عام ٤٠ ق.م، بمساعدة الرومان. ومما يؤكد وجود الهيكل في مستهل القرن الأول الميلادي ما ورد في إنجيل متى من قيام السيد المسيح بتطهير الهيكل من مواضع التجار به، حيث قال: «بيتي بيت الصلاة يدعى. وانتم جعلتموه مغارة لصوص» انظر إنجيل متى (القاهرة، ٢٠٠٠)، الإصحاح ٢١، ص ٣٠؛ انظر أيضا، الإصحاح ٢٣، ص ٣٤. وثالثها في الستينات من القرن الأول الميلادي، على أيدي القائد الروماني تيتوس، على أثر ثورة قاموا بها ضده؛ ثم قام الإمبراطور هادريان بهدم ما تبقى منه وحرث مكانه، وأصدر مرسوماً في عام ١٣٢م يفرض بموجبه عدة قيود على اليهود منها تحريم دخولهم بيت المقدس عدا مرة واحدة في العام ليسمح لهم بالبكاء أمام خرائب الهيكل؛ ومن ثم لا دليل تاريخي على وجود هيكل سليمان بالقدس أو على وجوب اتخاذ اليهود من المسجد الأقصى مصلى لهم، كما يصور ثيوفانيس. انظر: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٢٩-٥٠؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ١٢٤-١٢٦؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٤٩-١٥٠؛ عادل حسن غنيم، حائط البراق أم حائط المبكى (القاهرة، ٢٠٠١)، ص ٧-٨، ٢١-٢٢؛ زبيدة عطا، اليهود في العالم العربي (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ٣٣-٣٧.

١٨٧) انظر أيضا نفس الاتهام في: Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 815.

١٨٨) تجدر الإشارة إلى أن عمر بن الخطاب أقر مجموعة من الشروط التي تعنى بتنظيم العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة، ومعاملات أهل الذمة داخل المجتمع الإسلامي، وهي تعرف باسم «الشروط العمرية». وتنقسم هذه الشروط إلى ستة أقسام الأول منها: في أحكام البيع والكنائس والصوامع وما يتعلق بذلك. الثاني: في أحكام ضيافتهم للمارة بهم وما يتعلق بذلك. الثالث: فيما يتعلق بضرر المسلمين والإسلام. الرابع: فيما يتعلق بتغيير لباسهم وتمييزهم عن المسلمين في المركب واللباس وغيره. الخامس: فيما يتعلق بإظهار المنكر من أفعالهم وأقوالهم مما نهوا عنه. السادس: في أمر معاملتهم للمسلمين بالشركة ونحوها. وهذه الشروط منشورة في: ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، ج٣ (الدمام، ١٩٩٧)، ص ١١٥٩-١٤٥٧.

١٨٩) Sebéos; Histoire, d' Hèraclius, 102; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

١٩٠) Idem.

١٩١) انظر هامش رقم ١٨٤ من البحث.

١٩٢) تاريخ ملوك القسطنطينية، مخطوط مجهول المؤلف، دار الكتب المصرية، رقم ١٦٤٩ تيمور، ورقة ٩٧.

١٩٣) زبيدة عطا، اليهود في العالم العربي، ص ٧٨.

١٩٤) الواقدي، فتوح الشام، ص ٢٤٣؛ المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٦٢؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٢٧.

١٩٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٥٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٩٣؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٤٠-٢٤١؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢٤٩-٢٥١؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٢١٧-٢١٨.

١٩٦) كان المسجد الأقصى قبلة المسلمين في أول الدعوة، ثم أمر الله الرسول ﷺ بتحويل القبلة بعد ذلك نحو المسجد الحرام بمكة المكرمة، وذلك بسبب قول اليهود «يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا». فقال الرسول لجبريل: وددت أن الله صرف وجهي عن قبلة يهود. فقال جبريل إنما أنا عبد فادع ربك وسله، وجعل إذا صلى إلى بيت المقدس يرفع رأسه إلى السماء ينتظر أمر الله. فنزلت عليه الآية التالية: «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام» (سورة البقرة، ١٤٤)، فُوجه نحو الكعبة. ويُذكر أن الرسول ﷺ صلى ركعتين من الظهر بالمسلمين في مسجده نحو قبلة المسجد الأقصى ثم أمر أن يتوجه نحو المسجد الحرام فاستدار ودار معه المسلمون. انظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ٦٣-٦٤؛ المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ١٢٢-١٢٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ١٧-١٨؛ محمد رضا، محمد رسول الله، ص ١٤٦؛ عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص ٨٩.

١٩٧) حائط البراق هو الحائط الذي يحد الحرم القدسي الشريف من الغرب، وعنده ربط الرسول ﷺ البراق عندما أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.انظر: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ١٥٣؛ عادل غنيم، حائط البراق أم حائط المبكى، ص ١٩. وهو جزء من سور المسجد الأقصى الذي بناه داوود وسليمان عليهما السلام. السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ١٩١- ١٩٥.

١٩٨) أُسري بالرسول ﷺ ذات عشاء، قبل الهجرة بسنة، على البراق من مكة إلى بيت المقدس فوجد هناك إبراهيم وموسى وعيسى وعدداً من الأنبياء معهم، حيث صلى بهم، ثم عُرج به إلى السموات العلى، حيث رأى من آيات ربه الكبرى ما رأى، وفرضت عليه الصلاة فكانت خمسين صلاة في اليوم، ثم سأل ربه التخفيف فوضعها عنهم إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة؛ ثم عاد إلى بيت المقدس ومنها إلى مكة. وقد صار لغط بين أهل قريش عندما حدثهم الرسول ﷺ بما وقع له، ولم يصدقوه إلا بعد أن وصف لهم بيت المقدس تماماً كما يعرفونه. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ٣٠٩-٣١٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٣٢-٣٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٦؛ الطبري، تاريخ

الرسل والملوك، ج١، ص ٥٣٦-٥٣٧؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٥-٣٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٧٨-٥٨١؛ المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ١٥٣-١٦٠؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ١٦٥-١٧٥؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ٢٦٥-٢٦٨؛ تهذيب سيرة بن هشام، ص ١٠١-١٠٦؛ محمد رضا، محمد رسول الله، ص ١١٤-١٢١؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ص ١٢٨-١٣٠.

١٩٩) Constantelos, The Moslem Conquests in the Near East, 328-330.

٢٠٠) Ibid., 332.

٢٠١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٩٣؛ جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية، ص ٤٦.

٢٠٢) تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٣٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٤٧، ٣٤٩؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٤٠؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص ٢١٠-٢١١؛ ليلى عبد الجواد، هرقل، ص ٣٨٤-٣٨٨؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٤٨-٤٩؛ Boojamra, Christianity in Greater Syria, 152-153. يقول البلاذري أن إيلياء فتحت عام ١٧هـ/٦٣٨م. انظر: فتوح البلدان، ص ١٤٤، ويأخذ برأيه المؤرخ اليوناني قونسطنطيلوس. انظر: Constantelos, The Moslem Conquest of the Near East, 326.

٢٠٣) Theophanes, Chronographia, 476.

٢٠٤) انظر هامش رقم ١٨٤ من الدراسة.

٢٠٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٨٥-٤٨٧، ٤٩٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٠٠-٤٠٣؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص ٢١٩-٢٢١.

٢٠٦) Sebéos; Histoire, d' Hèraclius, 102; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

٢٠٧) زبيدة عطا، اليهود في العالم العربي، ص ٧٨.

٢٠٨) تشير إحدى الروايات التاريخية إلى أن عمر بن الخطاب سأل صفرونيوس عن موضع الصخرة، وأن الأخير اصطحبه معه ليدله عليها. غير أن صفرونيوس ضلله فذهب به مرة إلى كنيسة القيامة وأخرى إلى كنيسة صهيون وأخيرا ذهب به إلى مسجد بيت المقدس؛ حيث عرفه عمر بن الخطاب من وصف الرسول له. انظر: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٦٣-٦٧؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٣٦؛ ج٢(القاهرة، ١٩٨٤)، ص ١٧٧؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٦٥-١٦٧.

٢٠٩) حاول البيزنطيون تشييد كنيسة لهم فوق الصخرة المقدسة، غير أن البناء سقط أربع مرات، وطبقا لنصيحة أحد الشيوخ أشار عليهم بالبناء في موضع آخر، بعد أن أخبرهم أن مكان هذه الصخرة ملعون وأن القدس نزع منه وتحول إلى الموضع الذي بنوا عليه كنيسة القيامة. وهكذا بدأوا في تقطيع

الصخرة المقدسة ليبنوا من حجارتها الكنيسة، وبعد أن فرغوا من البناء جعلوها موضعا للقمامة نكاية في اليهود. انظر: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٤٥-٤٨؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ١٢٨-١٣٠؛ ج٢، ص ١٧٦؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٥١-١٥٣. وهذا جعل بعض المؤرخين المسلمين يطلقون على هذه الكنيسة اسم كنيسة قمامة، لقربها من تلك المزبلة.

٢١٠) المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٦٦؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٦٧.

٢١١) انظر: المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص ٦٣-٧١؛ السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ ج٢، ص ١٧٧-١٧٩؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٦٧-١٦٨؛ رفيق العظم، كتاب أشهر مشاهير الإسلام، ص ٢٥٢.

٢١٢) تاريخ ملوك القسطنطينية، مخطوط مجهول المؤلف، ورقة ٩٩. تقول الرواية حرفيا: «...وفي السنة الثانية من ملكه (أي قنسطانز) عمر الهيكل بأورشليم ولم يثبت البنا، الذي ابتناه، لكنه وقع، والعلة لأجل أن اليهود أخذوا الصليب الذي كان في الكنيسة فوق جبل الزيتون...»

٢١٣) زبيدة عطا، اليهود في العالم العربي، ص ٧٨.

٢١٤) Theophanes, Chronographia, 472.

٢١٥) فتوح الشام، ج١، ص ٢٣٩-٢٤٠. انظر أيضا: السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ج١، ص ٢٣٢؛ المقدسي، مثير الغرام، ص ١٦٠.

٢١٦) Theophanes, Chronographia, 474.

٢١٧) كانت قيصرية من أهم مدن فلسطين بعد بيت المقدس، حيث كانت تحوي في القرن السادس عددا من الكنائس مثل كنائس سانت أوفيميا، وسانت ماري الصغرى، وسان أنستاسيوس الفارسي، وكنيسة المسيح الأكثر قدسية، وقلعة ذات سجن، وبرايتوريوم وغيرها من المنشآت. انظر:
W. E. Kaegi, The Israel Exploration «Some Seventh-Century Sources on Caesarea», Journal 28 (1978), 179.

٢١٨) Theophanes, Chronographia, 475.

٢١٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٥٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ١٩١.

٢٢٠) الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص ٣٦؛ تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص ١٤١.

٢٢١) فتوح البلدان، ص ١٤٦؛ عائشة أبو الجدايل، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي، ص ٢٠٢

٢٢٢) Sebéos; Histoire, d' Hèraclius, 101; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

٢٢٣) Ghévond, Histoire des guerres et des conquêtes des Arabes en Armenie, 4.

٢٢٤) J.W. Watt,"The Portrayal of Heraclius in Syriac Historical Sources" in The Reign of Heraclius (610-641) Crisis and Confrontation, eds. G. J. Reinink and B. H. Stolte (Leuven-Paris 2002), 74.

٢٢٥) عن هذه الكتابات انظر:

A, Khoury, Les thèologiens byzantins et l'Islam(Paris 1969), 47 ff; A. Abou-Seada, Byzantium and Islam (9th- 10th)A Historical Evaluation of the Role of Religin in Byzantine-Muslim Relations, ph.D. Dissertation (Birmingham 2000), 19 ff.

٢٢٦) Proudfoot, The Sources of Theophanes, 396-397.

٢٢٧) لمزيد من التفاصيل عن مصادر ثيوفانيس انظر:

Proudfoot, The Sources of Theophanes, 367-439; N. Pigulevskaya, "Theophanes, Chronographia and The Syrian Chronicles," JOP 16(1967), 55ff.

٢٢٨) Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, ed. G. Moravcsik, Eng. trans. R. J. H. Jenkins, I (Budapest 1949), chap. 14, 76-79.

٢٢٩) Ibid.,77

٢٣٠) Idem

٢٣١) Ibid., 77-79.

٢٣٢) Ibid., 79.

٢٣٣) Theophanes, Chronographia, 464-465.

٢٣٤) Constantine Porphyrognetius, DAI, I, 79.

٢٣٥) Idem., Theophanes, Chronographia, 465.

٢٣٦) Constantine Porphyrognetius, DAI, I, 80-83.

٢٣٧) Ibid., chap. 18, 83.

٢٣٨) Ibid., chap. 18-19, 83.

انظر أيضا محمود سعيد عمران، إدارة الإمبراطورية البيزنطية للإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٧٧.

٢٣٩) انظر: كارين أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عنان (القاهرة، ١٩٩٨)، ص ١٧-١٩.

٢٤٠) تتجلى أهمية رواية سيبيوس في أنه عاش في القرن السابع الميلادي ومن عدد المؤرخين الأرمن الذين نقلوا عنه بعد ذلك وتأثروا بكتاباته، مثلما تأثر المؤرخون البيزنطيون بحولية ثيوفانيس المعترف. لمزيد من التفاصيل عن أهمية سيبيوس التاريخية في التاريخ الأرمني انظر: فايز اسكندر، المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس، ص ١٧-٢٢.

٢٤١) Sebéos' Histoire, d' Hèraclius, 95; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

٢٤٢) سفر التكوين، الإصحاح ٧/١٢.

٢٤٣) Sebeos' History, d' Hèraclius, 95-96; Sebeos' History, chap. XXX, in http://rbedrosian.com/seb9.htm;

٢٤٤) عن محمد ﷺ واليهود انظر: محمد عزة دروزة، اليهود في القرآن الكريم، ص ٢٨–١٢٨.

٢٤٥) Agapius de Menbidj, Kitab al-'Unvan, 456-457.

٢٤٦) Ibid., 471.

٢٤٧) Severus ibn Al -Muqaffa', Alexandrinische Patriarchen Geschichte, ed. C. F. Seybold, Band III (Hamburg 1912), 99.

٢٤٨) History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria, ed. and Eng. trans. B. Evetts, vol. II, PO I(Paris 1907), 402-403.

٢٤٩) يشير ساويرس بن المقفع إلى نقطة مهمة حيث يرد الهزائم التي لقيها البيزنطيون من المسلمين لـ «أمانتهم (أي البيزنطيين) الفاسدة والمحرمات التي قبلوها بقبولهم (قرارات) مجمع خلقدونية من الآباء الأوائل». انظر: Severus ibn Al -Muqaffa', 99. وبهذا يعكس الصراع الديني الذي كان قائماً بين كنيستي الإسكندرية والقسطنطينية قبل دخول العرب إلى مصر. ويشير السنكسار السكندري إلى سياسة التسامح التي اتبعها عمرو بن العاص مع المسيحيين المصريين، حيث جد في طلب عودة الأنبا بنيامين ثانية إلى كنيسته، التي اختفى عنها زهاء عشر سنين، على أثر سياسة هرقل الدينية الجائرة، ليدير بيعته وسياسة طائفته، وقد منحه كتاب أمان. وعندما عاد إلى الإسكندرية تهللت أسارير المصريين المسيحيين وفرحوا بقدومه. انظر: History of the Patriarchs, II, 496.

٢٥٠) راجع: رأفت عبد الحميد، الإمبراطورية البيزنطية، ج١، العقيدة والسياسة (القاهرة، ٢٠٠٠)، ص ٢٦٦–٢٦٧.

٢٥١) عن غزوات العرب في آسيا الصغرى في القرنين السابع والثامن الميلاديين انظر:
H.Ahrweiler, "L' Asie Mineure et les invasions Arabes VII-IX, RH227/I (1963), 1-32.

٢٥٢) يشير المؤرخون إلى أن العرب هاجموا القسطنطينية ثلاث مرات، حيث أرسل معاوية حملته الأولى ضد القسطنطينية في عام ٦٦٨م/٤٨هـ، بقيادة فضالة بن عبيد الأنصاري، وكانت حملة استكشافية. انظر: Theophanes, Chronographia,492. انظر أيضاً إبراهيم العدوى، الأمويون والبيزنطيون (القاهرة، ١٩٦٣)، ص ١٦٢ – ١٦٥؛ صلاح العاوور، «المحاولات العربية لفتح القسطنطينية في العصر الأموي» مجلة المؤرخ العربي، عدد ٨(٢٠٠٠)، ص ٣٨١؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٨٨–٨٩. أما الحملة الثانية فكانت في عهد معاوية أيضا، ويجعلها البعض تستمر

لمدة سبع سنين. انظر: Theophanes, Chronographia, 493 - 495; Nikephoros, Short History, 85-87. Cf. also M. Canard, Les expéditions des arabes contre Constantinople, JA 208 (1926), 77-80.

«إبراهيم العدوى، الأمويون والبيزنطيون، ص١٧٢-١٧٨؛ صلاح العاوور، المحاولات العربية لفتح القسطنطينية، ص ٣٨٠-٣٨٥؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ٩٠-٩٤؛ أحمد رمضان أحمد، تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط، العصر الوسيط (القاهرة، د.ت.)، ص ١٦؛ إبراهيم العدوى، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط (القاهرة، ١٩٥٧)، ص٤٨-٥٥. أخيراً فإن الحملة الثالثة قام بها مسلمة بن عبد الملك عام ٧١٧م/٩٩هـ. انظر: Theophanes, 545-550; Nikephoros, 117ff; ابن كثير البداية والنهاية، ج٥ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص ٣٣١ - ٣٣٢؛ كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق (بغداد، د. ت.)، ٢٤-٣٣. انظر أيضاً، Canard, Les expèditions, 94 ff; R. Guilland, "L' expèditions de Maslama Contre Constantinople", Al-Mashreq (Bierut 1955), 89-112.

انظر أيضاً: وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، (الإسكندرية ،١٩٨١)، ص ١٢١ - ١٧٥؛ ليلى عبد الجواد، «دور البلغار في مواجهة حملة مسلمة بن عبد الملك على القسطنطينية»، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٦(١٩٩١)، ص ٨٣-١١٤؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، ص ١٠٥ - ١١٤ ؛ صلاح العاوور، المحاولات العربية لفتح القسطنطينية، ص ٣٨٦- ٣٨٩.

٢٥٣) W.E. Kaegi, :Initial Byzantine Reflections to the Arab Conquest",Ch Hist 38/2 (1969), 142

٢٥٤) Ibid.,139.

اعتقد المدعو ميثوديوس أن نجاح العرب في فتوحاتهم إنما يعود إلى أخطاء البيزنطيين، لاسيما تجاوزاتهم الجنسية بصفة خاصة. انظر: Ibid., 143.

٢٥٥) Jeffreys, The Image of the Arabs in the Byzantine Literature, 316; D.J Sabas, "Eighth Century Byzantine anti-Islamic Literature", BSL 57 (1996), 229-230.

٢٥٦) انظر: Theophances, Chronographia, 563-565; Boojamra, Christianity in Greater Syria, 155. Cf. also L. Brèhier, La querelle des images VIII-IX siècles (Paris 1904); E.J. Martin, AHistory of the Iconoclastic Controversy (London 1930).

انظر أيضا: السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٧٧. يسرد زوناراس بالتفصيل قضية تأثر ليو الثالث بما فعله يزيد بن عبد الملك، الذي قام بتحطيم الصور الدينية من الكنائس الواقعة في ظل الخلافة الإسلامية؛ وعلى هذا فقد وصفه بالطاغية وغيرها من الألفاظ الشديدة اللهجة، كما يذكر أن يزيد فعل هذا تحت تأثير يهودي. انظر: I. Zonaras, Epitomae Historiarum, ed. M. Pinderi, CSHB, III (Bonn 1897), 257 ff.; Boojamra, Christianity in Greater Syria, 155.

٢٥٧) السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٨١.

(٢٥٨ Constantelos, The Moslem Conquests of the Near East, 350.

(٢٥٩ Meyndorff, Byzantine Views of Islam، Ibid., 352-353; Jeffreys, The Image of the Arabs in the Byzantine Literature, 317; J. DOP 18(1964), 119-121.

(٢٦٠ Cedrenus, Compendium Historiarum, col. 809.

(٢٦١ Stratos, Byzantium in the Seventh Century, II, 33.



د. هانىء عبدالهادى البشير (*)

دور الأرمن فى الجيش والحياة السياسية للدولة البيزنطية

من بداية القرن السابع حتى نهاية القرن العاشر الميلادى

ورثت بيزنطة عن الإمبراطورية الرومانية الكثير من النظم السياسية والحضارية، كما ورثت عنها أيضا مبدأ التعددية العرقية وظلت حريصة على التآلف بين سكانها، حتى بعدما غلب عليها الطابع اليونانى فى القرن السابع الميلادى . ومع أن البيزنطيين كانوا أشبه بالصينيين ـ فى العصر الحديث ـ فى ازدراء الأجانب بشكل عام ، ومع أن المصادر البيزنطية وصمت الشعوب الأخرى بصفات سيئة ، كالأسكيثيين والبرابرة وغيرها (١) ، إلا أنه من الناحية الرسمية رفضت بيزنطة مبدأ التمييز العنصرى . ولم تكن اليونانية أمرا مستحيلا؛ لأنها ليست عملية جينات وراثية ، وإنما كانت مسألة ثقافة : فمن يتحدث اليونانية ويعيش على الطريقة اليونانية ويعتنق النصرانية على المذهب الأرثوذكسي، كان يعد يونانيا . وبناء على ذلك فقد أصبح العديد من غير اليونانيين يونانيين، وخصوصا أولئك الذين التحقوا بالجيش البيزنطى ودافعوا عن الإمبراطورية، وأولئك الذين شاركوا بفاعلية فى الحياة السياسية للدولة البيزنطية؛ حيث إن الوظائف المختلفة كانت متاحة لكل من يملك الموهبة ، دون النظر إلى أصله . ولذلك كان هناك العديد من الأسماء اللامعة لقادة عسكريين كبار ،وأباطرة عظماء، قادوا بيزنطة وحكموها، وهم من أصول غير يونانية (٢) .

وتناقش هذه الدراسة الدور الفعال الذى لعبه أبناء الشعب الأرمنى فى الجيش وفى الحياة السياسية للدولة البيزنطية، وذلك فى ضوء اعتبارين أساسيين: **الأول:** أن الأرمن ـ على

---

*-أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد ـ كلية الآداب ـ جامعة حلوان.

وجه التحديد ـ شكلوا العنصر الأكبر والأقوى بين المجموعات العرقية المتنوعة فى الدولة البيزنطية . والثانى : أن العلاقة بين الجيش والحياة السياسية هى علاقة وثيقة ؛ فكثيرا ما اتخذ الجيش معراجا للمشاركة فى الحياة السياسية ، وللوصول إلى سدة الحكم فى الدولة البيزنطية، ولم لا ؟ والأساس هو أن يكون الإمبراطور رجل حرب ورجل سياسة فى آن واحد.

على أى حال، أسهب المؤرخ البيزنطى جنسيوس Genesius (٣) فى الحديث عن التعددية العرقية فى الدولة البيزنطية عند سرده لأحداث ثورة السلافى توماس (٨٢٠ ـ ٨٢٣م)

قائلا : « شملت قوات هذا الثائر أعدادا من الساراكين Saracenes (المسلمين) والهنود Indians والمصريين والأشوريين Assyrians والميديين Medes والأفخاذ Abasgians وZichs والوندال Vandals و Getae واللانAlans و Chaldoi والأرمن . . .وغيرهم » (٤) . ولم تختلف هذه التعددية كثيرا فى الفترة السابقة أو اللاحقة لثورة توماس ، كما لم يكن هؤلاء الأتباع ـ على اختلافهم ـ سلبيين ، وإنما شاركوا بقوة فى شتى مناحي الحياة ، وبرزوا أكثر فى ساحة القتال وفى إدارة شئون الإمبراطورية (٥) .

هنا يبرز أبناء الشعب الأرمنى أكثر من أى شعب آخر، فموقع بلادهم الجغرافى وطبوغرافيتها وأهميتها الاقتصادية الكبيرة كان له أثره البالغ على تاريخهم (٦) ؛ فقد تنافس الفرس والبيزنطيون للاستيلاء على بلادهم منذ فترة مبكرة من الزمن، ولم يتركوها حتى قسمت بينهم فى القرن الخامس الميلادى (٧). بيد أن تأرجح الأرمن بين هاتين القوتين كان درءا لخطرهما أو من أجل الحصول على استقلال بلادهم، واستماتتهم فى الدفاع عنها أكسبهم خبرة عسكرية وسياسية كبيرة وجعلهم جنودا من الطرازالأول (٨) . لذلك لا عجب أن نجد العنصر الأرمنى يحظى بمنزلة رفيعة فى جيوش الإمبراطور جستنيان الأول ؛ فقد حارب الجنود الأرمن فى إفريقية وفى إيطاليا وعلى طول الحدود الشرقية ، كما شكلوا جزءا من حرس القصر الإمبراطورى . وقد ذكر المؤرخ بروكوبيوس وحده أسماء عدد كبير من القادة الأرمن بينهم القائد العظيم نارسيس. Narses (٩)

وجدير بالذكر، أن الإمبراطور البيزنطى موريس ، كان أول إمبراطور أدرك مكانة الأرمن وأهمية أرمينية كمصدر من مصادر تجنيد المرتزقة اللازمين لدعم الجيش البيزنطى (١٠)، بعدما أجبرته الظروف على ذلك ؛ ففقدان بيزنطة مصدرين من مصادر تجنيدها وهما : العنصر الجرمانى، الذى ترك شبه جزيرة البلقان فى القرن الخامس واتجه نحو الغرب الأوربى ، وإقليم الليريا : بعدما أصبح عرضة هو وإقليم تراقيا لغارات السلاف والآفار بشكل مستمر ، جعل موريس يتجه نحو الأرمن أكثر من غيرهم ، أملا فى أن يخلصه الاعتماد عليهم فى الوقت ذاته من المشاكل التى كانوا يثيرونها ضده فى بلادهم(١١).

يؤكد ذلك، الرسالة التى أرسلها الإمبراطور إلى كسرى فارس، يطلب تأييده فيما عقد العزم عليه ، قائلا : « إن الأرمن أمة خرقاء حمقاء ، يعيشون بيننا ويشكلون مصدرا للقلاقل والمتاعب، وسوف أجمع أولئك الذين تحت إمرتي وأرسلهم إلى تراقيا، وأرسل أنت من عندك

إلى الشرق، فلو ماتوا هناك فلن يكونوا سوى أعداء ماتوا، أما لو حدث العكس وقاتلوا فسيقتلون الكثير من الأعداء، وفى كلا الأمرين سنعيش جميعا فى سلام. أما لو ظلوا فى بلادهم فلن ننعم بأى هدوء» (١٢). لكن الفرس لم يوافقوا موريس على هذا الأمر، لذلك عندما أصدر أوامره بتجنيد بعض الأرمن وترحيلهم إلى تراقيا كى يدافعوا عنها ضد السلاف والآفار وشدد على سرعة التنفيذ، فر جانب منهم إلى بلاد فارس، واستقبلهم كسرى وأجزل لهم العطاء أملا فى جذب المزيد من الأرمن الذين أرادوا ترك جانب موريس. لكن موقف كسرى هذا لم يثن موريس عن خطته وقام فى عام ٥٩١م بتجنيد جيش هائل فى أرمينية ،جعله تحت قيادة الأرمنى موشيل ماميكونيان Musele Mamiconian ونقله إلى تراقيا للدفاع عنها. غير أن سياسته السيئة تجاه أرمينية البيزنطية وإجباره بعض أبنائها على الرحيل عنها إلى تراقيا، أدى إلى استياء هؤلاء الجنود، فتقاعسوا عن أداء المهمة الملقاة على عاتقهم، فحاقت بهم الهزيمة، وأسر قائدهم موشيل ماميكونيان وقتل، فأصدر موريس أوامره بتعبئة جيش جديد من الفرسان الأرمن، قوامه حوالى ألفا فارس وإرساله إلى تراقيا. ومع ذلك لم تكف هذه القوات لتحقيق كل ما كان يتطلع إليه الإمبراطور من وراء تجنيدهم. ولذلك أصدر مرسوما آخر فى عام ٦٠٢م، يعلن فيه عن حاجته لحوالى ثلاثين ألفا من الفرسان الأرمن ويتم تجنيدهم من خلال ثلاثين ألف عائلة أرمينية يتم تهجيرها للاستقرار فى تراقيا؛ وهو ما يعنى أن كل أسرة كان عليها أن تخرج أحد أبنائها ليكون جنديا فارسا مقابل منحها قطعة أرض فى وطنها الجديد، وأن موريس كان يسعى لتوسيع نظام الولايات العسكرية فى تراقيا. وبالفعل أرسل موريس قائده المدعو بريسكوس Priscus لتنفيذ هذا المرسوم، لكن مقتل موريس فى ذلك العام حال دون إتمام مهمته (١٣). غير أنه لم تتوقف عجلة الاعتماد على الأرمن بعدما حركها موريس.

ظل الأرمن طوال العصر البيزنطى الأوسط - من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادى - يشكلون عنصرا مهما فى الجيش البيزنطى؛ ساعد على ذلك توافدهم على الإمبراطورية جماعات وأفرادا، فمدينة القسطنطينية كان لها جاذبية وإغراء لا سبيل إلى مقاومتهما، فإن ألمت بالقوم أزمة كان الملجأ الطبيعى الذى يهرعون إليه هو القسطنطينية. والقسطنطينية هى الموئل الذى يرجو فيه المغامرون من أبنائهم أن يجمعوا الثروات. وإلى القسطنطينية كان يفد أمراؤهم وينالهم العزة والكرامة من استقبالهم بالبلاط. وكان الكثيرون منهم يتخذون لهم زوجات من البيزنطيات. ولم يحدث قط أن جنسا آخر هاجر بمثل هذا النطاق الواسع وهذا الأثر القوى كالأرمنى، فلم يبق بأرمينية من الأرمن إلا أولئك الذين كانوا ذوى نزعة قومية قوية، ولكل هذا نفذ الأرمن إلى كل الدوائر البيزنطية. وكانت الكنيسة هى الدائرة الوحيدة التى لم ينفذوا إليها - باستثناء ثيوفيلاكت فى القرن العاشر الميلادى - نظرا لعدم الاطمئنان إليهم، فالسلطات الكنسية البيزنطية كانت لا تحب من يغيرون عقيدتهم ولاتطمئن إلي تغييرهم مذهبهم (١٤).

على أى حال، فى عهد الإمبراطور هرقل (٦١٠- ٦٤١م)، الذى يرجح أنه من أصل أرمنى،

ازداد الاعتماد على الأرمن وخصوصا بعدما ظهر نظام الثيمات (الثغور)(١٥) ، الذى أنشأ هرقل بموجبه أول ثغر برى فى آسيا الصغرى هو ثغر الأرمنياق Armemiacs (١٦)، وكانت مهمته الدفاع عن الحدود الشمالية الشرقية ضد أى هجوم يأتيها من الشرق أو الشمال الشرقى. وسمى هذا الثغر بهذا الاسم بسبب كثرة عدد الأرمن الذين كانوا يشكلون جانبا كبيرا من سكانه وخصوصا فى المناطق الشرقية منه ، وهى المناطق التى انفصلت فيما بعد وشكلت ثغور خالديا Chaldia وكولونيا Colonia وسيباستيا Sebasteia ، بل إن أراضى ثغور كولونيا وسيباستيا وقع أغلبها ضمن حدود أرمينية الصغرى ، ولذلك كانت اللغة السائدة هناك هى الأرمينية على الرغم من التقدم الذى حققته الثقافة اليونانية آنذاك . ومن ثم لا عجب أن شكل الأرمن عصب القوات العسكرية لثغر الأرمنياق ، وقد اعتمد هرقل على كتائب منهم فى حربه ضد الفرس . من ناحية أخرى ، شارك الجنود من أبناء الجالية الأرمينية بالقسطنطينية ـ أثناء غيابه ـ فى الدفاع عنها ضد حصار السلاف والآفار لها فى عام ٦٢٦م (١٧) .

تتضح أيضا أهمية العنصر الأرمنى فى الجيش البيزنطى ، من خلال بعض الأشخاص الذين ينحدرون من أصل أرمنى واحتلوا مناصب عسكرية كبيرة ، ومن أبرز هؤلاء ، القائد الأرمنى مانويل Manuel فقد أنعم هرقل عليه بلقب Praefectus Augustalis تقديرا له على خدماته . وكان للقادة العسكريين الأرمن نفس صلاحيات الإمبراطور فى ميدان القتال . أحدهم وهو فاهان Vahan أعلنته قواته إمبراطورا فعلا قبيل معركة اليرموك عام ٦٣٦م . ورغم فشل هذا المخطط واعتزال فاهان الحياة العسكرية إلى حياة الرهبنة فى شبه جزيرة سيناء (١٨) ، فقد انخرطت كتيبة من الأرمن فى صفوف الجيش البيزنطى فى معركة اليرموك ضد المسلمين ، ويقال إن انسحاب الأرمن من ميدان القتال فى هذه المعركة كان سببا فى هزيمة الجيش البيزنطى ، إلا أن فى هذا القول الكثير من المبالغة (١٩) .

وكان النبلاء الأرمن فى القسطنطينية على درجة كبيرة من النفوذ حتى إنهم تآمروا للإطاحة بهرقل ؛ ليضعوا ابنه غير الشرعى المدعو أتالاريخوس Atalarichos على العرش ، ولكن باءت هذه المؤامرة بالفشل(٢٠). وفى ٦٤١م كان الأرمنى فالنتينوس آرساكيدسValentinus Arsacidus هو الذى ساعد قنسطانز الثانى على اعتلاء العرش عقب وفاة والده . وتولى فالنتينوس إمرة القوات فى الشرق ، مما شجعه على التآمر للاستيلاء على العرش ، ولكن باءت محاولاته بالفشل وتم إعدامه . وهناك اثنان أيضا من القادة العسكريين الأرمن خدما الإمبراطورية فى عهد قنسطانز الثانى ، هما : سابور Sabour الملقب بـ Aparasitgan , الذى كان أول استراتيجوس لثغر الأرمنياق وثار فى وقت ما ضد الإمبراطور قنسطانز الثانى ، وثيودور رشتونى Theodore Rushtuni، الذى عينه قنسطانز الثانى قائدا عاما للقوات الأرمينية وأنعم عليه بلقب شرفى رفيع هو لقب بطريق Patricius ، ولكنه انحاز بعد ذلك إلى جانب المسلمين ضد البيزنطيين (٢١).

وبعد مقتل قنسطانز الثانى فى صقلية عام ٦٦٨م ، نشب هناك عصيان مسلح بقيادة الأرمنى ميزيزوس Mizizius ، الذى أعلن نفسه إمبراطورا . ومع أنه عجز عن تثبيت نفسه وباء تمرده بالفشل ، إلا أن البعض يرى أنه يمكن اعتباره من الأباطرة ذوى الأصل الأرمنى الذين اغتصبوا العرش البيزنطى لفترة وجيزة . ولما حاول ابنه حنا John من بعده أن يحذو حذوه، قام بالتمرد على الإمبراطور قسطنطين الرابع ، كان مصيره القتل على أيدي الإمبراطور (٢٢) . ومن هنا يتضح أن الأرمن كان لهم تواجد ملحوظ فى الدولة البيزنطية طوال القرن السابع الميلادى .

وهناك الكثيرون من الأرمن، الذين خدموا الإمبراطورية البيزنطية أيضا فى القرن الثامن الميلادي؛ منهم باردانس Bardanes، الذى تولى العرش البيزنطى فترة عامين تقريبا(٧١١-٧١٣م) وكان أكثر اتصالا وارتباطا بوطنه أرمينية من أفراد أسرة هرقل . ومنهم أيضا أرتافاسدوس Artavasdos ، الذى تولى قيادة ثغر الأرمنياق وساعد ليو الثالث الأيسورى على تولى العرش البيزنطى عام ٧١٧م ، وعرف له ليو فضله فزوجه من ابنته ومنحه لقب كوروبلاط Curopalates ، لكنه لم يحفظ الجميل ، وحاول ارتقاء العرش البيزنطى ، فثار ضد صهره قسطنطين الخامس - ابن ليو الثالث - فى العام الأول من حكمه (عام ٧٤١م) . وهاجمت قواته بثغر الأرمنياق الإمبراطور قسطنطين الخامس عند مروره عبر أراضى هذا الثغر على رأس قواته متجها لمحاربة المسلمين ، وأوقعت به الهزيمة ، وتمكن أرتافاسدوس من دخول القسطنطينية وأعلن نفسه إمبراطورا، وكان عضده فى إحكام سيطرته على العاصمة أرمن آخرون، وهم ابن عمه تيريداتس Teridates والبطريق Vahtan وشخص ثالث يدعى أرتافاسدوس أيضا . وخلال الفترة الوجيزة التى حكم فيها أرتافاسدوس القسطنطينية قام بتتويج ابنه نقفور إمبراطورا مشاركا فى الحكم ، وجعل ابنه الآخر نيقتاس Nicetas حاكما لثغر الأرمنياق الذى كان جنوده الأرمن خير نصير له فى ثورته ، التى لم تستمر طويلا ، حيث باءت بالفشل فى عام ٧٤٣م(٢٣) .

إن قيام الأرمنى أرتافاسدوس وأتباعه بهذه الثورة لم يدفع قسطنطين الخامس للتخلى عن الأرمن ، وإنما سار على درب أسلافه فى الاعتماد عليهم لدعم جيوشه ؛ حيث كانوا ضمن قواته ، التى حاربت العباسيين بعد ذلك ، وتحديدا فى عام ٧٥٦/٧٥٧م . ففى المواجهة التى جرت بين البيزنطيين والعباسيين عند قبادوقيا فى ذلك العام ، نجح الأمير العباسى صالح بن على فى أسر بعض القوات الأرمينية من جيش قسطنطين الخامس (٢٤) .

يلاحظ أيضا أن الأرمن شغلوا مناصب قيادية مرموقة فى عهد قسطنطين الخامس، ومن أبرز قادتهم تادجات أنتزيفاتزيك Tadjat Andzevatzik ، وكان رجلا عسكريا تمتع منذ نشأته فى أرمينية بالعديد من السلطات السياسية والعسكرية والاجتماعية ، وذلك لأسباب مختلفة؛ منها الصراع على السلطة ، وتوتر العلاقات بين العرب والأرمن، وإغراء الخدمة فى بيزنطة.

وقد رحل إلى القسطنطينية فى عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس(٢٥). والتحق بالجيش البيزنطى وتدرج فى وظائفه العسكرية حتى أصبح قائدا كبيرا، وأثبت موهبة فذة إبان الحملات التى خاضتها بيزنطة ضد البلغار ، ثم لفتت شجاعته نظر الإمبراطور ليو الرابع بعد ذلك ، فكرمه وعينه ستراتيجوسا لثغر البقلار .Bucellarii (٢٦)

لم يكن تادجات أنتزيفاتزيك هو الأرمنى الوحيد اللامع فى عهد ليو الرابعLeo IV (٧٧٥-٧٨٠م) بل كان هناك أيضا الأرمنى أرتافازد ماميكونيان Artavasd Mamiconian ، الذى كان هو وتادجات أنتزيفاتزيك ـ وهما الاثنان من ناخارارات الأرمن Armenian Nakharars ـ(٢٧) من بين قادة الحملة التى شنها البيزنطيون ضد المسلمين فى سميساط عام ١٦٠هـ/٧٧٦م ، ونتيجة لكفاءة الأول عينه هو الآخر ستراتيجوسا لثغر الأناضول .) Anatolikon (٢٨)وظل تادجات أنتزيفاتزيك يؤدى خدمات جليلة للإمبراطورية حتى عام ٧٨٢م ، وهو العام الذى فر فيه لاجئا إلى العباسيين، وكان ذلك خيانة منه فى حق الجيش البيزنطى، قلبت الأوضاع رأسا على عقب ؛ إذ لم يفقد البيزنطيون تفوقهم أو فرصة إملاء شروطهم على هارون الرشيد فحسب، بل فقدوا أيضا أبرز قادتهم العسكريين (٢٩) . ومن مجموع هذه الحملة والحملة اللاحقة التى شنها البيزنطيون فى عام ٧٧٨م ضد العباسيين على مقربة من مدينة حلب وشارك فيها أعداد من الأرمن من ثغرى الأرمنياق والأوبسيق، تتضح مكانة القادة الأرمن وأهميتهم بين غيرهم من القادة الآخرين (٣٠) .

يذكر أيضا أن هناك اثنان من الأرمن هما: Varaz -Titrots، الذى تولى قيادة ثغر الأرمنياق بعد ذلك، وجريجورى ابن موصولاك Mousoulak، قائد ثغر الأوبسيق، قدما خدمات جليلة للإمبراطورية فى عهد الإمبراطور ليو الرابع، فقد شكلا هما وأرتافازد ماميكونيان وتادجات أنتزيفاتزيك أربعة من بين خمسة قادة ، قادوا الجيوش البيزنطية فى حربها الضروس مع أعدائها طوال عهد الإمبراطور ليو الرابع (٣١). وهناك الكثيرون من الأرمن ممن ورد ذكرهم فى عهد كل من قسطنطين السادس والإمبراطورة إيرين ؛ فلقد شارك القائد الأرمنى بارداس Bardas، الذى كان يوما ما قائدا لثغر الأرمنياق ، فى مؤامرة كان هدفها إضاعة حق قسطنطين السادس الشرعى فى وراثة ملك أبيه لصالح عمه نقفور. وهناك البطريق الذى حمل أيضا اسم بارداس، ولقى حتفه فى الحملة التى شنها قسطنطين السادس ضد البلغار عام ٧٩٢م (٣٢)

أما الاسم الأرمنى باردانس Bardanes ، فقد ظهر بوضوح فى عهد كل من قسطنطين السادس وإيرين ونقفور الأول، بعدما اشتهر عدد من الأرمن حاملى هذا الاسم؛ فمنهم باردانس البطريق ورئيس حرس القصر Domesticus Scholarum، وبارادنس قائد عام ثغر التراقسيون، وباردانس الملقب بـ Turk قائد عام ثغر الأناضول، والذى حاول الاستيلاء على العرش، وباردانس المسمى Anemas وحامل لقب سباثاريوس . Spatharios ذاع أيضا صيت اسم أرسابير Arsaber؛ ذلك أن البطريق الأرمنى ارسابير كان ينعم بلقب كويستور Quaestor

فى عهد الإمبراطور نقفور الأول ، وتم اختياره من قبل أتباعه فى عام ٨٠٨م ليجلس على العرش الإمبراطورى بدلا من نقفور الأول ، ولكن المؤامرة لم تكلل بالنجاح ، بيد أن فشلها لم يحل دون أن تتزوج ثيودوسيا Theodosia ـ ابنة أرسابير ـ من ليو الخامس الأرمنى فيما بعد (٣٣).

هكذا ذاعت شهرة العنصر الأرمنى فى الإمبراطورية البيزنطية إبان القرنين السابع والثامن الميلاديين ، خصوصا أن القادة الأرمن الذين خدموا الإمبراطورية إبان تلك الفترة، اعتنقوا المذهب الأرثوذكسى وارتبطت مصالحهم بمصالح الإمبراطورية . ويلاحظ هنا أن الأرمن تبوءوا مراكز مرموقة بما فيها المنصب الإمبراطورى ذاته .

ظل الأرمن حريصين طوال القرن التاسع الميلادى على تبوء المراكز المهمة فى الدولة البيزنطية ؛ اتضح ذلك من خلال عائلة السكليرى Skleroi ـ ذات الأصول الأرمينية ـ التى ذاعت شهرتها فى القرن التاسع الميلادى ، وكان أبرز أعضائها ليو سكليروس Leo Skleros ، الذى حكم البلوبونيز Peloponnesus فى بداية ذلك القرن (٣٤) . كما اتضح ذلك أيضا من خلال بعض الشخصيات الأخرى ومن بينها ، ليو الخامس ـ قائد ثغر الأناضول ـ الذى اشتهر بليو الخامس الأرمنى. فقد خطط بذكاء لاعتلاء العرش البيزنطى ؛ حيث فر مع عدد من أتباعه من أرض معركة فرسينيكيا Versinicia الشهيرة عام ٨١٣م ـ شمال أدرنة ـ فحاقت الهزيمة بالجيش البيزنطى أمام البلغار ، وتنازل الإمبراطور ميخائيل الأول عن العرش إثر هذه الهزيمة ، فاعتلاه ليو الخامس الأرمنى فى شهر يوليو عام ٨١٣م (٣٥) . ورغم الخلافات حول أصل ليو الخامس، فالأرجح أنه أرمنى الأصل ، استقر فى بيدرا Pidra ـ بثغر الأناضول ـ ثم التحق ـ كشأن غيره من الأرمن ـ بالجيش البيزنطى لتحقيق طموحاته ، فأدى به ذلك فى النهاية إلى العرش البيزنطى . وبذلك يكون ليو الأرمنى قد رأس عائلة ذات طابع أرمنى ، اتضح ذلك من خلال الأسماء الأرمينية التى حملها مختلف أفرادها (٣٦) .

وكان ميخائيل الثانى، الذى أطاح بليو الخامس، وحل محله على العرش فى عام ٨٢٠م، نصف يونانى، جاء من أسرة متواضعة من عمورية ،ونجح فى تأسيس أسرة مالكة هى الأسرة العمورية، التى دخلتها ـ هى الأخرى ـ الدماء الأرمينية ووقعت تحت تأثير الأرمن؛ فالإمبراطورة ثيودورا زوجة ثيوفيل ـ ابن ميخائيل الثانى والوصية على العرش ـ كانت ترجع إلى أصل أرمنى على الأقل من جانب والدها . وبذلك يكون ابنها ميخائيل الثالث ـ الوريث الشرعى للعرش ـ أرمنى فى جانب من أصله(٣٧) .

على صعيد آخر، شارك الجنود الأرمن وبشكل كبير فى الحرب التى خاضها الجيش البيزنطى فى صقلية عام ٨٢٩/٨٣٠م ، على عهد الإمبراطور ثيوفيل ؛ ذلك أن البطريق الأرمنى ثيودوت Theodote، قاد فى ذلك العام جيشا كبيرا ـ أغلب جنوده من الأرمن ـ متجها نحو جزيرة صقلية، لكن حاقت بهم الهزيمة أمام عرب أفريقية عند أحواز قصريانة، وقتل الكثيرون بما فيهم البطريق ثيودوت نفسه، وسارعت فلولهم للاحتماء بقصريانة(٣٨) .

أما على مستوى الأفراد، فقد اشتهر فى عهد ثيوفيل، الأرمنى ألكسيس موسيلى بعدة ألقاب منها ، بطريق وبروقنصل وماجستر ، ثم زوجه ثيوفيل من ابنته مارياMaria وأصبح قيصرا . وقد خدم ألكسيس الإمبراطورية فى مواقع مختلفة، حيث قاد جيشا قويا فى عام ٨٣٧/٨٣٦م لقمع ثورة أثارها السلاف فى تراقيا ، ثم أرسله ثيوفيل بعد ذلك - فى خضم صراعه مع المسلمين - إلى صقلية، لكنه لم يبق بها زمنا طويلا، بعدما كاد له البعض واتهم بالاتصال بالعرب وإضمار نية خيانة الإمبراطور. وزاد من مباعدة الإمبراطور إياه أن امرأته بنت ثيوفيل ماتت، ولذا استدعاه ثيوفيل إلى القسطنطينية ونزع أملاكه وسجنه. لكن أعيدت لألكسيس حظوته، وساهم عام ٨٣٨م فى رفع الحصار الذى فرضه الأغالبة على حصن كفالوا على شاطئ جزيرة صقلية الشمالى، شرقى بلرم(٣٩).

بعد وفاة ثيوفيل، وخلال الفترة الأولى من عهد ميخائيل الثالث - عندما كان ما يزال قاصرا- كان المنصب الإمبراطورى تحت سيطرة والدته ثيودورا، سليلة الأرمن. وكان يعاونها مجلس وصاية يتكون معظمه من أفراد أسرتها، إضافة إلى اللغثيث ثيوكتيستوس Theoctistos، الذى لا نعرف عن أصله أى شيء، وظل هذا الوضع لما يقرب من أربعة عشر عاما . وكان مقتل ثيوكتيستوس عام ٨٥٦م فرصة لظهور بارداس - أخو ثيودورـ على مسرح الأحداث بقوة، وأصبح هو الحاكم الحقيقى للدولة حتى وفاته عام ٨٦٦م . فى نفس الوقت عهدت ثيودورا لأخيها الآخر بتروناس Petronas ببعض المسؤوليات التى أثبت فيها جدارة ملحوظة، وقد تم تعيين ابنه ماريانوس Marianos فيما بعد واليا للعاصمة فى عهد باسيل الأولى المقدونى(٤٠). هناك أيضا أعضاء آخرون من أسرة ثيودورا شغلوا بعض المناصب المهمة فى الدولة، فقد كان والدها مارينوس Marinos يشغل منصب درانجاريوس وتورمارخ Turmarch أيضا. كما حمل قسطنطين بابوتزيكوس Constantine Babutzikos، زوج أختها صوفيا، لقب ماجستر، وكان فى يوم من الأيام درانجاريوس المراقبة ، كما كان من بين الاثنين والأربعين ضابطا، الذين أسرهم الخليفة العباسى المعتصم عندما استولى على عمورية عام ٨٣٨م. أما زوج أختها الآخر المدعو أرشافير ArSavir فكان هو الآخر بطريقا وماجسترا وهما لقبان عظيمان الشأن فى المجتمع البيزنطى، وكان كل من بابوتزيكوس و أرشافير أرمينيا، أما ولدى ارشافير، ستيفن Stephen وبارداس، فقد حملا لقب ماجستر، وتزوج الأخير من ابنة قسطنطين كونتوميتس Constantine Contomytes، الذى كان يحكم صقلية إبان عهد ميخائيل الثالث، فى حين كان ستيفن أحد أعضاء مجلس الوصاية طوال فترة قصور قسطنطين السابع (٤١) .

هكذا شغلت عائلة ثيودورا الأرمينية العديد من المناصب المهمة فى أوقات مختلفة ، وتمكنت من السيطرة على الدولة . على أنه من الأنصاف القول إنه كان هناك أرمن آخرون - سواء أكانوا على صلة أم لا بالأسر الحاكمة - لعبوا دورا مهما فى الحياة السياسية والعسكرية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن التاسع الميلادى . فقد كان لليو الخامس الأرمنى، ابن أخ يدعى جريجورى بتروتوس Gregory Petrotos، بمرتبة قائد عام، لكن نفاه خليفته على العرش - ميخائيل الثانى - إلى جزيرة قبرص، واستطاع جريجورى بتروتوس الهرب

والانضمام إلى قوات السلافى توماس فى ثورته ضد ميخائيل الثانى ، وعندما حاول أن يتخلى عن توماس ويرجع لميخائيل الثانى، قتله توماس بغتة (٤٢) . أما الأرمنى مانويل، فقد كان أكثر شهرة وعرف بـ Amalicites؛ حيث تولى مناصب عدة منها بروتوستراتور Prtostrator، وقائدا عاما للأرمنياق ، وقائد حرس القصر ، وبطريقا، وماجسترا . وخدم الإمبراطورية فى عهد كل من ميخائيل الأول وليو الخامس الأرمنى وميخائيل الثانى وثيوفيل . ويرى البعض أن مانويل هذا ربما يكون عم الإمبراطورة ثيودورا ، لكن يصعب التأكد من هذا الأمر ، نظرا لقلة المعلومات الخاصة بسيرة مانويل وحياته المهنية (٤٣) .

لابد أيضا من الإشارة إلى الأرمنى قسطنطين مانياكس Constantine Maniakes ، جد المؤرخ الشهير جنسيوس . فقد شغل منصب درانجاريوس المراقبة ثم أصبح لغثيث فى عهد ميخائيل الثالث ، وكان صديقا لباسيل ـ إمبراطور المستقبل ـ فى مستهل حياته . كذلك كان ابنه توماس ـ والد جنسيوس ـ بطريقا وأصبح مستشار الإجراءات Logothete of the course فى بداية القرن العاشر إبان فترة الوصاية على قسطنطين السابع (٤٤) . وهناك أيضا ، الأرمنى ثيوفيليتزيس Theophilitzes ، رجل البلاط الثرى، الذى استقبل باسيل الأول ـ إمبراطور المستقبل ـ عندما جاء لأول مرة إلى القسطنطينية إبان عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث ، وأنعم عليه بإحدى الوظائف التى تقدم بها للبلاط الإمبراطورى (٤٥) .

وكيفما كان الأمر ، فهناك شبه أجماع بين المؤرخين على تسمية الفترة من النصف الثانى للقرن التاسع وحتى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى، بعصر التوسع والفتح ، وهى الفترة التى ظهر خلالها الأرمن بروح جديدة ، وقدموا دماءهم لبيزنطة، فأنجبت أسرة تربعت على عرش الإمبراطورية قرابة قرنين من الزمان هى الأسرة المقدونية، التى يعزوها بعض المؤرخين إلى أصول أرمينية. وكان مجيئها إلى الحكم هو خير دليل على ازدياد مكانة العنصر الأرمنى فى البلاط الإمبراطورى (٤٦) ؛ ذلك أن باسيل مؤسس هذه الأسرة، الذى كان يتكلم الأرمينية كلغته الأولى كما كان أبوه أرمينيا، كان هو المحرض الأول على جريمتى قتل القيصر بارداس عام ٨٦٦م، والإمبراطور ميخائيل الثالث عام ٨٦٧م. وما كان له أن ينفذ بمفرده كل مخططاته للوصول إلى العرش البيزنطى، ولكن ساعده على ذلك عدد من رفاقه الأرمن ، كان أبرزهم أخوه ماريانوس، وسيمباتيوس Symbatios ـ مستشار الإجراءات وزوج ابنة القيصر بارداس ـ وبارداس أخو سيمباتيوس وغيرهم (٤٧) . وبالتالى فإن أغلب من اشتركوا فى إنهاء عهد الأسرة العمورية، كانوا أرمن، واعتلى العرش باسيل الأول سليل الأرمن ليؤسس أسرة عرف عصرها فى تاريخ الدولة البيزنطية بالعصر الذهبى .

ازداد عدد الأرمن بشكل كبير فى الإمبراطورية البيزنطية عقب تولى باسيل الأول الحكم . ويرجع ذلك إلى أمرين : الأول ، توسع الإمبراطورية ناحية الشرق . والثانى ، حركة الأرمن ناحية الغرب. فقد نجح الإمبراطور باسيل الأول ، بعد صراع ضروس مع البيالصة Paulikiani (٤٨)فى عامى ٨٧١ـ ٨٧٢م ، فى قتل زعيمهم كريزوشير Chrysochier والاستيلاء على عاصمته

تفريك Tephrike ، فضم بذلك مساحة كبيرة لأراضى الإمبراطورية (٤٩) . وبما أن النحلة البوليصية نشأت وتطورت فى أرمينية ، فإن أغلب أتباعها كانوا من الأرمن . وبعدما انتصر باسيل الأول عليهم لم يستمر فى إهانتهم أو إذلالهم بل تغاضى عما فعلوه ، وأقام بعضهم على الحدود الشرقية للإمبراطورية فى مواجهة المسلمين . كما أدخل الكثيرين منهم فى الخدمة العسكرية ضمن قوات الجيش الإمبراطورى. وها هو دياكونيتزز Diaconitzes الصديق المخلص لكريزوشير يقوم بعد عدة سنوات بمآثر بطولية رائعة دفاعا عن الوجود البيزنطى فى إيطاليا، كما التحق بعض رفاقه بالقوات البيزنطية ليخدموا فى أماكن أخرى . أيضا قدم زعيم مدينة لوكانا Lokana ـ إحدى المدن البوليصية ـ كورتيكيوس Kourtikios هو وأتباعه خدمات عديدة للإمبراطورية البيزنطية (٥٠) .

ثم ظهر نوع من التقارب بين الأرمن والبيزنطيين ، خلال الفترة من عهد ليو السادس Leo VI (٨٨٦م) حتى عصر الإمبراطور باسيل الثانى (٩٧٦ـ١٠٢٥م) ، رغم ما تم لبيزنطة من السيطرة على آمد، وميافارقين، ونصبين، وإنطاكية التى كانت خاضعة للأرمن (٥١) ، وكان لهذا التقارب أثره المباشر على النفوذ الأرمنى؛ حيث ازداد قوة وخاصة فى البلاط الإمبراطورى. فلقد أصبح الأرمنى ستيليانوس زاوتزس Stylianus Zautzes الوزير الأول بعد اعتلاء ليو السادس العرش البيزنطى، وحمل ألقاب ماجستر والماجستر الأول Protomagistros واللغثيث المسئول عن الشئون العامة Logothete ton dromou ، وأشار له الإمبراطور فى اثنين من قوانينه (الأول ، والثامن عشر) بالماجستر المسئول عن الدواوين المقدسة Magistros ton thein offikion . ثم بلغ هذا الرجل قمة نفوذه فى الحكومة والقصر بعد زواج ليو السادس من ابنته زوى زاوتزس Zoe Zautzes عام ٨٩٨م ، حيث أنعم عليه الإمبراطور بلقب والد الإمبراطور Basileopator (٥٢)، وصارت مقاليد الحكومة فى يديه . وقد كان لمباركته احتكار اثنين من كبار تجار القسطنطينية ، وهما ستاوراكيوس Stauracios وكوزماس Cosmas امتياز التجارة مع بلغاريا وإيعازه لهما بنقل سوق التجارة مع البلغار من القسطنطينية إلى تسالونيكا ، دور رئيس فى اشتعال الحرب بين بيزنطة وبلغاريا عام ٨٩٤م ، وهى الحرب التى قادها على الجانب البيزنطى، القائد الأرمنى بركوب كرينيتس Procope Crinites . (٥٣)

خلال عهد ليو السادس أيضا، وفى أطار الجهود البيزنطية للتوسع ناحية الشرق ، تم إقناع الزعيم الأرمنى مانويل بالتخلى عن منطقة تكيس Tekis الأرمينية ـ الواقعة بين أعالى الفرات Euphrates وشيميزيك ـ شو Cimiz gezek Su ويحدها من الجنوب أرساناس Arsanas ـ وضمها إلى الأراضى البيزنطية . وفى مقابل ذلك نقل مانويل بصحبة أبنائه الأربعة إلى القسطنطينية ، حيث أغدقت عليهم كل مظاهر التكريم ؛ فلقد أسند لاثنين من أبنائه وهما ليو بانكراتوكاس Leo Bankratoukas وياخنوكاس Iachnoukas منصبان قياديان مهمان : الأول ، عين قائدا لثغر البقلار . والثانى ، حاكما عسكريا فى نيقوبوليس Nicopolis ، غرب مدينة كولونى بآسيا الصغرى . أما الاثنان الآخران وهما مودافار Moudaphar ويوحنا ، فقد تم منحهما إقطاعا من أراضى التاج الإمبراطورى فى المناطق المجاورة لطربيزون Trebizond ، كما أنعم عليهما ببعض الألقاب

الشرفية . ثم ضمت بعد ذلك منطقتان هما : كلزين Kelzene ـ استقطعت من خالديا Chaldia ـ وكاماشا Kamacha ـ استقطعت من كولونيا Coloneia ـ وكلاهما أرمنى ، إلى الأراضى التى أخذت من مانويل ، وتم تنظيمهم فيما بين عامى ٨٩٩ـ٩١٢م ليشكلوا جميعا ثغرا عسكريا واحدا ، هو ثغر ما بين النهرين Mesopotomia ، وكان ثغرا أرمينيا عن بكرة أبيه(٥٤) .

فى غضون ذلك أيضا ، تحرك عدد لا بأس به من زعماء الأرمن غربا واستقروا فى بعض المناطق الواقعة على طول صعيد توشا ـ شو Tocha-Su ، حيث كانت تقع قلعة ليكاندوس Lykandos القديمة ، على طول صعيد نهر كارمالاس Karmalas ، حيث توجد قلعة تزاماندوس Tzamandos ـ على مقربة من الطريق الذى يربط بين قيصرية Caesarea وجورون Gurun ويمر عبر ملطية Melitene ـ وكان أكثر هؤلاء الزعماء عداء هو المدعو ملياس Melias . بيد أن ملياس التحق بالخدمة العسكرية للإمبراطورية وقاتل فى صفوف الجيش البيزنطى ضد البلغار فى موقعة بلغاروفيجون Bulgarophygon الشهيرة عام ٨٩٦م . غير أن البيزنطيين ـ لأسباب مجهولة ـ غضبوا عليه وفر لاجئا إلى العرب فى ملطية . ثم عاد ملياس ومعه أربعة آخرون من الزعماء الأرمن إلى الدولة البيزنطية ، بعد عفوها عنه ، وتولى كل منهم حكم إحدى المناطق الحدودية السابقة . بيد أن ملياس كان أكثرهم نشاطا . فاستصلح منطقة نفوذه ووطن فيها الأرمن ، وأعاد بناء قلعة ليكاندوس وأسس حصن تزاماندوس الجديد . فمنحه البيزنطيون لقب بطريق ثم ماجستر ، واستكمل هو استصلاح المناطق المجاورة له فى عام ٩١٤م حتى أصبحت تشكل ثغر ليكاندوس ، وكان هو أول استراتيجوس لهذا الثغر . وظل ملياس يخدم الإمبراطورية بإخلاص هو وأتباعه الأرمن ، حتى وفاته عام ٩٣٤م؛ وهو العام الذى كان ملياس وأتباعه عاملا رئيسا فى الاستيلاء على ملطية والبلاد المجاورة لها لصالح الإمبراطورية البيزنطية (٥٥) .

جدير بالذكر، أن خدمات الأرمن للدولة البيزنطية فى القرن العاشر ، لم تقتصر على ملياس وأتباعه ، وإنما شهد القرن نفسه أيضا دورا كبيرا للأرمن ـ سواء أكانوا جنودا مشاة أم فرسانا أم قادة ـ فى كل الحملات المهمة التى خاضها الجيش البيزنطى ضد أعدائه. وهى الحملات التى تشهد على خبرة الأرمن العسكرية ومهارتهم القتالية ، مما يدحض القول بأن أعدادهم الكبيرة كانت هى مؤهلهم الوحيد للالتحاق بالجيوش البيزنطية .

فقد شكل الأرمن ثلث فرسان الحملات البيزنطية التى وجهت إلى كريت فى عامى ٩١١ , ٩٤٩م. وكبدوا قوات سيف الدولة الحمدانى خسائر جسيمة فى عام ٩٥٣م ، عندما تصدوا لها دفاعا عن أحد الممرات الجبلية بدروب آسيا الصغرى . أيضا كانت غالبية الجيش متعدد الجنسيات ـ من الأرمن والترك والروس والبلغار وغيرهم ـ الذى قاده بارداس فوقاس Bardas Phokas ـ والد نقفور فوقاس وإمبراطور المستقبل ـ ضد سيف الدولة الحمدانى عام ٩٥٤م ، وكان قوامه نحو خمسين ألف جندي ، من الأرمن، لذا كانت الخسائر فى صفوفهم أكثر من غيرهم جراء الهزيمة التى حاقت بالجيش البيزنطى (٥٦). شارك الأرمن أيضا فى الجيش الذى قاده نقفور فوقاس عام ٩٦٠ـ٩٦١م

لفتح جزيرة كريت، ودلل المؤرخ ليو الشماس Leo Diaconus على ذلك، حينما ذكر أن نقفور فوقاس، كى يشجع جنوده فى إحدى الوقائع المغمورة بكريت، عرض مكافأة ماليه لكل من يأتى منهم برأس جندى من الأعداء، وأن جنود الكتيبة الأرمنية كانوا أكثر حماسا من غيرهم(٥٧) . كما حارب الأرمن فى البلقان عام ٩٧١م ضمن قوات حنا تزيمسكس John Tzimiskes (٥٨)خلال حربه فى بلغاريا ضد الروس، وصمد المشاة الأرمن بإصرار إلى جانب حنا تزيمسكس، فى وقت فر فيه بعض البيزنطيين من أرض المعركة، ونجح هؤلاء الأرمن فى اختراق السياج الذى كان يحتمى فيه الروس، مما كان له أثره فى تغيير مجرى الصراع لصالح البيزنطيين . وحارب الأرمن أيضا إلى جوار الإمبراطور باسيل الثانى فى حربه ضد البلغار عام ٩٨٦م، ويقال إنهم أنقذوا الإمبراطور أثناء انسحابه السريع من بلغاريا فى ذلك العام (٥٩) ، لكن ذلك نوع من المبالغة .

ويبدو دور الأرمن أكثر وضوحا فى الحياة السياسية والعسكرية للإمبراطورية البيزنطية إبان القرن العاشر الميلادى ، حينما يتقصى الباحث أباطرة وقادة الإمبراطورية خلال ذلك القرن ، فهناك ثلاثة أباطرة ، كانوا من أقدر أباطرة ذلك القرن ، صحيح أنهم لم يكونوا نسلا شرعيا للسلالة المقدونية ، لكنهم كانوا ينتمون إليها واحترموا حقوق أفرادها فى العرش الإمبراطورى ، رغم أن أحدهم حاول بالفعل أن يفرض سيطرة أسرته على العرش. اثنان من هؤلاء الأباطرة هما رومانوس ليكابينوس Romanos Le Kapenos (٩١٩ - ٩٤٩م) ، وحنا تزيمسكس ، كانا من أصل أرمنى (٦٠) .

بالنسبة للأول وهو رومانوس ليكابينوس ، اختلف المؤرخون حول محل ولادته ، فيرى بعضهم أنه ولد فى منطقة ثغر الأرمنياق ، فى حين يرى بعضهم الآخر أنه ولد فى منطقة لاكاب Lakap «Laqabin» ـ الواقعة بين سميساط Samosata وملطية بآسيا الصغرى ـ والتى اتخذ منها كنيته ، فأصبح يعرف برومانوس ليكابينوس . وفى كل الأحوال ، كان والده ثيوفيلاكت Theophylact ـ سواء أكان جنديا بسيطا ، مثلما يرى البعض ، أم فلاحا ، مثلما يرى البعض الآخر ـ أرمنيا. واستطاع الابن عن طريق الجهد والمثابرة وتحمل الصعاب ، إلى جانب بعض المعارف فى البلاط الإمبراطورى والكفاءة العسكرية ، أن يشق طريقه فى الوصول إلى قيادة الأسطول البيزنطى ، حيث أصبح أدميرالا Admiral ـ درانجاريوس ـ لذلك الأسطول ، وهو المنصب الذى مكنه من إحكام سيطرته على الصراع الدائر حول السلطة ، حينما كان قسطنطين بورفيروجنيتوس ما يزال قاصرا . ثم نجح فى أن يزوج ابنته هلنا Helena فى عام ٩١٩م من قسطنطين بورفيروجنيتوس ـ رغم أنه كان ما يزال فى الرابعة عشرة من عمره ـ وهو الزواج الذى حصل بموجبه رومانوس ليكابينوس على لقب والد الإمبراطور . وفى العام التالى أنعم عليه قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس بلقب قيصر Caesar ، ثم جعله إمبراطورا مشاركا .

وبناء على ذلك أصبح القروى الأرمنى إمبراطورا وأصبحت أبنته زوجة إمبراطور، هو نفسه حفيد لأرمنى آخر (٦١) . ليس هذا فقط ، فقد كان لرومانوس ليكابينوس أربعة أبناء، رفع ثلاثة منهم وهم: كريستوفر Christopher وستيفن Stephen وقسطنطين Constantine إلى العرش

ليكونوا أعوانا له. أما الرابع وهو ثيوفيلاكت ، فقد عينه فى عام ٩٣١م بطريركا لكنيسة القسطنطينية، وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره . وكان هذا هو الاستثناء الوحيد فى تاريخ كنيسة القسطنطينية، أن يعتلى كرسيها أرمنى الأصل. وهكذا يمكن القول : إن الدولة والكنيسة أصبحتا فى قبضة أبناء وأحفاد الأرمنى ثيوفيلاكت، الذى تزوجت حفيدته من الحفيد الوحيد للإمبراطور باسيل الأول . وعلى الرغم من أن ابن ثيوفيلاكت وأحفاده، قد زالت عنهم السلطة فيما بعد ، فإن حفيدته ـ لكونها زوجة قسطنطين السابع ـ ظلت إمبراطورة ومنحت الإمبراطورية إمبراطورها التالى، الذى أنجب فيما بعد الإمبراطور الشهير باسيل الثانى (٦٢) .

يختلف الأمر بعض الشيء بالنسبة لحنا تزيمسكس ، إذ لا يوجد خلاف بين المؤرخين حول محل ميلاده أو أصله . فلقد ولد فى منطقة Khozan الأرمينية ، التى حملت اسمه بعد ذلك وعرفت بـ Ceme Skacagh ـ وتعنى مسقط رأس تزيمسكس ـ وينحدر من ناحية أبيه ، الذى لا نعرف اسمه ، من نفس أسرة القائد الأرمنى الشهير يو حنا كوركواز John Curcuas. أما جده فكان القائد ثيوفيل ، الذى اشتهر خلال الحرب مع العرب إبان عهد الإمبراطور رومانوس ليكابينوس ، واتصل من ناحية والدته بأسرة فوقاس الشهيرة فى القرن العاشر . وبذلك ينتمى حنا تزيمسكس ـ أعظم أباطرة بيزنطة العسكريين فى القرن العاشر ـ لأسرة أرمينية عريقة استطاعت أن تجعل لنفسها مكانة رفيعة بين الطبقة العسكرية الراقية فى بيزنطة ، وخصوصا بعد ما نجح يوحنا تزيمسكس عن طريق المصاهرة فى الاتصال بعائلات أخرى عريقة ؛ ذلك أن زوجته الأولى ماريا Maria ، كانت من عائلة سكليروس الأرمينية الشهيرة ، وكانت زوجته الثانية ثيودورا ، ابنة الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس وزوجته الأرمينية هلنا . وقد أضفى زواجه من ثيودورا ، الشرعية عليه لشغل المنصب الإمبراطورى ، وإن كان التاريخ لا يمكن أن يبرئه من جريمة اغتياله للإمبراطور نقفور فوقاس ، من أجل العرش (٦٣) .

الإمبراطور الثالث هو نقفور فوقاس (٩٦٣-٩٦٩م) ، وكان رجلا عسكريا من الطراز الأول. وكان نقفور ينتمى إلى عائلة فوقاس الشهيرة التى جاءت من قبادوقيا بآسيا الصغرى ، حيث ساد العنصر اليونانى هناك . إلا أن بعض المؤرخين يرون أن أسرة فوقاس هذه، ربما كانت أرمينية الأصل كغيرها من العائلات الأرمينية الأخرى، التى جاءت من آسيا الصغرى إلى مدينة القسطنطينية فى القرن العاشر الميلادى، مستندين فى ذلك إلى اسمين شهيرين، أحدهما أرمنى، وهو بارداس ، وآخر بيزنطى، وهونقفور، أطلقتهما الأسرة على مر الأجيال على بعض أبنائها، وهوما يعنى أن نقفور فوقاس كان نصف أرمنى على الأقل (٦٤) . لكن هذه المبررات غير مقنعة، ويصعب الأخذ بها لمجرد وجود بعض الأسماء الأرمينية بين أبناء أسرة فوقاس .

إلى جانب الأباطرة ذوى الأصول الأرمينية ، فهناك بعض الأسر الأرمينية التى ذاعت شهرتها فى الدولة البيزنطية . ومن أشهرها ، أسرة موسيلى التى اشتهرت منذ بداية القرن التاسع الميلادى والتى تزوج ابنها القائد ألكسيس موسيلى من ابنة الإمبراطور ثيوفيل ، وحمل ألكسيس بعد ذلك لقب درانجاريوس الأسطول البحرى ، بيد أنه قتل فى الحرب مع

البلغار قرب نهاية القرن التاسع الميلادى . فى وقت آخر ، زوج رومانوس ليكابينوس ابنة له من أحد أبناء عائلة موسيلى بغية تقوية العنصر الأرمنى فى أسرته ، وكانت ثمرة هذا الزواج هى الماجستر رومانوس موسيلى ، حاكم ثغر الأوبسيق طوال عهد الإمبراطور قسطنطين بورفيروجنيتوس . بيد أن اتساع ممتلكاته بشكل كبير فى منطقة Philomelion ، أقلق الإمبراطور باسيل الثانى فيما بعد ،ولذلك أمر بمصادرتها . كما ينتمى إلى هذه الأسرة أيضا، الأرمنى ألكسيس الذى شغل منصب حاكم قبرص إبان عهد الإمبراطور باسيل الأول (٦٥) .

وتجدر الإشارة إلى أن أسرة موسيلى لقبت أيضا بالكرينيتس Krenitae ، لكننا لا نعلم إذا كان هذا اللقب شملها كلها ، أم كان قاصرا على فرع منها ؟ وفى الحالتين هناك عدد من القادة الكرينيتس krenites المشهورين . منهم القائد بركوب كرينيتس ، الذى قتل فى الحرب مع البلغار عام ٨٩٤م . والبروتوسباثاريوس Protospatharius أروتراس Arotras حاكم البلوبونيز Peloponnesus وهلاس Hellas إبان عهد رومانوس ليكابينوس . وأبيسالوم Abessalom ، الذى شارك فى المحاولة الفاشلة التى قام بها قسطنطين دوكاسConstantine Ducas ـ القائد العام للجيش البيزنطى بآسيا الصغرى ـ عام ٩١٣م للاستيلاء على العرش ، وتم سمل عينيه ونفيه. وهناك باسكال Paschal حاكم لمبارديا Longobardia خلال عهد رومانوس ليكابينوس ، الذى تم إرساله مبعوثا رسميا إلى هيو بروفانس Hugh of Provence للتفاوض معه بشأن زواج الابن الأصغر لقسطنطين بروفيروجنيتوس من ابنته . وأخيرا هناك كرينيتس آخر حمل لقب بروتوسباثاريوس وكان مترجما للإمبراطور رومانوس ليكابينوس أثناء مفاوضاته مع زعماء إقليم طارون Taron الأرمنى . ويدل ذلك على أن هؤلاء الأرمن رغم استقرارهم فى الدولة البيزنطية منذ فترة طويلة ، كانوا ما يزالون يتحدثون الأرمينية (٦٦) .

هناك أسرة أرمينية أخرى كان لها شأن عظيم فى الحياة السياسية والعسكرية للدولة البيزنطية، هى أسرة السكليرى Skleroi الشهيرة. فلقد خدم البطريق نيقتاس سكليروس Nicetas Skleros فى عهد الإمبراطور ليو السادس، وعهد إليه الإمبراطور بمهمة تحريض المجريين ضد القيصر البلغارى سيميون عام ٨٩٥م، وهى مهمة أداها بنجاح كبير . كان من أشهر أفرادها بارداس سكليروس Bardas Skleros الذى ظل قائدا عاما للقوات البيزنطية فى الشرق طوال عهد يوحنا تزيمسكس ، ثم ازدادت شهرته إبان الثورة التى قام بها ضد الإمبراطور باسيل الثانى عام ٩٧٦م . ويلاحظ أيضا أن هذه الأسرة ارتبطت بعائلات أخرى ذات نفوذ قوى عن طريق المصاهرة . فقد تزوجت ماريا أخت بارداس من يوحنا تزيمسكس ، فى حين تزوج قسطنطين أخو بارداس من إحدى بنات أخى الإمبراطور فوقاس (٦٧) .

أما أسرة كورتيكيوس ، فمؤسسها هو الأرمنى كورتيكوس، زعيم مدينة لوكانا ، الذى ساعد بركوب كرينيتس فى حملته ضد القيصر البلغارى سيميون عام ٨٩٤م . صحيح أن كورتيكيوس قتل فى هذه المعركة ، لكنه قد أسس لأسرته مكانة مرموقة فى الحياة العسكرية والسياسية فى الدولة البيزنطية . فقد شارك أحد أبنائه فى دعم قسطنطين دوكاس فى محاولته الفاشلة للاستيلاء على العرش عام ٩١٣م ، ولقى هذا الابن حتفه خلال هذا التمرد . وهناك مانويل كورتيكيوسManuel

Kourtikios الذى ساعد فى عزل رومانوس ليكابينوس عام ٩٤٤م وأنعم عليه قسطنطين السابع بعد ذلك بلقب بطريق ودرانجاريوس الحراسة . يأتى بعد ذلك ميخائيل كورتيكيوس Michael Kourtikos الذى انحاز لبرداس سكليروس فى تمرده ضد الإمبراطور باسيل الثانى عام ٩٧٦م ، واستمر هذا الدور المميز لأسرة كورتيكيوس طوال القرن الحادى عشر الميلادى أيضا(٦٨) .

كانت أيضا أسرة كوركواز الأرمينية ، من الأسر الثرية التى استوطنت الإمبراطورية منذ فترة من الزمن ، ومما لاشك فيه أن سليلها يوحنا كوركواز كان أكفأ قائد بيزنطى فى ميدان القتال خلال النصف الأول من القرن العاشر الميلادى . ويذكرفى هذا الشأن أن يوحنا كوركواز كان له جد يحمل نفس الاسم وتمتع بلقب دومستق Domestic فى عهد الإمبراطور باسيل الأول، لكنه تآمر بعد ذلك ضد الإمبراطور نفسه . أما يوحنا كوركواز ـ الحفيد ـ فقد ارتفع شأنه مع اعتلاء رومانوس ليكابينوس العرش ؛ حيث تم تعيينه قائدا عاما للقوات البيزنطية فى الشرق عام ٩٢٣م ، وظل يخدم فى هذا المنصب بكفاءة طوال اثنتين وعشرين سنة ، قضى معظمها فى الحرب مع المسلمين ، كما تمكن خلالها من جذب المزيد من أخوانه الأرمن تحت قيادته ليخدموا فى جيش الإمبراطورية البيزنطية . لكن أقيل يوحنا كوركواز من منصبه عام ٩٤٤م ، وحل محله أرمنى آخر هو البطريق بانثريوس Pantherios ، أحد أقارب رومانوس ليكابينوس . ومع ذلك ظل أحفاد يوحنا كوركواز يلعبون دورا بارزا فى الحياة العسكرية والسياسية للدولة البيزنطية طوال القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين. وما يمكن أن يذكر هنا للأرمن هو أننا لن نبالغ إذا قلنا ، إنه يوم أن كان رومانوس ليكابينوس قابعا على عرش الإمبراطورية ، وابنه ثيوفيلاكت متربعا على رئاسة الكنيسة ، ويوحنا كوركواز قائدا أعلى للجيوش، كانت الإمبراطورية بأكملها فى أيد أرمينية (٦٩) .

خلاصة القول، شكل الأرمن عنصرا رئيسا من العناصر التى اعتمد البيزنطيون عليها فى جيوشهم إبان فترة العصر البيزنطى الأوسط ، واستطاعوا من خلال الجيش أن يلعبوا دورا كبيرا فى الحياة السياسية ، بيد أن الشىء الذى يلفت النظر ، هو أن الاعتماد على الأرمن كان سلاحا ذا حدين . ففى الوقت الذى كان فيه الأرمن جنودا مهرة وقفوا إلى جوار البيزنطيين فى الذود عن إمبراطوريتهم الشاسعة وأثبتوا كفاءة عسكرية كبيرة ، كانوا أيضا غير نظاميين وخونة. وهو أمر لم يغفله البيزنطيون ، لكنهم غضوا الطرف عنه لحاجتهم الماسة إليهم .

فمن خلال بعض بنود المرسوم الذى صدر فى عهد الإمبراطور نقفور فوقاس بشأن الجنود الأرمن (٧٠)، يتضح من الوهلة الأولى كيف حاول نقفور فوقاس ، وهو الإمبراطور القوى الحازم، أن يظهر تسامحه تجاه عدم انتظام الجنود الأرمن وفوضتهم ، طالما أنهم ظلوا يشكلون الرافد الرئيس لدعم جيوشه الغازية . إلا أن هذا التسامح جلب له سخط شريحة كبيرة من المجتمع البيزنطى ؛ لأن انفلات الجنود الأرمن وعدم جدارتهم بأى ثقة كان لا يخفى على أحد، بل ومضربا للمثل ، لاسيما وأن نقفور فوقاس نفسه سبق أن حذر من انفلاتهم وأعرب عن قلقه من توليهم دوريات حراسة الحدود (٧١) . وهناك حوادث عديدة لأعمال همجية ارتكبها الأرمن خلال بعض حملاته العسكرية ، أكدت كلها أن الشكاوى من انفلات الأرمن لم تأت من

فراغ . ففى عام ٣٥١هـ/٩٦٢م وعقب استيلاء نقفور فوقاس على عين زربى Anazarba ، وإعطائه الأمان لمن يرغب من أهلها الرحيل عنها بسلام ، قام أحد الجنود الأرمن بالاعتداء على إحدى النساء المسلمات ، مما أثار حفيظة المسلمين وانتقموا منهم . فأغضب ذلك نقفور فوقاس وثار هو الآخر للأرمن ، بقتل حوالى أربعمائة من المسلمين . حدثت اعتداءات للأرمن مرة أخرى عند طرسوس عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م ، لكن فى هذه المرة أوقع نقفور فوقاس بالجنود الأرمن – الذين خالفوا أوامره واعتدوا على أهل طرسوس – أشد العقاب (٧٢) . كما تثبت قبل ذلك أحداث حملة البيزنطيين على كريت عام ٩٤٩م ، مدى افتقار الجنود الأرمن للنظام . وهو أمر ناقشه المؤرخ اليونانى نيقولاس إيكونوميدس Oikonomedès,N عند سرده لأعداد القوات التى شاركت فى هذه الحملة ، ومن بينها قوة أرمينية ساهم بها ثغر Charpezikion الأرمنى (٧٣) .

كان من أشد مساوئ الأرمن ـ فى نظر البيزنطيين ـ أنهم خونة ؛ فهم كانوا دائما على استعداد للبقاء طالما أن الأمور تسير وفق رغبتهم ، والانقلاب أيضا على البيزنطيين إذا سارت الأمور على غير مصالحهم . ولعل هذا يفسر سبب كره البيزنطيين لهم ، فهم حلفاء خونة ، يميلون دائما للتحريض وإثارة الفتن والثورات داخل الإمبراطورية بسبب نزعتهم القومية ومآربهم الشخصية ، فبالإضافة إلى ما ذكر عن تورطهم فى المؤامرات والفتن خلال القرون من السابع حتى التاسع ، وقفوا فى القرن العاشر الميلادى إلى جوار الأرمنى برداس سكليروس فى ثورته الأولى (٩٧٦–٩٨٠م) ضد الإمبراطور باسيل الثانى Basil II ـ (٩٧٦ـ١٠٢٥م) وقدموا له الدعم اللازم ، حتى أعتبر البعض أن تمرد برداس سكليروس كان تمردا قوميا أرمينيا . ولذلك كان الثمن الذى دفعه الأرمن غاليا ، فعندما هزمت قوات باسيل الثانى فيالق سكليروس ، قام بذبح كل الأسرى الأرمن دون شفقة لأنهم كانوا المحرك الأول لهذه الثورة (٧٤) . ومع ذلك يبدو أن هذا العقاب لم يكن رادعا لهم ، فهناك ما لا يقل عن ٢٥ حالة قام فيها الأرمن بتحريض ودعم حركات العصيان فى الإمبراطورية البيزنطية بين عامى ٩٧٦ ـ١٠٢٣م فقط (٧٥).

أخيرا ، ما الذى يمكن أن نخرج به من هذه الدراسة ؟

أولا : إن أعداد الوافدين الأرمن إلى الإمبراطورية البيزنطية ، سواء أكانوا مهاجرين أم لاجئين، كانت كبيرة. لكنها كانت مرهونة ـ فى الوقت ذاته ـ بالسيادة البيزنطية على أرمينية، بمعنى أنها كانت تزداد فى الفترات التى كانت تخضع فيه أرمينية للدولة البيزنطية، والعكس صحيح .

ثانيا : احتل الأرمن المركز الأول بين العناصر الأجنبية التى اعتمدت عليها الدولة البيزنطية فى إعداد وتجهيز جيوشها الجرارة ، مما أعطاهم الفرصة لتحقيق طموحاتهم فى الجيش وفى الحياة السياسية بالدولة البيزنطية ، لفترة ناهزت أربعة قرون .

ثالثا : كان الأرمن متقلبين فى ولائهم للدولة البيزنطية ، وإن هذا الأمر كان ممقوتا من جانب البيزنطيين واستنكروه عليهم ، لكن من وجهة نظر الأرمن ، كان ذلك نوعا من حفظ الذات والإبقاء على الهوية ، وسط مجتمع حاول تذويبهم واستيعابهم بشتى الوسائل . ولذلك لم يسهم الاتصال الوثيق بين البيزنطيين والأرمن فى إزالة العداء الكامن بينهم ، وبناء عليه، لن نبالغ إذا قلنا إن الأرمن كانوا معول هدم مثلما كانوا أداة بناء فى الدولة البيزنطية.

الهوامش

١ – انظر على سبيل المثال :

Theophanes ., The Chronicle Theophanes confessor ,Byzantine and Near Eastern History ,A 284-813, trans with Introduction and Commentary by Mango ,C and Scott,R,with the assistance of Greatrex G,(Oxford,1997)pp.45,100,159,180.

تجدر الإشارة إلى أن الباحث اتبع فى حواشى هذه الدراسة نظام المختصرات الذى ورد بشأنه دليل تم نشره فى دورية

٢– Dumbarton Oaks Papers,26(1972) pp.362 -365,27(1973)pp .329-339.

Browning,R., "The Continuity of Hellenism in The Byzantine world: Appearance or reality ? In History, language an literacy in the Byzantine Word,(London ,1989),p .120 ; Lopez,R., Foreigners in Byzantium and the world around it : Economic and Institutional Relations ,XIV(London,1978),p342 ;Charanis,P.,Observations on the demography of the Byzantine Empire In13th International Congress of Byzantine Studies (Oxford,1966)p.19.

٣- عاش جنسيوس فى القرن العاشر الميلادى وألف بإيعاز من الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس Constantine VII Porphyergenitus ، كتابا يحمل عنوان Historia de rebus Constantinoplitonis ، غطى فيه أحداث الفترة بين عامى ٨١٣، ٨٨٦م، واعتمد فيه على بعض شهود العيان من أقاربه العاملين فى البلاط الإمبراطورى، كما أتيحت له فرصة الاطلاع على بعض الكتب الهامة والمخطوطات بالقصر الإمبراطورى، انظر :

Nicol., Abiographical Dictionary of the Byzantine Empire (London, 1991), P.42.

انظر أيضا: محمد عثمان: ثورة توماس الصقلبى فى الإمبراطورية البيزنطية(٨٢١–٨٢٣م/٢٠٥–٢٠٧هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة طنطا (١٩٩٢م)، ١٥؛ طارق منصور : قطوف الفكر البيزنطى، ج١، الأدب (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ص١٧–١٨.

٤– Genesius.,Historia,CSHB ed Niebuhrii,B(Bonn,1834),p.33.

توماس سلافى الأصل ، وكان أعرجا بساق واحدة مهذب الأخلاق ، نجح فى استمالة القلوب إليه . وكانت ثورته ذات طابع دينى وسياسى واجتماعى ، وهدف من ورائها الاستيلاء على القسطنطينية واعتلاء عرشها، انظر : هانئ البشير: «تطور البحرية البيزنطية ونشاطها العسكرى خلال القرنين الثامن والعاشر للميلاد»، مجلة التاريخ والمستقبل ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ـ جامعة المنيا (يوليو ٢٠٠٣م) ص١٨٦ حاشية رقم ٢. ولمزيد من التفاصيل ، انظر: محمد عثمان : ثورة توماس الصقلبى .

٥– Charanis., The Armenians in the Byzantine Empire, (Lasbon, 1963), pp 12,21: observations. pp 17,19

٦ – فايز اسكندر:الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١-٤٠هـ/٦٣٢-٦٦١م) (الإسكندرية ١٩٨٣م) ج ١، ص٩٦ ، حاشية رقم ١٤٦.

٧- نورمان بينز : الإمبراطورية البيزنطية ، تعريب / حسين مؤنس ، محمود يوسف زايد (القاهرة، ١٩٥٠م) ص٤٥ .

بموجب الاتفاق على تقسيم أرمينية ، كانت أرمينية الشرقية ـ وعاصمتها ديسوند ـ من نصيب الفرس، أما أرمينية الغربية ـ وعاصمتها ثيودوسيوبوليس Theodosiopolis ـ فكانت من نصيب البيزنطيين، انظر: عاطف مرقص بطرس: «الأرمن وعلاقاتهم بالبيزنطيين والمسلمين، ١٠٧١-١١٧١م/٤٦٣-٥٦٧ هـ»، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية الآداب ـ جامعة عين شمس، ١٩٨٦م ، ص١٢٨.

٨- وسام فرج: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ٣٢٤- ١٠٢٥م ، ج١، (الإسكندرية ، ١٩٨٢)، ص ١٠٠ ؛ عاطف مرقص : الأرمن ، ص ١٢٨-١٢٩، ١٣١ .

٩- Procopius.,De Bello Gotthico I1 ,pp.410,494,636;Charanis.,Ethnic,p.31,note no.47

١٠- Baynes,N., “The Sucessors of Justinian” in CMH, Vol.II, ed Bury (Cambridge,1980), p.283

كان الجيش البيزنطي يتألف ـ فى جانب منه ـ من سكان الإمبراطورية، ويعتبر هذا العنصر الوطنى جند الدولة وعدتها . لكن إلى جانب هذا العنصر، استخدمت الحكومة الإمبراطورية الجند المرتزقة، وبفضل ما اشتهر به الإمبراطور من البذل والسخاء، هرعت إلى القسطنطينية جموع كثيرة من الأجانب، فصار فى الجيش البيزنطى جنود أجانب من أصول مختلفة، وارتفع شأن عدد كبير منهم، حيث تولوا الكثير من المناصب العسكرية العالية. انظر: السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ٣٨٤-٣٨٥.

١١- Ostrogorsky, G.,History of the Byzantine State,Eng. trans., by Hussey.J (oxford ,1956) , pp.73,79; Charanis,P., Ethnic Changes in the Byzantine Empire in the Seven Century» DOP,(Cambridge,1957),p.32.

انظر أيضا : وفاء عبد الحميد محمد : الإمبراطور موريس ٥٨٢ – ٦٠٢م ، أحوال الإمبراطورية البيزنطية في عهده ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، (كلية الآداب – جامعة عين شمس، ١٩٨٨م) ٩٥ ،١٠٣؛ وسام فرج: دراسات ، ١٠٠؛ السيد الباز العرينى : الدولة ، ٩١- ٩٢

١٢- Sébeôs., Histoire d’Heraclius , traduite de l’Armenien et annotée par Frédéric Marcler (paris, 1904)pp.30-31; Charanis., The Armenians,pp.14-15.

انظر أيضا : عاطف مرقص : الأرمن ، ص١٣٢؛ وفاء عبد الحميد : موريس ، ص ١٨٢ .

١٣- Sébeôs.,Heraclius,pp.35,54-55;F.E. Shlosser.,The Reign of the Emperor Maurikios(582 - 602),(Athens,1994),p.116; Charanis.,Ethnic,pp.32-33;The Armenians, p.15.

انظر أيضا : وفاء عبد الحميد : موريس ، ص ١٠٤-١٠٦.

يرى البعض أن الإمبراطور فوقاس نوَّفًّ ، ربما يكون هو الذى أصدر الأمر بنقل ثلاثين الف من الأرمن إلى تراقيا، انظر: .Shlosser., Maurikios,p.116,note no.114

١٤- رنسمان : الحضارة البيزنطية ، ترجمه/ عبد العزيز توفيق جاويد ،وراجعه / زكى على، (القاهرة ، ١٩٩٤م) ص ٢١٦ ، ٣٥٣.

١٥- كلمة ثيم Theme (Θεμα) اليونانية تقابل فى المصادر العربية تعبير جند/بند، وكانت تعنى فى الأصل قسما من الجند أو فرقة من الجيش تقيم فى إقليم ما، ثم تطورت بمرور الوقت وأصبحت تطلق على المجموعة الحربية والإقليم الذى تتمركز فيه. ونظام الثيمات بهذا الشكل، هو نظام دفاعي بحت ، وضع أساسه الإمبراطور هرقل، حينما سعى لإنقاذ البقية الباقية من إمبراطوريته فى آسيا الصغرى. ثم سار خلفائه على نهجه فى سياسته الدفاعية وتوسعوا فى إنشاء الثغور المختلفة، حتى سار فى الإمبراطورية البيزنطية مع نهاية عهد أسرته حوالى ست ثغور فى مناطق مختلفة: ثلاث منها فى آسيا الصغرى واثنان فى البلقان وواحد فى البحر ، وكانت كلها من أجل الدفاع والوقوف فى مواجهة الأعداء، انظر:

هانئ البشير : الدولة البيزنطية، ٦٤١-٧١١م (القاهرة ٢٠٠٢م) ص ٤٦ حاشية رقم ١.

١٦- ConstantinusPorferogenitus.,De Thematibus,ed., Pertusi,(Vatican,1952),p.117; Charanis., TheArmenians,p.19.

كان ثغر الأرمنياق يضم ستة أقاليم هى:إقليم قبادوقيا الأول فقلكى ة ،إقليم قبادوقيا الثانى Cappadocia II، إقليم أرمينية الأول Armenia I، إقليم أرمينية الثانى Armenia II، إقليم Pontus Polemoniakos، إقليم . Elenopontos وهو بهذا الشكل على هيئة مثلث اثنان من زواياه على البحر الأسود، واحدة عند سينوب Sinope، والأخرى قرب شرق ترابيزون Trabizond، أما الثالثة فتقع إلى الجنوب من الطوانة Tyana تقريبا، انظر :

Diehl,Ch., "L' Origine du regime des Themes dans L' Empire Byzantin," dans Etudes Byzantines (Paris,1915),p.278; A., Stratos.,Byzantium in the Seventh Century, I(602-634) translated by Marc Ogilvie-Grant,I(Amsterdam,1968),p.278;Charanis.,The Armenians,p.19.

انظر أيضا : ليلى عبد الجواد إسماعيل: الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، (القاهرة ، ١٩٨٥م)، ص ١١٧-١١٨: طارق منصور محمد: الجيش فى الإمبراطورية البيزنطية، من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادى، رسالة ماجستير لم تنشر بعد،(كلية الآداب ببنها ١٩٩٣م) ص ٢٣٧ .

لمزيد من التفاصيل عن الخلافات حول تاريخ نشأة ثغر الأرمنياق، انظر :

Charanis., The Armenians,p.19

انظر أيضا : ليلى عبد الجواد : هرقل ، ص ١١٥-١١٦ ؛ طارق منصور: الجيش ، ص ٢٣٦.

١٧- Chronicon Paschale ., 283 - 628AD , translated with notes and introduction by Michael Whitby and Mary Whitby,(Cambridge,1989.),p.178,Charanis.,The Armenians,p.02.

انظر أيضا : ليلى عبد الجواد : هرقل ، ص١١٨.

١٨- Theophanes., The Chronicle, .P 470; Charanis., Ethnic,p.34.

١٩ - فايز اسكندر: المسلمون والبيزنطيون والأرمن، فى ضوء كتابات المؤرخ الأرمنى المعاصر «سبيوس» (١١-٤٠هـ/ ٦٣٢-٦٦١م) صفحة مشرفة من تاريخ الفتوحات الإسلامية (صنعاء ، ١٩٩٣م)، ص٢٥.

٢٠- Sébeôs.,Heraclius,pp.93-94; Nikephoros Patriarch of Constantinople., Short History, Text, trans,and Commentary By Cyril Mango , (Washington,1990), p.73; Charanis., The Armenians,p21.

انظر أيضا : ليلى عبد الجواد : هرقل ، ص ٤١٦.

انفرد البطريرك نقفور بين المصادر البيزنطية بذكر هذه المؤامرة ، انظر :

Nikephoros., Short History,P.73.

أما المؤرخ الأرمنى سبيوس فقد اشتملت روايته على عدد من نبلاء الأرمن ، انظر :
Sébeôs., Heraclius,pp.93-94

٢١- Sébeôs ,Heraclius,pp.103 - 104; Theophanes.,The Chronicle,pp.475-476;Kaegi, "The Byzantine Armies and Iconoclasm" BS,27(Prague,1966),p.50.

انظر أيضا : فايز اسكندر : المسلمون والبيزنطيون، ص ٣٤حاشية رقم ٦٠؛ هانى البشير: الدولة ، ص ٧١حاشية رقم ٣ ؛ طارق منصور : الجيش، ص ٢٣٨.

والاستراتيجوس هو الرئيس الأعلى للثغر من الناحيتين الإدارية والعسكرية،وكان بمثابة نائب الإمبراطور فى ثغره، وكانت فترة حكمه تتراوح بين ثلاث وأربع سنوات ، انظر: هانى البشير : البحرية، ص ١٥٢، حاشية رقم ٢.

٢٢- Theophanes.,The Chronicle,p.491; Zonaras, Epitomae Historiarum Libri, CSHB, (Bonn, 1897), T.III.p .222; Cedrenus., Compendium Historiarum,I, CSHB (Bonn,1897), pp.764 -764; Duchesne., Le Libre Pontificalis ,1 (Paris,1955) ,p.346; 395-867 328; Charanis., Ethnic,p.34.

٢٣- Theophanes., The Chronicle, pp. 575,578; Nikephoros., Short History, P.133; Charanis, Ethnic, pp.34-35.

انظر أيضا : السيد الباز العرينى : الدولة ، ص ١٨٣-١٨٤ .

ولمزيد من التفاصيل عن ثورة أرتفاسدوس ، انظر : وديع عبد الله : العلاقات السياسية بين

بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى (٧٤١-٨٢٠م/١٢٤-٢٠٥هـ) ، (الإسكندرية ، ١٩٩٠م) ، ص ١٢٧-١٣١ .

٢٤- Theophanes ., The Chronicle,p.594.

انظر أيضا : وديع عبد الله: العلاقات ، ص ١٥٠ .

ولمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة ، انظر : وديع عبد الله : العلاقات ، ص ١٤٩-١٥٠ .

٢٥- وديع عبد الله : العلاقات ، ص ١٧٦حاشية رقم ٤ .

ولمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة ، انظر : وديع عبد الله : العلاقات ، ص ١٧٦-١٧٨ .

٢٦- Gevond .,Histoire des guerres et des conquêtes des Arabes en Arménie ,tr.from Armenian by G.V.Chahnazarian(Paris,1856),pp.150,153;Theophanes.,The Chronicle,p.623; Adontez.,L' Âge et L' Origine d' Empereur Basile I' dans Etudes Armeno -Byzantines, (Lisbonne,1965)p.91; Charanis., Ethnic,p.35.

انظر أيضا : وديع عبد الله : العلاقات ، ص ١٧٦حاشية رقم ٤ .

ثغر البقلار من الثغور البرية ، وهناك خلافات بين المؤرخين حول تاريخ نشأته ، يرى بعضهم أنه أنشأ فى عهد الإمبراطور ليو الثالث ، فى حين يرى بعضهم الآخر أنه أنشأ فى عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس ، وكان هذا الثغر يشكل جزءا من ثغر الأوبسيق قبل أن يصبح ثغرا مستقلا ، وكان قائده يحمل لقب ستراتيجوس Strategos ، انظر :

Theophanes .,The Chronicle ,p.608;Taktikon Uspenskij(842-843 A.D.,Texte,Trad & com , par N.Oikonomidès , dans : les listes des préséance Byzantines des IX - X Siécles, (Paris, 1972)p. 48; Ostrogorsky., State, p.140.

ولمزيد من التفاصيل ، انظر : طارق منصور : الجيش ، ص٢٤٨-٢٥١ .

٢٧- المقصود بناخارارات الأرمن هم الطبقة الأرستقراطية القوية ، انظر : وديع عبد الله: العلاقات ، ص ١٧٦حاشية رقم ٤ .

٢٨- Theophanes .,The Chronicle , p.623; Adontez.,Basile I,p.92;Charanis.,Ethenic,p.35.

انظر أيضا: وديع عبد الله: العلاقات ، ص ١٧٦؛ طارق منصور: الجيش ، ص ٢٣٥حاشية رقم١ .

تعنى كلمة Anatoli الشرق ، وثغر الأناضول من الثغور البرية الشرقية ، وقد شغل موقعا متوسطا من آسيا الصغرى . أنشأه الإمبراطور هرقل لمواجهة الضغط العسكرى العربى ، وهو أكبر أعمال الروم وفيه مدينة عمورية وعدد بروجها أربعة وأربعون برجا ، وتنتهى حدوده عند الأوبسيق فى الغرب وسلوقية من الجنوب وقبادوقيا من الشرق والبقلار من الشمال ، وعدد جنوده نحو خمسة عشر ألف رجل . وقد ظل قائد ثغر الأناضول - القائد الأول فى الدولة - هو القائد العام بآسيا الصغرى حتى القرن التاسع الميلادى ، بل لقد كان حتى القرن العاشر الميلادى نفسه ذا مكانة سامية فوق المعتاد فى سلك الموظفين ، انظر :

ابن خرداذبة: المسالك والممالك ويليه ـ نبذة من كتاب الخراج، لأبى الفرج قدامة بن جعفر، (بغداد، د ـ ت)، ص ١٠٧؛ قدامة بن جعفر: نبذة من كتاب الخراج، ملحق من كتاب المسالك لابن خرداذبة (بغداد، د ت)، ص٢٥٨؛ رنسمان: الحضارة، ص ١٦٤؛ طارق منصور: الجيش، ص٢٣٢ـ٢٣٣، انظر أيضا :
Vasiliev.,A History of the Byzantine Empire, 324 -1453, (Madison,1952),p.228; Bréhier., Les Institutions de L' Empire Byzantin, (Paris, I949),p.349.

ولمزيد من التفاصيل ، انظر : طارق منصور : الجيش ، ص٢٣١ـ٢٣٥.

٢٩– وديع عبد الله : العلاقات ، ص٢١٩.

ولمعرفة الخلافات بين المؤرخين حول أسباب فرار أنزيفاتزيك إلى العباسيين ، انظر : وديع عبد الله: العلاقات، ص ٢٢٦.

٣٠– وديع عبد الله : العلاقات ، ص١٨١حاشية رقم ٤.

ولمزيد من التفاصيل عن حملة عام ٧٧٨م، انظر : وديع عبد الله: العلاقات، ص١٨١–١٨٤.

٣١– Adontez.,Basile I,pp.91-92; Charanis., Ethnic,p.35,note no.79.

٣٢– Theophanes ., The Chronicle , pp.627,643; Charanis., The Armenians,p.22.

لمعرفة تفاصيل الحملة التى شنها قسطنطين السادس ضد البلغار عام ٧٩٢م ، انظر: هانئ البشير: بيزنــطة وبلغاريا (٦٨١– ١٠١٨م)، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٧٥–٧٦.

٣٣– Theophanes.,The Chronicle,pp.605,651,657,659,663,671;Bury.,Ahistory of the Eastern Roman Empire,From the fall of Irene to the accession of Basil I,(London,1912)pp.14,68,72; Charanis., The Armenians,p.22.

٣٤– Charanis., Ethnic,p.36.

٣٥– Theophanes ., The Chronicle , p. 684; Theophanes Continuatus , Ioannes Cameniata, Symeon Magister, Georgius Monchus Continuatus, CSHB ed Bekker. I, (Bonn, 1838)pp. 14-15; Anonymus., Vita Leonis Armeni, PG, edMigne, CVIII, (Paris 1864) Cols, 1014-1015 Zanoras, Historiarum, T.III, P.317.

لمزيد من التفاصيل عن معركة فرسينيكيا ، انظر : هانئ البشير : بلغاريا ،ص ٩٧–٩٩.

٣٦– Charanis.,The Armenians,p.23;Adontz. "Sur L' origine de Leon V,empereur de Byzance" dans,Etudes Armeno-Byzantines(Lisbonne,1965)pp.37-46.

٣٧– Charanis ., The Armenians,p.23 ; Ostrogorsky., State p.195.

٣٨– ميكيلى أمارى : تاريخ مسلمى صقلية، إعداد/ د / محب سعد إبراهيم، ج ١ (فلورنسا، ٢٠٠٣م) ص٣٤٩؛ فازيلييف: العرب والروم ترجمة د/ محمد عبد الهادى شعيرة، مراجعة د/ فؤاد حسين على. (القاهرة، د – ت)، ص ١١٦.

٣٩- Symeon Magister ac Logothete ,Symeon Continuatus , In : Theophanes Continuatus ,CSHB, ed, Bekker.I, (Bonn,1838), p.630; Theophanes Continuatus.,pp.107-109;

انظر أيضا : فازيلييف : العرب ، ص ١٢٢-١٢٣ , ١٣٠.

٤٠- Georgius Monachus Continuatus in Theophanes Continuatus' CSHB' ed BekkerI, (Bonn,1838), p.815; Charanis ., The Armenians,pp.23-24; Adontez.,Basile I ,p. 65.

انظر أيضا : هانئ البشير : بلغاريا ، ص ١١٨ حاشية رقم ٢ .

٤١- Charanis., The Armenians, pp.24. ;Bury., Eastern, P.271.

٤٢- Theophanes Continuatus.,p.57; Charanis ., The Armenians,pp.24-25.

٤٣- Bury.,Eastern,pp.27,46,81,144,149,155,258; Charanis., The Armenians,p.25.

٤٤- Georgius Monachus,p.835; Charanis ., The Armenians,p.25.

٤٥- Adontz., Basile I, pp.58-59; Charanis., The Armenians, p.25-26

٤٦- عاطف مرقص : الأرمن ، ص ١٣٥؛ وسام فرج : دراسات ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٢.

٤٧- Adontz., Basile I,p.80; Nicol.,Byzantine,p.16; Charanis , The Armenians,p.24.

انظر أيضا : السيد الباز العريني : الدولة ، ص٢٨١؛ وسام فرج : دراسات ، ص ٢٥٣.

٤٨- اشتق البيالصة أسمهم من الصيغة اليونانية المشتقة هى الأخرى من الاسم بوليانى Pauliani أى بولص حنا ، وهى صيغة أرمينية الأصل. وينحدر البيالصة من المانيين Manichaeans - أى أتباع مانى - وشكلوا إحدى الجماعات التى خالفت أفكارها ومعتقداتها الدينية صميم العقيدة الأرثوذكسية ، كما أنهم الجماعة الوحيدة التى شذت عن غيرها - من الجماعات المارقة فى آسيا الصغرى باستخدامها السلاح لنشر أفكارها والدفاع عنها . ويعتبر الكتاب الذى كتبه بطرس الصقلى Petrus Siculus ويحمل عنوان: Historia Manichaeorum qui et Pauliciani dicuntur أى «تاريخ المانيين المدعوين بالبيالصة» لدحض أفكارهم ومعتقداتهم ، هو المصدر الرئيس لتاريخ البيالصة ، وتم نشره فى مجموعة الآباء اليونانيين Patrologia graeca ثم قامت مؤخرا المؤرخة الفرنسية جويلار بترجمته إلى اللغة الفرنسية ، انظر :

Petrus Siculus, Historia, PG.104 (Paris , 1864) cols.1240-1349; Pierre de Sicile ,Histoire des Pauliciens , trad par Gouillard.J, TM,4(Paris,1970) pp.3-67.

انظر أيضا: هانئ البشير: البيالصة فى آسيا الصغرى فى ضوء مصنف بطرس الصقلى، مجلة المؤرخ المصرى، (كلية الآداب - جامعة القاهرة العدد الرابع والعشرون يناير ٢٠٠١م) ص٤٧، ٧٠.

٤٩- Vita Basilli,pp.290-291; Cedrenus., Historiarum, II, pp.209 -210; Runciman., Le Manichéisme Medieval, L'Heresie Dualiste dans le Christianisme, trad par Petrement S., Marty.J, (Paris, 1949) pp44-45.

هانئ البشير : البيالصة ، ص٦٥-٦٦.

٥٠- Cedrenus .,Historiarum, II,p.206 ; Ramsay, The Historical Geography of Asia (Amesterdam,1962) ,p.342; Runciman., Manichéisme,p.45; Charanis.,TheArmenians,p.28.

انظر أيضا : هانئ البشير : البيالصة ،ص ٦٦.

٥١- عاطف مرقص : الأرمن ، ص ١٣٦.

٥٢- Ostrogorsky., State,p.215.

انظر أيضا: وسام فرج: الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس «٨٨٦ - ٩١٢م» الأبعاد الدينية والدلالة السياسية، (الإسكندرية، ١٩٩١ م)، ص ٣٦، ٤٥ حاشية رقم ١٣؛ هانئ البشير : بلغاريا، ١٢٦ حاشية رقم ٣.

كان الزواج من زوى زاوتزس هو الزواج الثانى للإمبراطور ليو السادس، وذلك بعدما ماتت زوجته الأولى ثيوفانو Theophano، ثم تزوج بعد ذلك للمرة الثالثة من إيودوكيا بايانا Eudocia Baiana بعدما توفت زوى زاوتزس عام ٩٠٠م . ولما توفت إيودوكيا بايانا عام ٩٠١م، تزوج للمرة الرابعة من محظية له هى زوى الثانية، مع أن عدد مرات الزواج المسموح بها بسبب الطلاق أو الوفاة محدد بثلاث مرات فقط، أما الزواج الرابع فكان محرما تماما. انظر:

Oikonomidès.,Leo VI's Legislation of 907 Forbidding Fourth Marriag:An Interpolation in the Procheiros Nomos (IV, 25- 27) « DOP ,30(Cambridge - Mass,1976), pp.174 - 193.

انظر أيضا: وسام فرج : الزواج الرابع ، ص٣٣-٥٢.

٥٣- Leo Grammaticus.,Chronographia ,CSHB ed. ,Niebuhrii. F(Bonn,1842),pp. 266-267 ; Bréhier.,Le Mond Byzantin ,Vie et Mort de Byzance, (Paris,1969),pp.128-129.

انظر أيضا : هانئ البشير : بلغاريا، ص ١٢٦.

ولمزيد من التفاصيل ، انظر :هانئ البشير: بلغاريا، ص ١٢٦-١٢٨.

٥٤- قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق د/محمود سعيد عمران، (بيروت، ١٩٨٠م) ،ص ١٩٠-١٩١ ، انظر أيضا :

Constantine VII Porphyrogenitos, D e Administrando , ed&com by Jenkins and Others, by Jenkins and Others,vol.2, (London,1962),190; Charanis ., The Armenians,p.29.

٥٥- قسطنطين السابع : إدارة ، ص١٩١-١٩٣. انظر أيضا :

Constantine VII Porphyrogenitos , De Administrando ,II,p.191;Runciman.,The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign,(Cambridge,1963),pp.137,139, 141,Charanis ., The Armenians,pp.30-31.

٥٦- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حققه أبى الفداء عبد الله القاضى، ج ٧ ط٢ (بيروت، ١٩٩٥م)، ص ٢٥٠؛ السيد الباز العرينى: الدولة، ص ٣٦٦، ٣٦٨ . انظر أيضا :

Eric McGeer, The Legal Decree of Nikephoros II Phokas Concerning Armenian Stratiotai In Peace and war in Byzantium,Essays in Honor of George T.Dennis,S.J.ed by T.Miller and J.Nesbitt,(Washington,1995),p.134; Charanis ., The Armenians,p.33.

٥٧- Leo Diaconus. ,Historia, CSHB ed Hase.C(Bonn, 1828),p.14; Eric Mcgeer.,Decree,p. 134.

٥٨- ورد حنا تزيمسكس فى المصادر العربية باسم ابن أبى الشمشقيق، وهذا قريب من الصيغة الأرمينية Chemshkik أو Chemshgig التى جعلها البيزنطيون تزيمسكس، انظر :

ابن الأثير: الكامل ج٧، ص٢٨٤، ٢٨٨، ٣٢١؛ السيد الباز العرينى: الدولة، ص٤٥٠، حاشية رقم ٣.

٥٩- Eric McGeer.,Decree,p.134; Charanis ., The Armenians,p.34.

٦٠- Charanis ., The Armenians,pp.34-35,3

٦١- Symeon Magister ac Logothet., P.731; Theophanes Continuatus., p.419; Georgius Monachus Continuatus, p.890; Runciman., Romanus Lecapenus, pp.55, 63; Charanis., The Armenians. 36.

٦٢- Liudprand of Cremona., De Legatione Constantinopolitana in The Works of Liudprand of Cremona., ed,BGG, Coulton and Eileen Power, Eng. Trans,by. F.A.Wright (London,1930), p.274; Runciman., Romanus Lecapenus, p.76; Ostrogorsky, State, p.241; Charanis., The Armenians, p.36.

انظر أيضا : رنسمان : الحضارة ، ص٢١٥؛ السيد الباز العرينى : الدولة ، ٣٤٦.

٦٣- Leo Diaconus., Historia,pp.99,117; Treadgold., A history of the Byzantine State and Society, (California,1997),p.505; Charanis., The Armenians,pp.36-37.

انظر أيضا : السيد الباز العرينى : الدولة، ص٤٥٠.

٦٤- Charanis., The Armenians,pp.37-39.

٦٥- Theophanes, ConTinuatus., pp.401,443; Charanis., The Armenians,pp.40-41.

٦٦- قسطنطين السابع : إدارة ، ص١٥٨ ، انظر أيضا :

Adontz., Les Taronites en Armènie et Byzance dans Armeno-Byzantines (Lisbonne, 1965), p. 202; Theophanes Continuatus., p.358; Charanis., The Armenians, p.42.

٦٧- Symeon Magister ac Logothet., p.701; Leo Grammaticus, Chronographia, p.268; Cedrenus, Historiarum ,II, p.292; Charanis, The Armenians,p.42.

٦٨- Cedrenus., Historiarum ,II,pp.273,280; Charanis., The Armenians,pp.44-45.

٦٩- Theophanes Continuatus., pp. 426,428; Runciman., Romanus Lecapenus, pp.135- 150; Vasiliev, A History, p306; Charanis, The Armenians, p.40.

انظر أيضا : عاطف مرقص : الأرمن ، ص ١٣٦.

٧٠- نتيجة لهجرة أعداد كبيرة من الأرمن إلى الأراضى البيزنطية، خلال أول عقدين من القرن العاشر الميلادى واستقرارهم بالثغور البيزنطية، وخاصة الأرمنى منها، صار أبناء هؤلاء الأرمن يشكلون فئة كبيرة بالجيش البيزنطى، مما أوجب على القيادة البيزنطية سن المراسم والقوانين التى تنظم شئونهم. وكان من بين هذه المراسم، مرسوما أصدره الإمبراطور نقفور فوقاس، كان هدفه إيضاح مسألتين أساسيتين: الأولى، العقوبات والقيود المفروضة على الجنود الأرمن؛ كى تقوى لدى هؤلاء الجنود الحياة العسكرية التى وهنت. والثانية، إمكانية نقل الإقطاع العسكرى الخاص بالقاتل، إلى أسرة القتيل عوضا لها عن الضحية. واشتمل هذا المرسوم على عدد من البنود التى توضح هاتين المسألتين، وقد قام مؤخرا ىك حكامه بترجمة هذا المرسوم إلى الإنجليزية ونشر بعض بنوده وعلق عليها، انظر :

Eric McGeer.,Decree,pp.123-137.

٧١ - Eric McGeer.,Decree,pp.132,135.

٧٢- ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، ص ٢٧٣.

انظر أيضا : Eric McGeer.,Decree,p.135.

٧٣- Oikonomedès., L' Organisation de la frontier Orientale de Byance aux Xe-XIe siècle et le Taktikon de L' Escorial dans Actes du XIVe Congrès International des Etudes Byzantines I (Bucarest,1974) ,pp.29 8-299.

٧٤ - Treadgold., Society , p.517;Eric McGeer.,Decree,p.136;Charanis.,The Armenians pp. 33-34.

انظر أيضا : وسام فرج : الإمبراطور باسيل الثانى «سفاح البلغار» (٩٧٦ - ١٠٢٥ م) ، العوامل التى أثرت على السياسة فى عصره . ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، المجلد الأول (القاهرة، ١٩٨٢ م) ، ص ١٧٣ ؛ السيد الباز العرينى : الدولة ، ص٥٠٣ .

لمعرفة تفاصيل تمرد بارداس سكليروس، انظر :

Psellus., The Chronographia of Michael Psellus ,English Translation by Sewter . E (London, 1953),pp.13-15 .

انظر أيضا : وسام فرج : باسيل الثانى، ص ١٧١-١٨١؛ السيد الباز العرينى: الدولة، ٤٩٩-٥١٢.

٧٥ - Eric Mc Geer, Decree, P.136.

قائمة المصادر والمراجع والمختصرات

أولا : المصادر والمراجع الأجنبية :

Adontz.,Basile I Armeno	N. Adontz., "L' âge et L' origine de lempereur Basile I dans Etudes - Byzantines, (Lisbonne, 1965) PP.47-110.
Adontz.,	N. Adontz.,Sur L'origine de Leon V,empereur de Byzance, dans, Etudes Armeno-Byzantines (Lisbonne, 1965) pp.37-46.
Adontz.,	N. Adontz., Les Taronites en Arménie et ? Byzance dans Armeno-Byzantines(Lisbonne,1965)pp.197-264.
Anonymus., Migne,CVIII,-	Anonymus Incert Auctoris , Vita Leonis Armeni, PG, ed (Paris,1864) ,Cols,1009-1038.
Baynes.,	N. Baynes.,The Sucessors of Justinian,CMH, vol.II,ed Bury (Cambridge,1980) .
Bréhier.,	L.Bréhier.,Les Institutions de LEmpire Byzantin, (Paris, I949).
Bréhier.,	L. Bréhier., Le Mond Byzantin,Vie et Mort de Byzance, (Paris,1969).
Browning.,	R.Browning.,The continuity of Hellenism in the Byzantine world: Appearance or reality? in history, language an literacy in The Byzantine World., . (London, 1989).,
BSL	Byzantinoslavica , (Prague)
Bury., Eastern	J. Bury.,A History of the Eastern Roman Empire , From the Fall of Irene to the accession of Basil 1, (London, 1912).
CMH	Cambridge Medieval History,(Cambridge) .
Cedrenus., Historiarum	G.Cedrenus.,Compendium Historiarum,vol.1, CSHB, (Bonnae,1897).
Charanis., Observations	P. Charanis., Observations on the demography of the Byzantine Empire, In 13th International congress of Byzantine Studies (Oxford,1966) .
Charanis., The Armenians	P.Charanis., The Armenians in the Byzantine Empire, (Lasbon,1963).

Charanis., Ethnic	P. Charanis., Ethnic Changes in the Byzantine Empire in the Seven Century, Dop. (Cambridge,1957) .
Chronicon Paschale.,	Chronicon Paschale ., 283 - 628AD, translated with notes and introduction by Michael Whitby and Mary Whitby,Cambridge,1989.
ConstantineVII Porph.,	Constantine VII Porphyrogenitus., De Thematibus, ed, Pertusi,(Vatican,1952)
ConstantineVIIPorph., De Administrando II	ConstantineVII Porphyrogenitus.,Constantine VII Porphyrogenitos ,De Administrando Imperio ,ed&com by Jenkins and Others, vol.2, London, 1962.
CMH	Cambridge Medieval History,(Cambridge) .
CSHB	Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae,(Bonn, 1838),ff.
Duchesne.,	Duchesne.,Le Libre Pontificalis,vol.1,(Paris,1955) .
Dop	Dumbarton Oaks Papers .
Eric McGeer.,	DecreeEric McGgeer., The Legal Decree of Nikephoros II Phokas Concerning Armenian Stratiotai In Peace and war in Byzantium,Essays in Honor of George T.Dennis,S.J.ed by T.Miller and J.Nesbitt, (Washington, 1995)pp.123-137.
Genesius.,	Genesius., Historia, CSHB, ed Niebuhrii, B(Bonnae, 1834) .
Georgius Monachus	Georgius Monachus Continuatus in Theophanes Continuatus, CSHB, ed Bekker.I , (Bonn,1838) , pp.761-924 .
Gevond.,	Gevond., Histoire des guerres et des Conquêtes des Arabes en Arménie,tr.from Armenian by G.V.Chahnazarian (Paris,1856),pp
Kaegi.,	W. Kaegi.,The Byzantine Armies and Iconoclasm, BSL, 27 (Prague,1966),pp.48- 70 .
Leo Diaconus.,	Leo Diaconus.,Historia, CSHB, ed, Hase.C (Bonn, Historia 1828),pp.3-178 .
Leo Grammaticus.,	Leo Grammaticus.,Chronographia, CSHB ed Niebuhrii. F (Bonn,1842) .
Liudpran of Cremona	Liudprand of Cremona De Legatione Constantinopolitana, In The Works of Liudpran of Cremona., ed,BGG,Coulton and Eileen Power, Eng. Trans,by. F.A.Wright (London,1930)pp.233-277 .

Lopez.,	R.Lopez.,Foreigners in Byzantium and the world around it: Economic and Institutional Relations ,XIV (London,1978) .
Nicol., Byzantine	D. Nicol.,Abiographical Dictionary of the Byzantine Empire (London ,1991) .
Nikephoros Patriarch	Nikephoros Patriarch., Short history of Constantinople ,Text,trans., and Short history commentary by Cyril Mango, (Washington,1990) .
Oikonomedès.,	N. Oikonomidès., L' Organisation de la Frontier Orientale de Byance aux Xe-XIe siècle et le Taktikon de L' Escorial dans Actes du XIVe Congrès International des Etudes Byzantines I (Bucarest,1974),pp.285-302
Oikonomidès.,	N. Oikonomidès.,« Leo VI's Legislation of 907 Forbidding Fourth Marriage : An Interpolation in the Procheiros Nomos (IV,25- 27) «DOP,30 (Cambridge - Mass,1976) , pp.174 - 193 .
Ostrogorsky., state	G. Ostrogorsky.,History of the Byzantine State,Eng trans by Hussery . J (Oxford,1956) .
PG	Patrologia Graeca,(Paris,Trunholti) .
Procopius., Gotthico	Procopius., De Bello Gotthico,II(Bonn,1833).
Psellus., Translation	M. Psellus.,The Chronographia of Michael Psellus, English by Sewter . E, (London, 1953).
Petrus Siculus.,	Petrus Siculus., Historia, PG.104 (Paris ,1864) cols. 1240-1349.
Pierre de Sicile.,	Pierre de Sicile. , Histoire des Pauliciens , trad par Gouillard J, TM,4 (Paris,1970) pp.3-67.
Ramsay.,	W.Ramsay.,The Historical Geography of Asia Minor. (Amesterdam, 1962) .
Runciman., Manichéisme	S.Runciman.,Le Manichéisme Medieval,L'Heresie Dualiste dans le Christianisme, trad par Petrement. S., Marty.J, (Paris, 1949) .
Runciman., Romanus Lecapenus.	S.Runciman., The Emporer Romanus Lecapenus and his Reign, (Cambridge,1963)
Sébèos.,Heraclius	Sébèos.,Histoire d'Heraclius,Traduite de l,Armenien et annotee par Frederic Macler,(Paris,1904) .

Shlosser.,Maurikios	F.E. Shlosser.,The Reign of the Emperor Maurikios (582 - 602) (Athens,1994) .
Stratos.,	A. Stratos.,Byzantium in the Seventh Century, I (602-634) translated by Marc ogilvie- Grant (Amsterdam, 1968) .
Symeon Magister ac Logothete ,	Symeon Magister ac Logothete , Symeon Continuatus In:Theophanes Continuatus,CSHB ed Bekker.I (Bonn,1838)- pp.603-760.
Taktikon Uspenskij.,	Taktikon.,Uspenskij (842-843A.D.,Texte,Trad & com, par N. Oikonomidès,dans : les Listes des préséance Byzantines des IX-X siécles,(Paris,1972),pp.41-63.
Theophanes., The Chronicle	The Chronicle of Theophanes Confessor , Byzantine and near Eastern History A284-813, trans with Introduction and Commentary by Mango, C and Scott,R,With the assistance of Greatrex.G, Oxford , 1997.
Theophanes Continuatus.,	Theophanes Continuatus.,Ioannes Cameniata,Symeon Magister ,Georgius Monchus Continuatus , CSHB ed Bekker.I, (Bonn,1838), pp.3-481.
TM	Travaux et Memoires .
Treadgold., Society	W. Treadgold.,A History of the Byzantine State and Society, (California,1997) .
Vasiliev.,A history	A.Vasiliev.,A History of the Byzantine Empire, 324 -1453 (Madison,1952).
Vita Basilli	Constantine Porphyrogenitus.,Historia de Vita et Rebus Gestis Basilli Inclyti Imperatoris,ed. I.Bekker, In: Theoph Cont, CSHB, (Bonn,1838) ,pp.211-353.
Zonaras., Historiarum	I.Zonaras.,Epitomae Historiarum libri,CSHB,(Bonnae,1897)

ثانيا : المصادر والمراجع العربية والمعربة :

ابن الأثير ، الكامل(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ابو الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى الملقب بعز الدين: الكامل فى التاريخ، حققه أبو الفداء عبد الله القاضى، ١٠ج، ط٢ (بيروت، ١٩٩٥م).

ابن خرداذبة (ت. فى حوالى عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك ويليه ـ نبذة من كتاب الخراج، لأبى الفرج قدامة بن جعفر (ت. ٣٢٠هـ/٩٣٢م)، (بغداد، د ـ ت) .

قسطنطين السابع، إدارة إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق محمود سعيد عمران، (بيروت، ١٩٨٠م) .

قدامة بن جعفر (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) أبو الفرج قدامة بن جعفر: نبذة من كتاب الخراج، ملحق مع كتاب المسالك لابن خرداذبة، بغداد (د. ت).

السيد الباز العريني، الدولة الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م (القاهرة، ١٩٦٠) .

رنسمان، الحضارة الحضارة البيزنطية، ترجمة/عبد العزيز توفيق جاويد، وراجعه/ زكى على (القاهرة، ١٩٩٤) .

طارق منصور محمد الجيش فى الإمبراطورية البيزنطية، من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادي، رسالة ماجستير لم تنشر بعد (كلية الآداب ببنها، ١٩٩٣م).

طارق منصور محمد قطوف الفكر البيزنطى ، ج١، الأدب، القاهرة ٢٠٠٢م .

عاطف مرقص بطرس الأرمن وعلاقاتهم بالبيزنطيين والمسلمين، ١٠٧١-١١٧١م/٤٦٣- ٥٦٧هـ. رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية الآداب - جامعة عين شمس، ١٩٨٦.

فايز اسكندر الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١-٤٠هـ/٦٣٢-٦٦١م) ج١ (الإسكندرية ١٩٨٣م).

فايز اسكندر المسلمون والبيزنطيون والأرمن، في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس (١١-٤٠هـ/٦٣٢-٦٦١م) صفحة مشرفة من تاريخ الفتوحات الإسلامية (صنعاء، ١٩٩٣م).

فازيلييف، أ.أ العرب والروم. ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة، مراجعة فؤاد حسين على. (القاهرة ، د - ت).

ليلي عبد الجواد إسماعيل الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، (القاهرة، ١٩٨٥م).

محمد عثمان — ثورة توماس الصقلبى فى الإمبراطورية البيزنطية (٨٢١-٨٢٣م/ ٢٠٥ -٢٠٧هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة طنطا (١٩٩٢م) .

ميكيلى أمارى — تاريخ مسلمى صقلية، إعداد محب سعد إبراهيم، ج١ (فلورنسا، ٢٠٠٣م) .

نورمان بينز — الإمبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس، محمود يوسف زايد (القاهرة، ١٩٥٠م).

هانى البشير — بيزنطة وبلغاريا ، ٦٨١-١٠١٨م(القاهرة ، ٢٠٠١م) .

هانى البشير — البيالصة فى آسيا الصغرى فى ضوء مصنف بطرس الصقلى، مجلة المؤرخ المصرى، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١م، كلية الآداب - جامعة القاهرة، ص٤٥ - ٨٨.

هانى البشير — الدولة البيزنطية، ٦٤١-٧١١م (القاهرة، ٢٠٠٢م) .

هانى البشير — تطور البحرية البيزنطية ونشاطها العسكري خلال القرنين الثامن والعاشر للميلاد، مجلة التاريخ والمستقبل، قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة المنيا (يوليو ،٢٠٠٣م).

وسام فرج — دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ٣٢٤ - ١٠٢٥م (الإسكندرية، ١٩٨٢).

وسام فرج — الإمبراطور باسيل الثانى «سفاح البلغار» (٩٧٦ - ١٠٢٥ م)، العوامل التى أثرت على السياسة فى عصره. ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، المجلد الأول (دار المعارف)، (القاهرة ، ١٨٨٢ م) ، ص ١٦٨ - ٢٠٢.

وسام فرج — الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس «٨٨٦ - ٩١٢» «الأبعاد الدينية والدلالة السياسية»، (الإسكندرية، ١٩٩١ م).

وديع فتحى عبد الله — العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى (٧٤١ - ٨٢٠ م/١٢٤ - ٢٠٥ هـ)، (الإسكندرية، ١٩٩٠ م) .

وفاء عبد الحميد — «الإمبراطور موريس ٥٨٢ - ٦٠٢م ، أحوال الإمبراطورية البيزنطية في عهده» رسالة ماجستير لم تنشر بعد (كلية الآداب - جامعة عين شمس، ١٩٨٨م).

د. محمد أحمد الشعرى (*)

العلاقة بين إقليم خوارزم والخلافة العباسية

إبان خلافة المقتفى لأمر الله ٥٣٠-٥٥٥ هـ

من خلال رسائل رشيد الدين الوطواط (ت٥٧٣ هـ)

دراسة وثائقية تحليلية مقارنة

المقدمة

هذا بحث يتناول العلاقة بين إقليم خوارزم والخلافة العباسية إبان خلافة الخليفة المقتفى لأمر الله ٥٣٠-٥٥٥ هـ وذلك من خلال رسائل رشيد الدين الوطواط صاحب ديوان الإنشاء فى إقليم خوارزم وأحد المقربين لخوارزم شاه أتسز والى خوارزم آنذاك، وهذا الرسائل تعد من الوثائق التاريخية المهمة التى توضح بجلاء طبيعة العلاقة بين أحد أقاليم الدولة الإسلامية - خوارزم - وبين دار الخلافة العباسية فى بغداد والتى ظلت تحتفظ بقدر من هيبتها .وقد كتبت هذه الرسائل بناء على رغبة أتسز والى خوارزم، وذلك لتوطيد علاقته مع الخلافة العباسية بعد أو وصلت علاقته مع السلاجقة إلى نقطة اللاعودة ثم لإيجاد الشرعية اللازمة لحكم خوارزم مستقلا بها عن سلطان السلاجقة.

*- مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة بجامعة الأزهر.

وينقسم هذا البحث إلى ثلاثة محاور:

الأول: يتناول الأجواء العامة للخلافة العباسية إبان فترة هذه المراسلات والأحداث العامة فى إقليم خوارزم وطبيعة علاقة الإقليم مع السلاجقة التى تميزت فى بداية حكم أتسز ٥٢١ هـ بأنها كانت ودية للغاية ثم دور العداء بين الطرفين الذى يبدأ من سنة ٥٢٩ هـ تقريباً وحتى وفاة أتسز سنة ٥٥١ هـ باستثناء الفترة الأخيرة من حكمه من سنة ٥٤٨-٥٥١ هـ

الثانى: تحدثت فيه عن شخصية كاتب هذه الرسائل والمجالات التى نبغ فيها من خلال أوثق المصادر التى تحدثت عنه ثم أثبت نصوص هذه الرسائل موضحاً بعض كلماتها ثم الدافع من وراء هذه المكاتبات للخليفة العباسى وتحديد الإطار الزمنى التقريبى لهذه المراسلات.

وفى المحور الثالث: تناولت تحليل هذه الرسائل موازنا بين ما جاء فى ثناياها وما ورد فى المصادر التاريخية المعاصرة وخاصة كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى «ت ٦٣٠ هـ» فقد تضمن معلومات وافية حول الوقائع والأحداث التى دارت بين خوارزم والسلاجقة وقد وضح التطابق فى كثير من الأمور بين ما جاء من الرسائل وما اثبته أبن الأثير فى كتابه إضافية الإشارات التى وردت فى بعض المصادر الأخرى ككتاب الحسينى: زبدة التواريخ وقد استعنت أيضاً ببعض الدراسات الحديثة التى تناولت تلك الفترة وتحدثت عن أهم أحداث تاريخ خوارزم وتاريخ السلاجقة حينذاك. ثم خلصت فى النهاية إلى بعض النتائج.

المحور الأول:

الأجواء العامة للخلافة العباسية وإقليم خوارزم إبان فترة المراسلات

- أهم ملامح الخلافة العباسية إبان النصف الأول من القرن السادس الهجرى
- الأوضاع العامة فى إقليم خوارزم

- أهم ملامح الخلافة العباسية إبان النصف الأول من القرن السادس الهجرى:

لعل أهم ما يميز الخلافة العباسية - بصفة عامة - إبان تلك الفترة خضوعها لسلطان السلاجقة منذ أن بسطوا سلطانهم على مركز الخلافة فى سنة ٤٤٧ هـ(١) وعلى الرغم من أن بعض الخلفاء العباسيين قد ضاقوا ذرعاً من أمال السلاجقة وأظهروا هذه الضيق خاصة فى خلافة المسترشد بالله (٥١٣-٥٢٩ هـ) (٢) إلا أن الأوضاع ظلت كما هى، فالسلاجقة عملوا على أن تكون الخلافة اسمية فكل أمور الدولة تقريباً فى أيديهم لأن القوة الفعلية معهم فهم الذين يولون الخليفة ويتحكمون فى ولاية العهد ،ولعل أبرز مثال يوضح تسلط السلاجقة على الخلافة - إبان فترة الدراسة ما قام به السلطان السلجوقى مسعود (٣) عندما اختار للخلافة المقتفى لأمر الله ابن المستظهر (٤) وطلب من الخليفة كتابة محضر يتضمن خلع الراشد ابن أخى الخليفة من الخلافة وولاية العهد(٥).

وزيادة من السلاجقة فى الحرص والسيطرة على الخلفاء اتبعوا سياسة المصاهرة لزيادة أواصر الارتباط بينهم وبين الخلفاء وتأمينا لسيادتهم وهيمنتهم فى ذات الوقت فنجد أن الخليفة المستظهر بالله (ت ٥١٢ هـ) (٦) قد تزوج من خاتون بنت ملكشاه على صداق قدره مائة ألف دينار (٧) أما أخر خلفاء العباسين الذين تزوجوا من السلاجقة فهو الخليفة المقتفى لأمرا لله، فقد تزوج بفاطمة بنت السلطان محمد السلجوقى وذلك فى شهر رجب سنة ٥٣١ هـ وهى أخت السلطان مسعود (٨)، ورغم حرص السلاجقة على مصاهرة الخلفاء العباسيين إلا أن زواج المقتفى لم يحل دون الخلافات والنزاعات بينه وبين السلاجقة، وزاد الأمر سوء إبان خلافة المقتفى ما أقدم عليه مسعود عندما جرد قصر الخليفة مما تحت يده، فأخذ الدواب والأثاث والذهب والستور، ويقال أن مبايعة السلاجقة للمقتفى كانت مشروطة بألا يكون عند الخليفة خيل ولا اله سفر ولما طلب مسعود مزيدا من الأموال إجابه الخليفة أنه لا يمتلك درهما واحداً وأنه - أى مسعود - أخذ جيمع ما فى دار الخلافة بما فى ذلك الأثاث، فمن أين يأتى بالمال؟ وأن الخليفة عاهد الله تعالى إلا يأخذ درهما من الناس ظلما أو بغير حق، وهذا الخبر يوضح إلى أى حد وصل استبداد السلاجقة وتسلطهم على الخلفاء، والتضييق عليهم لكى لا تقوم للخلفاء قائمة، ولا شك فى أن مثل هذه الأحداث قد ساعدت على زيادة الضيق والتبرم، إلا أن الخلفاء غالبا ما كانوا يخضعون لهذا التسلط، نظراً لعدم وجود القوة اللازمة تحت أيديهم إلا أن المقتفى عمل على التخلص من هذا الاستبداد بتكوين

جيش خاص للخلافة(٩)، وهى خطوة مهمة فى طريق الخلافة، ومكنت الخليفة أيضاً فيما بعد من الدفاع عن بغداد.

وبذلك يمكن القول بأن المقتفى قد بدا حركة إصلاحية تهدف لعودة هيبة الخلافة مرة أخرى، وقد نجح فى ذلك إلى حد بعيد خاصة بعدما علم بوفاة مسعود سنة ٥٤٧ هـ والتى كانت وفاته بداية نهاية سيطرة السلاجقة على العراق (١٠)، فسارع الخليفة عندئذ بطرد شحنة بغداد مسعود بلال (١١)، وصادر داره وديار أصحاب السلطان بجميع ما فيها، وعزل رجال السلطان وعين غلمانا من الروم والأرمن وجعلهم أمراء، وسيطر الخليفة على بلاد العراق من أقصى الكوفة إلى طريق خراسان ونواحى حلوان... فسيطر على ما لم يسيطر عليه خليفة عباسى من ذى قبل منذ أن سيطر السلاجقة على السلطة فى الدولة العباسية (١٢)، وهذه الأحداث تعطى صورة واضحة عن طبيعة علاقة الخلفاء بالسلاجقة.

الأوضاع العامة فى إقليم خوارزم :

يرجع نسب الأسرة الخوارزمية إلى عبد تركى يدعى أنوشتكين (١٣)، اشتراه أحد أمراء السلاجقة وعُمل ساقيا للسلطان السلجوقى ملكشاه (١٤) فظهرت منه نجابة وكفاءة فى عمله، فترقى فى المناصب حتى وصل إلى وظيفة «الطشت دار» (١٥) وجريا للعادة فى مكافئة السقاة والحجاب والحراس باقطاعات من الأرض، تم إقطاع انوشتكين إقليم خوارزم (١٦) وظل حاكما مخلصاً للسلاجقة حتى وفاته سنة ٤٩٠ هـ ونظراً لوفائه للسلاجقة عينوا ابنه قطب الدين محمد بن انوشتكين (١٧) على خوارزم وتلقب بلقب خوارزم شاه (١٨) وقام قطب الدين ببذل جهود جليلة فى إدارة شئون الإقليم، وقرب إليه أهل العلم والدين والصلاح ومن ثم عظم شانه، ونال منزله عظيمة عند الخوارزميين وعند سلاطين السلاجقة (١٩)، وعندما آلت سلطنة السلاجقة إلى سنجر (٢٠) «أقره على إقليم خوارزم، وقد أخلص خوارزم شاه للسلطان سنجر فقربه إليه واستمرت ولايته على خوارزم لأكثر من ثلاثين عاماً، لم يخرج فيها عن طاعة السلطان، وعمل على وحدة السلاجقة وترابطهم واستقرار الأوضاع فى إقليم خوارزم أيضاً، مما هيأ له أن يقوم بدور عظيم فى حماية الإقليم من غارات الترك (٢١) وظل على ولائه للسلاجقة حتى وفاته سنة ٥٢١ هـ وعرفاناً بالجميل قام السلطان سنجر بإسناد ولاية إقليم خوارزم إلى ابن خوارزم شاه، علاء الدين أتسز (٢٢)، الذى أظهر كفاءة عالية فى تثبيت دعائم حكم الإقليم ونشر الأمن فى البلاد، ومد ظلال الأمن وأفاض العدل، فقر به السلطان سنجر إليه واعتمد عليه وكان دائماً يستصحبه فى أسفاره وحروبه (٢٣). ويمكن تقسيم طبيعة العلاقة بين السلطان سنجر وأتسز على مرحلتين:

الأولى: سادت فيها الثقة والمودة بين الطرفين ،وأظهر خلالها أتسز إخلاصا كبيراً للسلطان السلجوقى، وزاد هذه العلاقة قوة عندما أخمد أتسز المؤامرة التى تعرض فيها السلطان سنجر للقتل فى ٥٢٤ هـ عندما هجم عليه جماعة من أنصار والى سمرقند محمد أرسلان خان، فقبض أتسز عليهم وأنقذ السلطان من شرهم (٢٤)، وفى هذه الحادثة قد زادت من ثقة السلطان فى أتسز وجعلته يعتمد عليه فى حروبه التى خاضها ضد ابن أخيه مسعود سنة ٥٢٦ هـ (٢٥) وتمتد مرحلة الود هذه من سنة ٥٢١-٥٢٩ هـ .ويبدو أن هذه الثقة الكبيرة كانت نقمة على أتسز إذا أثارت عليه حفائظ بعض رجال الدولة السلجوقية (٢٦)، فعملوا على بث العداوة بين السلطان وبين أتسز وكانت هذه العداوة بداية المرحلة الثانية فى العلاقة بين الطرفين، وتمتد هذه المرحلة من سنة ٥٣٠-٥٥١ هـ - وهى السنة التى مات فيها أتسز وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة العداء الصريح بين الجانبين، فقد قام جماعة من المقربين للسلطان سنجر بالعمل على التفريق والعداوة بين الطرفين، ولما أحس أتسز بتغير السلطان نحوه، عاد إلى خوارزم وأعلن العصيان، وقرر تأسيس دولة مستقلة له فى إقليم خوارزم، وعمل أيضاً على توسيع رقعة دولته على حساب السلاجقة، وهذه الفترة هى التى دارت خلالها المراسلات مع الخلافة العباسية، والتى كان على رأسها الخليفة المقتفى وقد شهدت هذه الفترة معارك طاحنة بين خوارزم شاه أتسز والسلطان السلجوقى.(٢٧)

وانتهت معظم هذه المعارك لصالح السلاجقة، إلا أن أتسز كان يسارع بالاعتذار وإعلان الولاء للسلاجقة، ثم يعود مرة أخرى إلى عصيانه(٢٨)، ورغم أن السلطان سنجر كان يعلم نوايا أتسز إلا أنه كان يؤثر الصلح نظرا لكثرة المعارك التي خاضتها الجيوش السلجوقية مع القوي المحيطة والمجاورة لها (٢٩) وهذه المعارك كانت فى جملتها تصب لمصلحة أتسز الذى ازداد موقفه قوة بعد انتصاره على السلاجقة سنة ٥٤٣ هـ،(٣٠) وكان من نتيجة ذلك أن قام السلطان سنجر بكتابة منشور لعلاء الدين أتسز يتضمن ولايته لخوارزم - معنى ذلك اعتراف السلطان باستقلال الإقليم وخضوعه لأتسز - وسير له الخلع، فبقى أتسز فى ولايته حتى وفاته سنة ٥٥١ هـ (٣١) وفى العام التالى توفى السلطان سنجر لتنتهى هذه العلاقة، إلا أن وفاة سنجر كانت إعلانا لنهاية قوة السلاجقة فى المشرق، فبدا الضعف يدب فى أوصالها، فى الوقت الذى قامت فيه القوى الجديدة المتمثلة فى البيت الخوارزمى لتأخذ دور السلاجقة فاستقلوا بالإقليم وبدأوا فى السيطرة على بعض أملاك السلاجقة حتى تآخمت أملاكهم مع أراضى الدولة العباسية، بل هددوا حاضرة الخلافة العباسية وحاولوا السيطرة عليها ولم ينجحوا فى ذلك وعادوا إلى بلادهم(٣٢).

المحور الثانى:

رسائل رشيد الدين الوطواط إلى الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله

كاتب الرسائل هو محمد بن محمد بن عبدالجليل بن عبدالملك.. بن سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، رشيد الدين المعروف بالوطواط الأديب الكاتب الشاعر صاحب ديوان الإنشاء(٣٣) فى إقليم خوارزم.

من نوادر الزمان وعجائبه، وأفراد الدهر وغرائبه، أفضل زمانه فى النظم والنثر، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب، طار فى الآفاق صيته، وسار فى الأقاليم ذكره كان ينشئ فى حالة واحدة بيتا بالعربية وبيتا بالفارسية من بحر آخر ويمليهما معا (٣٤).

هكذا قال عنه أقرب الرجال عهدا به، وهو ياقوت الحموى ت ٦٢٦ هـ الذى أثنى على الرجل وذكر مقتطفات كثيرة من شعره ورسائله عندما ترجم له، كما أورد ياقوت أيضاً بعض مراسلات «الوطواط» مع فضلاء عصره فى عدة مواطن من كتابه «معجم الأدباء»(٣٥) وقد تفرد ياقوت بذكر ترجمة الوطواط وعنه أخذ السيوطى فى البغية، والحاج خليفة فى كشف الظنون

ولد رشيد الدين فى مدينة بلخ(٣٦)، ما بين سنتى ٤٨٠، ٤٨٧ هـ (٣٧) وبلخ آنذاك من أعظم مدن خراسان إذا امتازت بكثرة مدارسها وجوامعها ومكتباتها التى كانت مقصدا للفضلاء والعلماء (٣٨) وكان رشيد الدين صغير الجسد، ضعيف البنيان، وربما أطلق عليه الوطواط لأجل ذلك، يقول دولتشاه: أنه كان ضئيل الجثة حاد اللسان ولذلك أسموه الوطواط وهو طائر معروف فى الفارسية باسم فرستوك (٣٩،) أما عن نشأة الوطواط العلمية فقد التحق بنظامية بلخ (٤٠) وكان شيخه الإمام أبو سعد الهروى (٤١) الذى أكثر رشيد الوطواط من ذكره، معترفا بفضله، وقد سجل الوطواط ذلك فى إحدى رسائله لشيخه وذكر فيها سوابق أياديه، وجعل نفسه رهنا لحقوق أستاذه ومربيه(٤٢) وبعد أن فرغ الوطواط من تحصيل مرحلته العلمية فى بلخ، وبرغ خلالها فى الإنشاء باللغتين العربية والفارسية رحل إلى خوارزم والتحق بخدمة ملكها «أبو المظفر علاء الدولة أتسز بن قطب الدين محمد خوارزمشاه» وظل إلى أخريات عمره فى خدمة ملوك خوارزم إلى أن ادركته الوفاة سنة ٥٧٣ هـ (٤٣). ولما كان أتسز قد ولى خوارزم بعد أبيه فى سنة ٥٢١ هـ فإن رشيد الدين التحق به فى نفس التاريخ إذ أنه أشار فى أحد قصائدة عندما أقصى لفترة قليلة عن خدمة أتسز سنة ٥٤٨ هـ - أنه أمضى ثلاثين سنة فى خدمته(٤٤).

تولى رشيد الدين رئاسة دار الإنشاء - ديوان الإنشاء - طوال مدة حكم أتسز على خوارزم، باستثناء الفترة التى أقصى فيها، ثم فى فترة أبناء أتسز حتى قبيل وفاته سنة ٥٧٣ هـ، وكان فى نفس الوقت كاتبه الخاص وأكبر كتاب الدولة ومستودع سر أتسز فقد كان صاحبه فى سفره وحضره، وكانت المودة والألفة مؤكدة وثيقة، محكمة الأساس بينه وبين مولاه، وكان

أتسز يحس بكثير من المتعة فى محاورته مع كاتبه ولم يكن يبتعد عنه ساعة من الساعات حتى أنه أمر ببناء قصر له مجاور لقصره فكان يتحدث معه من خلال النوافذ(٤٥).

وقد عاش الوطواط بجور أتسز إبان عهد المودة مع السلاجقة ٥٢١-٥٣٠ هـ وإبان فترة العداء بينهما واستخدم الوطواط بلاغته وأدبه فى الدفاع عن أتسز، وفى رده على السلاجقة(٤٦).

ومن الأمثلة التى تدل على ذلك وتبين إلى أى حد كان الوطواط يستخدم بلاغته وأسلوبه ما دار إبان حصار السلطان السلجوقى سنجر لقلعة هزارسب سنة ٥٤٣ هـ مع أنورى شاعر السلطان (٤٧)، وتدل ردود الوطواط فى هذه المواقف على مدى ما تمتع به من قريحة أدبية، مكنته أن يكون اللسان الناطق والمعبر عن أتسز وإقليم خوارزم.

من أهم المجالات التى برع فيها الوطواط، مراسلاته الأدبية التى تعبر عن طبيعة عصره وهذه المكاتبات كان يرسل بها الوطواط إلى كبار أدباء وعلماء وفضلاء عصره، وذلك فى أسلوب أدبى رفيع، وتعطى رسائل الوطواط مع رجال زمانه صورة واقعية عن طبيعة علاقة العلماء مع بعضهم البعض (٤٨) فمن جملة مراسلاته ما أورده ياقوت الحموى فى إحدى كتاباته لأبى القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشرى (٤٩) وفيها:

لقد حاز جار الله دام جماله فضائل فيها لا يشق غباره

تجدد رسم الفضل بعد اندارسه بآثار جار الله فالله جاره

أنان من لفظتى الأقدار من أوطانى ومعاهد أهلى وجيرانى، إلى هذه الخطة التى هى اليوم بمكان جار الله أدام الله دولته جنة للكرام، وجنة من نكبات الأيام، كانت قصوى منيتى وقصارى بغيتى أن أكون أحد الملازمين لسدته الشريفة، التى هى مخيم السيادة، ومقبل أفواج السادة من القى فيها عصاه حاز فى الدارين مناه، ونال فى المحلين مبتغاه، ولكن سوء التقصير، أو مانع التقدير حرمنى تلك الخدمة وحرم على هذه النعمة، والآن أظن، وظن المؤمن لا يخطئ، أن آفل جدى هم بالإشراق، ودابل إقبالى أقبل على الإيراق، فقد أجد فى نفسى نورا مجددا يهدينى إلى جنته ومن شوقى داعيا موفقا يدعونى إلى حضرته (٥٠).

هذا غير باقى المراسلات المتنوعة إلى علماء زمانه فى بلاد ما وراء النهر ودار الخلافة العباسية وكبار رجال الدولة فيها (٥١).

مؤلفات الوطواط:

ذكر صاحب معجم الأدباء جملة من مصنفات الوطواط نذكر منها: حدائق السحر فى دقائق الشعر - باللغة الفارسية (٥٢) وديوان شعر، وديوان رسائل عربى (٥٣) وديوان رسائل فارسى وكتاب تحفة الصديق من كلام أبى بكر الصديق «رضى الله عنه» وفصل الخطاب من كلام عمر بن الخطاب «رضى الله عنه» وغير ذلك (٥٤) أما المراسلات موضوع هذه الداسة

فجاءت ضمن مكاتبات الوطواط ضمن مجموعة رسائله وقد دارات هذه المكاتبات خلال الفترة الممتدة من سنة ٥٣٩: سنة ٥٥١ هـ وهي تلقى الضوء على طبيعة الأوضاع بين خوارزم والخلافة من ناحية، وتوضح أهم الأحداث التى نشبت بين خوارزم والسلاجقة، وكما أسلفنا فإن الفترة من ٥٣٠ – ٥٥١ هـ تميزت فى مجملها بالعداء المستحكم بين السلاجقة وخوارزم وشهدت المنطقة عدة معارك بين الجانبين وبلغ مجموع الرسائل الموجه إلى الخلافة العباسية خمس رسائل.

ولعل الدافع الأساسى لهذه المراسلات أن أتسز أراد إضفاء الشرعية اللازمة لحكمه من خلال موافقة الخليفة على استقلال الإقليم، فهو قد أعلن العصيان على السلاجقة ولم يكن له قنوات اتصال بالخلافة لأن ولاءه كان للسلطان السلجوقى، فلما تباينت الأهداف أراد أتسز أن يحصن نفسه بموافقة الخليفة على استقلاله، واستغل أتسز ضيق الخلافة من تصرفات بعض سلاطين السلاجقة – والتى نوهنا عن بعضها فيما سبق – فكاتب الخلافة ليجد العون الصادق لتحقيق أهدافه وأهداف الخلافة أيضاً التى سعت للعمل على إضعاف قوى السلاجقة.

على كل حال فهذه المراسلات تلقى الكثير من الضوء على الأحداث التى دارت فى خوارزم آنذاك وتكشف كذلك عن الأحداث التى تعرض لها سلطان السلاجقة والقوى الخارجية التى شاركت فى الأحداث التى دارت هناك.

الدافع وراء هذه الرسائل:

قبل أن نتناول هذه الرسائل بالتحليل من الناحية التاريخية، ينبغى أن نشير بداية إلى الدافع الذى أدى بأتسز لمكاتبة دار الخلافة. فالمعلوم أن العلاقة بين إقليم خوارزم والخلافة العباسية قبل هذه الرسائل، كانت داخلة فى نطاق علاقة السلاجقة بالخلافة، لأن خوارزم إقليم تابع للسلاجقة، تدين بالولاء للسلطان السلجوقى فعلاقتها بهذه الصورة مع الخلافة العباسية كانت نفس علاقة السلاجقة بالخلافة.

أما الدافع وراء هذه الرسائل فيكمن فى المتغيرات التى شهدتها العلاقة بين أتسز، والسلطان السلجوقى سنجر، فقد طرأت عدة متغيرات سلبية بينهما وصلت إلى العداء والاقتتال بين الفريقين ففى سنة ٥٣٣ هـ ذكر ابن الأثير أنه فى شهر محرم من هذه السنة سار السلطان سنجر إلى خوارزم شاه أتسز بن محمد، وسبب ذلك: أن سنجر بلغه أن أتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه، وترك الخدمة له، وأن هذه الأمر قد ظهر على كثير من أصحابه وأمرائه، فأوجب ذلك قصده وأخذ خوارزم شاه أتسز فجمع عساكره وتوجه نحوه.. (٥٥). فمن خلال هذه النص الذى أورده ابن الأثير يظهر أن السبب الرئيسى الذى أدى للقتال بين الجانبين يرجع إلى أن السلطان ساوره الشك نتيجة لما علم – أن أتسز يريد أن يخرج عليه، فأوجب ذلك قتاله، ورغم أن أتسز منذ أن ولى خوارزم سنة ٥٢١ هـ

لم يفكر فى هذا الأمر ، إلا أن غضب السلطان على أتسز ، وسعى الوشاة للسلطان بذلك أدى للقتال.

على كل حال فالقتال الذى دار فى سنة ٥٣٣ هـ قد أنتهى بهزيمة أتسز وفراره فقام سنجر بإقطاع الإقليم إلى غياث الدين شاه ولد أخيه محمد، ورتب له وزيرا، وإتباعا وحاجبا وعاد إلى مرو فى جمادى الآخرة من نفس السنة، فكانت فرصة أتسز لدخول خوارزم وطرد جند السلطان منها - خاصة أن أهالى خوارزم كانوا يكرهون جند السلطان السلجوقى - فعملوا على مساعدة أتسز - وبعد أن ثبت أتسز فى موقعه جرد جيشا وحارب به السلاجقة ودخل خراسان واستباحها وكان ذلك فى سنة ٥٣٦ هـ (٥٦) ثم كانت الموقعة التى حاصر فيها السلطان قلعة هزاراسب وهى الموقعة ألتى وردت فى ثنايا الرسالة الأولى خلال سنة ٣٥٨ هـ والتى انتهت باعتذار أتسز للسلطان سنجر. (٥٧)

من ناحية أخرى كان أتسز يعلم أن الخلافة ضاقت بتصرفات السلاجقة نتيجة لعملهم على إضعاف الخلافة، وتجريد الخليفة من وسائل القوة حتى للدفاع عن نفسه، وقد ظهر هذا الأمر واضحاً إبان خلافة المقتفى الذى تم تجريد قصره من الأثاث ومطالبته المستمرة بالأموال، ذكر السيوطى أن السلطان مسعود بعد أن أظهر العدل ومهد بغداد أخذ جميع ما فى دار الخلافة من دواب وأثاث وذهب وستور وسرادق، ولم يترك فى إصطبل الخلافة سوى أربعة أفراس وثمانية بغال برسم الماء. «ثم أورد كلاما للمقتفى فى رده على مسعود عندما طالبه ببعض الأموال حيث قال «ما رأينا أعجب من أمرك! أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله فجرى ما جرى وأن الراشد ولى ففعل ما فعل، ورحل وأخذ ما تبقى ولم يبق إلا الأثاث، فأخذته كله وتصرفت فى دار الضرب، وأخذت التركات والجوالى فمن أى وجه حق نقيم لك هذا المال؟ وما بقى إلا أن نخرج من الدار ونسلمها، فإنى عاهدت الله إلا أخذ من المسلمين حبة ظلما (٥٨) فهذه الأمور قد أدت إلى كراهية الخلافة للسلاجقة، ومن ثم تلاقت أهداف أتسز والخلافة فى إضعاف السلاجقة، أو القضاء على سيطرتهم وهو ما وضح فى ثنايا هذه الرسائل.

أما النطاق التاريخى الذى دارت خلاله هذه المراسلات فهو بعد عام ٥٣٨ هـ، حيث ورد فى الرسالة الأولى وصف للمعارك التى دارت بين السلاجقة وأتسز حول قلعة هزاراسب.

أما الهدف الرئيسى من هذه الرسائل فقد بدا واضحا ما ورد فى آخر الرسالة الأولى أن أتسز يريد أن يستقل بخوارزم وأن يلى أمرها كولاية تابعة للخلافة، تأخذ شرعيتها من الخليفة العباسى.

المحور الثالث:

تحليل الرسائل ومقارنتها بما ورد فى المصادر التاريخية المعاصرة

تحليل نص الرسالة الأولى

تضمنت الرسالة الأولى بعد حمد الله سبحانه وتعالى والثناء عليه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم الدعاء للخليفة وذكر مآثر وجهود خلفاء العباسيين العديد من النقاط نجملها فيما يلى:

أولاً: حرص أتسز على إثبات الخضوع والولاء الكامل للخليفة، ولهذا لم يرد ذكر اسمه صراحة فى هذه الرسائل، وإنما يذكر اسم العبد، للدلالة على إثبات ولائه للخلافة.

ثانياً: تحدث أتسز بعد ذلك عن الجهود العظيمة التى قام بها آباؤه، فى التزامهم لمذاهب السداد، والمحاماة عن خطة الدين وبيضته، وخاصة حال أبيه قطب الدين محمد خوارزم شاه، الذى عاش ثمانين سنة كان فى أغلبها يوقف أمواله ويصرف أعماله على تمهيد قواعد الخيرات وتشييد أركان الحسنات.

ثم ذكر الدور الجهادى لوالده (٥٩) فى جهاد الترك ومواطن الشرك، حتى نام أهل خراسان وخوارزم مطمئنين آمنين فى أنفسهم وبيوتهم، كما كان مدة حياته أمينا ومدافعا عن آل سلجوق.

ثالثا: الإشارة إلى تولية أتسز مكان والده بعد وفاته فى سنة ٥٢١هـ وأنه قام مقام والده وسد مسده وركب مركبه وذهب مذهبه، وهى إشارات لمدى إخلاص أتسز مع السلاجقة كما كان والده، وأيضا لتوضيح دوره الجهادى والبطولى فى الذب عن المسلمين والدفاع عنهم وملازمته للسلاجقة وحمايته لهم.. ولو سأل سائل عن موقف العبد فى مساعدتهم، ووقائعه فى معاضدتهم لحكتها خطة جند (بلد على نهر سيحون) وروتها بقعة سمرقند، وخبرت بها أرض العراق، وحدثت عنها الآفاق (٦٠).

رابعا: ذكر أتسز بداية الشقاق مع السلطان سنجر، فبعد أن استمرت العلاقة حوالى تسع سنوات على أحسن حال، ظهر التغير والتبدل.. ولما حان وقت المجازاة قابل هذا الذى هو أكبر تلك القبيلة سناً وحرمة وأعظم تلك العشيرة جاهاً وحشمة، حسنات العبد وأسلافه بما قابل من استئصال بقاعه، واستباحة دماء أتباعه وأشياعه، واحترام رعاياه الذين هم ودائع الله عند الرعاة، وأمانات الواجب صونها على الرعاة(٦١)، فأتسز يحكى للخليفة ما حدث من السلطان سنجر لرعاياه، فبعد ما أظهر الولاء والطاعة لسنجر، وكان ينتظر الجزاء الحسن نظير ما قدم، إلا أن ما حدث لأتباعه من قبل السلطان أدى به لإعلان العصيان على السلطان(٦٢)، فهذه وجهة نظر أتسز فى بيان سبب الشقاق بينه وبين السلطان.

إلا أن «أبن الأثير» يذكر فى السياق نفسه - فى حوادث سنة ٥٣٣ هـ أن السلطان سنجر سار إلى خوارزم لمحاربة أتسز، وسبب ذلك أن سنجر بلغه أن أتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه، وترك الخدمة له، وأن هذا الأمر قد ظهر على كثير من أصحابه وأمرائه، فأوجب ذلك قصده(٦٣).. وقد انتهت هذه الواقعة باعتذار أتسز وطلب العفو من السلطان سنجر الذى وافق على ذلك(٦٤) ومن خلال ما أورده أتسز فى رسالته الأولى إلى الخليفة، وما ذكره أبن الأثير يمكن القول بأن أتسز رأى أن مكانته قد انخفضت عند السلطان، ففكر فى الخروج عليه والاستقلال بما تحت يده، ولو كان ذلك على حساب أملاك السلطان السلجوقى، وربما عجل بذلك ما حدث لبعض أتباعه من قبل رجال السلطان، إضافة إلى ذلك استغل أتسز ما تعرض له السلطان من هجوم من القبائل المجاورة وخاصة «الخطا»، فعمل على انتهاز هذه الفرصة لكى يستقل بالإقليم.

خامسا: تسلط الإسماعيلية، فيذكر أتسز بعد ذلك ما أحدثه الإسماعيلية - الباطنية (٦٥) بالسلاجقة، ويلمح فى نبرة لا تخلو من المتشفى إلى أن ما حدث للسلاجقة يعد عقابا لما فعلوه مع أتباعه، ولا ينسى أن يذكر الخليفة بما حدث لكل من الخليفة المسترشد (٦٦)، والخليفة الراشد (٦٧) من قبل هذه الجماعة، وكأنه يحمل مسئولية ما جرى لهم على السلاجقة، إلا أن ما جرى من الإسماعيلية فى بلاد خراسان وما وراء النهر لم يسلم منه أحد.

وصفوة القول بالنسبة للإسماعيلية أن الفترة السابقة لهذه الرسائل والمعاصرة لها، شهدت تسلطا كبيرا من قبل هذه الطائفة فى خراسان وما وراء النهر، وقد ذكر غير واحد من المؤرخين لهذه الفترة الكثير من البلايا التى أصابت السلاجقة وغيرهم من المسلمين على أيدى هذه الجماعة نذكر منها:

١- فى ٥٢١ هـ استشهد معين الملك وزير السلطان السلجوقى سنجر على يد الباطنية، مما ترتب عليه زيادة العداوة بين السلطان سنجر والإسماعيلية، وقاد السلطان بنفسه جيشا كبيرا لمحاربتهم(٦٨).

٢ - فى ٥٢٨هـ اجتمع مع العساكر السنجرية مع الأمير أرغن، وحصروا القلعة المسماة كردكوه بخراسان وهى للإسماعيلية - بعدما شغبوا على الأهالى - وضيقوا على أهلها، وطال حصرها وعدمت عندهم الأقوات، فأصاب أهلها تشبح، وكاد الأمير أن يفتح هذه القلعة لولا وصول مدد إلى حبسه الإسماعيلية داخل القلعة(٦٩)

٣- فى ٥٣٤ هـ قتل المقرب جوهر، وكان من أقرب المقربين إلى السلطان سنجر على أيدى الإسماعيلية (٧٠).

٤- وفي عام ٥٣٤ هـ أيضا قام الإسماعيلية بقتل الكثير من كبار عسكر السلطان سنجر، بعد أن احتالوا عليهم وارتدوا ملابس نسائية (٧١) وغير ذلك من الفظائع التى ارتكبتها هذه الجماعة ومما لا شك فيه أن ما قام به الإسماعيلية قد أثر تأثيرا كبيرا على السلاجقة، وأضعف قواهم، وكان ذلك من الدوافع التى جعلت السلطان سنجر يهادنهم، ريثما يستعيد قواه

ويخرجهم من بلاده، وقام بقتالهم عدة مرات، وأبلى فى هذا الشأن بلاء حسنا، إلا أن هزيمة سنجر ٥٤٨هـ من الغز أصاب السلاجقة إصابة بالغة، إذ سرعان ما وهنت قوتهم، فوجدت الإسماعيلية الفرصة وفرضوا سطوتهم على بعض أملاك السلاجقة بعد أن قتلوا الكثير من المسلمين، واستمروا كذلك حتى ٥٥٢هـ عندما اجتمع عليهم رستم بن على بن شهريار وحاصرهم فى قلعة الموت، وهجم عليهم وأحدث فيهم قتلا كثيرا، فأصابهم الوهن كنتيجة لهذا الهجوم، وقل بأسهم عن العباد(٧٢)

وخلاصة الأمر أن أتسز ظن أن ما قام به الإسماعيلية من جرائم ضد السلاجقة كان عقابا لهم ولاشك فى أنه غير مصيبا فى ذلك لأن هذه الطائفة كانت وبالا على المسلمين عامة، وكانت تستلزم توحد المسلمين وتجمعهم، للتخلص من شرورهم.

سادسا: تحدث أتسز بعد ذلك فى رسالته الأولى للخليفة عن الحرب التى دارت رحاها بين السلطان سنجر، الجيش الخوارزمى حول قلعة هزاراسب وهذه القلعة قد حاصرها السلطان سنجر لمدة خمسة أيام دون قتال، ثم دارت الحرب بين الفريقين عشرين يوما، قتل فيها العدد الكثير من الجانبين ولم ينته هذا القتال إلا بعد أن تم تخفيف الحصار من قبل سنجر، ثم رحيله عنها دون أن يحقق انتصارا كاملا على أتسز، واتجه السلطان - حسبما ذكر أتسز - للطواف فى القرى حتى ترك خوارزم دون أن يحقق مراده(٧٣).

وما أورده أتسز فى هذا الموضوع يتطابق بصورة ما مع ما ذكره المؤرخون المعاصرون وإن اختلفت نهايته عما ذكره أتسز فابن الأثير يذكر هذه الحادثة بقوله: إن السلطان سنجر سار بما كره إلى خوارزم، فجمع خوارزم شاه أتسز عساكره، وتحصن بالمدينة، ولم يخرج منها لقتال، لعلمه أنه لا يقوى على قتال سنجر، وكان القتل يجرى بين الفريقين من وراء السور، فاتفق فى أحد الأيام أن هجم أحد أمراء سنجر على الجانب الغربى من البلد، وكان مثقال التاجى - أحد أمراء سنجر - هجم من الشرق، فانهزم مثقال عند البلد، وبقى الأمير وحده، واستدفى حفظه، فلما رأى السلطان قوة البلد وامتناعه، عزم على العودة إلى مرو ولم يمكنه من غير قاعدة تستقر بينهما، فاتفق أن خوارزم شاه أرسل رسلا يبذل المال والطاعة والخدمة، ويعود إلى ما كان عليه من الانقياد، فأجابه إلى ذلك وأصلحا وعاد سنجر إلى مرو، وأقام خوارزم شاه بخوارزم(٧٤)

أما الحسينى، فذكر أن السلطان سنجر وصل لقلعة هزاراسب ورماها بالمنجنيقات وطال الحصار حتى استقر الأمر على أن يأخذ سنجر ما أخذه أتسز من مرو(٧٥) وأن يقف بازاء السلطان من شرقى جيجون وينزل بحيث يرى ويقبل الفرض، وعاد سنجر إلى خراسان(٧٦) والشاهد فى الأمر أن الصلح الذى تم بين الطرفين قد أورده من أرخو لهذه الفترة إلا أن أتسز لم يتعرض لذكر هذا الصلح فى رسالته للخليفة، فهو لا يريد أن يظهر أمام الخليفة بالضعف.

على كل حال فهذه ليست المرة الأولى التى يعرض فيها أتسز الصلح على السلطان ويسعى إليه، فقد سبق له الاعتذار فى سنة ٥٣٣ هـ عن بعض أفعاله (٧٧).

ويبدو أن السلطان قد يأس من إصلاح أتسز، وعلم أنه لن يعود إلى سابق عهده إلا أنه وافق على الصلح، لكيلا يفتح على نفسه جبهات عديدة أخرى، خاصة أن قبائل الخطا كانت تترقب هذه الأحداث لكى تثب على أملاك السلطان والإسماعيلية تقف للسلطان بالمرصاد، فيبدو أن السلطان أثر تهدئة الأمور مع أتسز، ورضى بالاعتذار المقدم منه، وعاد إلى خراسان.

سابعا: موقعة ٥٤٢هـ بين أتسز والسلطان سنجر.

ثم يتابع أتسز سرد باقى الأحداث للخليفة ويذكر ما حدث مع السلطان فى آخر مواقعه معه، وهى الحرب التى نشبت بين الطرفين سنة ٥٤٢ هـ فأتسز قد استشار العلماء والفقهاء لكى ينازل السلطان، فأقروه على ما نوى عليه، فعقد العزم على خوض القتال مع السلطان وهى الموقعة الأخيرة بين الجانبين والتى راح ضحيتها مالا يحصى عدده من الجنود ويبدو أن سير هذه المعركة كان فى صالح السلطان أيضا إذا استولى على قلعة هزاراسب بعدما حاصرها لمدة شهرين(٧٨) إلا أن المعركة فى نهاية الأمر لم تنته لصالح أحد الطرفين بصورة كاملة بل انتهت كسابقتها بالصلح بين الطرفين بعد أن قام أتسز بالاعتذار للسلطان سنجر الذى أصابه الملل من كثرة حروبه مع أتسز، فعاد إلى خراسان وقد استقر رأيه على الاعتراف بأتسز واليا مستقلا على خوارزم.(٧٩)

وكان هذا الاعتراف من السلطان سنجر تصرفا عاقلا، لأنه أدرك أن أتسز لن تصفو نفسه له، كما أن إقليم خوارزم بذلك يشكل حائطا منيعا بينه وبين قبائل الخطا فأراد سنجر أن يعيد استقرار جيشه ريثما يتهيأ له الوقت المناسب لمقاومة أعدائه وهزيمتهم إلا أن الأمور التالية لذلك لم تكن فى صالح السلاجقة ففى سنة ٥٤٨ هـ تعرض السلطان سنجر وجيشه لهزيمة قاسية من الغز(٨٠) ووقع أسيرا لديهم حتى استطاع أن يهرب من أسره بعد وفاة زوجته تركان خاتون.(٨١)

ولاشك فى أن هذه الهزيمة أثرت تأثيرا كبيرا فى كيان الدولة السلجوقية إذ تعرضت مرو ونيسابور وغيرها من أمهات المدن إلى هجمات متتالية من الغزو فى نفس الوقت حاول السلطان جمع شتات جنده وتكوين جيش جديد إلا أن الأحوال التى وجدها فى البلاد أصابته بالغم والهم والمرض إلى أن توفى سنة ٥٥٢هـ (٨٢)، على كل حال فإن الرسالة تعرضت فى أحد أجزائها لما دار بين السلطان وأتسز فى موقعة سنة ٥٤٢ هـ مع ذكر بعض المبالغات التى تظهر قوة جيش خوارزمشاه، وقد وضحنا ما انتهت إليه هذه الموقعة التى يمكن أن نقول عنها أنها كانت بداية النهاية لقوة السلاجقة التى انهارت بعدما حدث لها من هزيمة أمام الغز.وبذلك تهيأت الفرصة المناسبة لأتسز لكى يقوم بأمر خوارزم ويعمل على تثبيت دعائمها لتكون القوة الجديدة والبديلة عن السلاجقة.

ثامنا: أتسز يطلب مرسوما بولايته على خوارزم.

بعد أن استعرض أتسز الأحداث التى دارت بينه وبين السلطان سنجر وصل من خلال هذه الرسالة إلى مبتغاه الذى يتمثل فى طلب مرسوم من الخليفة يقره فيه على خوارزم لإضفاء

الشرعية اللازمة لهذه الولاية، والتى تمثل الخلافة الجهة الشرعية لإصدار مثل هذا المرسوم كما أن أتسز رأى أن يملأ الفراغ السياسى فى المنطقة الذى نتج عن ضعف السلاجقة فنراه يقول فى آخر الرسالة الأولى..

ويرجو العبد من حسنات تلك الحضرة الزاهرة أن يصدر عنها باسمه، منشور برسمه على ولاية خوارزم جانبيا: شرقيها وغربيها وما ينضاف إليها وينعطف عليها من بلادها وجبالها وقفارها.. بالتوقيع بالإشراف الأعلى ليكون ذلك مرغمة لأنوف الحاسدين ومكسرة لقلوب القاصدين وتنقطع بيمن ذلك العهد أطماع العدو من ديار العبد وبلاده وتندفع عنها أسباب شره وفساده(٨٣)

وهكذا يختم أتسز رسالته الأولى للخلافة بطلب منشور رسمى بولايته لكى يستطيع صد الأعداء عن مهاجمة بلاده وليكون عونا لأمير المؤمنين فى هذه البلاد.

تحليل الرسالة الثانية

أما الرسالة الثانية التى بعث بها أتسز للخليفة المقتفى فقد جاءت مختصرة قياسا بالرسالة الأولى. فقد بدأها أتسز بحمدالله والثناء عليه وبالصلاة على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ثم تناول ما يلى:

أولا: حرص أتسز على تقديم فروض الولاء والطاعة واجتهد فى الدعاء للخليفة ولإثبات طاعته له وأكد على ذلك بذكر كلمة العبد بدلا من اسمه.

ثانيا: ابدى أتسز اعتذاره الشديد عن عدم تمكنه من زيارة مقر الخلافة ورؤية الخليفة، بسبب العوائق التى تعترضه فى خوارزم ويأتى فى مقدمتها: أن خطة العبد لصيقة ببلاد الشرك من ديار الترك والعبد فى أكثر أوقاته وأغلب حالاته مشغول بمحاربة أعداء الدين، ومقارعة أحزاب الشياطين للذب عن الإسلام(٨٤).

فأتسز بهذا الكلام يوضح للخليفة صعوبة موقفه فى خوارزم بسبب تربص الأعداء به وهم قبائل الخطا الوثنية المجاورة لإقليم خوارزم، فرغم السياسة السلمية التى كانت سائدة بين الطرفين إبان حرب أتسز وسنجر ٥٣٣ هـ إلا أن الخطا بعد أن استطاعوا هزيمه السلطان سنجر فى موقعة قطوان سنة ٥٣٦ هـ (٨٥) اشتد أمرهم فى السنوات التالية، ولم يصبحوا قوة متحالفة مع أتسز بل أصبحوا خطرا حقيقيا عليه، فقد بسطوا سلطانهم على بلاد ما وراء النهر، وأصبحوا مجاورين لإقليم خوارزم ويهددون أمنه ويطمعون فى أراضيه واتجهوا بالفعل إلى الأ راضى التابع لخوارزم والواقعة غرب نهر جيجون وهددوا بقوة مدن سرخس ومرو ونيسابور، ونهبوها، وذلك دفع خوارزم شاه إلى دفع جزية سنوية قدرها ثلاثين ألف دينار، بالإضافة إلى مجموعات من الخيل والماشية وبذلك أمن أتسز هذا الجانب، إلا أنه لا يستطيع ترك الإقليم خشية عودة الخطا. واستمرت سياسة المهادنة مع الخطا حتى وفاة أتسز سنة ٥٥١هـ ولم تحرر بلاد ما وراء النهر منهم إلا فى سنة ٦١٢ هـ على يد علاء الدين محمد بن تكش(٨٦)

ثالثا: تضمنت الرسالة بعد ذلك الشكر الجزيل للخليفة لأنه خلع على العبد وأقره على ما تحت يده وبذلك تحقق هدف أتسز وأصبح واليا مستقلا على الإقليم، يدين بالولاء للخلافة فقد اعترفت الخلافة بحكمه وأقرته على ما تحت يده، وهذا ما كان يسعى إليه، وقد اتضح ذلك فى قول أتسز. وأما الخلع الحاصلة للعبد والتشريفات الواصلة إليه من المواقف المقدسة قدسها الله، فقد هزت عطفه وشدت من أزره، وأطلعت نجوم فجره بعد أفولها، وكللت رياض عيشه بعد ذبولها وعرضها العبد على كل حاضر وباد ونادى عليها فى كل محفل وناد، ولم يبق أحد من أئمة خوارزم وعلمائها وخطبائها إلا دعا للمواقف المقدسة على ذرى الأعواد(٨٧)

فهو يصف السعادة الغامرة التى عمت خوارزم من هذا الخلع ويشكر الخليفة على جميل صنعه، ويلاحظ أن أتسز فى هذه الرسالة لم يتطرق إلى أى أحداث بينه وبين السلاجقة مما يدل على هدوء الأوضاع بينهما وأن هذه الرسالة كتبت بعد سنة ٥٤٣ هـ. بعدما أقر سنجر باستقلال أتسز فى خوارزم(٨٨).

حول الرسالة الثالثة والرابعة

فى الرسالة الثالثة نجد أن أتسز كرر – بعد المقدمة – معظم ما أورد فى الرسالة الثانية وأهم النقاط التى اشتملت عليها الرسالة الثالثة: –

١– أوضح أتسز ولاءه التام للخليفة العباسى المقتفى لأمر الله، وأشار إلى جهاد خلفاء بنى العباس، ودورهم فى الدفاع عن ديار الإسلام.

٢– أشار أتسز بعد ذلك إلى عدم تمكنه من زيارة الخليفة، واعتذر بشدة عن ذلك بسبب موقع إقليم خوارزم المتاخم للأعداء».. فخوارزم حماها الله ثغر واقع فى نحر الكفر وراءها أعداء من الكفار شداد الأنياب، حداد الأظافر، والعبد يغزوهم كل سنة كرتين فى فصلين مختلفين(٨٩).

٣– فأتسز يشير إلى الأهمية الحيوية لإقليم خوارزم، كثغر مهم من ثغور الإسلام، ووجوده فى الإقليم أمر ضرورى، بسبب تربص الأعداء به، خاصة بعد الضعف العام الذى أصاب السلاجقة.

ثم يختم أتسز هذه الرسالة بالدعاء للخليفة، وأنه طوع أمره فيما يطلبه منه.

أما الرسالة الرابعة:

فجاء مضمونها مطابقا للرسالة الثالثة من حيث إثبات الولاء والطاعة للخليفة، ثم بيان أهمية إقليم خوارزم وحرص خوارزم على التواجد هناك، ثم اعتذاره عن عدم زيارة الخليفة. وأشار أتسز فى هذه الرسالة إلى أنه انتهز الفرصة المناسبة فى ذلك العام وقام أداء حجة

الإسلام، ثم عاد مسرعا إلى خوارزم، ولم تتعرض الرسالتان لأى أحداث مع السلاجقة مما يدل على استمرار الهدوء بين الطرفين.

الرسالة الخامسة

أما الرسالة الخامسة والأخيرة التى كتبها أتسز للخليفة المقتفى فقد تضمنت - بعد المقدمة - العديد من النقاط المهمة والتى تتمثل فيما يلى:

أولا: كرر أتسز بيان أهمية إقليم خوارزم، كثغر معروف من ثغور الإسلام، وقصر معمور من قصور الشرائع والأحكام، ثم بين ما يقوم به من دور جهادى للدفاع عنها، وأنه لم يأل جهدا فى سبيل حمايتها، والزود عنها، وأنه فى سبيل تأمينها يتوغل فى بلاد الشرك، وفى بحبوحة ديار الترك، لصيانة مواطن المسلمين من مكائدهم(٩٠).

وأتسز يسوق هذه المبررات فى إطار اعتذاره للخليفة، لأنه لم يتمكن من زيارته، وهو محق فى ذلك، بسبب الأوضاع العامة التى كانت سائدة هناك، فقبائل الخطا تنتهز أى فرصة للانقضاض على أطراف خوارزم، بل تحاول أن تسيطر على الإقليم بأسره، لذا كان من الضرورى أن يظل أتسز فى الإقليم لحماية خوارزم(٩١).

ثانيا: أشار أتسز بعد ذلك إلى ما حل بخطة خراسان التى هى سرة بلاد إيران، واستيلاء العصاة عليها إضافة لما أصاب بلاد ما وراء النهر، التى هى غرة ديار نوران، من استعلاء الطغاة، فعذب الراكع والساجد، وخربت المدارس والمساجد، وسفكت الدماء المحرمة، وأهلكت النفوس المكرمة، حتى مالت دعائم الدين..(٩٢)

وأتسز فى هذا الجزء من الرسالة يصف الكوارث التى حلت بخراسان، وبلاد ما وراء النهر، وما عاناه المسلمون هناك: وتفصيل هذا الأمر حسبما أورده ابن الأثير فى أحداث سنة ٥٤٨ هـ - والذى جاء مطابقا مع ما ذكره أتسز فى رسالته:

«فى هذه السنة فى المحرم انهزم السلطان سنجر من الأتراك الغز، وهم طائفة من الترك مسلمون، كانوا بما وراء النهر، فلما ملك الخطا - الوثنيين - أخرجوهم منه، فقصدوا خراسان، وكانوا خلقا كثيرا، فأقاموا بنواحى بلخ، يرعون فى مراعيها.. فأراد مقطع بلخ إبعادهم، فصانعوه بشىء بذلوه له، فعاد عنهم فأقاموا على حالة حسنة، لا يؤذون أحدا، ثم إن قماج مقطع بلخ أمرهم بالخروج عن بلده، فامتنعوا وانضم بعضهم إلى بعض، واجتمع معهم غيرهم من طوائف الترك، فسار قماج إليهم فى عشرة آلاف فارس، فجاء إليه أمراؤهم، وسألوه أن يكف عنهم، ويتركهم فى مراعيهم، ويعطونه من كل بيت مائتى درهم، فلم يجبهم إلى ذلك، وشدد عليهم فى الانتزاح عن بلده، فعادوا عنه واجتمعوا، وقاتلوه فانهزم قماج، ونهبوا ماله ومال عسكره، وأكثروا القتل فى العسكر والرعايا، واسترقوا النساء والأطفال، وعملوا كل عظيمة، وقتلوا الفقهاء، وخربوا المدارس، وانتهت الهزيمة بقماج إلى مرو، وبها السلطان

سنجر ، فأعلمه الحال ، فراسلهم سنجر بتهديدهم وأمرهم بمفارقة بلاده ، فاعتذروا وبذلوا بذلا كثيرا ليكف عنهم ، ويتركهم فى مراعيهم ، فلم يجبهم إلى ذلك وجمع عساكره من أطراف البلاد ، واجتمع معه ما يزيد على مائة ألف فارس وقصدهم ، ووقع بينهم حرب شديدة ، فانهزمت عساكر سنجر وانهزم هو أيضا ، وتبعهم الغز قتلا وأسرا ، فصار قتلى العسكر كالتلال ، وقتل قماج ، وأسر السلطان سنجر ، وأسر معه جماعة من الأمراء ، فأما الأمراء فضربوا أعناقهم ، وأما السلطان سنجر فإن أمراء الغز اجتمعوا وقبلوا الأرض بين يديه ، وقالوا: نحن عبيدك ، لا نخرج عن طاعتك فقد علمنا أنك لم ترد قتالنا ، وإنما حملت عليه ، فأنت السلطان ، ونحن العبيد ، فمضى على ذلك شهران أو ثلاثة ودخلوا معه إلى مرو ، وهى كرسى ملك خراسان ، وطلبها منه بختيار - أحد قادة الغز - إقطاعا ، فقال السلطان هذا دار الملك ، ولايجوز أن تكون إقطاعا لأحد ، فضحكوا منه ، وحنق له بختيار بغمه ، فلما رأى ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانكاه مرو ، وتاب عن الملك ، واستولى الغز على البلاد ، وظهر منهم من الجور ما لم يسمع بمثله ، وولوا على نيسابور واليا ، فقسط على الناس كثيرا وعسفهم وضربهم ، وعلق فى الأسواق ثلاثة غرائز .

وقال: أريد ملء هذه ذهبا ، فثار عليه العامة ، فقتلوه ومن معه ، فركب الغز ودخلوا نيسابور ، ونهبوها نهبا مجحفا وجعلوها قاعا صفصفا ، وقتلوا الكبار والصغار ، وأحرقوا وقتلوا القضاة والعلماء فى البلاد كلها . ويعلق ابن الأثير على هذه الأفعال بقوله: ويتعذر وصف ما جرى منهم بتلك البلاد جميعا ، ولم يسلم من خراسان شئ لم تنهبه الغز ، غير هراة ودهستان ، لأنها كانت حصينة فامتنعوا(٩٣)

ويبدو من رسالة أتسز وما رواه ابن الأثير مدى ما تعرضت له خراسان من تدمير طال كل شئ وكانت البلية الأخرى فى أسر السلطان سنجر .

ثالثا: نتيجة لهذه الأحداث أشار أتسز على الخليفة فى رسالته الخامسة ، ضرورة توحد جميع المسلمين فهو يستنجد بالخليفة بصفته الرئيس الروحى لمعظم بلاد العالم الإسلامى ، واقترح أتسز أن يكون هذا التوحد تحت راية أحد سلاطين المسلمين الاقوياء المؤمنين ، وهو: السلطان الاعظم غياث الدنيا والدين أبو الشجاع محمود بن محمود بن ملكشاه- السلجوقى - قسيم أمير المؤمنين (٩٤) . واقترح أتسز ورؤيته للأحداث كانت صائبة إلى حد كبير ، إلا أن الشقاق الذى كان موجودا بين السلاجقة والسلطان محمد حال دون ذلك .

ولم ييأس أتسز من المحاولة الجادة التى عرضها للصلح بين الطرفين وتحدث عن سبب الشقاق وأرجعه إلى عاملين:

الأول: إما أن يكون الخصام من قبل السلطان ، وفى هذه الحالة يقوم أتسز بإزالة السوء ، وإعادة السلطان لجادة الصواب ، ورده إلى طاعة المواقف المقدسة المكرمة ، قدسها الله وكرمها ، وخدمة المقار المشرفة المعظمة شرفها الله وعظمها(٩٥) .

الثانى: أما السبب الذى رأى أتسز أنه عامل فى خصام الخليفة والسلطان: تدخل أصحاب الأغراض السيئة الذين أوجدوا عند خدم المواقف المقدسة قدسها الله مجال التخليط والتضريب، فتمكنوا من اختراع الأباطيل وابتداع الأكاذيب، وذلك الأمر يرجى من كرم وعطف أمير المؤمنين مع السلطان، وألا يصغى الخليفة لمثل هذه الأقاويل(٩٦)

ومما لا شك فيه أن هذه المصالحة التى عرضها أتسز تحمل وجهة نظر سديدة، وهى حرصه على بلاد المسلمين والعمل على استقرار الأوضاع بها، بعدما رأى ما حل بالبلاد الإسلامية آنذاك، فالأحداث آنذاك كانت تستدعى هذا الصوت العاقل، لتوحد المسلمين تحت راية واحدة لمجابهة هذه الأخطار.

ورغم إلحاح أتسز الشديد على أهمية هذا الأمر وضرورته، إلا أنه لم ينتج عن شىء، بل حدث ما هو أسوأ، إذ قام السلطان محمد سنة ٥٥١ هـ بحصار مدينة بغداد وبالتحديد فى شهر ذى الحجة، أى بعد وفاة أتسز فى تاسع جمادى الآخرة سنة ٥٥١ هـ، نتيجة إصابته بالفالج(٩٧)

رابعا: ثم ختم أتسز رسالته بإظهار الولاء والطاعة للخليفة المقتفى، وأنه طوع أمره، ثم دعا للخليفة مع الرجاء بالعمل على تحقيق ما دعا إليه.

ويبدو من تتابع الأحداث أن رؤية أتسز التى عرضها فى الرسالة الخامسة كانت دقيقة، لذا نراه يلح فى طلب وحدة المسلمين، بعدما حل بخراسان وما وراء النهر، وبداية تصدع وانهيار البيت السلجوقى فى خراسان.

والمرحلة التى يتحدث عنها أتسز كانت بين عامى ٥٤٨، ٥٥١ هـ وهذه الفترة نلمح خلالها تقاربا شديدا بين أتسز والسلاجقة بصفة عامة سواء فى خراسان أو فى العراق، بل كان هناك تحالفا عسكريا بين سلاجقة خراسان وخوارزم شاه أتسز والخاقان محمود بن محمد الذى ولى سلطنة سلاجقة خراسان بعد أسر خاله السلطان سنجر، كانا يقصدان الغز، فيقاتلانهم فيمن معهما، فكانت الحرب بينهم سجالا(٩٨)

وشاهد الأمر أن أتسز السلطان كان متضامنا مع السلاجقة، يحارب معهم العدو المشترك الذى عاث فى تلك البلاد فسادا، واستمر الأمر على ذلك إلى أن استطاع السلطان سنجر أن يتخلص من أسره فى رمضان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة أى بعد وفاة خوارزم شاه أتسز، الذى تميزت سنوات حكمه الأخيرة بالعمل على توحيد صفوف المسلمين.

الخاتمة

صفوة القول أنه من خلال استعراض هذه الرسائل، ومقارنتها بالروايات التاريخية الواردة فى المصادر المعاصرة يتبين ما يلى:

أولا: أوضحت الرسائل مدى التقارب الشديد بين كل من الخليفة العباسى المقتضى وخوارزم شاه أتسز وذلك لتلاقى أهداف الطرفين فى الحد من سطوة السلاجقة أو التخلص منهم، وأن العلاقة التى سادت بين الطرفين آنذاك كانت ودية إلى حد بعيد. بينت هذه الرسائل أن الخلافة العباسية كانت تحتفظ بقدر كبير من الهيبة فى نفوس المسلمين، فعلى الرغم من أن الخلافة كانت تعانى من فترات ضعف متتابعة إلا أن المحاولات الإصلاحية التى بذلت فى هذا الصدد كان لها دورا كبيرا فى استعادة أكبر قدر من هيبة الخلافة وقد شهدت تلك الفترة جهودا مخلصة من المقتفى لتحقيق ذلك الهدف.

ثانيا: أظهرت الرسائل أيضا أن الخلافة العباسية دعمت أتسز فى أهدافه، وقد وضح ذلك من خلال الإشارة الواردة فى الرسالة الثانية، والتى أقرت أتسز على ما تحت يده، وخلع عليه الخليفة الخلع، ومما يدل على عمق العلاقة بين خوارزم شاه أتسز ودار الخلافة تتابع الرسائل، ثم المكاتبات المعاصرة بين الوزير الوطواط وكبار رجال الدولة العباسية.

ثالثا: شهدت هذه الفترة أخطارا عظيمة من الطائفة الإسماعيلية، التى تسببت فى مقتل العديد من المسلمين، وكانت عاملا مهما فى ضعف السلاجقة والخوارزميين فى نفس الوقت.

رابعا: نلحظ أيضا من خلال هذه الرسائل مدى أهمية إقليم خوارزم كثغر حيوى من ثغور الإسلام، استطاع أن يقف أمام الأعداء المجاورين له وبخاصة قبائل الخطا والغز.

خامسا: وضحت هذه الرسائل مجمل المعارك التى دارت بين خوارزم والسلاجقة فى الفترة المحتدة من ٥٣٢ سنة إلى سنة ٥٤٢ هـ وقد حاول أتسز فى هذا الجانب إظهار قوته العسكرية أمام الخليفة وأنه وقف أمام السلاجقة موقفا بطوليا وهذا الجانب لا يخلو من مبالغة أتسز فى سرد هذه المواقع لأن معظمها كان فى صالح السلطان سنجر، وكانت تنتهى باعتذار أتسز وأسفه عما بدر منه.

سادسا: نوهت الرسائل بالأحداث الجسام التى ألمت بخراسان وما وراء النهر، بداية من ٥٤٨ هـ وهى السنة التى شهدت انهيار قوة السلاجقة وهزيمتهم من الغز، وأسر السلطان سنجر، وما تبع ذلك من اجتياح خراسان ومرد وغيرهما من أمصار العالم الإسلامى، التى كانت تمثل مراكز ثقافية وعلمية هناك.

سابعا: تضمنت الرسالة الأخيرة دعوة أتسز لوحدة المسلمين تحت قيادة واحدة، واقترح على الخليفة أن يتجمع المسلمون تحت راية السلطان محمد بن محمود السلجوقى، نظرا للأخطار العظيمة التى تحيط بالمسلمين، والتى تتطلب وحدة كاملة للوقوف أمامها.

ومما يدل على عمق العلاقة بين أتسز والخليفة العرض الذى تقدم به والمتضمن الوساطة بين السلطان والخليفة وعقد صلح بينهما، لكى تكون القوى الإسلامية متوجهة إلى هدف واحد إلا أن هذه الفكرة لم يكتب لها النجاح، فقد أصيب أتسز ومرض مرضا شديدا مات على إثره ٥٥١ هـ وفى نفس العام حاصر السلطان بغداد.

على كل حال فالرسائل المذكورة قد كشفت عن طبيعة العلاقة بين الخليفة وخوارزم شاه أتسز، وبينت إلى حد بعيد أهم الأحداث التى دارت آنذاك.

الهوامش

(١) شهد عام ٤٤٧ هـ دخول جيوش السلاجقة بغداد بعد أن أزال طغرلبك السلجوقى كل خطر يأتى من البويهيين وعمل على إزالتهم نهائيا من فارس والعراق، ودخل طغرلبك بغداد واستقبل بها استقلالا حافلا واعترف به الخليفة العباسى القائم بأمر الله سلطانا على جميع المناطق التى تحت يده.

عن هذه الأحداث راجع ابن الأثير (أبى الحسن على بن محمد بن محمد الشيبانى ت ٦٣٠هـ) الكامل فى التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولى، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م، ٨/ ٢٩٠.

(٢) الخليفة المسترشد بالله أبومنصور الفضل ابن الخليفة المستظهر ولى العهد وتمت مبايعته بالخلافة سنة ٥١٣ هـ واستمر إلى أن قتل سنة ٥٢٩ هـ كان المسترشد فاضلا وبدأ يعمل إبان خلافته على استرداد نفوذ وهيبة الخلافة العباسية وإسقاط نفوذ السلاجقة وأظهر عدم رضاه عنهم لسوء أفعالهم حيث قال: «فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق فبغوا علينا فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون» قام المسترشد بأعمال إصلاحية فى المجتمع جعلت العلماء والفقهاء يؤيدونه فأغلق بيوت الفسق وحوانيت الخمر وتتبع المفسدين وقام ببناء سور بغداد لحمايتها من محاولات الاعتداء أنظر: نظامى عروض السمرقندى (ت ٥٥٢هـ) جهار مقالة (المقالات الأربع) تحقيق محمد عبدالوهاب القزوينى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ط الأولى ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ٣١؛ ابن الأثير: الكامل م٨/ ٣١٤، ابن طباطبا محمد بن على المعروف بابن الطقطقا (ت٧٠٩هـ) الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر - بيروت (د.ت)ص ٣٠٢.

(٣) السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه، غياث الدين أبوالفتح السلجوقى نشأ بالموصل واستقل بالسلطنة سنة ٥٢٨ هـ وقدم بغداد وكان عادلا لينا كبير النفس، فرق مملكته على أصحابه، كان شديد على خلفاء بنى العباس المعاصرين له، وجرت بينه وبين الخليفة المسترشد حربا شديدة انكسر على أثرها جيش الخليفة، وجرت بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر منازعة ثم تصالحا. (ت٥٤٧هـ) انظر ابن الجوزى (أبا الفرج عبدالرحمن بن على ت ٥٩٧هـ)، المنتظم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢، ١٣/ ٢٥٠؛ الذهبى محمد بن أحمد عثمان ت (٧٤٨هـ). سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنوؤط وآخر، بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ ٢٠/ ٣٨٤.

(٤) الخليفة المقتفى لأمر الله أبوعبدالله محمد بن المستظهر من أفاضل خلفاء العباسيين، وكان عفيفا عن أموال الرعية. انظر ابن الاثير، الكامل ٨/ ٤٨٠؛ ابن طباطبا، الفخرى، ٣١٠؛ السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر ت٩١١). تاريخ الخلفاء، بيروت، دار التراث (د.ت) ٤٠٣.

(٥) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ٤٠٣؛ محمد الخضرى: محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية «الدولة العباسية»، دار المعرفة (بيروت) ٢ ط ٤ سنة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، ص ٣٠٨.

(٦) الخليفة المستظهر بالله أبوالعباس أحمد ابن الخليفة المقتدى بالله ولى الخلافة سنة ٥٤٨٧ هـ، كان كريما وصولا حسن الخلق، استمر فى الخلافة حتى وفاته سنة ٥١٢ هـ

انظر ابن طباطبا: الفخرى ٣٠٠، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ٤٠٥

(٧) الحسينى (صدر الدين على بن ناصر توفى حوالى سنة ٥٧٥ هـ): أخبار الدولة السلجوقية (زبدة التواريخ)، تصحيح: إقبال، لاهور، جامعة البنجاب، سنة ١٩٣٣ ، ١٧١.

(٨) ابن الأثير: الكامل، ٣٥٦/٨.

(٩) حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى، القاهرة، سنة ١٩٩٥ ، ٤٨٢.

(١٠) عصام الدين عبدالرءوف: الحياة السياسية فى بلاد الجبل ويزد فى عهد الكاكاوية الديالمة، بحث منشور فى مجلة المؤرخ العربى، العدد ١٨ بغداد ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م ، ١٠٣، يحيى حمزة: الدولة السلجوقية فى عهد السلطان سنجر (٤٩٠ – ٥٥٢هـ ١٠٩٦ – ١١٥٧هـ) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط الأولى سنة ١٤٢٤ / ٢٠٠٤ م ، ص١٤٨.

(١١) مسعود بلال: تولى شحنة بغداد أثناء حكم السلطان مسعود فى بغداد، وهو من الخدم الخصيان الحبشيين الذين وصلوا إلى مناصب مرموقة فى الدولة. انظر: الحسينى، زبدة التواريخ، ص٢٤١.

(١٢) يحيى حمزة: الدولة السلجوقية، ١٥٢.

(١٣) كان أنوشتكين مملوكا لدى إحدى أمراء السلاجقة المسمى بلكباك، اشتراه من رجل من غرسستان فسمى أنوشتكين غرشجة، وظل فى خدمة بلكباك حتى تم إقطاعه إقليم خوارزم.

ابن واصل الحموى (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ): مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة، القاهرة، ط ١٩٦٠م، ٣٥/٣.

(١٤) السلطان جلال الدنيا والدين أبوالفتح ملكشاه بن ألب أرسلان سلطان السلاجقة الذى امتدت سلطنته شرقا إلى إقليم ما وراء النهر وغرباء حتى البحر المتوسط وآسيا الصغرى، استمر فى سلطتة أكثر من تسع عشر عاما وتوفى سنة ٤٨٥هـ.

انظر الحسينى: زبدة التواريخ، ١٤٧؛ ابن الأثير، الكامل ٧٣/٨.

(١٥) الطشت دار أحد المناصب التى يتولاها الغلمان فى الطشت خاناه والمقصود بذلك : بيت الطشت، سميت بذلك لأن فيها يكون الطشت الذى تغسل فيه الأيدى، والطشت الذى يغسل فيه القماش.

أنظر القلقشندى (أبوالعباس أحمد بن على ت٨٢١ هـ) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١١/٤، ١٠.

(١٦) إقليم خوارزم: يقع غرب الصغد وهو الإقليم المعروف اليوم باسم «خيوه» ويشمل على دلتا نهر جيحون. البكرى (عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسى ت٤٨٧هـ) معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت (د.ت) ٥١٥/٢؛ ياقوت بن عبدالله الحموى (ت٦٢٦ هـ): معجم البلدان، تحقيق وستنفيلد ليبسك، مطبعة الجامعة سنة ١٨٧٠ م، ٢ م ٣٩٥.

(١٧) قطب الدين محمد بن أنوشتكين أكبر أبناء انوشتكين، أرسله والده إلى مدينة مرو ليتلقى آداب الرئاسة ورسوم الإمارة فعرف بالعلم والأدب، وتدرب على أصول الحكم، ويعد محمد هذا من مؤسسى الدولة الخوارزمية.

ابن الأثير: الكامل، ٢٦٨/٨؛ ابن الوردى (أبوحفص عمر بن الوردى ت ٧٤٩): تاريخ ابن الوردى «تتمة المختصر فى أخبار البشر»، المطبعة الحيدرية، النجف، سنة ١٩٦٩، ١٤/٢.

(١٨) خوارزم شاه: أى ملك خوارزم، البيرونى (أبوالريحان محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ) : الآثار الباقية من القرون الخالية، تحقيق خليل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٤.

(١٩) الحسينى : زبدة التواريخ، ١٧٧؛ ابن الأثير : الكامل ٢٨٩/٨.

(٢٠) السلطان سنجر السلجوقى ابن ملكشاه بن الب أرسلان، أقام فى السلطنة نيفا وستين سنة، وكان نفوذه واسعا، إذ اشتمل سلطانه على خراسان وأكثر أقاليم إيران والعراق، وهو من أعظم سلاطين السلاجقة (ت٥٥٢هـ) ابن الأثير : الكامل، ٢٢٣/٨، ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد ت ٦٨١): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٦٩ م، ص٢.

(٢١) ذكر ابن الأثير أن جماعة من ملوك الأتراك اجتمعوا واتجهوا إلى خوارزم للاستيلاء عليها وكان محمد غائبا عنها، فلما سمع بذلك عاد إلى خوارزم مسرعا واستنجد بالسلطان سنجر الذى عاونه فى ذلك، فهرب الأتراك من أمام خوارزم شاه محمد أنظر: الكامل ٢٦٩/٨

(٢٢) علاءالدين اتسز بن قطب الدين محمد خوارزم شاه - صاحب خوارزم - تملك على خوارزم وتوسع فى رقعة أملاكه وعمل على توطيد حكمه وزيادة قوته، كان أتسز عادلا محببا إلى رعيته، وهو الذى وطد دعم الدولة الخوارزمية (ت٥٥١هـ).

انظر ابن الأثير : الكامل، ٢١٠/٨؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء ٣٢٢/٢٠.

(٢٣) ابن الأثير : الكامل ٢٦٩/٨.

(٢٤) عن هذه المؤامرة والدور البطولى لأتسز، راجع ابن الأثير: الكامل، ١٨٤/٨.

(٢٥) عبدالمنعم حسانين : سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط ٢ سنة ١٣٨٠، ١١٦.

(٢٦) يحيى حمزة : الدولة السلجوقية، ١٧٠.

(٢٧) عن المعارك التى دارت بين الخوارزميين وبين السلاجقة، راجع ابن الأثير: الكامل،٣٦٤/٨؛ نافع العبود: الدولة الخوارزمية - «نشأتها وعلاقتها مع الدولة الإسلامية، ونظمها العسكرية والإدارية (٤٩٠ - ٦٢٨هـ) بغداد، مكتبة الجامعة، سنة ١٩٧٨، ٢٢، ٤٥؛ حافظ أحمد حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول «غزو جنكيز خان للعالم الإسلامى وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية»، دار الفكرالعربى، القاهرة (د.ت)، ص٢٢ وما بعدها.

(٢٨) ابن الأثير : الكامل ٤٨/٩؛ ابن الوردى، تتمة المختصر / ٦٧.

(٢٩) كانت الدولة السلجوقية آنذاك محاطة بالعديد من القوى ذات الأطماع التوسعية، كقبائل الخطا «القرخطائية» والغوريين ودارت معارك عنيفة بين السلطان السلجوقى سنجر وهذه القوى، وهذه المعارك كانت من أسباب عدم تمكن سنجر من القضاء على جيش أتسز، وخاصة بعد هزيمة سنجر فى موقعة قطوان سنة ٥٣٦ هـ.

(٣٠) عبدالمنعم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ١١٨؛ يحيى حمزة : الدولة السلجوقية.

(٣١) ابن الأثير : الكامل، ٢١/٩.

(٣٢) الحسينى : زبدة التواريخ، ٣١٣؛ صبرى سليم : الأتراك الخورازميين، ٢١؛ حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول، ص٥٧، ٥٨.

(٣٣) ديوان الإنشاء: أول ديوان عرف فى الإسلام، فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكاتب ملوك الدول لدعوتهم إلى الإسلام وكان يكتب له جماعة من الصحابة منهم أبوبكر، وعلى، وزيد بن ثابت، ومعاوية رضى الله عنهم. وفى عصر الدولة الأموية كان للكتابة كاتب مختص بها ومن أشهر كتاب العصر الأموى: عبدالحميد الكاتب وفى العصر العباسى كان الإنشاء - الرسائل - يضاف إلى الوزارة تارة وتارة يعهد به لكاتب مختص وهو الأغلب - وعرف بديوان الإنشاء أو الرسائل، وعرف صاحبه باسم صاحب ديوان الإنشاء وكان لا يتولاه إلا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالأجل وكان يقال له كاتب الدست الشريف وإليه تسلم المكاتبات الواردة مختومة. القلقشندى : صبح الأعشى، ٤٩٠/٣.

(٣٤) أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومى الحموى (ت٦٢٦): معجم الأدباء، تحقيق إحسان عبدالرحمن، دار الغرب الإسلامى - بيروت ط١ سنة ١٩٩٣، ٢٦٣١/٦؛ السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن بن بى أبكر ت٩١١هـ): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبى الفضل إبراهيم، القاهرة مطبعة الحلبى، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م، ١/١٥م.

(٣٥) ياقوت الحموى : معجم الأدباء، ٣٧/١، ٣٦، ٩٦٢/٣.

(٣٦) بلخ: أم البلاد الخراسانية، ورابع أرباع خراسان، وما كان من هذا الربع خارج حد قصبته انقسم إلى قسمين الغربى منها فى الجوزجان والشرقى منها فى طخارستان، تكلم اليعقوبى عنها وقال: أنها مدينة خراسان العظمى. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان، ٤٧٩/١؛ كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة فرنسيس وكركيس عواد، مؤسسة الرسالة - بيروت ط٢ سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥، ٤٦٢.

(٣٧) كتب عطا ملك الجوينى مؤلف تاريخ جهانكشاى عند ذكره لأحوال السلطان تكس بن ايل أرسلان خوارزمشاه (٥٦٨ - ٥٨٩) إن تكس ذهب إلى خوارزم فى يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة ٥٦٨ هـ فجلس على سرير الملك، فاقبل الشعراء والبلغاء على تهنئته وانشدوه خطبهم وأشعارهم وكان من بينهم الوطواط الذى كان فى خدمة آبائه، جلبوه محمولا فى محفة، لأنه كان قد تجاوز الثمانين من عمره.

وهذا النص يدل على أن سن رشيد الدين الوطواط فى ٥٦٨ هـ قد اربى على الثمانين وعلى هذا يكون تاريخ مولده سابقا على سنة ٤٨٧، ولما كان الوطواط لم يصل إلى التسعين فى هذه السنة فلاشك أنه لم يولد قبل سنة ٤٨٠ هـ فيكون مولده محصورا بين سنتى ٤٨٠، ٤٨٧ هـ

راجع مقدمة إبراهيم أمين الشواربى لكتاب الوطواط: حدائق السحر فى دقائق الشعر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، وقد قام الشواربى بتعريب حدائق السحر من الفارسية إلى العربية.

(٣٨) إبراهيم الشواربى : مقدمة السحر، ٣

(٣٩) انظر تاريخ جهانكشاى - سلسلة جب التذكارية - ليدن ١٩١١م -٢/١٢: ١٨ نقلا عن الشواربى، مقدمة حدائق السحر ٤.

(٤٠) المدارس النظامية: أسس هذا النظام الوزير السلجوقى نظام الملك وقد شهدت أمصار العالم الإسلامى إبان القرن الخامس الهجرى تأسيس العديد من هذه المدارس وكانت بلخ إحدى المدن التى أقيمت فيها مدرسة نظامية أما عن التحاق الوطواط بالنظامية فى بلخ، فقد أورد ذلك فى رسالته لشيخه الهروى - الوطواط - رسائل ٣٠/٢ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١، ٣٩٨.

(٤١) أبوسعد الهروى: محمد بن أحمد آبى يوسف القاضى ولد بهراق ونشأ بها وسمع من رجال عصره، ولى القضاء بهمدان سنة ٤٨٨ هـ، من آثاره: شرح أدب القضاء للعبادى، وسماه بالإشراف ت(٥١٨هـ).

انظر عمر كحالة: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، (د.ت) ٣٠/٩

(٤٢) مما جاء فى رسالة الوطواط لشيخه الهراوى

كتاب وفى الأحشاء وجد على وجد — إلى الصدر مولانا الأجل أبى سعد
أشم طويل الباع أصح رافعا — إلى قمم الأفلاك ألوية المجد
مرآة بنى الإسلام عقد جواهر — وفيهم أبو سعد كواسطة العقد

سقى الله أيامنا بالعقيق، ودهورنا باللوى وأعوامنا بالخليصا وشهورنا بالحمة، فإن معانى هذه الكلمات لألفاظ المسرات كالمعانى جنينا فيها ثمار أطيب الأمانى، ومن أشجار وصال الغوانى، لا بل سقى مواقفنا ببلخ فى المدرسة النظامية واجتماعنا فى المجالس الأمامية:

مجالس مولانا أبى سعد الذى — به سعد الأيام والدين والدنيا
همام حوى يوم الفخار بنانه — على رغم أناف العدى والدين قصب العليا

الإمام أبوسعد، وما أدراك ما الإمام أبوسعد، سعد كله، خير قوله وفعله، صاحب جيوش الفصاحة، ومالك رقاب البلاغة، وناظم عقد المحامد، وجامع شمل المكارم وناشر أردية الفضل والكرم، وعامر أبنية الأدب والحكم.

لله در أما كله أدب   بفضله تتحلى العجم والعرب

الله يعلم وأن شط المزار وشحطت الديار لا أقطع أكثر أوقاتى ولا أزجى أغلب ساعاتى إلا فى مدح معاليه، ولا كنت أحصى من صنائعه عشرا وكيف لا أبالغ فى ثنائه ولا أواظب على دعائه وهو الذى رفع قدرى، وشرح للأدب صدرى وسقانى كؤوس العلم، وأحشائى صادية وكسانى حلل الفضل وعوراتى بادية، اغترفت ما اغترفت من بحاره، واقتطفت من اقتطفت من ثماره.. راجع نص الرسالة عند الوطواط : رسائل، ٣٠/٢٩/٢.

(٤٣) ياقوت الحموى : معجم الأدباء، ٢٦٣٢/٦

(٤٤) والأبيات التى توضح ذلك بالفارسية هى

سى سال شدكة بنده بصف نعال در   بوبست مدح خوان وتو برتخت مداح خواه

داند خداى عرس كه هركز نايستاد   جوين بنده مدح خوانى درهيج باركاه

اكنون دلت زنبده سى ساله شد ملول   دردل بطول مدت يابد ملال راه

ليكن مثل زنند جو مخدوم شد ملول   جو يد كناه وبنده بيجاره بى كناه

ومعنى الأبيات لقد مضت ثلاثون عاما منذ وقفت بالباب فى صف النعال وكنت مداحا للملك وكان الملك على عرشه راغباً فى مدحى. واله العرش يعلم أن احدا مثلى لم يقف مادحا فى قصر من القصور ولكن قلبك الآن أصبح متعبا من خادمك الذى أمضى فى خدمتك ثلاثين سنة والملل يتطرق إلى القلوب بطول المدة والملازمة وقد ضربوا الأمثال فقالا عندما يحل المخدوم يبحث لخادمه عن ذنب ويكون الخادم المسكين لا ذنب له.

ففى الأبيات ذكر الوطواط أن مدة خدمته لاتسز وصلت إى ثلاثين سنة على وجه التقريب لا التحديد لأنه ولى منصبه سنة ٥٢١ هـ وهذه الحادية سنة ٥٤٨هـ على كل حال فأتسز قد أعاد كاتبه بعد أن استعطفه كثيرا إلى منصبه.

الوطواط : حدائق السحر تعريت إبراهيم الشواربى، ٥,٤

(٤٥) القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صار بيروت، .دت؛ حدائق السحر، ١٠

(٤٦) انظر الوطواط : حدائق السحر١٠.

(٤٧) فى جمادى الأخرة سنة ٥٤٢هـ، خرج مع السلطان سنجر إلى خوارزم وحاصر قصبة هزاراسب وقلعتها مده شهرين وكان الشاعر «أنورى» فى خدمته فكتب الرباعى التالى على سهم من السهام وألقاه على هزاراسب:

أى شاه همه ملك زمين حسب تراست   وزادلت وإقبال جهان كسب تراست

أمروز بيك حمله هزاراسب بكير   فردا خوارز موصد هزاراسب ترست

ومعناه أيها المليك إن ملك العالمين رهن لإشارتك وبدولتك وإقبالك قد كسبت العالم فاليوم أقدم بحمله واحدة وخذ هزاراسب فغدا ستأخذ خوارزم ومائة شبيهة بهزاراسب أى مائة ألف جواد، وكان الوطواط حاضرا مع سيدة اتسز فى هزاراسب فأجاب على الرباعى ببيت واحد كتبه على سهم طوح به إلى جيوش السلطان

كر خصم تو أى شاه بود رستم كرد   يك خرز هزاراسب تو تنوانب برد

ومعناه فلو قدر وكان خصمك هو البطل المعروف رستم فأنه لن يسطيع أن يأخذ حمارا واحدا من بين هزاراسب أو جيادك الألف.

فلما علم السلطان ببيت الوطواط غضب غضبا شديدا وأقسم أن يمزقه إلى سبعة أقسام وعندما سيطر السلطان على الوضع أمر بالمبالغة فى البحث عنه وأرسل المنادين فى طلبه وأخذ الوطواط يفر من مكان إلى مكان ولكنه أدرك فى النهاية إلا راحة له ولا استقرار مع كثرة التنقل والفرار فتوسل إلى بعض الأكابر أن يشفعوا له لدى سنجر ولكن واحد منهم لم يجرؤعلى ذلك فالتجأ الوطواط إلى منتخب الدين بديع الكاتب وكان يجمع بين منصب الإنشاء والمنادمة فلما كانت صلاة الفجر ألقى منتخب الدين درسه فى الوعظ على مسامع السلطان حتى وصل الحديث إلى ذكر الوطواط فوقف منتخب الدين وسأل السلطان إلا كان على استعداد لأن يجيبه إى ملتمس واحد يسأله منه فوعده السلطان بتحقيق ما يطلب فقال أن الوطواط طائر ضعيف لايحتمل جسده التقطيع الى سبعة أجزاء فهل يكتفى السلطان بتقطيعه إلى جزأى اثنين فضحك سنجر وعفا عن الوطواط أنظر :الوطواط حدائق السحر٨,٩.

(٤٨) انظر الوطواط : رسائل ج٢ احتوى الجزء الثانى من الرسائل على مكاتبات قيمة من الوطواط إلى :كبار رجال عصره.

(٤٩) محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزمخشرى: زمشخر قرية من عمل خوارزم، الخوارزمى العلامة النحوى كبير المعتزلة صاحب الكشاف والمفصل رحل وسمع ببغداد وعنه أخذ خلق وروى عنه جماعة وكان رأسا فى البلاغة والعربية والمعانى والبيان وله نظم جيد «ت٥٣٨م» الذهبى : سير أعلام النبلاء، ٢٠/١٥٣

(٥٠) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٦/٢٦٣٢

(٥١) راجع بعض المراسلات عند الوطواط : مجموعة الرسائل ، ج٢

(٥٢) هو الكتاب الذى ألفه الوطواط لأبى المظفر خوارزم شاه اتسز وعارض به كتاب ترجمان البلاغة لفرحى الشاعر الفارسى، وقد عرب هذا الكتاب أ/إبراهيم الشواربى.

انظر ياقوت الحمو ى- ٦/٢٦٣٢

(٥٣) هو مجموعة من الرسائل التى اشتملت على الرسائل المرسلة للخليفة العباسى المقتفى، وكبار رجال الحكم فى الدولة العباسية.

(٥٤) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ٦/٢٦٣٢؛ السيوطى، بغية الوعاة، ٢/٢٣٠.

(٥٥) الكامل ، ٣٠٩/٩

(٥٦) ابن الأثير: الكامل ، ٣٠٩/٩

(٧٥) ابن الأثير : الكامل ٣٢٩/٩

(٥٨) تاريخ الخلفاء، ٤٠٤، محمد حمادة : الوثائق السياسية والإدارية، ٤٤١؛ محمد الزهرانى : نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية ٤٤٧ : ٥٩٠، مكة المكرمة، مكتبة الطالب، ط الأولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م ، ١٤٦.

(٥٩) ذكر المؤرخون المعاصرون لهذه الفترة أن قطب الدين محمد بن أنوشتكين والد أتسز كان كريم الأخلاق محبا للعدل، مقربا لأهل العلم، وعندما ولى خوارزم ظهرت كفايته وشهامته، مما جعل السلطان سنجر يعظمه ويجله ويعرف له قدره، ومن أعماله الجهادية التى تحسب له ما أورده ابن الأثير من قيام جماعة من ملوك الترك بالهجوم على خوارزم وقطب الدين محمد غائب عنها، فلما سمع بالخبر بادر إلى خوارزم وطلب المدد من السلطان سنجر فسار إليه فى عساكره، لكن محمدا لم ينتظر وقرر مهاجمة الأتراك فى خوارزم، فهربوا من أمامه وكفى خوارزم شاه شرهم، ومما يذكر لمحمد أيضا محاولته تأديب قبائل الخطأ سنة ٤٩٠هـ إلا أنه لم ينجح فى ذلك نجاحا تاما، وشاهد القول أن والد اتسز كان من المخلصين والمجاهدين، إذ استمر ثلاثين سنة ولم يخرج فيها عن طاعة السلطان، وكان يسعى دائما ويعمل من أجل وحدة السلاجقة حتى وفاته سنة ٥٢١هـ.

وهذه الأعمال هى التى ذكرها اتسز فى رسالته وهو يتحدث عن مآثر والده وجهوده.

انظر: ابن الأثير: الكامل ، ١٠/٩؛ ابن الوردى : تتمة المختصر، ١٨/٢؛ يحيى حمزة : الدولة السلجوقية فى عهد السلطان سنجر، ١٦٩؛ صبرى سليم : الأتراك الخوارزميون فى الشرق الأدنى الإسلامى، ١٩.

(٦٠) ذكر ابن الأثير أن أتسز ولى خوارزم بعد وفاة أبيه ، فمدّ ظلال الأمن وأفاض العدل، وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه ، وقصد بلاد الأعداء ، وباشر الحروب ، فملك مدينة منقشلاغ ، أما السلطان سنجر فقد عظمه واعتضد به واستصحبه معه فى أسفاره وحروبه ، فظهرت منه الكفاية والشهامة ، فزاده تقدما وعلوا، وهو ابتداء ملك خوارزم شاه.

وما ذكره ابن الأثير مطابق تماما لما ورد فى نص الرسالة من قيام أتسز بواجبة خير قيام.

أنظر: الوطواط : الرسائل ٦؛ ابن الأثير : الكامل ١٠/٩ ، ١١.

(٦١) يشير أتسز إلى بداية الخلاف وهو قيام السلاجقة بعدم حفظ حقوق أتباعه ورعيته، وعدم صيانة واجبهم. انظر: الوطواط : الرسائل، ٧.

(٦٢) الوطواط : رسائل، ٧.

(٦٣) الكامل ، ٣٠٩/٩.

(٦٤) ابن الاثير – الكامل ٣١٠/٩ ؛ يحيى حمزة: الدولة السلجوقية، ١٧١

(٦٥) الشيعة الإسماعيلية - يقولون أنهم من شيعة آل على، ويعتقدون فى سبعة أئمة آخرهم : إسماعيل بن جعفر الصادق، من مبادئهم الأساسية: إيمانهم بالإمامة، لاعتقادهم عجز العقل البشرى عن معرفة الله عز وجل، ومن ثم يجب على الناس اختيار إمام لهم يقوم بارشادهم، ومن أسس مذهبهم أن للعقيدة ظاهرا وباطنا، فأولوا أحكام الشرع وأصبح لكل فرع من العبادات باطنا، فأطلق عليهم الباطنية، وقد ازداد نفوذهم فى خراسان إبان سيادة البويهيين، ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ ومع بداية سيطرة السلاجقة من سنة ٤٤٧ هـ ضعف نفوذهم، لتعقب السلاجقة لهم، ثم ازداد نفوذهم على يد الحسن بن محمد بن الصباح ٥٥٧ هـ الذى كان يدعو لإمامة نزار ابن المستنصر بالله الفاطمى، وعرفوا باسم الإسماعيلية النزارية، واردات قوتهم بعد أن اتخذوا من قلعة الموت مقرا لدعوتهم.

عن الباطنية، وما أحدثته فى بلاد المشرق الإسلامى راجع: الشهر ستأتى (أبى الفتح محمد بن عبدالكريم ت٥٤٨هـ) الملل والنحل، بيروت، الكتب العلمية (د.ت) ، ١٩٢؛ الغزالى أبى حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ) فضائح الباطنية، تحقيق: عبدالرحمن بدوى، القاهرة سنة ١٣٨٣ هـ ، ١١، ١٢، سبط ابن الجوزى يوسف بن عبدالرحمن (ت٦٥٤هـ): مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد: الدكن، ١٩٥٢، م٨/٣٦٨؛ خير الدين الزركلى، الإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج٢/٢١٣

(٦٦) الخليفة المسترشد بالله: أبوالفضل بن المستظهر، كان ذا أهمية عالية وشهامة زائدة، وأقدام رأى، ضبط أمور الخلافة ورتبها، وأحبر رسمها، وشيد أركان الشريعة، وباشر الحرب بنفسه، قتلته الباطنية وهو فى حماية السلطان مسعود فى ٥٢٩هـ.

ابن الأثير : الكامل ٩/٢٨٣؛ السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ٣٩٧.

(٦٧) الراشد بالله أبوجعفر منصور بن المسترشد الخليفة العباسى، كان فصيحا أديبا ، شجاعا، حسن السيرة جمع السلطان مسعود العلماء فأفتوا بخلعه إذا ثبت فسقه، قتل فى أصفهان سنة ٥٣٢هـ.

ابن الأثير : الكامل ، ٩/٣٠٥؛ السيوطى، تاريخ الخلفاء، ٤٠١.

(٦٨) ابن الاثير : الكامل، ٩/٢٤٤؛ ابن كثير أبوالفدا إسماعيل بن محمد بن عمر (٧٧٤هـ) : البداية والنهاية، دار الفكر العربى، بيروت ١٢/١٩٨

(٦٩) ابن الأثير : الكامل ٩/٢٧٦.

(٧٠) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية، ١١٣؛ ابن الأثير . الكامل ، ٩/٣١٤.

(٧١) أبوالفدا إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٨٣٢) : المختصر فى أخبار البشر، بيروت، الكتب العلمية، (د.ت)، ١٥٣.

(٧٢) عن هذه الأحداث انظر: ابن الأثير : الكامل ٩/٤٥٦؛ ابن الكثير : البداية والنهاية، ١٢/٢٣٦؛ عصام الدين عبدالرؤوف: الدول الإسلامية المستقلة فى المشرق، دار الفكر، القاهرة ، ٢٣٥؛ يحيى حمزة: الدولة السلجوقية ، ٢٠٧ وما بعدها.

(٧٣) الوطواط : الرسائل، ١٣.

(٧٤) انظر الكامل، ٣٧٣/٩.

(٧٥) قام خوارزم شاه بهجوم كبير على خراسان فى سنة ٥٣٦ هـ مستغلا انشغال السلطان سنجر فى قتاله ضد الخطا، ثم هزيمتهم فى قطوان وكان أثر هذا الهجوم جسيما فى نفس سنجر لأن أتسز قد استولى على خزائن السلطان الموجودة فى مرو، ونقل صناديق جوهره، وتعرض العلماء لنكبات عظيمة من جراء هذا الهجوم، وضاعت خلاله الكثير من كتب العلم، ومنها مكتبة حكيم حسن قطان وغيرها من المكتبات، وهذا السبب هو الذى أدى إلى قيام السلطان بحصار خوارزم وقلعة هزاراسب سنة ٥٣٧، ٥٣٨ هـ وانتهى باعتذار أتسز كعادته.

عن هذه الحادثة أنظر الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ٩٣٠؛ ابن الأثير: الكامل، ٣١١/٩.

(٧٦) أخبار الدولة السلجوقية، ٩٦.

(٧٧) ابن الأثير: الكامل، ٢٩٠/٩.

(٧٨) الوطواط: ٨ – ٩.

(٧٩) عبدالمنعم حسانين، سلاجقة إيران والعراق، ١١٧.

(٨٠) الغز قبائل تركية كانت تسكن فى أقصى تركستان على حدود الصين، انتقلوا إلى بلاد ما وراء النهر أيام الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله سنة ٥٣٠ هـ وأعلنوا إسلامهم وكانوا فى طاعة السلطان السلجوقى سنجر ونظرا لسوء تصرف بعض أمراء السلاجقة وظلمهم للغز، امتنعوا عن تقديم ما كان مقررا عليهم من أغنام وماشية للسلطان، وزاد تمردهم بعد أن قاوموا جيش الأمير قماج وقتله، فأدى ذلك إلى خروج السلطان بنفسه لقتالهم، ونتيجة لاستهانة جيش السلطان بهم، دارت الدائرة على السلاجقة، وانطلق الغز فى بلاد السلاجقة بعد أن هزموا جيش السلطان.

ابن الأثير: الكامل ٣٧٠/٩؛ القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ٣٣٠.

(٨١) ابن الأثير: الكامل ٣٧٢/٩؛ يحيى حمزة: الدولة السلجوقية، ١٩٠.

(٨٢) ابن الاثير: ٣٨٠/٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٣٧/١٢.

(٨٣) الوطواط: رسائل ١٣.

(٨٤) الوطواط: رسائل ١٥.

(٨٥) عن هذه الواقعة راجع: ابن الأثير: الكامل، ٣٦٠/٩.

(٨٦) ابن الأثير: الكامل، ١٥٧/١٠؛ عصام الفقى: الدولة المستقلة فى الشرق، ١٠٠.

(٨٧) الوطواط: الرسائل، ١٥.

(٨٨) يحيى حمزة: الدولة السلجوقية، ١٧٦

(٨٩) الوطواط: رسائل، الرسالة الثالثة، ١٧.

(٩٠) الوطواط: الرسائل الخامسة، ٢١.

(٩١) على الرغم من بقاء أتسز فى خوارزم ودفاعه عنها إلا أن بعض أطراف خوارزم وقعت تحت أيدى الخطا، مما حذا بأتسز أن يفاوضهم، ويدفع لهم جزية محددة مقابل أن يتركوا ما سيطروا عليه. أنظر: عصام الفقى: الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى، ١٠٠.

(٩٢) الوطواط: الرسائل، ٢٣.

(٩٣) الكامل، ٩/٣٨٤، ٣٨٥.

(٩٤) ولى محمد هذا سلطنة السلاجقة فى العراق بعد وفاة عمه مسعود سنة ٥٤٧هـ، والقبض على أخيه ملكشاه من قبل خاص بك أحد قادة السلاجقة، وكان خاص بك هذا يريد القبض على السلطان محمد، ليتولى سلطنة السلاجقة إلا أن السلطان محمد فطن لذلك وقبض على خاص بك ومن معه ثم قتلهم، وخطب له بالسلطنة.

ابن الأثير: الكامل، ٩/٣٧٤، الزركلى، الإعلام، ٧/٨٦.

(٩٥) الوطواط: الرسائل «الرسالة الخامسة» – ٢١.

(٩٦) الوطواط: الرسائل «الرسالة الخامسة» –٢٢.

(٩٧) ابن الأثير: الكامل، ٩/٤٠٦، ٤١٠.

(٩٨) ابن الأثير: الكامل، ٩/٣٨٦.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير: (أبوالحسن على بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيبانى الجزرى ت٦٣٠هـ)

١- الكامل فى التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

البكرى (عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسى ت ٤٨٧هـ)

٢- معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا - عالم الكتب - بيروت (د.ت)

البيرونى (أبوالريحان محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ)

٣- الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: خليل أحمد. دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٠هـ.

ابن الجوزي (أبوالفرج عبدالرحمن بن على ت ٥٩٧هـ)

٤- المنتظم، دار الكتب العلمية: بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

حسانين: عبدالمنعم محمد

٥- سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٢، ١٣٨٠هـ

الحسينى (صدر الدين على بن ناصر «المتوفى حوالى ٥٧٥هـ)

٦- أخبار الدولة السلجوقية «زبدة التواريخ»، تصحيح: محمد إقبال: لاهور «جامعة البنجاب» ١٩٩٣م

حمادة: محمد ماهر

٧- الوثائق السياسية والإدارية «العصر العباسى»، مؤسسة الرسالة: بيروت ط٣ ١٩٨٢م.

حمدى: حافظ أحمد

٨- الدولة الخوارزمية والمغول «غزو جنكيز خان للعالم الإسلامى وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية»، دار الفكر العربى، القاهرة (د.ت).

حمزة: يحى

٩- الدولة السلجوقية فى عهد السلطان سنجر «٤٩٠: ٥٥٢هـ - ١٠٩٦: ١١٥٧م»

مكتبة الثقافة: القاهرة ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

الخضرى: محمد بك

١٠- محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية «الدولة العباسية»، دار المعرفة: بيروت لبنان - ط٤ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ابن خلكان (أبوالعباس أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ)

١١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس - دار صادر - بيروت ١٩٦٩م.

الذهبى: (أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ)

١٢- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد العرقسوسى. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

الزركلى خير الدين

١٣- الإعلام «قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ط ٤، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.

الزهرانى محمد

١٤ - نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية «٤٤٧ : ٩٥٠هـ»، مكتبة الطالب، مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

سبط ابن الجوزى (يوسف بن عبدالرحمن ت٦٥٤هـ)

١٥ - مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٩٥٢م.

سليم صبرى

١٦- الأتراك الخوارزميون فى الشرق الأدنى الإسلامى (٦٢٨: ٦٤٤هـ).

السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر، ٩١١ هـ).

١٧ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة،

تحقيق: محمد أبى الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبى، القاهرة ١٣٤٨هـ - ١٩٦٤م.

١٨- تاريخ الخلفاء، دار التراث: بيروت (د.ت)

الشهر ستانى: (أبوالفتح محمد بن عبدالكريم ت ٥٤٨هـ)

١٩ - الملل والنحل، دار الكتب العلمية - بيروت (د.ت)

ابن طباطبا: (محمد بن على المعروف بابن الطقطقا ت ٧٠٩هـ)

٢٠- الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر: بيروت لبنان (د.ت)

عبود: ناقع

٢١ - الدولة الخوارزمية: نشأتها وعلاقاتها مع الدول الإسلامية، ونظمها العسكرية والإدارية (٦٢٨ - ٤٩٠هـ)، مكتبة الجامعة، بغداد ١٩٧٨م.

عروض (نظامى السمر قندى ت ٥٥٢هـ)

٢٢ - جهار مقالة «المقالات الأربع»، تحقيق محمد عبدالوهاب القزوينى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط الأولى، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩م.

الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ)

٢٣ - فضائح الباطنية، تحقيق عبدالرحمن بدوى، القاهرة ١٣٨٣هـ.

ابوالفدا (إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ)

٢٤ - المختصر فى أخبار البشر دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)

الفقى: عصام الدين عبدالرؤوف

٢٥ - الحياة السياسية فى بلاد الجبل ويزد فى عهد الكاكوية الديالمة

بحث منشورة فى مجلة المؤرخ العربى عدد ١٨، بغداد ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.
٢٦ - الدول المستقلة فى المشرق، دار الفكر، القاهرة (د.ت).
القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ).
٢٧ - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر - بيروت (د.ت).
القلقشندى (أبوالعباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ)
٢٨ - صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، دار الكتب بيروت، القاهرة ١٣٣١ هـ / ١٩١٣م.
ابن كثير (أبوالفدا إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ).
٢٩- البداية والنهاية، دار الفكر بيروت، القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.
كحالة: عمر رضا
٣٠- معجم المؤلفين: «تراجم مصنفى الكتب العربية»، دار إحياء التراث العربى - بيروت لبنان - «د.ت»)
ليسترنج: كى
٣١- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة «بيروت» ١٤٠٥هـ.
محمود: حسن أحمد، أحمد الشريف
٣٢ - العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٥م.
مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٣٣ - المعجم الوسيط، القاهرة: مطبعة المجمع - ط ٣ ١٩٧٢م.
ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم الحموى ت ٦٩٧هـ)
٣٣ - مفرج الكروب فى أخبار بن أيوب
تحقيق: جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة، ط الأولى القاهرة ١٩٦٠م
ابن الوردى (زين الدين أبوحفص عمر بن مظفر بن عمر ت ٧٤٩هـ)
٣٤- تتمة المختصر فى أخبار البشر «أخبار ابن الوردى»، المكتبة الحيديرة - النجف ١٩٦٩م
الوطواط (رشيد الدين محمد بن محمد العمرى ت ٥٧٣هـ)
٣٥ - حدائق السحر فى دقائق الشعر
نقلة إلى العربية، إبراهيم الشواربى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٤م.
٣٦- مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط «جمعها: محمد أفندى فهمى»
مطبعة المعارف - القاهرة ١٣١٥هـ.
ياقوت (أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى ت ٦٢٦هـ)
٣٧ - معجم البلدان، تحقيق: وستنفيلد، ليبسك، مطبعة الجامعة ١٨٧٠م
تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى - ط الأولى ١٩٩٣

د. سعاد عبدالله محمود عبدالله (*)

بنـو البريـدي
ودورهم المالى والسياسى فى الخلافة العباسية

المقدمة :

تتناول هذه الدراسة أخبار أسرة من الأسرات التي برز نجمها خلال القرن الرابع الهجري. حيث شهد هذا القرن، وما تلاه ضعف الخلافة العباسية. ومن ثم تطلع الكثير إلى الاستئثار بالنفوذ والسلطة كلاً في منطقته . بل ومحاولة الوصول إلى الإنفراد بالسيطرة على الخليفة والخلافة معاً. ومما يدل على الضعف السياسي والانهيار الشديد الذي أصبحت عليه الخلافة العباسية صعود نجم جماعات ليس لها أي شأن. أو ثقل سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تطلع بعض موظفي الدولة في عدد من الولايات - خاصة في جنوب العراق - إلى الدخول في حلبة الصراع ومحاولتهم تحقيق طموحات سياسية ، ومكانة اقتصادية مستغلين ضعف الخليفة ، وحالة الفوضى التي عليها البلاد.

ومن هنا ظهر بنى البريدى على مسرح الأحداث السياسية فى الحقبة من سنة ٣١٥ - ٣٤٩هـ / ٩٢٧ - ٩٦٠ م. مستغلين ضياع النفوذ السياسى للخلافة . وعدم وجود شخصية سياسية تبسط نفوذها على مناطق الجنوب . فأخذوا برغم قله عددهم يتطلعون إلى إحراز مكاسب ، ولم يكتفوا بذلك بل تطلعوا للسيطرة على الخلافة، ومحاولة الاستئثار بها من خلال حربهم للخليفة، ومحاولتهم الاستيلاء على المناصب الرفيعة بها - خاصة الوزارة - وعلى الرغم من قلة عددهم وقلة سنوات ظهورهم إلا أنهم ضربوا مثالاً واضحاً وبارزاً في كيفية الصراع والتنافس بين كافة القوى السياسية الكبيرة والصغيرة، دونما إلتفات منهم إلى قدسية الخلافة، ومكانتها ، وهيبة الخليفة.

---

*- مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية ـ كلية الآداب ـ جامعة حلوان

كذلك تبرز أهمية البريديين، في إنهم كانوا السبب المباشر في سيطرة البويهيين، على الخلافة العباسية، ودخولهم بغداد . فمما لا شك فيه أن البويهيين كانوا سيتوجهون إلى العراق آجلاً أم عاجلاً. إلا أننا لا نستطيع أن نغفل ما ترتب على استنجاد أبي عبد الله البريدي بهم في حربه ضد توزون ، إذ لا يجانبنا الصواب إذا قلنا إن ذلك كان من الأسباب التي عجلت بقصدهم العراق ، ومن ثم سيطرتهم على الخلافة في الحقبة التالية.

ومما يلفت النظر، في تاريخ هذه الأسرة ، إنها لم تكن أسرة متوارثة ولكنها ظهرت في آن واحد .وأيضا لم يظلوا كثيرا فقد تولى الأخوة الثلاثة في ذات الوقت فضلاً عن تأثر مكانتهم برضاء الخلفاء والأمراء في بغداد عنهم.

ولما مات أبو عبد الله البريدي خلفه ابنه أبي القاسم ، وقد شهد عهده ضعف هذه الأسرة، وتلاشى أثرها . والدليل على ذلك انعدام ذكر أخبارها، في كافة المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الحقبة، أو اللاحقة لها .ويرجع ذلك بالقطع إلى عدم تأثيره في السياسة آنذاك ، وعلى نهاية الأسرة، بوفاته سنة ٣٤٩هـ - ٩٦٠م. والذي ذكر في المصادر كلها ، فيما لا يتجاوز السطر. وبذلك فقد انتهى دور آل البريدي من الساحة السياسية للدولة العباسية.

بداية ظهور البريديين (١)

كان أول من ظهر منهم هو أبو عبد الله بن محمد البريدي فكان إنساناً مغموراً وعادياً يؤدي ما كلف به من أعمال، ويمتثل لأوامر أمرائه. كما ظل هو وأخويه شأنهم شأن صغار الموظفين يتولون بعض المناصب التي يكلفون بها دون سعي إليها. وفجأة ذاع صيت أبو عبد الله أثناء وزارة على بن عيسى (٢). فيأت خبره بأنه تذمر من إغفال الوزير له ولأخيه حيث أسند إليهما الولايات الأقل شأناً.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت أخبار البريديين تتردد في معظم مصادر التاريخ، تتناول أعمالهم، ومواقفهم السياسية تجاه الخلافة العباسية، وترصد طموحاتهم لاسيما أبي عبد الله في الحصول على المناصب الرفيعة حتى بلغ به الأمر التطلع للسيطرة على الخلافة.

ولقد برز نجم أبي عبد الله في سنة ٣١٥ هـ /٩٢٧ م عندما أسند إليه الوزير على بن مقلة (٣) ضمان الضياع الخاصة واقطاع الوزراء . بينما كان أبو يوسف يتولى لعلي بن عيسى الخراج برامهرمز (٤) سهلها وجبلها. وقد استاء أبو عبد الله من ضآلة ما كلف به من أعمال الأهواز (٥). وما حولها في حين أسند للجميع أجل الأعمال. لذلك اعترض على هذا وأعلن عصيانه (٦).

وأخذ أبو عبد الله البريدي في تتبع أخبار الوزارة . كما أرسل أخاه أبا الحسين إلى بغداد ، وأمره أن يخطب له ، في أعمال الأهواز، وما يجرى معها. وعمل على التقرب إلى الوزير الجديد، ليسند إليه كافة الولايات الجنوبية وإطلاق يديه فيها(٧).

ولما بقي أبو على بن مقلة في الوزارة . سار أبو الحسين إلى أبي أيوب السمسار ، وبذل له عشرين ألف دينار في مقابل تولية البريديين الأعمال الجنوبية. فتقلد أبو عبد الله الأهواز جميعها عدا السوس (٨). جنديسابور (٩) وتولى أخاه أبا الحسين الفراتية(١٠) . وأبي يوسف الخاصة والأسافل .وقد شرط عليهم أن يكون المال في ذمة أبي أيوب حتى يتصرفوا في الأعمال (١١) .كما استعان على بن مقلة بأبي عبد الله البريدي في القيام ببعض الأعمال الأخرى ، لخدمة الخلافة أو الوزارة فأمره بالقبض على عامله على بن أبي السلاسل . فتوجه إلى تستر (١٢) . واستولى من جهبذه على عشرة آلاف دينار ، فضلا عن أخذه صكوك بنفقات باطلة منه. كذلك أخذ من كاتبه ألفي دينار ، ومن خليفته ثلاثة آلاف دينار ، ومن حاجبه ألفي دينار .لم يكتف أبو عبد الله بما استولى عليه من أموال طائلة بل سعى للحصول على المزيد (١٣). مما أدى إلى تخوف ابن مقلة من ازدياد نفوذه فعمل على عزله من الأعمال ، وعين مكانه أبي محمد الحسين بن أحمد المادرائي(١٤) ، للإشراف على عماله. أخذ أبو عبد الله في إثارة القلاقل ضد أبي محمد فسد عليه الطرق ، واستولى على كل الرسائل قبل وصولها إلى بغداد. لذلك اضطر أبو علي إلى إعادته رغم كرهه له (١٥) بينما يذكر ابن الأثير في شأن هذا الخبر ، أن ابن مقلة عندما علم، بدهاء البريدي ، ومكره وقلة دينه وتهوره جعل أبا محمد الحسين بن أحمد المادرائي مشرفا عليه إلا أن ذلك لم يفت في عضد أبي عبد الله ، فلم يهتم به ، ولم يلتفت إليه (١٦).

وقبيل صرف، أبا الحسن على بن عيسى عن الوزارة بعدة أيام كتب إلى أبي عبد الله البريدي، يأمره باستخراج كافة الأموال ، الموجودة ببيت مال الأهواز. خاصة بعد أن تجمعت به أموال الجهات ، والولايات التابعة. والتي بلغ مقدارها ألفي ألف ومائتي ألف درهم. فضلا عما حصله من الأموال المتأخرة والتي جاءته بعد صرف أبا الحسن فلم يتمكن من أخذها (١٧) .فلما تولي أبو علي بن مقلة أنفذ إليه أبو عبد الله البريدي، سفاتج (١٨) بثلاثمائة ألف دينار ممن تبقى من مال الأهواز لمودة كانت بينهما (١٩) .

مصادرة البريديين والقبض عليهم:- قرر الخليفة المقتدر بالله (٢٠) القبض على البريديين الثلاثة. فأرسل إلى أحمد بن نصر القشوري (٢١) كتاباً يأمره فيه بالامتثال لأمره في القبض عليهم، ووضعهم في داره ، وحذره من إطلاقهم إلا بتوقيع يأتيه بمثل الخط الذي في توقيعه ، بالقبض عليهم، ووعده نظير ذلك برفع درجته وليحظى برضاه. ولقد أسرع أحمد بن نصر بالتوجه بنفسه إلى دار أبي عبد الله ، وأنفذ حاجبه أبا يعقوب إلى دار أبي يوسف. وأرسل أحمد بن مقبل إلى دار أبي الحسين ، وذلك للقبض عليهم جميعاً في آن واحد.ولكن لم يجدهم، وذلك لخروجهم قبيل وصول هؤلاء حيث كان الخبر تسرب إليهم ، فركبوا طيارتهم(٢٢) بدعوة رغبتهم في زيارة مسجد الرضا (٢٣) المتصل بالشاذروان (٢٤) في الأهواز ثم قصدوا البصرة(٢٥).

ولما علم أبو نصر بذلك، غضب وقرر إرسال أبا يعقوب،وغلمانه ورائهم للقبض عليهم. وقد تصادف ذلك مع شدة الرياح، مما حال بين البريديين وبين المسير. فنجح أبو يعقوب في اللحاق بهم والقبض عليهم(٢٦) .

حاول أبو عبد الله البريدي، أغراء أبي يعقوب .فعرض عليه خمسين ألف دينار مقابل إطلاقهم، لكنه رفض . ثم سأله أن يفرج عن أحد أخويه نظير عشرين ألف دينار فرفض أيضا. وقام بتسليمهم إلى أحمد بن نصر ، الذي حبسهم في داره(٢٧) .وقد تحايل أبو عبدالله البريدي على أحمد بن نصر القشوري بإدعائه وصول كتاب من الوزير يأمر فيه بإطلاقهم ، وإقراره والنظر في الأعمال، وأعطى الكتاب لأحد رجاله ، ليدفعه إلى أحمد . فلما اطلع عليه اكتشف تزويره وافتضح أمره، وذلك لعدم مطابقة الخط به بخط الخليفة ، والتزاماً منه بتنفيذ أوامر الخليفة بعدم خروجهم إلا برسم الخط ذاته في كتاب القبض(٢٨) .فلما فشلت هذه المحاولة، شغب أهالي الأهواز فقاموا بإضطرابات، وثورات طالبوا فيها بإطلاق سراح البريديين، فهددهم القشوري بقتل الثلاثة وإرسال رأسهم إلى الخليفة إذا لم يتفرقوا(٢٩).

وقد أتهم القشوري البريديين بتأليب الناس ضده حتى لا ينكشف تزويرهم ، ومحاولتهم الهرب. لذلك اعتذر البريديون عما فعلوه، وأمروا رجالهم بالانصراف(٣٠) .ولم يمض على ذلك وقت طويل، حتى أرسل الخليفة رسولا لاصطحابهم إلى بغداد. كما أوكل بهم من يصادر جميع أموالهم حتى يكسر شوكتهم ، ويضعف نفوذهم. فبلغ ما صودروا به أربعمائة ألف دينار، وقد فاق هذا المبلغ توقع الخليفة حيث ظن إنهم لا يمتلكون الكثير من الأموال(٣١).

ويقال أن: أبا عبد الله البريدي انتهز الفرصة، بحاجة الخليفة إلى الأموال فأعطاه أكثر مما طلب ، حتى يعتقد الخليفة علو قدره، فيسعى إلى تجديد الصنيعة عنده حتى يحصل منه على مزيد من الأموال. كذلك هدف البريدي إلى خلاصهم مما فيه، وعودتهم إلى أعمالهم. خاصة بعد نجاحه أيضا في استمالة بعض رجال الخلافة إلى جانبه ، حيث حرصوا على مداراته وخدمته(٣٢) .

استمر البريديون في التودد إلى الخلافة بعد خروجهم من السجن، وعملوا على تلبية كل طلباتها - خاصة إمدادها بالمال - وذهبوا من وراء ذلك إلى إثبات قدراتهم وكفاءتهم عند الخليفة . لذلك اختصوا بدفع الضمانات(٣٣).

ولقد أتت هذه السياسة ثمارها وجنى البريديون نظير ذلك. فقلد الخليفة المقتدر أبا يوسف يعقوب بن محمد البريدي أعمال البصرة من الخراج والضياع والمراكب، وكافة وجوه الجبايات بها مقابل نفقات البصرة (٣٤) ووضع مقدار ثلاثون ألف دينار ، بتحويلها على مال الأهواز (٣٥) .لم يستمر أبو يوسف ، في مباشرة هذا العمل، فتربص به أبو الفتح الفضل بن جعفر(٣٦) فاستكثر ضم البصرة والأهواز، لتحصيل الأموال المقررة على أبي يوسف. فقرر النظر في الأعمال، وتسييرها بنفسه، وقام بضبط الأمور وأطلع أبي يوسف عليها .فلم يستطع إنكار شيئاً مما أخرجه. فأسند له أعمال إضافية. فأمره بتخصيص ألف رجل زيادة لحفظ السور وتسدبد كافة النفقات المتعلقة بذلك .بالإضافة إلى إرساله ستين ألف دينار إلى بيت مال بغداد (٣٧) وظل تضييق الخناق علي البريديين من قبل الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر وغيره ، ونالت هذه المرة أبا عبد الله البريدي فالزم بدفع مائة ألف دينار. كما أرسل إليه

أيضا ابن مقلة لإبعاده عن بغداد حتى لا ينافسه في الوزارة(٣٨) فقام البريدي بإرساله إلى شيراز (٣٩).

ورغم كل الصعوبات التي احيطت بالبريديين إلا أنهم ظلوا حريصين على التقرب من الخلافة، والمشاركة في الأحداث الهامة، وبقوا على توددهم لكبار رجال الدولة خاصة ممن لهم نفوذ، حتى يكونوا سنداً قوياً لهم في المستقبل. لذلك وقفوا إلى جانب أبي الحسين بن عمر (٤٠) أثناء محنته مع الخليفة، وأبي بكر ابن قرابة(٤١) فقدم له أبو يوسف ، ثلاثة آلاف دينار ليفتدى بها نفسه، أو يختفي عن أعين الخليفة كما توسطوا له ، عند الخليفة حتى عفي عنه، وقلده قاضي القضاة وقد جلب موقفهم عداء أبي بكر بن قرابة، فذهب لحربهم عندما خالفوا أمر الخليفة (٤٢) ولم يلبث أن صودروا للمرة الثانية ، وعزلوا عن أعمالهم، على يد ابن مقلة حيث صادرهم على ستمائة ألف دينار، واعتقلهم محمد بن خلف (٤٣) في داره حيث خصص لكل واحد منهم مكانا منفردا حتي لا يجتمعون. ويقال أن: السبب في نكبتهم ، تقاعسهم عن الوفاء ، بما عليهم من أموال، وما عليهم من التزامات. في حين نجح محمد بن خلف في أن يستولى منهم على عشرين ألف دينار بالقوة كما الحق بأبي يوسف وأبي الحسين الكثير من الأذى. بينما أخذ أبو عبد الله في التودد إليه، خاصة بعد أن استولى ابن خلف على كافة أعمالهم بأمر ابن مقلة. ولقد أوهم أبو عبد الله ابن خلف إنه يعمل تحت إمرته ، ويقوم بمال النواحي بالزيادة التي بذلها ، وظل أبو عبد الله على ذلك حتى عفا عنه(٤٤)

لم يأل أبو عبد الله جهداً، في التقرب أيضاً ، لأبي بكر بن قرابة فأرسل يعرض نفسه للانخراط في خدمته، ومده بالأموال لذلك طلب أبو بكر إخراجه من الحبس وقدومه إليه (٤٥)

ولما خرج أبو عبد الله من الحبس أخذ في تدبير مؤامرة للتخلص من ابن خلف حتى يتمكن من استعادة أعماله. فتآمر مع خادمه إسحق بن إسماعيل على أن يبقى بداره، ولا يباشر له أعمال. حتى يخرج أبو عبد الله البريدي مع ابن قرابة . وعندها يذكر لابن خلف إن ابن مقلة يبغضه وينافسه، ويتهمه بطلب الوزارة وإنه يريد من ذلك استنفار الأعداء ضده، وأخذ أموالهم بحجة حربه له. كما أوهمه أن أبا عبدالله البريدي ضمنه بثلاثمائة ألف دينار(٤٦).

استمر أبو عبد الله البريدي في تنفيذ مؤامرته،ضد ابن خلف فسعى به عند ابن مقلة، وخوفه منه بانه يسعى إلى الوزارة، وأشار عليه بطرده. وقد ظل أبو عبد الله، مقيما بالأهواز، لانتظار ما تسفر عنه المواجهة بين ابن مقلة ، وابن خلف(٤٧) .

نجحت سياسة أبو عبد الله في إعادتهم إلى أعمالهم، واستقامت الأمور لهم. وأصبح لهم الكلمة العليا لدى ابن مقلة. وقاموا بكثير من الأمور، إرضاء لابن مقلة منها في سنة ٣٢١هـ / ٩٤٢ م قيام أبو يوسف بالوساطة بينه وبين أبي الخطاب (٤٨) وقرر أمره على عشرة آلاف دينار. كما أخذ خط أبى عبد الله بحمل ثلاثة آلاف دينار شهريا ، وخط أبي يوسف وأبي الحسين، بألف وخمسمائة دينار شهرياً(٤٩).

حرص أبو عبد الله كذلك على توطيد علاقته بالخليفة القاهر(٥٠) . فأخذ في مساعدة الخلافة في حربها ضد الخارجين عليها ،وتقديم الجيوش وإنفاق الأموال لحرب عبد الواحد بن المقتدر. ومما يجدر ذكره أن أبا عبدالله هدف من وراء ذلك كله، إبعاد كل المتنافسين عن الأهواز ، وغيرها من البلاد المجاورة حتى ينفرد ببسط نفوذه عليها كلها. ولأجل ذلك أيضا قام أبو عبدالله ،بعرض مبالغ كبيرة لضمان البلاد. كما قدم مساعدة مالية للخلافة، مقدارها ثلاثين ألف دينار(٥١) . ووعد أن يضمن السوس نظير ألف دينار ، وتستر مقابل عشرين ألف بشرط أن يتولى الأهواز . فأجيب إلى ما طلب(٥٢).

كذلك صار أبو عبدالله نائبا للوزير ،في كل الأمور ببلاد الأهواز وجنوب العراق. ثم دخل البريدي تستر، بعد رحيل محمد بن ياقوت (٥٣) عنها ، فأساء إلى أهلها ، واشتط في تحصيل الأموال بشتى الوسائل، منها كبس اليهود ومعظم التجار، وأخذ ما بدور الصيارف من مال فتجمع لديه مائة ألف دينار (٥٤) .

وسرعان ما اختفى البريديون فجأة مرة أخرى من الساحة السياسية بعد استبعاد ابن مقلة، وذلك لخوفهم من نقمة الخليفة ورجاله. فقلد أبو جعفر الكرخي (٥٥) – الوزير الجديد – أعمالهم إلي غيرهم وظلوا مبعدين حتى توسط لهم، إسحاق بن إسماعيل ، فأخذ لهم أماناً من الوزير .وقد كلم الوزير الخليفة في أمرهم ، بإنه أعادهم إلى أعمالهم ، وردهم إلى ضمانهم بالبصرة والأهواز، وقد أطمعه في زيادة مال الضمان منهم(٥٦) .

وعندما رشح الخليفة القاهر للوزارة أبي العباس الخصيبي (٥٧) سأله عن رأيه في أمر البريديين. فأشار عليه بضرورة القبض عليهم قبل إعلان توليه الوزارة. حتى يتمكن من استخراج كافة أموالهم. فأرسل القاهر إلى سابور الخادم للقبض على بني البريدي(٥٨) .

كان بنو البريدي قد احتاطوا كثيراً ، فقاموا بإرسال جواسيسهم لتتبع سابور، وأصحاب القاهر. فلما بلغهم ما قرره الخليفة ضدهم اختبئوا، ولم يعثر لهم على أثر عندما كبس رجال الخليفة دورهم (٥٩) .

ثم تم القبض على أبي يوسف البريدي ،وأرسل إلى دار الوزير فأحسن وفادته ، وكتب الخليفة للوزير بمصادرته ومصادرة أخويه. وكان الخليفة القاهر حريص على مصادرة، أبا يوسف أولاً ، وذلك لكثرة أمواله (٦٠).وقد رفض أبو يوسف أمر المصادرة عندما عرضه الوزير عليه، وشرط على الوزير تنفيذه إذا ظل في الوزارة. وأما إذا عزل عنها فلا حاجة له في مصادرته من أجل الخلافة. وبينما كان أبو يوسف في دار الوزير إذا برجال الخليفة يقومون بالقبض على الوزير ، ومعه أبي يوسف ، وإرسالهما إلى بغداد(٦١) .حبس أبو يوسف ببغداد. وتعرض لشتى أنواع التعذيب. وقد لحق به الكثير من الأذى منها مطالبته باثنى عشر ألف ألف درهم (٦٢).

تجددت الوساطة للإفراج عن البريديين . فنجحت في أخذ كتب الأمان بخط الخليفة، لأحمد وعلى، ولما شهد القضاة علي كتاب الأمان اطمئن البريديون من جديد. ثم أخذ أبو عبد

الله في العمل، على تقوية مركزه، هو وأخويه فأخذ مواثيق عدة وعهود من الوزير، وكبار رجال الدولة، بعدم تعرضهم للمصادرة والحبس مرة أخرى. من ذلك أيضاً معاتبته لأبي العباس الخصيبي لتقاعسه عن نصرتهم والدفاع عنهم لدى الخليفة. رغم خدماته الكثيرة التي قدمها له، وقت محنته مع الخليفة ، فطالبه برد الجميل له، من خلال تثبيت أقدامهم في الأعمال والدفاع عنهم. وقد دافع الخصيبي عن البريديين ،وتعزيز مكانتهم ، لدى الخليفة خاصة أبي عبد الله ، حيث أثنى عليه، وعلى سعة صدره وطاعته الشديدة.فكان ذلك سبباً في إطلاق سراح أبي يوسف من حبس الخليفة. كذلك نصح الخصيبي أبا عبد الله بزيادة الأموال للخليفة ألفي ألف درهم ،فوافق أبو عبد الله شرط إطلاق أيديهم لجمع المال(٦٣).

سعى أبو عبد الله كذلك إلى توطيد علاقته، بأبي بكر محمد بن رائق (٦٤) والتي أسفرت عن تعاونهما ، حيث أشار ابن رائق ، على أبي عبد الله، بالخروج مع رجاله ، للاستيلاء على الأهواز في حين خرج هو عن البصرة حتى لا يظهر اتفاقهما.كذلك أشهد ابن رائق على البريدي بالضمان فاستخلف البريدي أبا الحسن محمد بن حمد الواسطي بينما أقام هو بالنعمانية (٦٥) للنظر في أعمال الموفقي ثم قصد بغداد(٦٦) .

لم يتمتع البريديون بحريتهم كثيراً إذ سرعان ما انقلب الخليفة عليهم. وقرر مصادرتهم والقبض عليهم فبينما كان أبو عبد الله وأخيه يسيران بالسوق في انتظار خروج الخصيبي جاءهم الخبر ، فقاموا بالاختباء في أنهار الأهواز حتى خلع القاهر وتوليه الراضي بالله(٦٧) .

تنفس البريديون الصعداء بخلافة الراضي بالله فأسرع أبو يوسف بارسال الكتب إليه لاسترضائه. كما عاود ابن مقلة تضمين أعمال الأهواز للبريديين ، وأخذ خطوطهم بمائه ألف دينار فقلد أبا عبد الله خوزستان، وقلد أخوته البصرة، والسوس، وجنديسابور، وكور دجلة، وبادوريا ،والأنبار ، وبهرير وقطربل، ومسكن (٦٨)

بدأت مرحلة جديدة في حياة أبي عبد الله البريدي عند ظهور مرداويج الزياري(٦٩) وحربه بالعراق ضد ياقوت بن محمد والخلافة العباسية. فلما نزل ياقوت وابنه الأهواز بعد أن كلفه الخليفة بحرب مرداويج عمل أبو عبد الله كاتباً لياقوت . بالإضافة إلى ما تحت يديه من أعمال الخراج، والضياع بالأهواز، وصار أخوه أبا الحسين نائبا له ولياقوت ببغداد(٧٠).

كذلك اشترك البريدي في حرب مرداويج ،فأرسل جيشا قوامه أربعة آلاف رجل، بقيادة مؤنس غلامه، إلى عسكر مكرم(٧١) لتضييق الخناق على جيش مرداويج ، إلا أن مؤنس هزم أمامه (٧٢).

وعندما واصل ياقوت الحرب ضد على بن بويه(٧٣) ، خلفا لمرداويج– بعد وفاته - حرص أبو عبدالله البريدي ، على دعم ياقوت حتى تبقى الأهواز وواسط بيده . فزحف إلى عسكر مكرم بنفسه، كما أمده بثلاثمائة ألف دينار(٧٤).ولما هزم ياقوت، ونجح ابن بويه في التوجه إلى رامهرمز، عندئذ خاف أبو عبدالله ، لاقتراب ابن بويه ، من الأهواز فأسرع إلى مراسلته وتم الصلح بينهما(٧٥).

أخذ نجم أبو عبدالله البريدي يلمع منذ سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤م فعلت مكانته، وشأنه بشكل كبير(٧٦). وكان قد استقر به المقام في أسافل الأهواز يدبر أمورها حتى عينه ياقوت كاتبا لابنيه، فخرج معه إلى واسط وظل في خدمتهما حتى تم القبض عليهما. وقد استعان ابن مقلة بأبي عبد الله البريدي لكي يبرر لياقوت إقدامه على القبض عليهما، ومبررا هذا نتيجة لثورة الناس ببغداد ، ومطالبتهم بالقبض عليهما. وعندما عرض ابن مقلة على ياقوت ، فتح فارس من ابن بويه . قام البريدي بإخراج بعض رجاله، ليكونوا في خدمة ياقوت. كما عين له كاتباً حتى يظل هو مقيماً بالعراق(٧٧).

أسرع البريدي بدخول الأهواز عبر الماء. ثم لحق به أخيه أبي يوسف حيث ادعى هو وأخيه أبي الحسين ،عجزهم عن تحصيل أموال، مما تحت أيديهم من ضمانات ،لسنتي ٣٢٢-٣٢٣ هـ / ٩٣٣-٩٣٤م. وذلك لاستيلاء بعض رجال مرداويج على المال سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣م. بينما ظلم بعضهم الناس، فلم يتمكنوا من الزراعة ، وتعطل الأمور بتلك النواحي في السنة التالية. ولما بلغ هذا الأمر ابن مقلة أرسل للتأكد من صحته. وكان البريديون قد استولوا على الأموال بالفعل، ولكن احتفظوا بها لأنفسهم ، فلما تمت خديعتهم للخلافة. استأثروا بالأموال ،وقد قدرت بنحو أربعة ألف ألف دينار. مما أدى إلى ثرائهم، ومن ثم تطاولهم على الخلافة(٧٨).

كذلك عمد أبو عبد الله البريدي، إلى إبعاد ياقوت عن الأهواز وجنوب العراق، فعرض عليه التوجه إلى أرجان (٧٩) لفتحها.

استفحل أمر أبو عبد الله البريدي إلى حد تجرئه على الخلافة ذاتها، فقرر عدم إرسال أي أموالاً إليها. مدعيا صعوبة تحصيلها أيضا وقام بإرسال كتاب في هذا المعنى إلى الخلافة . فاستوحش لذلك الوزير ابن الحسين بن على بن مقلة. مما اضطره إلى الرد بكتاب يأمره فيه بإرسال المال، على وجه السرعة، وبعث له ابن الكوفي(٨٠).ورغم فشل ابن الكوفي في مهمته، وخوفه من البريدي ومحاولته النجاة من بطش أبي عبد الله به. أخذ أبو عبد الله في اصطناعه ، بهدف إفساد الأمر على الوزير، وإيقاع الفتنة بينه ، وبين ابن رائق ، لذلك أمده بالمال المطلوب لتحقيق هذا الأمر(٨١).

لم يكتف ابن الكوفي بذلك بل زين لأبي عبد الله الخروج على الخلافة ، فحط من شأنها أمامه. كما وضح له مدى ضعفها فضلاً عن إظهاره عيوب ابن رائق وياقوت وغيرهما. وقد وجد هذا الأمر هوى لدى أبي عبد الله، لما فيه من تطابق لطموحه وتطلعه إلى السلطة (٨٢) لذلك علت مكانة ابن الكوفي عند البريدي حتى إتخذه مستشاراً له ، وصار من أهم المقربين له. ويصور ابن الكوفي نفسه المكانة الرفيعة التي حظى بها أثناء مقامه لدى البريدي قائلاً: «.. ما مر لي عيش أطيب من عيش مع البريدي فإني أقمت عنده نحو سنة غير متصرف، ولا داخل تحت تبعه ، ولا تعب بنظر في عمل ، ولقد عاشرني أجمل عشرة ووصل إلى منه عينا وورقا ومن قيمة العروض التي أنفذها إلى خمسة وثلاثون ألف دينار.» (٨٣).

وقد استشاط ابن مقلة غضبا بما فعله الكوفي عند أبي عبد الله البريدي، فأرسل كتابا إلى البريدي يطالبه بإبعاد الكوفي، وأن يعود هو إلى طاعته ويبقى، على المودة بينهما، ويسرع في إرسال الأموال لحاجته إليها(٨٤).

تآمر أبو عبد الله البريدي ضد ياقوت:- كان ياقوت ، قد هزم أمام على ابن بويه بأرجان، فاضطر للعودة إلى عسكر مكرم. انتهز أبو عبدالله البريدي حرج موقف ياقوت ، فعمل على القضاء عليه، والاستحواذ على ما بيده من أعمال. فنصحه بالبقاء في عسكر مكرم، بحجة الراحة ولتدبير الأمر له. بينما هدف أبو عبد الله، من وراء ذلك عدم ملاقاته(٨٥) .كذلك توجه أبو يوسف لمقابلة ياقوت لدعمه، وللوساطة بينه وبين أخيه. كما خصص له خمسين ألف دينار ليجهز بها جيشه إلى أن يكتب أبو يوسف للخليفة ، يخبره بشأنه وجنده (٨٦).كذلك وضح أبو يوسف لياقوت اضطراب رجاله، الموجودين بالأهواز ضده لمطالبتهم بالمال. وإنهم يثيرون القلاقل، ويمنعون الأموال من الوصول إليه. مما اضطر أبو عبدالله إلى ترك الأهواز، لقيامهم بالشغب ضده(٨٧).

فلما ازدادت حالة ياقوت سوء، خاصة بعد ترك كثير من القواد له. كتب إلى البريدي يعلمه بما حدث ، ويؤكد على تمسكه به ككاتب، وأن يصبح مدبر أمره. كما فوض إليه النظر في كافة أموره، ومنها التعامل مع هؤلاء الفارين(٨٨).

قتال أبو عبد الله لياقوت:- واصل أبو عبد الله البريدي تدبير المكائد ضد ياقوت – رغم ثقة الأخير به - حيث تآمر مع رسوله، على أن يبين لياقوت ضرورة، إخراج جنده إلى عبد الله البريدي، ليصلح له أمرهم لصعوبة قدومه بنفسه لكثرة اشغاله . كذلك أشار عليه بإرسالهم إليه على دفعات حتى يسهل عليه تأديبهم. لم يتردد ياقوت ، في قبول هذا الرأي وأسرع في إرسال الجند فقام أبو عبد الله باختيار أحسنهم ، ليظلوا معه في حين رد الآخرين إلى ياقوت بعد أن كسرهم ، وأسقط من أرزاقهم (٨٩) .

وعندما شعر بعض رجال ياقوت بسوء نية البريدي تجاهه فحذروه منه، وأشاروا عليه بالتخلص منه قبل ازدياد نفوذه، فلم يستمع إليهم وظل على ثقته التامة به، وبرر لأبي عبد الله استئثاره ببعض رجاله ليعدهم له، ويردهم إليه وقت الحرب. وقد تحرج موقف ياقوت بعد تضييق جنده الخناق عليه مطالبين بأرزاقهم. فكتب إلى البريدي يطالبه بإرسال أموالاً لإنفاقها عليهم فلم يرسل له شيئاً(٩٠).ظل البريدي يماطله حتى اضطر ياقوت للخروج بنفسه إلى الأهواز لمقابلته، ولقد حرص ياقوت على المودة للبريدي، فاصطحب معه قليلاً من الجند لئلا يستوحش البريدي منه، ويظن مجيئه للحرب. وإنما قصد كاتبه ومدبرشئونه (٩١).

فلما سمع أبو عبدالله بقدومه خرج لاستقباله، وأحاطه بالود والطاعة، وأنزله في داره، وقام على خدمته. لكن في نفس الوقت عمل البريدي على إثارة الجند ضده. فما كاد ياقوت ينتهي من طعامه، حتى ثاروا بالباب يريدون قتله. فطلب أبو عبد الله منه الرحيل كي ينجو بنفسه، فخرج ياقوت مسرعاً عائداً إلى عسكر مكرم (٩٢) .ثم كتب له البريدي أيضا أن الجند

ما زالوا ثائرين، وإنه فشل في إصلاحهم ،أو صرفهم . لذلك فهو يخشى عليه منهم حتي لا يقصدونه، خاصة وإنه مقيم بالقرب منهم، لذلك عليه أن يترك عسكر مكرم،ويتوجه إلي تستر لبعدها عن الأهواز ،وكان قد أرسل إلي عامل تستر أن يخصص له خمسين ألف دينار.(٩٣)

رأى كثير من رجال ياقوت – وعلى رأسهم غلامه مؤنس - أن أبا عبد الله قد استفحل أمره بشكل يثير القلق عليه. لذلك أخذ مؤنس يحثه على ضرورة التخلص منه، وقتاله ، حتى لا يتمكن من التطاول عليه، وتحقيق مآربه السياسية في الوصول إلى السلطة، والانفراد بالحكم فيجب طرده من الأهواز فإذا لم يستطع عليه التوجه إلى بغداد لرئاسة جنده هناك، وأن ياقوت عليه فعل ذلك لأنه الأمير، وأبي عبد الله مجرد كاتبا عنده. ورغم كل ذلك لم تتغير ثقة ياقوت بأبي عبد الله، والدليل على ذلك، رده على مؤنس بقوله: « لا تقل في أبي عبد الله هذا فلو كان لي أخ ما زاد على محبته ». (٩٤)

فلما رأى مؤنس تقاعس يا قوت عن مواجهة البريدي وانخداعه فيه.قرر الخروج بنفسه لحرب البريدي – حفاظا على سيده - على رأس ثلاثة آلاف رجل، قاصدا الأهواز ، وفتحها ثم تسليمها إلى ياقوت فظن ياقوت خيانة مؤنس له فأرسل إلى صاحب الشرطة بعسكر مكرم، يعلمه أن مؤنس خرج مخالفاً، ومعادياً له، ويأمره بحربه ومنعه من الخروج حتى يلحق به. (٩٥) .اضطر مؤنس إلى البقاء ريثما يجيء ياقوت. في حين جهز البريدي جيشا بقيادة غلامه أبي جعفر الجمال، وبه الكثير من جند ياقوت الذين انضموا إليه فلما وصل ياقوت إلى معسكر مكرم، وعلم بما قام به أبو عبد الله مكث مكانه وتحاشى مقابلة جيشه. (٩٦)

كما تأزمت أحوال ياقوت، خاصة وإنه رفض مواجهة البريدي، وظل على ضعفه تجاهه. مما أدى إلى خروج أكثر جنده إلى أبي عبد الله، ومع ذلك لم يحرك ساكنا، ولم يستمع لرأي رجاله مرة أخرى في التخلص من البريدي خوفا من ازدياد قوته، بانضمام جنده للبريدي، ومع ذلك اكتفى بقوله:« إلى كاتبنا يمضون ،وإذا كانت هذه نياتهم لنا فما الانتفاع بهم».(٩٧)

كذلك تحرج موقف ياقوت بسبب قبض الخليفة الراضي بالله ،على ابنيه(٩٨) محمد والمظفر في الخامس من جمادى الأولى سنة ٣٢٣ هـ /٩٣٤م ولمدة أسبوع وقد مات محمد في الحبس ثم أطلق المظفر فسار إلى أبيه. (٩٩)

عندما تأكد أبو عبد الله من قوته وضعف يا قوت تظاهر باستمراره على الولاء والطاعة له. فبعث له رسالة أكد له فيها إنه كاتبه وما زال على عهده له ، وإنه لا يتطلع إلى منافسته في الإمارة، وتمادى أبو عبد الله في شرح سوء حالته لياقوت بسبب كثرة الجند عنده، وشغبهم عليه، إلى حد خوفه ،على حياته منهم، لذلك فهو لا يرغب في وجودهم عنده. وذهب أبو عبد الله في إظهار ، ولائه لياقوت إلى حد مطالبته بمصاهرة لتوطيد العلاقة بينهما بتزويج ابنته من أبي العباس احمد بن ياقوت (١٠٠) . وقد قبل ياقوت جميع ما قاله وطلبه أبو عبد الله ثم نزل بتستر حيث التقى بابنه المظفر ، فأشار على أبيه بالخروج لمقابلة

الخليفة، وشكره على إرساله له .واقترح عليه الإقامة بدير العاقول (١٠١) . حتى يأذن له الخليفة في الدخول، وبذلك يتم له ما يريد – خاصة التقائه باتباعه -وإذا فشل في ذلك قصد الموصل (١٠٢). وإلا توجه إلى الشام.(١٠٣)

ولما رفض ياقوت اقتراح ابنه خرج المظفر إلى البريدي حيث أحاطه بالرعاية بهدف أضعاف جانب أبيه. كما وعده بتعينه اسفهلار (١٠٤)عسكره وتسليمه تدبير أموره . مما اغري المظفر ، وتوجه إليه بالاهواز. (١٠٥) وكذلك احتاط البريدي . وعمل على الاستعداد لخوض حربه ضد يا قوت. فخاف أن يميل أصحاب ياقوت إليه، أثناء القتال، أو ينادوا بشعاره فيهلك. لذلك أرسل إلى ياقوت ، يحذره على لسان الخليفة ، ويأمره بترك مكانه ، وعليه التوجه إلى بغداد مع خمسة عشر غلاماً فقط أو أن يتوجه إلى بلاد الجبال ، فيتقلدها . وأدعي إنه كلف بحربه ، وإخراجه إذا رفض (١٠٦)

وأخيراً فطن ياقوت ، إلى خداع البريدي له ، وطمعه فيه فتعلل له حتى يستمهله شهراً، للاستعداد للخروج فرفض البريدي ، بحجة عدم مخالفة أمر الخليفة ، وأسرع بتوجيه عساكره إلى الاهواز. (١٠٧) وقد أخذ ياقوت، في إرسال الجواسيس عنده ليأتوه بأخبار البريدي، فنجح أبو عبد الله، في استمالة أحدهم ، وإغرائه بالمال نظير إخباره ياقوت أن البريدي وأصحابه وصلوا إلى عسكر مكرم، وتفرقوا بالدور هناك . فلما ابلغ الجاسوس ياقوت بذلك. توهم ياقوت انه سيظفر به في سهولة ويسر ، ورتب مع مؤنس على أن يسيروا ليلاً، من تستر فيصبحوا بعسكر مكرم ، فيكبسوا جيش أبي عبد الله . وصور ابن مسكوية تفاؤل ياقوت، وقناعته بهزيمة أبي عبد الله بقوله:« ظفرنا والحمد الله بعدونا، وكافر نعمتنا فنسير من تستر وقت عتمة ، ونصبح عسكر مكرم، والقوم غارون في الدور فنكبسهم، ونشردهم ونمتد إلى الأهواز فلا يثبت لنا البريدي بل يكون همه الهرب لوجهه . فقال مؤنس: «ارجو أن يكون هذا صوابا ».(١٠٨)

فلما وصل ياقوت ، لم يجد أحداً. فتأكد من خيانة جاسوسه ، فظل مقيماً حتى ظهرت طلائع عسكر البريدي عند العصر . ومن ثم بدأت الحرب، بين الطرفين وكان أبو عبد الله، قد احتاط قبل دخوله الحرب. فجهز جيشاً أخر قوامه ثلاثة آلاف رجل لمساعدة الجيش الأساسي في تضييق الخناق، وحتى يكون كمينا ضد ياقوت(١٠٩). سولقد نجح ياقوت في هزيمة البريدي في بداية المعركة، وكاد أن ينتصر على أبى جعفر الجمال. وفجأة خرج كمين البريدي. فهزم ياقوت ورجاله. وفر هارباً بعد ترك دابته، ونزع سلاحه وثيابه ، ثم لجأ إلى رباط (١١٠). وتشير المصادر إلى إمكانية نجاة ياقوت، حال دخوله الرباط، لعدم تتبع جيش أبي عبد الله البريدي له إلا انه بقي بجوار الحائط، فظفر به بعض رجال البريدي فحزوا رأسه (١١١). وعندما سمع الجمال بخبر قتل ياقوت، قبض على المظفر، وأرسله إلى بغداد (١١٢). كذلك أرسل البريدي إلى تستر من حمل الجواري، والأموال الخاصة بياقوت. مما أدي إلى ازدياد قوة ونفوذ أبي عبد الله البريدي. (١١٣)

وعقب وفاة ياقوت ثار رجاله ببغداد ، فاجتمعوا لدي الخليفة الراضي ، واتهموه بالقبض على أبناء ياقوت بدون ذنب وحبسهما ، فضلا عن تحريضه لأبي عبد الله بقتل ياقوت . حاول الخليفة تبرئة نفسه بتقديم خطابات البريدي إليه، والتي يشكو فيها من تصرفات ياقوت ، ورد ياقوت عليها . كذلك وعدهم بعزل البريديين ، وإرسال جيشاً لحربهم. (١١٤)

عندما سمع أبو عبد الله بخبر ثورة رجال ياقوت خشي على نفسه . وعلى أخيه أبي الحسين أن يقتلوه لإقامته ببغداد . كما كتب أبو يوسف له أن يحتاط لنفسه منهم . فضلا عما قام به من استعدادات قوية لدخوله وأبي عبد الله بغداد فرصدوا لذلك جميع ما تحصلوا عليه ، من أموال بما تحت أيديهم من أعمال. (١١٥)

حرص أبو عبد الله منذ تخلصه من ياقوت . على التقرب من الخلافة، والمشاركة في أحداثها . كذلك تحرك سريعاً متجها إلى البصرة ليتم الأمر له . وقرر إذا فشل في السيطرة عليها أن يقصد عمان (١١٦) ويستنجد بصاحبها يوسف بن وجيه . ومنها يتجه لفارس (١١٧) لطلب المساعدة من على بن بويه . أو يقصد صاحب خراسان .(١١٨) بينما تشير المصادر أن عبد الله صار مستوليا على خوزستان ، والأهواز ، وقام بقطع الأموال عن الخلافة. (١١٩)

كذلك صار أبو عبد الله البريدي أحد أطراف السياسة العباسية . ومن أهم المنافسين للسيطرة عليها ، فكان هو وابن رائق ، وبجكم (١٢٠) مثلث السيطرة على الخلافة . وتسيير دفة الأمور بها ورسم سياستها . وأخيراً أتي أبو عبد الله البريدي فارس عن طريق البحر لاجئا إلى على بن بويه ، لنصرته في الحرب أمام ابن رائق وبجكم، ولا نتزاع الأهواز منهما وكان البريدي عقب هزيمته أمام ابن رائق قد ترك أخويه بالبصرة . وخرج بمفرده. (١٢١)

استقبله على بن بويه ، استقبالا حافلاً ، وأكرم وفادته كذلك قطع البريدي ، له الوعد بتمكينه من العراق ، وإرسال الأموال إليه نظير ما يمده به من جند . فشرط عليه ابن بويه ، ترك ابنيه رهينه عنده فوافق البريدي. (١٢٢)

جهز على بن بويه ، جيشاً كبيراً بقيادة أخيه أبي الحسين ، للخروج مع أبي عبد الله . فلما اقترب الجيش . عاد بجكم إلى الاهواز لمنع الديلم من دخولها في حين قصد ابن رائق واسط (١٢٣). ثم التقي الجيشان بالقرب من رامهرمز .

مسير الراضي وابن رائق لحرب البريدي : لما رأي ابن رائق حرج موقفه ، وعلو مكانة البريدي . حاول تضييق الخناق عليه . وإضعاف قوته . بادعائه أن أبا عبد الله خارج على الخليفة ويسعي للانفراد بحكم واسط والبصرة وغيرهما . ففي سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م. أشار ابن رائق على الراضي بالانحدار معه إلى واسط. فيقترب من الاهواز. ويراسل البريدي. فإما الطاعة أو حربه. (١٢٤) ولما علم البريدي بقدومهما فزع فزعاً شديداً خاصة بعد استلامه رسالتين أحدهما من الخليفة والأخرى من ابن رائق . وقد عدد الخليفة في رسالته مساوئه واصفاً إياه بسوء الأخلاق ، وإفساد الجيوش والعصيان ضده.

حاول أبو عبد الله استرضاء الخليفة ، فجدد ضمان الأهواز ، كل سنة بثلاثمائة وستين ألف دينار على أن يحمل منها قسط كل شهر . واتفق على تسليم الجيش إلى قائد لهم . ويخرج به إلى فارس ، لحرب ابن بويه إذا رفضوا العودة لبغداد، لقلة الأموال بها ، أو خشيتهم من الأتراك ، والقرامطة (١٢٥) . فقبل منه ذلك . مقابل بقائه في الولاية.(١٢٦)

لم تلبث أن توترت العلاقة بينهما مرة أخرى . بسبب نكث أبو عبد الله البريدي لوعوده .فلم يرسل اى شيئا من الأموال المفروضة بالإضافة إلى تأليب الجند على جعفر بن ورقاء ، الذي أرسله ابن رائق ليتسلمه منه .حيث قام بإثارة الجند ضده ، فشغبوا عليه وطالبوه بالأموال قبل الذهاب معه . فتظاهر البريدى بحمايته حتى لا يقتل على أيديهم ،فتخف عنده ثم أخرجه ليلاً فعاد إلى بغداد خائباً (١٢٧). في حين أن ابن رائق قد عنى بأبى الحسين البريدي قبيل خروجه مع الخليفة من بغداد فخلع عليه هو وأمه ، وكان تحت رعايته حتى أخرجه إلى واسط .(١٢٨)

ويبدو أن أبا عبد الله البريدى تحالف مع أبى بكر بن مقاتل، ويتضح ذلك من خلال تأييد أبى بكر لبقاء البريدى في ولايته ، واقتراحه على ابن رائق بإتخاذ البريدي كاتبا ، أو وزيرا له ، وبذلك يضم جند البريدي إلى جنده .

وافق ابن رائق على تقريب البريدي إليه، وفى نفس الوقت أخذ في الاحتياط منه والاستعداد لحربه، إذا ما تمرد عليه بانتزاع الإمارة والكتابة منه ، وتجريده من جيشه ، وضمه إلى بجكم ليفتح به فارس وأصبهان .

أرسل ابن مقاتل للبريدي بترشيحه للوزارة، فأنفذ البريدي أحمد بن على الكوفي نائبا عنه فيها، وقدم البريدي عشرة آلاف دينار مكافأة لابن مقاتل، ثم سعى أبو عبد الله بضمان البصرة لأخيه أبى يوسف فشرط ابن رائق قبوله بأن يضع معه ثقات بها.(١٢٩)

وكان أبو عبد الله قد وطن علاقته ببعض الوجهاء من أهالي البصرة، فكانوا يحضرون إليه بالأهواز، وزينوا له التغلب على البصرة لسوء معاملة واليها ، من قبل ابن رائق لهم. لذلك فرح أهلها عند سماعهم بخبر ولاية البريدى لهم (١٣٠)، خاصة بعد أن خفف عنهم الأموال المفروضة، فضلا عن إلغائه جميع ما قرره عامل ابن رائق فتمسك أهالي البصرة به، ووعدوه بمساعدته ضد ابن رائق (١٣١). وقد تمادى أبو عبد الله في إظهار حرصه على مصالح أهالي البصرة بقوله: «أنه سيبلغ هذا ابن رائق فينكره، ويوحشه منى ويصير سببا للعداوة بينى، وبينه والله ما أبالى أن يعادينى أخواى أبو يوسف وأبو الحسين،وابني أبو القاسم في صلاحكم».(١٣٢)

الخلاف بين ابن رائق والبريدى : لم يدم الود بين ابن رائق، والبريدي فحدث الخلاف بينهما سريعاً في نفس السنة ٣٢٥ هـ / ٩٤٦م .

بدأت الوحشة بينهما بضم أبى عبد الله جنود ابن رائق الذين اسقط أرزاقهم فقربهم البريدى إليه ، وأوغر صدرهم ضده ، وإذا كان البريدي برر له ما قام به ، لأنه اضطر إلى

قبولهم لخوفه منهم. كذلك تذرع بهم ، لقطع الأموال عن الخلافة ، بحجة منعهم لها . ومما زاد الوحشة بينهما معرفة ابن رائق ما خاطب به البريدي ، أهل البصرة من سوء سياسة ابن رائق وواليه واضطهادهما لهم فضلا عن تغلب البريديين على الأهواز ، والبصرة ، وواسط (١٣٣).

لذلك تحول ابن رائق ، عن البريديين ، وأخذ يكيد لهم فاتهم نائب البريدى ببغداد ، وهم بالقبض عليه لولا تدخل ابن مقاتل له .كما أرسل إليه يعاتبه على ما سبق وطلب منه رد الحجرية (١٣٤) إليه أو طردهم إلى الجبل. حاول البريدي استرضاء ابن رائق فعلل له دخوله البصرة لحمايتها من خطر القرامطة وأن أهلها متمسكون به ، لأنهم كرهوا واليه لتعسفه بهم، وأن إبقائه على الحجرية لصلتهم برجال جيشه وقد وعده بتفريقهم. (١٣٥)

إعلان الحرب بين ابن رائق والبريدي : اسند ابن رائق ، إلى بجكم حكم الأهواز وأمره بحرب البريدى فجهز بجكم جيشاً بقيادة بدر الخرشى ووجهه إلى السوس فلما علم البريدى أرسل له جيشا بقيادة غلامه أبى جعفر الجمال بلغ تعداده عشرة آلاف فوقعت الحرب بينهما بظاهر السوس وهزم فيها جيش البريدي. (١٣٦)

رأى البريدي ضرورة حرب بجكم مرة أخرى فأعد جيشاً قوامه ستة آلاف رجل سيرهم مع قائده الجمال . ومما يجدر ذكره أن جيشه ، كان خائفاً من ملاقاة جيش بجكم ، خشية هزيمتهم مرة ثانية وقد هزموا بالفعل دون قتال. (١٣٧)

لذلك أخذ أبو عبد الله وأخويه ، جميع أموالهم وركبوا في أحدى السفن فغرقت بهم ، إلا أن الغواصين ، أنقذوهم فاضطر إلى إرسال بعض من الأموال إلى بجكم لترضيته ثم توجهوا إلى البصرة ، فأقاموا بالأبلة (١٣٨) واستعدوا من جديد ، لتجهيز المراكب ، للهرب بها ، إذا اضطروا لذلك في حين دخل بجكم الأهواز ، وكتب لابن رائق بالفتح .(١٣٩)

لم يستسلم البريدى ، للهزائم المتوالية ، أمام بجكم فأخذ يعد العدة للحرب فلما وصل إلى الأبلة سير غلامه اقبال ، إلى مطارا (١٤٠) للاشتباك مع جيش بجكم . كذلك احتاطوا لأنفسهم فجهز سفناً أخرى حتى يهرب بها إلى عمان واستمر أيضا ، في إرسال الإمدادات إلى جيشه .ونجح اقبال في السيطرة على الكلا (١٤١) . ففى هذه المرة انتصر جيش البريدى ، وأسر جماعة من جيش بجكم لذلك بقى البريديون في البصرة (١٤٢) فلما علم ابن رائق بهزيمة جيشه أمام البريديين جهز جيشا إلى المذار (١٤٣) لمحاربتهم في الماء والبر، وسير بدرا الخرشى إلى البصرة فانهزم ، وأسر أيضا قائده أحمد بن خاقان ، فأحسن البريدي إليه ، لذلك وعده ابن خاقان بعدم حربه نظير إطلاق سراحه ولقد قرر ابن رائق الخروج بنفسه على رأس جيش ليتوجه إلى واسط ثم البصرة، وكتب لبجكم أن يلحق به حتى يتمكنا من تضييق الخناق على جيش البريدي وهزيمته .

بدأ ابن رائق بإحكام سيطرته على واسط ثم نجح عسكره في الاستيلاء على الكلا من يد،

البريديين .(١٤٤) وأعقب ذلك هروب أبو عبد الله إلى جزيرة أوال (١٤٥). وترك أخيه أبى الحسين في البصرة بعسكره لحمايتها ، فلما وصل ابن رائق وبجكم للقتال بالبصرة ، وقف أهلها إلى جانب أبى الحسين ، ودافعوا عن بلدهم واستماتوا في قتالهم ، وذلك لكرههم الشديد لابن رائق فالحقوا الهزيمة به، فكان ذلك سببا في إنقاذ البريديين. (١٤٦)

وقد قام أبو عبد الله بالتوجه من أوال قاصدا على بن بويه، لطلب المساعدة منه وأطماعه في العراق ، لضعف الخلافة بها، وترك ابنيه أبا الحسن محمد، وأبا جعفر الفياض رهينة لديه فقام ابن بويه بإرسال أخيه أبى الحسين أحمد بن بويه معه لفتح الأهواز . فلما وصل الخبر لابن رائق أرسل بجكم لحمايتها نظير وعده بحكمها. (١٤٧) كذلك كثف رجال البريدي الهجوم على جيش ابن رائق، فقصد بعض رجال البريدي معسكره ليلا، وصاحوا فيه فظن ابن رائق وجنده أن البريديين سيطروا على المكان ، فهزموا بدون قتال، فدخل بعضهم واسط في حين قام ابن رائق بحرق سواده وآلاته لئلا يظفر بها البريدي، ثم توجه إلى الأهواز وبقى بها أياما ثم عاد إلى واسط لملاقاة عسكره الذين فروا إليها . (١٤٨)

صمم ابن رائق على مواصلة قتال البريديين في هذه النواحي فجدد لبجكم أمر الأهواز وأطلق يده لحربهم حتى التخلص منهم . (١٤٩)وكانت جيوش أبو الحسين بن بويه والبريدي قد نزلت أرجان، فأسرع بجكم لملاقاتها ، ولكن هزم بسبب كثرة الأمطار ، وفشل جنوده في مواصلة القتال فاضطر العودة إلى الأهواز بعد أن قطع قنطرة أربق (١٥٠) . ثم أعد جيشاً جديداً و توجه إلى عسكر مكرم و اشتبك مع ابن بويه لمدة ثلاثة عشر يوما، وانتهت بهزيمته للمرة الثانية . فلما سمع بجكم بذلك خرج من الأهواز ، بعد اعتقال اغلب سكانها وأخذ أموالهم وسار بجميع جنده إلى واسط ، وكذلك اقترح على ابن رائق الخروج إلى بغداد لينجو بنفسه من ثورة الجند عليه (١٥١). في حين بقى هو وجنده بواسط

فى تلك الأثناء واصل ابن بويه والبريدي زحفهما تجاه الأهواز بغية الاستيلاء عليها . كما أرسل ابن بويه جواسيسه إليها فأخبروه بخلوها من الجند على أثر خروج بجكم عنها ، وكانا مقيمان بالقرب من شاطئ نهر المسرقان (١٥٢). ونزل أبو عبد الله بدار بها ، فأقبل عليه أهل الأهواز للتهنئة بالنصر(١٥٣) .ثم لم يلبث أن سئم البريدي الاستمرار مع أبى الحسين أحمد بن بويه فلم يخرج معه ، بل ظل مقيما

بالأهواز لمدة خمسة وثلاثين يوما ، ومنها فرهاربا منه في الماء متوجها إلى الباسيان(١٥٤). حيث أقام بها مع كاتبه (١٥٥). ويجدر القول أن: هروب أبى عبد الله البريدي يرجع إلى خشيته من تسلط ابن بويه وطمعه في الأعمال ، فضلا عن فتح البلاد باسمه، فتخوف من ضياع طموحه، وحرج موقفه معه. إذا ما فقد أعماله هووأخويه فرأى من الصواب الاعتماد على نفسه، والعمل بمفرده، لإعادة السيطرة علي ما كان بيدهم من أعمال في الأهواز، وخوزستان والبصرة، حتى يحول بين ابن بويه وبسط نفوذه عليها.

وكان قد زاد شعور أبو عبد الله بالخوف من أطماع آل بويه ، عندما حاولوا إبعاده عن هذه المناطق، أو تشتيت جنده، وتفريقهم عنه بشتى الطرق حيث طالبوه بتجهيز عسكره وإخراجه من البصرة، وإرساله إلى أصبهان (١٥٦). لكي يساعدهم في حرب وشمكير الزيارى (١٥٧). كذلك طالبوه ، بإنفاذ رجال الماء لديه إلى حصن مهدى (١٥٨) ، ليختاروا منهم من يسير إلى واسط، ففطن البريدي إلى إنها مؤامرة لعزله عن جنده حتى يسهل القضاء عليه بالإضافة إلى ذلك استمرار إهانة واحتقار الديلم له .(١٥٩)

أسرع البريدي بإرسال غلامه أبى جعفر الجمال إلى الباسيان، وأمره بالتوجه منها إلى البصرة ليلتقى به. كما أرسل إلى أحمد بن بويه يطلب منه إخلاء الأهواز والبصرة له، لتحصيل الأموال المقررة عليهما لإرسالها إلى على ابن بويه وفقا لاتفاقه معه على إرسال ثمانية عشر ألف ألف درهم .(١٦٠)

سارع ابن بويه ، بترك الأهواز له خوفا من غضب أخيه على حتى لا يظن إنه السبب في تأخير الأموال له فقام البريدي بترك الباسيان والذهاب إلى نباتاذر ، وأرسل نائبا له إلى سوق الأهواز ، كذلك احتاط البريدي لنفسه أكثر، فطلب من ابن بويه مغادرة مكانه حتى لا يكون قريبا منه فلا يأمن هجومه في أى وقت وعرض عليه الذهاب ، إلى السوس كي تبعد المسافة بينهما ، وقد استقر الحال علي أن يحمل البريدي له ثلاثين ألف دينار حتى يخرج. ولقد حرص أحمد بن بويه على إطلاع أخيه على تصرفات البريدى وهروبه منه حتى لا يغضب عليه . (١٦١)

وعندما لاحظ رجال ابن بويه تغير البريدي . أخذوا يحذروه من مغبة إطلاق يده،وذلك لإتباعه معه نفس الأسلوب الذي اتبعه مع ياقوت ، فهو يريد إبعاده إلى السوس ، ومن ثم استقطاب رجاله وجنده الواحد تلو الآخر مع إحكام قبضته على البلاد . ثم يقوم بالقبض عليه وتسليمه إلى بجكم أو ابن رائق . (١٦٢) خاف أحمد بن بويه هذا الأمر ، لذلك رفض الخروج من عسكر مكرم فرد البريدي ، بالقبض على رسله ، ودبت الوحشة بينهما .(١٦٣)ولما علم بجكم بما حدث بين البريدي وابن بويه أسرع بالاستيلاء على السوس وجند يسابور .

وبقيت الأهواز بيد البريدى ، فتحرج لذلك موقف ابن بويه خاصة بعد مفارقة بعض جنده له، ومطالبة الباقي بالعودة إلى فارس .(١٦٤)

عندما علم على بن بويه بسوء حرج أخيه ، قام بنجدته فأسرع بإرسال عدة جيوش في آن واحد ، بغية السيطرة على أكبر عدد من مدن العراق . وقد نجحوا في ذلك ، حتى سيطروا على سوق الأهواز نفسها ، ونزلوا دار أبى عبد الله البريدي ، واستقامت لهم الأمور فيها (١٦٥)

وقد تواكب ذلك مع محاولة ابن رائق إعادة السيطرة على جنوب العراق فقلد أحد رجاله أعمال الخراج والضياع بكور الأهواز . لذلك أخذ في الاستعداد لحرب ابن بويه، وطرده من الأهواز ، وللحيلولة أيضا دون انفراد بجكم بالأمر فيها .(١٦٦) ولإجل ذلك سعى ابن رائق

إلى الصلح مع البريدي في مقابل تسليمه واسط وضمانها بستمائة ألف دينار في السنة. ونجح في أخذ خط الراضي بالله للبريديين بالرضا عنهم ، كما ارسلت لهم الخلع ، على أن يقيموا الدعوة ، لابن رائق بالبصرة ، ويحاولوا فتح الأهواز وردوا على ذلك بضمان مبلغ ثلاثين ألف دينار للخلافة، فردت إليهم جميع ضياعهم .(١٦٧)

خاف بجكم على نفسه ، من وراء هذا الإتفاق واستشار أصحابه ، فيما يفعله ، فرأوا أن يبدأوا بالبريدي ثم ابن رائق . (١٦٨) فانتهز بجكم الفرصة بخروج جيش البريدي إلى واسط فخرج بعسكره قاصدا البصرة لمحاربته.و بادر أبو عبد الله بتجهيز جيش عدته عشرة آلاف رجل ، قلده غلامه أبى جعفر الجمال فاشتبكوا وهزم البريدي ، فاكتفى بجكم بذلك ، حيث استهدف فقط ، إذلال البريديين ، ومنعهم عن ابن رائق ، لإتاحة الفرصة له في السيطرة على الخلافة.(١٦٩)

ورغم ذلك كله ظل بجكم حريص على عدم عدواته للبريديين ، فأرسل كتابا سريعا للبريدي يعتذر له عما حدث من قتال بينهما ويلومه على بدئه الحرب. فضلا عن تحالفه مع ابن رائق بغرض هزيمته ثم سعى للتقارب بينهما ، فوعده بتقلد واسط - في حال سيطرته على الخلافة - كذلك طلب المصاهرة بينهما حتى تكون سبباً في توطيد العلاقة بينهما .(١٧٠) رد البريدي بالموافقة على جميع طلبات بجكم. كما تمادى في إظهار طاعته له فكتب له كتابا بخطه يتعهد فيه بجميع ما عقد بينهما في حضرة الشهود، واشهد على نفسه بالالتزام بما فيه. كما أرسل إليه ثلاثة آلاف دينار . (١٧١)

وتشير المصادر أن كلا منهما كان يريد التخلص من الآخر، ولكن الظروف لم تكن مناسبة آنذاك فاضطر كل منهما أن يصانع الآخر، حتى تحين الفرصة وقد صور بجكم ذلك بقوله :« فإنه كاذب في جميع ما قاله ، وحلف عليه ولكن نقبل ذلك منه لحاجتنا إلى قبوله ».(١٧٢)

كذلك توثق الصلح بينهما مرة أخرى بعد سيطرة بجكم على الخلافة سنة ٣٢٧هـ/ ٩٤٨م وتجدد ضمان أعمال واسط ، بستمائة ألف دينار في السنة .(١٧٣)

وتواكب ذلك مع علو نجم أبى عبد الله البريدي لدى الخلافة والخليفة. ففي السنة ذاتها استوزره الراضي ليتق شره، فأرسل له الخلع والتقليد فامتنع البريدي في بادئ الأمر، ثم تقلدهما وخلفه بالحضرة عبد الله بن على النفرى (١٧٤). ثم توطدت العلاقة كثيرا بين بجكم وأبى عبد الله البريدي حيث تزوج بجكم من سارة ابنة البريدي بحضور الخليفة الراضي ، وعلى صداق مائتي ألف درهم .(١٧٥)

مسير أبي على بن بويه إلى واسط وعودته عنها : وسبب ذلك تهديد أبى عبد الله البريدي لأبى الحسين حيث أرسل البريدي جيشا إلى السوس وقتل قائدا من الديلم ، وتحصن عامل الخراج فيها بقلعتها فخاف أبو الحسين أن يسير البريدي من البصرة إلى الأهواز. فبعث يستنجد بأخيه أبى على وهو على مشارف إصطخر (١٧٦). فأسرع لنجدة أخيه ، وكان أبو

الحسين قد اضطر للخروج من السوس متجها إلى الأهواز ، ثم واسط بغرض الاستيلاء عليها. فلما وافى أبو على السوس نزلها ومنها قرر المسير إلى واسط طمعا فيها ، ولكن جنده ثاروا ضده لتأخر صرف رواتبهم منذ سنة ، فخرج مائة منهم واستأمنوا للبريدي .(١٧٧)

النزاع بين البريدي وبجكم : دب بسبب نقض أبى عبد الله البريدي الاتفاق بينه وبين بجكم. وكان بجكم بعد مصاهرتهما اقترح أن يخرج إلى بلاد الجبال في حين يتوجه البريدي إلى الأهواز لطرد ابن بويه عنها والسيطرة عليها . (١٧٨) ولأجل ذلك أرسل له حاجبه في خمسمائه رجل ، لدعم قوته كما دفع إليه أبى زكريا السوسى ليحثه على الخروج بنفسه على رأس الجيش .(١٧٩)

ولقد أورد ابن الأثير وأخرون القصة . أن البريدي هو الذي أشار على بجكم بقوله : « فأرسل إليه البريدي يشير عليه بأن يسير إلى بلاد الجبل لفتحها والاستيلاء عليها ويعرفه أنه إذا سار إلى الجبل سار هو إلى الأهواز واستنقذها من يد ابن بويه فاتفقا على ذلك ».(١٨٠)

تقاعس البريدي عن الخروج إلى الأهواز، فأخذ يتذرع بالحجج وكلما أتاه كتاب من بجكم يحثه على سرعة الخروج ومعرفة أحواله ادعى أمام رجال بجكم بالخروج. ولما رأى أبو بكر السوسى رفضه الخروج .قام بإطلاع بجكم على نواياه واعلمه إنما يريد أن يرحل بجكم إلى بلاد الجبال ،فيتهيأ هو للذهاب إلى بغداد والاستيلاء على كل ثروته والعودة إلى واسط. فلما علم بجكم بذلك أسرع بالعودة إلى بغداد ، للحيلولة دون وصول البريدي إليها ولحفظ أملاكه بها.(١٨١)

وعندما سمع البريدي بخبر عودة بجكم إلى بغداد تضايق وعمل على القبض على أبى بكر بالبصرة ، ثم عدل عن ذلك وطلب منه الوساطة له عند بجكم لإزالة الوحشة بينهما. فلما وصل بجكم إلى واسط. أرسل البريدي السوسى إليه للقيام بما أمره وهيأ له كافة الإمدادات. كما جعل معه خمسين غلاما، وبينما أبو زكريا في طريقه إلى بجكم إذ أتاه رسولا من قبله يبلغه برسالة من بجكم يطالبه فيها بالقدوم سراً إليه ،فأخفى أبو زكريا أمر الرسول وأدعى أمام رجال البريدي بأنه خادم بيته ببغداد ابلغه بأمر خاص .(١٨٢)

ندم البريدي على التسرع في إرسال أبى زكريا ، وأرسل في طلبه لكنه فشل في القبض عليه، وقد وصل أبو زكريا آنذاك إلى الزعفرانية(١٨٣). فوجد بها بجكم وسعى للصلح بينهما وإعادة بجكم إلى بغداد . فرفض بجكم كل محاولات الصلح، وصمم على التوجه لحرب البريدي فانحدرا معاً إلى واسط ، وعمد بجكم إلى تكتم خبر قدومه ليفاجئ البريدي فضبط الطرق ، وحال دون وصول اى كتاب للبريدي حتى لا يأت به خبر تحركه ضده . نجح بجكم في الوصول إلى واسط فقبض على أبى جعفر بن شيرزاد لأنه السبب في الصلة بينهما وأخذ منه مائة وخمسين ألف دينار . كذلك اسقط اسم البريدي من الوزارة بعد سنة وأربعه أشهر من تقلدها.(١٨٤) وكان أبو عبد الله البريدى عندما جاءه خبر قدوم بجكم إلى واسط قد أسرع بالخروج منها إلى البصرة .(١٨٥)

مقتل بجكم : ففى سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م . أرسل البريدى جيشا من البصرة إلى المذار. فأنفذ له بجكم جيشا بقيادة توزون (١٨٦) . فاقتتل الجيشان طويلاً وهزم توزون أول الأمر، فاستنجد ببجكم فأسرع بالخروج منتصف رجب متوجهاً إلى المذار. ثم لم يلبث توزون أن انتصر فارسل يبشر بجكم. ثم قتل بجكم فجأه على يد أحد الاكراد عندما حاول أخذ أموالاً منهم(١٨٧)

وكان البريدى قد قرر الخروج مع أخويه من البصرة، خاصة بعد أن راسل بجكم أهلها ورحبوا به فخشى البريديون على أنفسهم، وكانوا بمطارا استعداداً للخروج فوصلهم نبأ مقتل بجكم فانفرج أمرهم وزال الخطر .(١٨٨)

كما زادت قوة البريدى بعد مقتل بجكم، وذلك لإنضمام الديلم في جيش بجكم بعد مقتله إليه، وكان عددهم نحو ألف وخمسمائة رجل، وكانوا من أقوى جنده فقربهم البريدي إليه ، وقد قويت شوكته منذئذ لكثرة عدد جنده، حيث بلغ تعداده سبعه آلاف رجل (١٨٩). حيث تجرأ به فخرج من واسط قاصدا البصرة . في شهر شعبان لقصد الخلافة . فلما علم الخليفة المتقى (١٩٠) . بخروج البريدى وجنده راسلهم ، بعدم القدوم وأن يظلوا بواسط فطالبوه بأموال ليرضوا فأرسلها لهم .(١٩١)

دخول البريدي بغداد : لم تستمر الأمور كثيراً بين البريدي والخليفة. ورأى الخليفة ضرورة حربهم لكسر شوكتهم، وتشجع على ذلك بعد أن وعدوه الأتراك بالمساعدة، شرط إطلاق الأموال وتعيين رئيساً لهم فوافقهم على ما طلبوه ، وخرج معهم إلى نهر ديالى (١٩٢). بينما عاد رسول الخلافة برد البريديين على الخليفة ، ومطالبتهم مزيداً من الأموال ، بحجة إنفاقها على جند الديلم لضمان ولاءهم، وعدم خروجهم إلى بغداد أو ثورتهم ضد الخلافة. وذيل البريدي طلبه بتهديده بقصد بغداد إذا لم يرسل الخليفة ما طلبه من مال .(١٩٣)

لم ينتظر البريدي الرد بل أسرع بالخروج من واسط باتجاه بغداد، فلما اقترب ثار الأتراك البجكمية (١٩٤) . واستأمن بعضهم إليه في حين خرج بعضهم إلى الموصل .(١٩٥) دخل البريدي بغداد ثاني عشر رمضان في كثير من السفن ،ولقيه أعيان الناس والكتاب . كما أحسن المتقى استقباله ، وجعله في ضيافته لعدة أيام وظل الناس على خدمته ، كخدمة الخليفة. وكان معه أخيه أبى الحسين وأبنه أبى القاسم وأبى جعفر به شيرزاد .(١٩٦) ترتب على وجود البريدي ببغداد ، معاناه أهلها حيث خافه الناس وعسفهم، وطمع في أموالهم، ففر أصحاب الثروة بها خوفا منه .(١٩٧) كذلك خاطبه الناس بالوزير مع وجود الوزير ، أبى الحسين بن ميمون وقد سعى أبوعبدالله بإثارة الديلم ضده ، وتهديده بالقتل للتخلص منه. وانتهى الأمر بقبض البريدي عليه فانفرد بالوزارة، واستأثر بالأمور. وقد تحاشى البريدي ملاقاة الخليفة طوال قيامه بالوزارة، ولم يكتف البريدي بما بلغه من نفوذ ورعاية من الخلافة، فظل حريصاً على طلب المال من الخليفة وحتى عندما أعطاه مائة وخمسين ألف دينار لم يرض بها ، وأرسل في طلب خمسمائة ألف أخرى (١٩٨). فلما رفض المتقى طلبه أرسل إليه يتهدده بسوء العاقبة على يد الجند ويذكره بما جرى لأسلافه على أيديهم .(١٩٩)

سارع الخليفة بتلبية حاجته من المال. ومما يجدر ذكره أن البريدي كان يحرض الجند الديلم للثورة والشغب على الخليفة حتى يدفع الأموال لهم، فما لبث أن انقلب الأمر عليه خاصة بعد أن أعطاه الخليفة كافة الأموال، فانصرف شغب الجند إليه .(٢٠٠) فبدأت الثورة ضده ، بتحالف الجند الترك ، والديلم فقرروا قصده وحربه بغرض الاستيلاء على ما لديه من أموال. كما أحرقوا دار أخيه أبى الحسين وعاونهم في ذلك العامة أيضا. لبغضهم للبريديين فوثبوا على أصحابه بالجانب الغربى. فلما سمع أبو عبد الله بذلك هرب وأخيه وأبنه في الماء إلى واسط، فنهب الجند داره ودور قواده واستولوا على كافة الأموال بها. وبخروج البريدى من بغداد ، زالت عنه الوزارة بعد أربعة وعشرين يوما فقط .(٢٠١)

وعندما أسندت الوزارة إلى أبى شجاع كورنكيج (٢٠٢). أرسل جيشاً بقيادة اصبهان الديلمى لحرب البريدى، وكان أبو يوسف قد خرج من البصره باتجاه واسط .فلما علم وأخويه بانحدار الديلمى إليهم توجهوا جميعا إلى البصرة(٢٠٣)

وفى غضون ذلك كان ابن رائق قد سيطر على بغداد في السنة ذاتها وأسند إليه منصب « إمرة الأمراء » فكان ذلك سبباً في توقف الحرب ضد البريديين، واستعادتهم نفوذهم مرة أخرى. حيث استغل أبو عبد الله هذا الأمر فخطب لابن رائق بالبصرة، وكتبوا اسمه على أعلامهم. كما حاول السيطرة على واسط، فقام بارسال أخويه فدخلاها وأخرجا الديلم منها .(٢٠٤)

لم تدم علاقة الود طويلاً ، بين البريديين وابن رائق، وذلك لعدم حملهم المال المقرر من واسط والبصرة فقرر الخروج بنفسه إليهم. فهربوا إلى البصرة وسرعان ما تمت الوساطة بينهما على أن يجدد لهم ضمان باقي الأموال بواسط مما يقدر بمائة وسبعين ألف دينار. على أن تصل إلى ستمائة ألف دينار سنويا فيما بعد. فرضي ابن رائق بهذا وخرج إلى بغداد .(٢٠٥)

ثم ساءت العلاقة بينهما مرة أخرى بعد أن استأمن الأتراك إلى البريدي، عقب شغبهم على ابن رائق. فلما انضموا إليه قوى جانبه مما اضطر ابن رائق إلى مداراته، فكاتبه بالوزارة وخطب له بها .(٢٠٦)

وزارة البريدي :أسند ابن رائق الوزارة للبريدي في منتصف ربيع الأول سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م وأنفذ إليه الخلع، فاستخلف البريدي أبا جعفر بن شيرزاد ببغداد.

ثم تجددت الوحشة بينهما عندما علم ابن رائق بقدوم البريدي إلى بغداد. فرد ابن رائق على ذلك بازالة اسمه من الوزارة، وإعادة أبا اسحق القراريطى كما لعنهم على كافة المنابر ببغداد (٢٠٧)

لم يفت في عضد البريدي، ما أتخذه ضده ابن رائق بل عزم على التوجه إلى بغداد، فاخرج أمامه أخيه أبى الحسين من واسط بكافة الجيش والعلماء لقصد بغداد . بينما ركب الخليفة المتقي وأبنه وابن رائق ، الوزير الجديد والجيش فساروا مع الظهيرة وبين أيديهم المصاحف ، والقراء واستنفروا العامة لقتال البريديين . كذلك لعنوهم يوم الجمعة على

منابر بغداد .(٢٠٨) وكذلك عزم ابن رائق على التحصن في دار الخلافة.فقام بإصلاح ما بها ، وسد أكثر أبوابها، وحصن سورها تحصيناً قوياً. بوضع العرادات والمنجنيقات (٢٠٩)، كما حصنها من ناحية دجلة . واستمر في استنفار العامة لقتالهم . فلما كان يوم الاثنين للنصف من جمادى الأخر عبر أصحاب أبي الحسين البريدي ، نهر ديالي ، فنشبت الحرب بين الطرفين ، واستمرت إلى الظهر . في حين بقيت الحرب بينهما في الماء حتى يوم السبت لتسع بقين من جمادى الآخر. ثم انتهت بهزيمة ابن رائق ونجاح الديلم من جيش البريدي في السيطره على دار الخلافة . وقتلوا كل من وجدوه بها ،ونهبوها ونهبوا دور الحريم . (٢١٠)

وكان المتقي وأبنه وابن رائق قد فروا إلى الموصل .كما اختفي الوزير . في حين أقام أبو الحسين البريدي في دار الخلافة عدة أيام ثم أخذ كورتكين من السجن ، وأرسله إلى أخيه أبي عبد الله بواسط . (٢١١)

لم يلبث أن انتقل أبي الحسين إلى دار مؤنس التي كان يسكنها ابن رائق . كذلك قلد توزون الشرطة ، في الجانب الشرقي ببغداد ونوشتكين(٢١٢) الجانب الغربي بها . وقد احتاط أبو الحسين إزاء هؤلاء القادة ، ليضمن ولائهم وطاعتهم للبريديين .فأخذ منهم رهائن - خاصة توزون – قواد ونساء وأولاد ، وأرسلهم إلى أبي عبد الله بواسط . (٢١٣)

ظل الديلم يثيرون الفوضى ببغداد ، فقاموا بالسلب والنهب ، فترك الناس دورهم بسبب الغلاء . كما فرضت المكوس (٢١٤). في الأسواق . ووقعت الحرب بين العامة والديلم . فقتل الكثير من العامة لذلك ساءت الأحوال بكافة أنحاء بغداد بسبب ظلم البريديين ، وتعسفهم في معاملة الناس . (٢١٥)

وفجأة وقع التحاسد بين أبي الحسين البريدي والقواد . حيث تحالف توزون، ونوشتكين ، والأتراك ، على كبس أبي الحسين . ولكن باءت محاولتهم بالفشل بسبب تنازعهم فيما بينهم . ولما علم أبو الحسين بهذه المؤامرة، سعي إلى تقريب الديلم إليه فدعاهم إلى داره ، للتقوي بهم في مواجهة أعدائه . فلما قصد توزون داره حاربه الديلم ،وأغلقوا الأبواب للحيلولة دون دخوله ففطن توزون إلى غدر نوشتكين به . لذلك هرب ومعه كثير من الأتراك إلى الموصل . وأعقب ذلك اضطراب العامة وقتالهم البريديين . (٢١٦)

وعندما وصل توزون ، ورجاله إلى ابن حمدان (٢١٧)، تقوي بهم وضمهم إلى جانبه لمساعدتهم الخليفة ، وابن رائق على حرب البريديين وإعادتهما إلى بغداد . (٢١٨)

وقد أتت هذه الحادثة بشيء من التغيير لدي ابن الاثير فيقول : « عندما اضطربت الأمور ببغداد بعد استيلاء أبي الحسين البريدي عليها . كذلك هروب بعض الجند من البريدي والتحاقهم بالخليفة المتقي . فضلا عن توجه توزون والأتراك ، ومسيرهم نحو الموصل فضمهم ابن حمدان إلى جانبه للإستعانة بهم في الحرب إلى جانب المتقي» . (٢١٩)

عودة المتقي إلى بغداد وهروب البريدي عنها : أخذ أبو الحسين في الاستعداد لملاقاة ابن حمدان والخليفة ولكنه فر هارباً من بغداد عندما سمع باقترابهما. مما أدى إلى اضطراب العامة بها، ونهب بعضهم بعضا . مما دفع الناس إلى التسلح في الطرقات طوال اليوم . وكانت مدة سيطرة البريدي عليها قرابة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً . (٢٢٠)

ولما كان المتقي ومن معه ، قد وصلوا إلى تكريت (٢٢١) . في طريقهم إلى الموصل. أرسل يحث ابن حمدان على حرب البريديين، فأمده بأخيه على ابن عبد الله بن حمدان في جيش كثيف (٢٢٢) . وبينما تأخر الجيش في الوصول إلى بغداد آنذاك، تقابل بهم عند تكريت، وصحبهم حتى الموصل .كما بقي على بن حمدان على خدمة الخليفة وأبنه وابن رائق وقدم لهم كافة ما يحتاجونه من الميرة والثياب، الفرش، والأموال. كذلك توجه لملاقاتهم أبو محمد الحسن بن حمدان فعبر إلى الجانب الشرقي ثم خرج إلى نواحي معلثايا (٢٢٣) ، بسبب توتر العلاقة بينه وابن رائق، فترددت الرسل بينهما لأجل الصلح . فتم بعد أن توثق كل منهما بالإيمان والمواثيق. « حتى انس أبو محمد ، وعاد فنزل في الشرقي، بإزاء الموصل ».(٢٢٤)

لم يدم الصلح بينهما طويلا، فقد أمر ابن حمدان غلمانه بقتل ابن رائق ، دون سابق إنذار. فلما نجح في التخلص منه أسرع بكتابة رسالة إلى المتقي، وضح له فيها سبب قتله له. متذرعاً بمحاولة ابن رائق التخلص منه. ورد المتقي، بثقته فيه ، وأمره بالمجئ إليه فخلع عليه ولقبه ناصر الدولة، وعلى أخيه سيف الدولة وجعله أميراً للأمراء .(٢٢٥)

وعندما دخل المتقي وناصر الدولة وأخيه بغداد على رأس الجيوش، استقبلهم العامة استقبالا حافلا . لخلاصهم من البريديين . كذلك رأي بنوحمدان ضرورة التوجه إلى واسط لتعقب البريديين ، وقتالهم وتواكب ذلك مع خبر خروج أبي الحسين البريدي من واسط متوجها إلى بغداد لقتالهم . فلما سمع الناس ذلك اضطربوا . كما أسرع المتقي بالعبور إلى الزبيدية (٢٢٦). ليحتمي بناصر الدولة . كذلك أرسل نسائه إلى سامراء .(٢٢٧)

أقام ناصر الدولة، بالمدائن (٢٢٨) . وسير أخاه سيف الدولة وابن عمه لقتال البريدى، فالتقيا بقرية على بعد فرسخين جنوب المدائن يوم الثلاثاء أخر ذي القعدة ، واستمرت الحرب بينهما حتى الرابع من ذي الحجة، وفيها انهزم جيش الحمدانيين ، وتقهقر سيف الدولة عائدا إلى المدائن، فقام ناصر الدولة بردهم مرة أخرى للحرب وأمده بجميع جنده(٢٢٩)

عاود سيف الدولة قتال أبا الحسين البريدى وهزمه وأسر جماعة من أعيان أصحابه. فضلا عن قتل بعض قواده فولى البريدي مهزوما إلى واسط . في حين اكتفى سيف الدولة بهزيمته للبريدي ولم يتبعه ، وذلك لتعب جنده ، وكثرة الجرحى به .(٢٣٠)

كذلك عاد الخليفة ونسائه إلى بغداد مرة أخرى ، بالإضافة إلى عودة الكثير من سكانها في حين دخلها ناصر الدولة في ثالث عشر من ذي الحجة ، ومعه اشهر قواد البريدي أسرى

وعلي رأسهم البرانس .(٢٣١) ثم قام سيف الدولة بالتوجه إلى واسط للقضاء على البريديين. لكنه لم يعثر عليهم لخروجهم إلى البصرة ،فنزل بها هو وجيشه وكافة من معه من الأتراك والديلم .(٢٣٢)

ونستشف مما سبق أن أبا عبد الله البريدي رغم حرصه على دخول بغداد، والسيطرة عليها كان أكثر حرصا على ألا يقوم هو بذلك ،فنجده يسير أخيه لتحقيق هذا الأمر. مما يفسر حرص أبى عبد الله البريدي على أمرين هامين أولهما : الحفاظ على حياته وقوته ثانيهما : عدم التعرض لغضب وثورة الخليفة والناس ببغداد بشكل مباشر. حتى يبقى حيا ليحقق طموحه السياسي الكبير الذي يرمى إلى السيطرة على الخلافة بأي وسيلة .

دخل البويهيون فى دائرة الصراع ، بين الخليفة والبريديين فأتى الأمير أبو الحسين أحمد بن بويه ، إلى عسكر جعفر (٢٣٣) ، المجاور للبصرة بدعوى أن الخليفة كاتبه في حرب البريدي، واستمر على حربهم حتى استوحش بعض جنده، وانضم بعضهم إلى البريدي ، فقرر العودة إلى الأهواز الخاصة، بعد أن استأمن إليه أيضا جماعة من عسكر البريدي .(٢٣٤)

وتزامن هذا مع تصميم سيف الدولة حرب البريديين . فقصد البصرة لطردهم عنها ، والاستيلاء عليها ، لكنه لم يستطع القيام بهذا الأمر. لعدم توافر الأموال عنده ، وعدم إرسال أخيه إمدادات له . (٢٣٥)

لم ييئس البريدي من تكرار هزائمه أمام الخلافة، وظل حريصا على تحقيق طموحه في الاستيلاء عليها. فلما وقع نزاع بين توزون وخجخج من أجل الإمارة . قصد البريدي واسط فأرسل توزون لحربه خجخج وعسكر في نهر أبان (٢٣٦). حتى يتمكن من التصدي لأصحاب البريدي .كما أسرع البريدي أيضا فأرسل رسولا إلى توزون يهنئه بالإمارة ويسأله ضمان واسط ، وقد أحسن توزون وفادته لكن لم يجبه إلى تضمين واسط، متذرعا بعدم استقرار الأمر له ، وخشيته من بنى حمدان، ووعده بالنظر في الضمان عند تحسن أحواله . وقد حرص توزون على إرسال جاسوسا يتعقب أخبار رسول البريدي لدى عودته ، فما لبث أن عاد إليه بخبر إجتماع الرسول مع خجخج . وان خجخج أعلن له عن رغبته في الانتقال للبريدي ، والعمل معه فقام توزون بالقبض عليه وسمله . (٢٣٧)

لم يبق توزون بواسط كثيرا ،حيث اضطر للخروج منها قاصدا بغداد، لطرد سيف الدولة فترك كيغلغ بها. فانتهز أبو عبد الله البريدي الفرصة، وأسرع في الوصول إليها فدخلها أواخر رمضان سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م ، وقام بحرقها ونهب ما فيها من غلا ت وغيره . وعجز كيغلغ ، وأصحابه في التصدى له ، فتركوها قاصدين بغداد. فانفرد البريد ى بها . ثم أسرع توزون متوجها إليها لاستردادها منه . وكان قد لجأ إليه أبى جعفر بن شيرزاد بعد هروبه من البريدي، فقربه توزون وأسند إليه كافة أموره (٢٣٨). وتزامن ذ لك مع مسير يوسف بن وجيه صاحب عمان فى مراكب كثيرة قاصداً البصرة ، ومحاربة البريديين أيضا ، فانتصر عليهم لكثرة أسلحته وملك الابلة . واشرف البريديون على الهلاك ، وكاد ابن وجيه أن يستولى على

البصرة . ولم ينقذ البريديين من مصيرهم هذا سوى نجاح أحد ملاحيهم في إحراق سفن ابن وجيه ونهب ما بها من أموال .مما أدى إلى هزيمته وعودته عنها في محرم٣٣٢هـ – ٩٤٣م(٢٣٩).

النزاع بين المتقى وتوزون :- أثار تحالف ابن شيرزاد و توزون مخاوف الوزير أبو الحسين بن مقلة ، معتقداً أن ابن شيرزاد عينا للبريدي عليه ، وعلى الخليفة وأخذ في نفس الوقت يثير مخاوف الخليفة من مغبة أن يقوم بخلعه وتسليمه للبريدي (٢٤٠).

خاف الخليفة المتقى من هذا الأمر ، وأسرع يطلب من ناصر الدولة بن حمدان انفاذ جيشاً إليه ليصحبوه إلى االموصل. وكان ابن شيرزاد قد دخل بغداد في الخامس و العشرين من محرم سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م ومعه ثلاثمائة رجل، والتقى بالخليفة فور وصوله . وحاول ابن مقلة حمل الخليفة للقبض عليه دون جدوى . وأخذ ابن شيرزاد في الاستبداد بالأمور في بغداد. كما أطلق القراريطى من الاعتقال . ومارس أعمال الوزارة ، فنظر فيما ينظر فيه الوزير(٢٤١)

ولما وصل الجيش الذي ارسله ناصر الدولة للخليفه بقيادة ابن عمه ، إلى بغداد نزل بباب حرب، وخرج المتقى له مع نسائه ووزيره ، وأعيان بغداد.في حين اختفى ابن شيرزاد .(٢٤٢) وعندما خرج المتقى من بغداد ظهر ابن شيرزاد بها ، فظلم الناس وعسفهم، وصادرهم ثم أرسل لتوزون بواسط يعلمه بما جرى .(٢٤٣)

فلما علم توزون بما حدث قام بارسال جيش قوامه ألف رجل، تحت قيادة موسى بن سليمان للوصول إلى بغداد حتى يلحق به، بينما ظل هو بواسط حتى ضمنها للبريدي ، وزوجه ابنته ثم خرج قاصدا بغداد فدخلها . وأسند الشرطة إلى أحد غلمانه .(٢٤٤)

وكان المتقى قد وصل إلى تكريت حيث إنحدر إليه سيف الدولة. كما أرسل في استدعاء ناصر الدولة بنفسه، فوافاه بتكريت في الحادي والعشرين من ربيع الأخر، ثم انتقل المتقى إلى الموصل في حين ظل ناصر الدولة بها .(٢٤٥) وسار توزون نحوتكريت فاشتبك مع سيف الدولة أسفلها، واستمرت الحرب بينهما لعدة أيام ، وأسفرت عن هزيمة سيف الدولة ورحيله وأخيه إلى الموصل. بينما عاد توزون لبغداد لشغب أصحابه بها .(٢٤٦) ثم تكررت الحرب بينهما مرة ثانية، وفيها هزم سيف الدولة في شعبان، وتتبعه توزون وعندما وصل سيف الدولة إلى الموصل . خرج ومعه ناصر الدولة والخليفة إلى نصيبين (٢٤٧) . بينما دخل توزون الموصل ومعه ابن شيرزاد .

ثم خرج المتقى إلى الرقة (٢٤٨). حيث لحق به سيف الدولة. وقد أرسل المتقى رسالة إلى توزون أوضح له أن أسباب غضبه عليه، والوحشة بينهما يرجع إلى توطيد علاقته وصلته بالبريديين ،وإذا أراد أرضاء الخليفة ويعود لبغداد عليه أن يصالح سيف الدولة وناصر الدولة .فتم الصلح وعقد الضمان على ناصر الدولة، لما تحت يده من بلاد لمدة ثلاث سنوات وعاد توزون إلى بغداد. بينما بقى المتقى عند بنى حمدان بالموصل ثم ساروا منها إلى الرقة (٢٤٩)

كما برز في ذلك الوقت ابن بويه من الأهواز متجهاً إلى واسط بعد سماعة بخروج توزون منها إلى الموصل .وكان البريدي ما زال يطمعه في ملك العراق. كما وعد بمساعدته بعسكر الماء لفتحها لكنه لم يف بوعده. بينما عاد توزون من الموصل إلى بغداد ثم أسرع منها قاصداً واسط لحرب ابن بويه، فالتقيا في سابع عشر ذي القعدة بقباب حميد .واستمرت الحرب بينهما عدة أيام انتهت بهزيمة جيش ابن بويه وأسر أربعة عشر قائداً ، فضلا عن انضمام كثير من الديلم لتوزون. فقصد ابن بويه السوس، ولحق به من نجا من جنده وعاد توزون إلى بغداد .(٢٥٠) وقد عاد معز الدولة في نفس السنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م لدخول واسط فلما دخلها خرج من كان بها من أصحاب البريدي إلى البصرة .(٢٥١)

قتل أبو عبد الله البريدي لأخيه أبي يوسف : بدأ التنافر والتحاسد يقع بين البريديين. فتوترت العلاقات بينهم، وكان ذلك سبباً مباشراً لضعف قوتهم ، ومن ثم زوالهم بعد فترة وجيزة من ذلك .

وكانت الأحوال قد ضاقت على أبى عبد الله، واطرب رجاله وثاروا ضده ، وساءت أحواله أكثر بعد حصار سيف الدولة ثم توزون له. فلما نفد ماله قام جنده بالانضمام إلى أخيه أبى يوسف لكثرة ماله، فضلا عن اقتراض أبي عبد الله منه المرة بعد الأخرى، فكان أبو يوسف يعطيه أقل مما يطلب، وأخذ يشير في جلساته إلى سوء تدبير أخيه وجنونه وتهوره. وزادت الوحشة بينهما، بعد ان علم أبو عبد الله بنية أبى يوسف في القبض عليه والانفراد بالأمر. ووصل الأمر إلى حد بيع أبى عبد الله له بعض الجواهر النفيسة ،فتعمد بخس ثمنها مع استمراره في ذكر عيوب أبى عبد الله، والإشارة إلى فضله فيما حظي به أبى عبد الله من نفوذ، وذلك لحسن تدبيره .(٢٥٢)

لذلك قرر أبو عبد الله البريدي قتل أخيه أبى يوسف فاستمر لعدة أيام ، يرسم خطة كيفية التخلص منه. فأقام غلمانه بطريق مسقوف بين داره بالأبله والشط. وحينما اقبل أبو يوسف من الشط ودخل بالطريق حيث كان يتربص الغلمان له فوثبوا عليه بالسكاكين وقتلوه، وظل يستغيث بأبي عبد الله فلم يحرك ساكناً بل كان يسبه قائلا: «إلى لعنة الله» (٢٥٣).

خرج أبو الحسين عند سماعه استغاثة أبى يوسف، فلما تذمر وعاتب أبى عبد الله على فعلته هدده بالقتل أيضا وقام بدفنه .(٢٥٤)

وعندما سمع الجند بالخبر ، ثاروا وشغبوا لاعتقادهم إنه ما زال حيا فقام أبو عبد الله بنبش قبره، وأخرجه لهم وألقاه بالطريق فلما رأوه سكنوا فأعاد دفنه .(٢٥٥) وعقب ذلك انتقل أبو عبد الله البريدي إلى دار أخيه أبى يوسف ، واستولى على ما بها لكنه لم يجد أموالا بها ،وذلك لانكسارها على الناس. (٢٥٦)

بينما يصور ابن الجوزى حادثة القتل بقوله : « وفى هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف ، وكان أبو يوسف يتكبر على أخيه ويؤذيه ودفنه بالأبله من غير أن غسله أو

كفنه وأخذ من ماله ألف ألف ومائتي ألف دينار وعشرة آلاف ألف درهم وأخذ من الكسوة والفرش والآله قيمة ألف ألف دينار وألف رطل ند وعشرين ألف رطل عود منها الفا رطل هندى وصادر العمال على ألف ألف دينار ».(٢٥٧)

وفاة أبو عبد الله البريدي : كانت وفاته بالبصرة بعد أسبوع من مرضه بالحمى في شهر شوال سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م ، بعد قتله لأخيه بثمانية أشهر وثلاثة أيام .(٢٥٨)

فلما مات قام أخوه أبو الحسين مقامه لصغر سن أبنه أبو القاسم . وقد انقسم جند أبى عبد الله عليه حيث رفض بعضهم خاصة الديلم الانضمام إليه، وكانوا يميلون إلى قائدهم يانس غلام أبى عبد الله، وكان لا يميل إلى أبى الحسين للعداء بينهما. كذلك عمد أبو الحسين الإساءة لأكثر الجند خاصة الديلم والأتراك فتذمروا وثاروا ضده .وعندما شعر يانس بنية الجند تجاهه ، حاول استغلال ذلك بقتله ، وتولية أبى القاسم مكانه فمضى إلى أبى القاسم يطلب منه مالا ليعطيه للجند حتى ينضموا إليه، ويعقدوا له الرئاسة .كذلك اتفق يانس مع الجند على الإطاحة بابي الحسين وتولية أبى القاسم خاصة بعد أن ضمن لهم الاحسان منه (٢٥٩).

سار الجند الموجودين بنهر الأمير(٢٦٠) إلى مقر أبي الحسين البريدي ، بمسماران فكبسوه وهو نائم لكنه نجا بنفسه فخرج متنكراً إلى الجعفرية (٢٦١). وكاتب القرامطة للاستنجاد بهم، واستجاربهم، فظل مقيماً لديهم ما يقرب من شهر على وعد أن يمدوه بجيش للرجوع إلى البصرة والإمارة . وكان أبو القاسم قد استولى على البصرة ، وتولى الأمر بها(٢٦٢).

ثم خرج أبو الحسين ، بصحبة اثنين من إخوة أبى طاهر القرمطى على رأس جيش كبير ، قاصداً البصرة لاستردادها، وكان أبو القاسم قد حفظ البصرة واحكم تحصيناتها. كما حفظها بالرجال ، وعمل الدفاعات عنها فاضطروا إلى حصارها طويلاً. وأخيراً فشلوا في اختراقهاوالاستيلاء عليها، وسرعان ما تذمر القرامطة من المقام هكذا. فكاتبوا أبا القاسم وسعوا في الصلح بينه وبين عمه، فوافق أبو القاسم بعد أن احتاط لنفسه ودخل أبو الحسين البصرة ثم غادرها إلى بغداد لمقابلة توزون .(٢٦٣)

طمع يانس غلام أبى عبد الله في الرئاسة وعزل أبى القاسم، وأخذ يسعى لتحقيق هدفه فتحالف مع بعض القادة الديلم منهم روستاباش، ولكن روستاباش حسد يانس ، وحاول الاستئثار بالأمر .وأوكل أحد الديلم لقتله فرماه عند خروجه فجرح في ظهره ، وسار إلى خراب قريب من دار أبى القاسم فظل مختفياً . ولما سمع الديلم بهذه المؤامرة ثاروا انتقاماً ليانس، فهرب روستاباش خوفاً منهم. كذلك فزع أبو القاسم من هذا الأمر ،وهدد بالخروج من داره فهدأ الجند من روعه ، وعرف مكان يانس فحمله إلى داره ، وعالجه ثم قبض عليه بعد عدة أيام ، وصادره على مائة ألف دينار ثم قتله . وانفرد بالرئاسة .(٢٦٤)

دخول أبو الحسين البريدي بغداد ومقتله : وقد سبقت الإشارة إلى خروج أبى الحسين إلى بغداد فدخلها سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م مستأمناً لتوزون فأمنه وأنزله أبو جعفر ابن شيرزاد في

دار بجواره واكرمه. أخذ أبو الحسين في حث توزون على مساعدته في استرداد البصرة، نظير ضمانها له بمبلغ كبير .كذلك تقابل بالخليفة المستكفى بالله (٢٦٥). بحضور توزون وابن شيرزاد وخلع عليه .(٢٦٦)

وعندما سمع أبو القاسم عن تحركات عمه ببغداد، وسعيه لاسترداد البصرة سارع بتحسين علاقته مع توزون وابن شيرزاد ، وحمل لهما الأموال فأقراه على ما بيده ، وأرسلا له الخلع فقطع الطريق على عمه (٢٦٧). ولما فشل أبو الحسين في العودة إلى البصرة نظراً للتدابير التي أخذها ضده أبو القاسم .عندئذ قام بالوقيعه بين توزون ، وابن شيرزاد فرأى أن يكتب لتوزون في القبض على ابن شيرزاد. فاكتشف ابن شيرزاد المؤامرة فاستوحش من أبى الحسين ، وتوزون ،وبقى بمنزله لم يغادره في حين أخذ توزون يرسل له كل يوم يترضاه، وأخيراً صالحه على أن يتخلصا من أبى الحسين ، وسعى في ذلك ابن شيرزاد انتقاماً منه . فلما كان يوم السبت السابع من ذى الحجة، أرسل من قبض عليه واحضر إلى دار حاجب توزون فضرب ضرباً مبرحاً، ثم نقل إلى دار الخليفة ، وقام ابن شيرزاد بشتمه وذكر عيوبه ، وأعماله وأعاد ابن شيرزاد تجديد الحكم القاضي بإهدار دمه، حيث كان أبو عبد الله محمد بن موسى الهاشمى قد أخذ في أيام ناصر الدولة فتوى الفقهاء والقضاه باحلال دمه، فوافقه جميع القضاة والفقهاء على اهدار دمه فأمر الخليفة المستكفى بضرب عنقه فصلب أياما ثم انزل واحرقت جثته ونهبت داره .(٢٦٨)

وبمقتل أبى الحسين البريدي انتهى دور الإخوة الثلاثة ومن ثم قل الدور السياسي بل تلاشى للبريديين. وذلك لعدم وجود نسل لهم باستثناء أبى القاسم بن أبى عبد الله البريدي وبعض من إخوته وأبنائه لم يكن لهم دورا سياسيا أو ماليا . كذلك لم يكن لأبي القاسم نفس القدر والقوة التي لأبيه وأعمامه ، ولهذا لا نجد تاريخاً وأحداثا مسلسلة له اللهم إلا بعض الإشارات العابرة انطوت على ذكر تبعيته في بعض الأحيان للبويهيين، الذين سيطروا على الخلافة في عهده. كما نلمس ذلك من خلال ذكر وفاته، حيث جاءت الإشارة عنها فيما لا يتجاوز بضع كلمات .

وقد صور ابن الأثير ذلك عند حديثه عن مقتل أبى الحسين البريدي قائلا: « وكان هذا آخر أمر البريديين وكان قتله منتصف ذي الحجة » .(٢٦٩)

أبو القاسم البريدي ؛ ويبدو أن أبا القاسم بن أبى عبد الله البريدي ظل حريصا على البقاء بالبصرة، فجدد ضمانها من توزون عند قدومه إلى واسط هو والخليفة لحرب معز الدولة، فأجابه توزون إلى ذلك وسلمها له .(٢٧٠)

كذلك ظل أبو القاسم هو صاحب النفوذ في المنطقة،وخير دليل على ذلك بسط سلطانه ونفوذه على كافة مناطق الأهواز وخوزستان والبطائح. بل ودخول أغلب أمراء هذه النواحى في حمايته خوفاً من بطش أمراء البويهيين، مثال ذلك عندما حاول عمران بن شاهين الانفراد بحكم البطيحة خشى على قوته من حرب الخلافة له، لذلك استأمن إلى أبى القاسم فقلده حماية الجامدة .(٢٧١)

ولما سيطر معز الدولة على الخلافة رأى أبو القاسم ضرورة الحصول على رضا الخلافة ومعز الدولة معاً فكان يرسل نواباً عنه من حين لآخر .(٢٧٢) ومع ذلك شهدت العلاقة بينه و بين معز الدولة كثيراً من التوتر منها محاولة معز الدولة السيطرة على أعمال البريدي بجنوب العراق. ولكن تم التوسط والصلح بينهما ، وتسلم ابن البريدي واسطا وضمن البقايا بها ألف وستمائة ألف دينار. كما استخلف أبا القاسم عيسى بن على بن عيسى .(٢٧٣)

لم يدم الصلح بينهما طويلاً ففي سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م تجددت الخلافات بينهما ، فأرسل معز الدولة جيشاً كبيراً إلى واسط وسير أبو القاسم جيشاً من البصرة في الماء فالتقيا ودار قتال بينهما، انتهي بهزيمة ابن البريدي وأسر منهم نحو مائتي رجل من وجوه الديلم.(٢٧٤)

كذلك سار الخليفة المطيع (٢٧٥)، ومعز الدولة في أوائل سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م إلى البصرة لأخذها من أبى القاسم البريدي .

وسبق أبو جعفر الصيمرى (٢٧٦). في الماء فملك مسماران ، ودخل دار البريدي بعد مناوشات بسيطة، في حين وصل معز الدولة والخليفة إلى الدرهمية فاستأمن إليه جيش البريدي كله وهرب هو إلى هجر (٢٧٧). وملك معز الدولة البصرة، واقطع المطيع بعض ضياعها . وقبض على جميع قواد البريدي بها، وأخرج أمواله وودائعه واستولى على خزائنه. كما أحرق جميع آلات الماء في الشذاآت والطيارات والزبازب(٢٧٨). واستدعى لؤلؤا من بغداد ، وقلده أعمال البصرة والحرب .

وفى العام التالي وقع الصلح بين الطرفين فدخل أبو القاسم في الأمان إلى بغداد. وتقابل مع معز الدولة وقبل الأرض بين يديه، فأنزله معز الدولة داراً قريبه منه ، وأ قطعة ضياعاً بمائه وعشرين ألف درهم، ورد له ضيعته المعروفة بفروخا باذمن بادوريا .(٢٧٩)

وقد ظل أبو القاسم على مكانته في مناطق البصرة وواسط على وجه الخصوص. كما حرص على توطيد علاقته بمعز الدولة في كثير من الأحيان ، وصور صاحب التكملة ذلك قائلا: « وأنزله معز الدولة داراً حسنه على دجله وأطلق له ضياعه القديمة التي كانت لأبيه في السواد ، وأقطعه اقطاعا بعشرة آلاف دينار ورسمه بمنادمته ، ولم يزل مصونا مكرما مجتمع الشمل مع اخوته وولده متمتعا بملاذه وأوطاره إلى أن توفى ».(٢٨٠)

وفاته : توفى أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن البريدي في سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م (٢٨١) . وبموته انتهى خبر البريديين من الساحة السياسية للدولة العباسية كذلك لم يأت عنهم أى خبر بمصادر التاريخ المعاصرة لهم أو اللاحقة بعد هذا التاريخ .

الهوامش

(١) أوردت كتب التاريخ تعريفات عدة عن نسب البريديين منها : هم ثلاثة أخوة «أبو عبد الله، وأبو الحسين، وأبو يوسف يعقوب. وكانوا كتاباً على البريد» (ابن تغردي بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، طبعة دار الكتب المصرية، ص٢٦٢) «وأما البريديون فهم ثلاثة من الكتاب: أبو عبد الله، وأبو الحسين، وأبو يوسف. وكان أبوهم كاتباً على البريد بالبصرة فتغلبوا على الأهواز، وجرت لهم قصص، ثم اختلفوا وتمزقوا». (الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق عمر تدمري، ج ٣، بيروت ١٩٩٤، ص٤٦). في حين يأت ابن الاثير بتعريف أخر لنسبهم حيث يقول : البريدي بالباء الموحدة والراء المهملة منسوب إلى البريد وكان جده يخدم يزيد بن منصور الحميري، فنسب إليه والأول اصح (ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٦، دار الكتب، بيروت، ط٦، ١٩٨٦، ص١٩٤) بينما أورد اليافعي اسمه «أبو عبد الله اليزيدي» نسبة إلى يزيد بن منصور الحميري (اليافعي: مرآة الجنان، تحقيق عبد السلام الهواس، ج٢، طبعة دار الفكر، لبنان ١٩٩٥، ص١٩٩٦) وجاء في كتاب سمط النجوم. عبد الله اليزيدي واخوته (العاصمي: سمط النجوم العوالي، تحقيق عادل احمد وآخرون، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨، ص٤٩٢)

(٢) على بن عيسي بن داود الجراح وزير المقتدر بالله والقاهر بالله. ولد سنة ٢٤٥هـ وكان صدوقاً فاضلاً عفيفاً في ولايته كثير المعروف، واصله من الفرس وتوفي سنة ٣٣٥هـ (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، طبعة دار صادر، بيروت، ص٣٥)

(٣) محمد بن على بن الحسين بن عبد الله أبو على المعروف بابن مقلة. ولد ببغداد سنة ٢٧٢هـ وزر لثلاث خلفاء المقتدر، القاهر، والراضي تعرض للاعتقال والأذي وأخذ خطه بالف ألف دينار، ثم اطلق وعاد إلى الوزارة ولم يلبث أن اعتقل ثانية وقطعت يده ولسانه، ومكث بالسجن حتى مات في شوال ٣٢٨هـ (نفس المصدر السابق ،ص٣٠٩ ، ٣١١) .

(٤) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان، تجمع النخل والجوز والاترنج وليس ذلك يجتمع بغيرها من مدن خوزستان (ياقوت : معجم البلدان، مج٣، دار صادر، بيروت، ص ١٧).

(٥) الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس بالاقليم الثالث واهلها معروفون بالبخل (نفس المصدر السابق ، مج١ ، ص٢٨٥) .

(٦) مسكويه: تجارب الامم، نشر امدروز ،ج١، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ص١٥٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٩٣ .

(٧) عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبري ، طبعة دي غوية ، ليدن ١٨٩١م ، ص٥٠.

(٨) السوس : بلدة بخوزستان . بضم اوله وسكون ثانية ، فيها قبر النبي دانيال (ياقوت : معجم البلدان ، مج٣ ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١) . .

(٩) جند يسابور : مدينة بخوزستان بناها سابور بن اردشير ،واسكنها سبي الروم وطائفة من جنده (نفس المصدر ، مج٢ ، ص١٧٠) .

(١٠) الفراتية : وهي المنطقة ما بين فرات البصرة والابلة (نفسه : مج٤ ، ص٢٤٢)

(١١) مسكويه : نفس المصدر والصفحة .

(١٢) تستر : بالضم ثم السكون اعظم مدينة بخوزستان على مكان مرتفع وبها قبر البراء بن مالك الأنصاري(ياقوت:نفس المصدر ،مج٢،ص ٢٩ ,٣٠)

(١٣) مسكويه: نفس المصدر والصفحة. ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ج٣، دار الفكر ، بيروت ،الطبعة ٣، ١٩٩٦ ، ص٤٩٥.

(١٤) أبو محمد الحسين بن أحمد المادرائي عمل كاتباً وهو ينتمى إلى أسرة مشهورة عمل افرادها في مناصب رفيعة خاصة بمصر على عهد الطولونيين تعرض هو وأخوته للمصادرة أكثر من مرة ، توفى في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (الهمدانى : التكملة ، ص١٦٢)

(١٥) مسكويه : نفس المصدر ، ص١٥٩؛ ابن كثير : البداية والنهاية، مج ٦ ، ج١١ ، دار المعرفة، بيروت ، ط ٦ ، ٢٠٠١ ، ص ٢٠٣.

(١٦) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص١٩٤ . عريب بن سعد : نفس المصدر، ص٥٤ .

(١٧) الهمداني : تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق البرت يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١ ، ١٩٥٨ ، ص٦٦ ، مسكويه : نفس المصدر ، ص ١٨٦

(١٨) سفاتج : مفردها (س . ت . ج) تعريبها سفتة وهي كلمة فارسية معناها ورقة مالية أو خطاب ضمان يضمن لحاملها حصوله على ما يدون بها من مال (دهخدا : لغت نامه مج٢٩، دانشكاه تهران ، تهران ١٣٤٩هـ . ش . ص٥٣٠) .

(١٩) مسكويه : نفس المصدر ، ص١٨٧ .

(٢٠) المقتدر بالله : أبو الفضل بن المعتضد عهد إليه بالخلافة بعد وفاة المكتفي سنة ٢٩٥هـ، ولصغر سنه قرر الوزير العباس بن الحسن خلعه، ولكن المقتدر استمالة فرجع عن ذلك وقد قتل سنة ٣٢٠هـ (السيوطي: تاريخ الخلفاء ، تحقيق طه عبد الرءوف وآخرون ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة، ص ٣٢٩ ، ٣٣٤).

(٢١) أحمد أبو نصر القشوري : كان متولي أعمال المعاون بالاهواز كما عين خلفاً لأبيه حاجبا للخليفة المقتدر (مسكويه: نفس المصدر، ص ٢٠٥) .

(٢٢) طيارتهم : ضرب من السفن مفردها طيار (الفيروز آبادى : القاموس المحيط ، ج٥ الهيئة المصربة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص٧٩).

(٢٣) مسجد الرضا : بناه على بن موسي الرضا عند اجتيازه هذه المنطقة في رحلته من المدينة يريد خراسان لمبايعة الخليفة المأمون له بولاية العهد . (ياقوت : نفس المصدر، مج١ ، ص ٢٨٥).

(٢٤) الشانروان : بناء حسن عجيب متقن الصنعة معمول من الصخر المهندم يحبس الماء على انهار عدة (نفسه) .

(٢٥) البصرة : سميت بصرة لغلظها وشدتها تم تمصيرها على عهد الخليفة عمر بن الخطاب وبها الكثير من الخصال (ياقوت : نفس المصدر ، مج١ ،ص٤٣٠، ٤٣٩)

(٢٦) الهمداني : تكملة تاريخ الطبري ، ص٧٣؛ مسكويه: نفس المصدر ، ص٢٠٦

(٢٧) مسكويه: نفسه المصدروالصفحة . النويرى : نهاية الارب ، تحقيق احمد كمال زكى، ج٢٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٠.

(٢٨) عريب : نفس المصدر ، ص٦١ .

(٢٩) مسكويه : نفس المصدر ، ص٢٠٧؛ الهمداني : نفس المصدر السابق .

(٣٠) نفسه .

(٣١) نفس المصدر ص ٢٠٨ ، ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، تحقيق عباس العزاوي ، بغداد ، ١٩٤٦ ، ص ٨٨ .

(٣٢) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٣٣) الهمداني : نفس المصدر ، ص ٧٦ .

(٣٤) مسكويه : نفس المصدر ، ص٢٢٣ .

(٣٥) عريب : نفس المصدر ، ص ٦٦؛ ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢١٩ .

(٣٦) أبو الفتح الفضل بن جعفر تولي الوزارة للخليفة المقتدر لمدة خمسة اشهر وتسعة وعشرين يوما ولما قتل الخليفة استتر كما ولي الوزارة للخليفة الراضي (ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٨٦، ٢٨٩) .

(٣٧) مسكويه : نفس المصدر ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣٨) الهمداني : نفس المصدر ، ص ٨١ .

(٣٩) شيراز : بالكسر وآخره زاي بلد عظيم مشهور ، قصبة بلاد فارس . وقد ذمها البشاري بضيق الدروب وقلة احترام اهل العلم والادب (ياقوت : نفس المصدر ، مج٣ ، ص٣٨٠) .

(٤٠) أبو الحسين عمربن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ولاه المقتدر منصب قاضي القضاة منتصف رمضان سنة ٣١٠هـ وكان من قبل يخلف أباه على القضاء بالجانب الشرقي، وسائر ماكان له وكان سنه حينئذ عشرين سنة وتولي قضاء كثير من الأعمال بعد ذلك (ابن الجوزي : نفس المصدر، ص ١٦٧) .

(٤١) أحد المقربين إلى الخليفة المقتدر وكان يقوم باقراض الخليفة والوزراء وغيرهم بربح درهم في كل دينار اتسم بالجشع وجمع المال كما قام بتأليب الخليفة على الوزير هارون ابن الحال الذى انقلب عليه وصادره ثم نجى من الحبس عقب قتل المقتدر وقد قبض عليه الخليفة القاهر أيضاً وصادر

جميع أملاكه وهدمت داره وأراد قتله إلا أن القاهر خلع فتوجه إلى البريديين ثم إلى معز الدولة ووقع في الأسر وصودرت كل ثروته حتى اضطر إلى أن يخدم ناصر الدولة ومات بالموصل (مسكويه : نفس المصدر ، ص٢١٣ : ٢٣٣) .

(٤٢) مسكويه : نفس المصدر ، ص ٢٣٠ .

(٤٣) محمد بن خلف : ولاه ابن مقلة سنة ٣٢١هـ كافة أعمال البريديين بعد عزلهم عنها . كما ولاه أعمال المعاون في هذه المناطق وكان يتسم بالشدة (مسكويه : نفس المصدر ، ص ٢٤٦).

(٤٤) نفس المصدر السابق : ص ٢٤٧ .

(٤٥) نفسه : ص ٢٤٨ .

(٤٦) نفسه : ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٤٧) الهمداني : التكملة ، ص ٨٤ . عريب : نفس المصدر ، ص ٧٠ .

(٤٨) أبو الخطاب بن أبي العباس بن الفرات عمل مدة طويلة بالدواوين ثم اعتزل العمل سنة ٣٠١هـ. قبض عليه الوزير على بن مقلة وطالبه بثلاثة آلاف دينار (مسكويه: نفس المصدر، ص ٢٥١) .

(٤٩) نفسه : ص ٢٥٣ .

(٥٠) الخليفة القاهر : أبو منصور محمد المعتضد تولي سنة ٣٢٠هـ وأول ما فعله مصادرة أبناء المقتدر وتعذيبهم وضرب أم المقتدر حتى ماتت سمل وخلع سنة ٣٢٢هـ (السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٣٥ ، ٣٣٧) .

(٥١) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص ٢٢٣ .

(٥٢) مسكويه : نفس المصدر ، ص ٢٥٥ .

(٥٣) محمد بن ياقوت : علا نجمه حتى صار متحكماً بأمور الخلافة فتولي الحجابة للراضي وخلع عليه، وتولي رئاسة الجيش وادخل يده في أمر الدواوين، وبلغ من نفوذه أن لا يقبل إلا توقيعه في أمور الولاية أو العزل والاطلاق (ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ليدن، ١٦٢٥م ، ص ٢١٣) .

(٥٤) مسكويه : نفس المصدر ، ص ٢٥٧ .

(٥٥) أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي : تولي الوزارة للخليفة القاهر لمدة ثلاثة أشهر وأثني عشر يوماً، وللراضي سنة ٣٢٤هـ . كان على علاقة طيبة بالبريديين على عهد القاهر خاصة (هلال الصابي : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، نشر امدروز ، ليدن ١٩١٢، ص ١٦٨). وهناك لبس كبير في سرد هذه القصة لدى مسكويه حيث يوردها على أن الوزير هو نفسه صاحب الأعمال في أثناء وزارته فيقول : « كان بنو البريدى بعد استتار ابن مقلة والجماعة استتروا فقلد الوزير مكانهم على أعمالهم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى فتوسط اسحاق بن اسماعيل أمرهم فأخذ لهم امانا من الوزير » (مسكويه : نفس المصدر ، ص ٢٧٠) .

(٥٦) الهمداني: نفس المصدر ، ص ٨٦ .

(٥٧) أبو العباس الخصيبي : وزر للمقتدر وقد نفاه ابن مقلة إلى عمان ثم عاد ووزر للقاهر ، ونظر في الدواوين وقلدها من استصلحه ونصب ديواناً للمبيع ، وصادر الناس وقبض على الكثير (مسكويه : نفس المصدر ، ص٢٧٣) .

(٥٨) ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص٧٦.

(٥٩) عريب : نفس المصدر ، ص٧٩ .

(٦٠) مسكويه: نفس المصدر ، ص٢٧١ ، ابن دحية: النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، ص٩٣.

(٦١) مسكويه : نفس المصدر: ص٢٧٣ .

(٦٢) الهمداني : نفس المصدر ، ص٩٣ .

(٦٣) مسكويه: نفس المصدر ، ص٢٧٤ .

(٦٤) ولي أمر عدة ولايات في بداية عصر الراضي منها واسط وأعمالها حتى سنة ٣٢٤ هـ فأرسل له الراضي يعرض عليه إجابته إلى ما كان بذله من القيام بالنفقات وارزاق الجند ببغداد فأسرع بدخولها فقلده الراضي إمارة الجيش وجعله «أمير الأمراء» وولاه الخراج والمعاون في جميع البلاد والدواوين وأمران يخطب له على جميع المنابر وبطلت الدواوين والوزارة وأصبح ابن رائق بيده الأمور جميعها (ابن الأثير : نفس المصدر ، ص ٢٥٤) .

(٦٥) النعمانية : بالضم كأنها منسوبة إلى رجل اسمه النعمان بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة معدودة من أعمال الزاب الأعلى وهي قصبته وأهلها شيعة غالية كلهم (ياقوت : معجم البلدان ، مج ٥ ، ص٢٩٤) .

(٦٦) مسكويه: نفسه .

(٦٧) الراضي : أبو العباس محمد بن المقتدر تولى سنة ٣٢٢هـ حتى وفاته ربيع الأخر سنة ٣٢٩هـ (السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٣٩ ، ٣٤٠) .

(٦٨) خوزستان: اسم لجميع بلاد الخوز وليس بها جبال ولا رمال إلا شيء يسير يتاخم تستر وجنديسا بور وأرضها اشبه شيء بأرض العراق وهوائها وصحتها (ياقوت :نفس المصدر ، مج ٢ ، ص ٤٠٤ ، ٤٠٥)

■ كور دجلة : يقصد به أعمال البصرة ما بين ميسان إلى البحر كله يقال له كوردجلة (نفسه: مج٤ ، ص٤٨٩)

■ بادوريا : طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد وقيل كل من استقل من الكتاب ببادوريا استقل بديوان الخراج ومن استقل بديوان الخراج استقل بالوزارة (نفسه : مج١ ، ص٣١٧) .

■ الانبار : بفتح اوله . مدينة قرب بلخ وهي جوزجان وبها كان مقام السلطان ولها مياه وكروم وبساتين كثيرة (نفسه ، ص٢٥٧) .

■ قطربل : تقع بجانب بادوريا فكل ما كان شرقي السراة ضمن بادوريا وما كان في غربيها فهو قطربل (نفسه ، ص٣١٧) .

■ مسكن : بالفتح ثم السكون وهو موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق (نفسه: مج٥، ص ١٢٧) .

■ واسط : بين الكوفة والبصرة اسسها الحجاج بن يوسف وهي في الإقليم الثالث (نفسه : ص ٣٤٧)

■ الصلح: بالكسر ثم السكون كورة فوق واسط لها نهر يستمد من دجلة علي الجانب الشرقي يسمي فم الصلح كانت بها منازل الحسن بن سهل (نفسه: مج٣، ص٤٢١)

■ المبارك:قرية بين واسط وفم الصلح ينسب إليها كور منها فم الصلح جميعه (نفسه: مج٥، ص٥١)

(٦٩) مرداويج الزياري : قائد من قواد الديلم انقلب على قائده اسفار بن شيرويه وقتله وملك مكانه واساء السيرة باصبهان وانتهك الحرمات (ابن الجوزي : المنتظم، ج٦ ، ص٢٠٧).

(٧٠) عريب:الصلة ، ص٨٣؛ الهمداني: التكملة، ص٨٩.

(٧١) عسكر مكرم : بضم الميم بلد مشهور من نواحي خوزستان نسبة إلى مكرم بن معزاء الحارث (ياقوت : معجم البلدان ، مج٤ ، ص ١٢٣) .

(٧٢) مسكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ٣٠٣.

(٧٣) على بن بويه : زعيم ال بويه ومؤسس دولتهم لقب بعماد الدولة ارتفع قدره لحلمه وشجاعته، وكان اكبر اخوته ركن الدولة ومعز الدولة . ويقال إنهم من ولد يزدجرد بن شهريار انخرطوا في جيش ما كان بن كاكي ثم انتقل على بن بويه إلى خدمة مرداويج عند هزيمة ما كان ، ومن ثم أخذت تعلو مكانته (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص٢٣٠ ، ٢٣١).

(٧٤) مسكويه : نفسه .

(٧٥) Muir , Sir William : The Caliphate , Edinburge , 1970 , P.P.73 - 75

(٦٧) العاصمى : سمط النجوم ، ص٤٩٢

(٧٧) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٤٧؛ Muir : OP. CIT, P 76

(٨٧) الهمدانى : نفس المصدر ، ص٩٦؛ النويرى : نهاية الارب ، ج٢٣ ، ص١٢٩ .

(٧٩) أرجان : مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل وزيتون وهى برية بحرية سهلية جبلية (ياقوت: نفس المصدر ، مج١ ، ص١٤٣)

(٨٠) عبد الله بن الكوفى : تولى عدة مناصب رفيعة منها الكتابة للأمير بجكم (ابن الأثير: نفس المصدر ، ص ٢٢٧)

(٨١) مسكويه : نفس المصدر ، ص٣٢٧؛ هلال الصابى : تحفة الأمراء ، ص٢١٣ .

(٨٢) نفسه

(٨٣) نفسه : ص ٣٢٨

(٨٤) نفسه : ص٣٢٩

(٨٥) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص ٢٥١

(٨٦) الهمداني : نفسه .

(٨٧) الكتبى : عيون الأخبار ، أحداث سنة ٣١١ – ٣٥٩ ، مخطوط بدار الكتب ، ص ٢٨١ .

(٨٨) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٤٨٧ .

(٨٩) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص ٢٥٢ .

(٩٠) الكتبى : نفس المصدر، ص ٢٨٣

(٩١) Schaban. M.A: The Abbasid Revoluion of the Social and Political, 1960, P63.

(92) Kremer : The Orient under the Calphate, vol 2, Calcuta, 1920, P89.

(٩٣) مسكويه: نفس المصدر ، ص ٣٤٣

(٩٤) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٥٣

(٩٥) الهمداني : التكملة ، ص ٩٧

(٩٦) مسكويه : نفس المصدر ، ص٣٤٤ ، Kremer : Op. cit, PP 94,95

(٧٩) نفسه : ص ٣٤٥

(٩٨) ويرجع السبب في القبض عليهما إلى قلق الوزير ابن مقلة من تحكم ياقوت في المملكة بأسرها فسعى به إلى الخليفة وكان محمد بن ياقوت مرشحاً للحجابة للراضي (ابن الأثير : نفس المصدر، ص ٢٤٧)

(٩٩) نفسه : ص ٢٥٣ . الخضرى : تاريخ الدولة العباسية، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٠٤، النويرى: نهاية الارب، ج٢٣ ، ص١٢٩ .

(١٠٠) مسكويه : نفس المصدر ، ص ٢٤٥

(١٠١) دير العاقول : بين مدائن كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطئ دجله (ياقوت : معجم البلدان ، مج٢ ، ص ٥٢٠)

(١٠٢) الموصل : مدينة مشهورة إحدى قواعد بلاد الإسلام ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهى باب العراق ومفتاح خراسان (نفسه : مج٥ ، ص٢٢٣)

(١٠٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، حـ٣ ، ص٤٨٨

(١٠٤) اسفهلار : كلمة مكونة من لفظين إحدهما فارسي وهو (أسفه) ومعناه المقدم والثاني تركي وهو (سلار) بمعنى العسكر والكلمة تعنى « مقدم العسكر » (القلقشندى : صبح الأعشي في صناعة الانشا ، ح٣، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية، ص٤٨٣).

(١٠٥) مسكويه : نفسه ، عبد العزيز الدورى : دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة الريان، بغداد ، ١٩٤٥ ، ص٦٢ .

(١٠٦) ابن الأثير : نفسه ، .Kremer : The Orient , vol2 , P99

(١٠٧) لسترنج كي: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص١٢١.

(١٠٨) مسكويه : نفس المصدر ، ص٣٤٦

(١٠٩) مجهول : الحدائق والعيون ،ج٦ ،مخطوط بدار الكتب المصرية ،ص١٩٣.

(١١٠) الرباط : في الأصل الإقامة على جهاد العدو ، وأيضا ملازمة ثغر العدو وكان ذلك اول نشأتها في الدولة الإسلامية ثم أصبحت تنتشر داخل الدولة الى جانب الخانقاوات حيث إتخذها الصوفية مكانا للتعبد والانقطاع على الناس . (ابن منظور : لسان العرب ، ج٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص١٥٦١) .

(١١١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٣٨ ، ..Muir : The Calphate, P 81

(١١٢) مسكويه : نفس المصدر ، ص ٣٤٧.

(١١٣) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٥٤؛ ابن طباطبا : الفخري ، ص ٩٨.

(١١٤) الصولي : أوراق الراضي والمتقى ، نشر هيوارث ، القاهرة ، ١٩٣٥ ، ص١٢٤

(١١٥) الكبتى : عيون الأخبار ، ص ٢٨٤.

(١١٦) عمان : بضم أوله على ساحل بحر اليمن والهند في الإقليم الأول تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع (ياقوت : نفس المصدر ، مج٤ ، ص١٥٠).

(١١٧) فارس : ولاية واسعه وإقليم فسيح أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهه ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران (نفسه : ٢٢٦).

(١١٨) خراسان : بلاد واسعة أول حدودها مما يلى العراق أزاد وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراه ومرو (نفسه : مج٢ ، ص ٣٥٠).

(١١٩) مسكويه : تجارب الأمم، ج١، ص٣٤٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١١، ص ٢١٩.

(١٢٠) بجكم : كان من غلمان أبى على العارض ثم وزيراً لمكان بن كاكى ثم فارقه مع رفاقه والتحق بمرداويج وكان ممن قتله وسار إلى العراق واتصل بابن رائق ثم تطلع للاستيلاء على الحضرة فعادى ابن رائق وتقلد إمرة الأمراء مكانه سنة ٣٢٦هـ

(ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٦٦).

(١٢١) الهمدانى : التكملة ، ص٩٩؛ الدورى : دراسات في العصور العباسية ، ص٦٢.

(١٢٢) مسكويه : نفس المصدر ، ص٣٥٦.

(١٢٣) مجهول : الحدائق والعيون ،ص ١٩٥، الماوردى : الأحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٩٢٣، ص٢٥١؛ النويرى : نهاية الارب ، ج٢٣ ، ص١٤٠ .

(١٢٤) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر، مج١ ، ج٢، مكتبة المتنبى، القاهرة ، ص٨٤؛ ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٤، ج١١ ، بيروت، ١٩٨٩، ص١٣٤؛ الخضرى: تاريخ الدولة العباسية، ص٣٠٦.

(١٢٥) القرامطة : كان ابتداء أمرهم فيما زعموا أن رجلا ظهر بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين يتسم بالزهد وكان يدعى قرمط يقال لركوبه على ثور كان صاحبه يدعى كرميه فعرب وقيل بل اسمه حمدان ولقبه قرمط يقال : وزعم أنه داعية لأهل البيت للمنتظر منهم (ابن خلدون: نفس المصدر، ص٤١٩).

(١٢٦) الصولى : نفس المصدر ، ص١٣٤.

(١٢٧) عريب : الصلة ، ص١٠٠ : ابن خلدون : نفس المصدر ، ص٥٠٠.

(١٢٨) الصولي : نفسه ؛ الهمدانى : نفس المصدر ، ص٩٩.

(١٢٩) مسكويه : نفس المصدر ، ص٣٦٠؛ الخضرى : نفس المرجع ، ص٣٠٦.

(١٣٠) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٥٩ ، Schaban : The Abbasid, P39 .

(١٣١) الكتبى : عيون الأخبار ، ص٢٨٥.

(١٣٢) مسكويه : نفس المصدر ، ص٣٦٤؛ النويرى : نهاية الارب ، ج٢٣ ، ص١٤٠ .

(١٣٣) العاصمى : سمط النجوم ، ص٤٩٢؛ الذهبى : تاريخ الإسلام ، ص٤٤.

(١٣٤) الحجرية : فرقة من عسكر الخلافة مسماه بهذا الاسم على ما هو اصطلاح الملوك في تلقيب كل جماعة من العسكر تمييزاً لهم عمن عداهم (ابن خلدون : نفس المصدر ، ص٤٨٨) والحجرية نفر مقيمون في حجر منفردة لكل حجرة منها اسم يخصها(القلقشندي:صبح الاعشي،ج٣،ص٤٧٧).

(١٣٥) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٥٩.

(١٣٦) الهمدانى : التكملة ، ص١٠٣ ، ١٠٤؛ الذهبى : تاريخ الإسلام ، ص٤٤ ، ٤٥ ، أبوالفدا : المختصر في أخبار البشر ، مج١ ، ج٢ ، ص٨٥ ، ٨٦.

(١٣٧) مسكويه: نفس المصدر ، ص٣٧؛ النويرى : نهاية الارب ، ج٢٣ ، ص١٤٠ .

(١٣٨) الأبله : بضم أوله بلده على شاطئ البصرة العظمى وهى أقدم من البصرة (ياقوت : نفس المصدر، مج١ ، ص٧٧).

(١٣٩) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص٣١٥؛ النويرى : نهاية الارب ، ج٢٣ ، ص١٤١.

(١٤٠) مطارا : وهى مطاره من قرى البصرة على ضفة دجلة والفرات في ملتقاهما بين المذار والبصرة (يا قوت : نفسه ، مج٥ ، ص١٤٧).

(١٤١) الكلا : حي مشهور من أحياء البصرة كانت تصل إليه المراكب من الابله عن طريق نهر معقل وفيه دار الرزق(النويري :نهاية الأرب، ج٢٣، ص١٤١).

(١٤٢) ابن العماد : شذ رات الذهب ، مج٤ ، ص١٣٧ .

(١٤٣) المذار : في ميسان بين واسط والبصرة وهى قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام بها قبر عبد الله بن على بن أبى طالب (نفسه : مج٥ ، ص٨٨).

(١٤٤) عريب : الصلة ، ص١٠٣.

(١٤٥) أوال: جزيرة حسنة بها مدينة كبيرة تسمى البحرين وهى عامرة حسنة خصيبة كثيرة الزروع والنخل وفيها عيون ماء كثيرة ومياهها عذبه (الإدريسي : نزهه المشتاق في اختراق الآفاق، عالم المكتب، بيروت، ط١ ،١٩٨٩، ص٣٨٧.

(١٤٦) الهمداني : التكملة ، ص١٠٥؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص٢٦٢.

(١٤٧) مجهول : الحدائق والعيون، ص١٩٥؛ الذهبي : نفس المصدر ، ص٤٥.

(١٤٨) مسكويه : نفس المصدر ، ص٣٤٧؛ ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٦٠ .

(١٤٩) نفسه : ص٣٧٥؛ الهمدانى : نفس المصدر ، ص١٠٦.

(١٥٠) أربق : بالفتح ثم السكون من نواحى رامهرمز من نواحي خوز ستان (ياقوت : نفس المصدر، مج١، ص١٣٧).

(١٥١) ابن العماد: نفسه؛ الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٢٦١.

(١٥٢) المسرقان: نهر بخوزستان عليه عدة قرى وبلدان ونخل يسقى ذلك كله مبدؤه من تستر (ياقوت : نفس المصدر ، مج٥ ، ص١٢٥).

(١٥٣) مسكويه: نفس المصدر ، ص٣٧٩.

(١٥٤) الباسيان : مدينة وسطه في الكبر عامرة يشقها نهر فيصير نصفيه وهى فرجة حسنة من داخلها وخارجها وبين باسيان وحصن مهدى مرحلتان (الادريسي : نفس المصدر ، ص٣٩٥).

(١٥٥) الكتبى : عيون الأخبار ، ص٢٨٦ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، ص٤٨.

(١٥٦) اصبهان : مدينة عظيمة مشهورة من نواحى الجبل في آخر الإقليم الرابع (ياقوت : نفس المصدر ، مج١ ، ص٢٠٦).

(١٥٧) وشمكير الزيارى : أخو مرداويج وكان نائباً عنه في حكم بلاد الجبال ولما قتل مرداويج قصدته عساكره وأطاعته وأقام بالرى. (ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٤٦).

(١٥٨) حصن مهدى : بلد من نواحى خوزستان (ياقوت : نفسه، مج٢ ، ص ٢٦٦).

(١٥٩) مسكويه : تجارب الأمم ، ط ، ص٣٨٠ ، ٣٨١ ، النويرى : نهاية الارب ، ج٢٣ ، ص١٤٣.

(١٦٠) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٦٣ .

(١٦١) مسكويه : نفسه.

(١٦٢) عريب : الصلة ، ص١٠٦.

(١٦٣) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٦٤.

(١٦٤) نفسه.

(١٦٥) مسكويه : نفس المصدر ، ص٣٨٣.

(١٦٦) نفسه ، دائرة المعارف الإسلامية ، مج٣ ، بيروت ، ص٦١٣.

(١٦٧) الهمدانى : التكملة ، ص١١٣ ، عريب : نفس المصدر ، ١٠٨.

(١٦٨) ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة.

(١٦٩) عريب : نفس المصدر ، ص١٠٩.

(١٧٠) الذهبى : نفس المصدر ، ص٥٥؛ النويرى : نهاية الارب ، ج٢٣ ، ص١٤٤.

(١٧١) مسكويه : تجارب الأمم ،ج١ ، ص٣٨٥ ؛ النويرى : نهاية الارب ، ج٢٣ ، ص١٤٥.

(١٧٢) نفسه : ص٣٨٦.

(١٧٣) الهمدانى : التكملة ، ١١٣ ، ص١١٤؛ الذهبى : نفسى المصدر والصفحة.

(١٧٤) ابن تعزى بردى : النجوم الزاهرة، ج٣ ، ص٢٦٤؛ توفيق اليوزبكى : الوزارة ونشأئها وتطورها في الدولة العباسية ، بغداد، ١٩٧٠ ، ص٧٦ ، ٨٧.

(١٧٥) ابن الجو زى : المنتظم ، ج٦ ، ص٣٠٠.

(١٧٦) اصطخر : مدينة وسطة وسعتها مقدار ميل من أقدم مدن فارس واشهرها بينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخا (ياقوت : نفس المصدر ، مج١ ، ص٢١١).

(١٧٧) مسكويه : نفس المصدر ، ص٤١١.

(١٧٨) ابن خلدون : نفس المصدر ، ص٥٠٦.

(١٧٩) مسكويه ، نفس المصدر ، ص٤١١.

(١٨٠) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٧٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١١، ص٢٨٨.

(١٨١) مسكويه : نفس المصدر ، ص٤١٢.

(١٨٢) نفسه : ص٤١٣.

(١٨٣) الزعفرانية : قرية قرب بغداد تحت كلواذى (يا قوت : نفس المصدر ، مج٣ ، ص١٤١).

(١٨٤) الهمدانى : نفس المصدر، ص١١٦؛ ابن العماد : نفس المصدر ، ص١٤٣.

(١٨٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٥٠٦.

(١٨٦) توزون : برز نجمه في خلافة المتقى وصار بيده مقاليد الأمورفجعله المتقى أمير الأمراء ثم قام بسمل الخليفة وتولية المستكفى (ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ،ج٦، ص٢٩١).

(١٨٧) مسكويه : تجارب الأمم ، ج٢ ، ص٩، ١٠ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ، ج٦ ، ص٣٢٠، ٣٢٢، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ، مج١ ، ج٢ ، ص٨٩.

(١٨٨) مسكويه : نفسه، ص١٠: النويرى : نهاية الارب ، ج٢٣ ، ص١٥٦ .

(١٨٩) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى عبد الحميد ، ج٤، دار المعرفة ، بيروت ، ص٣٤٠.

(١٩٠) المتقى : أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الراضي سنة ٣٢٩هـ وهو أبن أربع وثلاثين وقد كحله توزون وتم خلعه سنة ٣٣٣ هـ (ابن العميد : تاريخ المسلمين، ص٣٥٦).

(١٩١) مسكويه : نفسه ، ص١٣؛ ابن طباطبا : الفخرى ، ص٩٨ .

(١٩٢) نهر ديالى :نهر كبير قرب بغداد وهو نهر تامرا بعينه او نهر بعقوبة الأعظم

(ياقوت: معجم البلدان ، مج٢ ، ص٤٥٠) .

(١٩٣) مسكويه : نفسه ، النويرى : نفسه ، ص١٥٧ .

(١٩٤) البجكمية : فرق الجند التابعة للأمير بجكم (ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٧٩)

(١٩٥) ابن الأثير : نفسه؛ النويرى : نفسه ، ص١٥٨ .

(١٩٦) أبو جعفر بن شيرزاد ارتقى في عدة مناصب بالدولة حتى صار كاتبا لتوزون فكان أمر الحكومة في يديه (الصولي ، أخبار الراضي ، ص٢٠١) ، مسكويه : نفس المصدر ، ص١٥.

(١٩٧) ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة ، ابن كثير : نفسه ، ص٢٣٦.

(١٩٨) الهمدانى : نفس المصدر ، ص١٢٣؛ مسكويه : نفسه ، ص١٦.

(١٩٩) الماوردى : نفس المصدر ، ص٢٦٠.

(٢٠٠) ابن العماد : شذرات الذهب ، مج٤ ، ص١٥٧ ، النويرى : نفسه ، ص١٥٩ .

(٢٠١) هلال الصابى: تحفه الأمراء ، ص٢٣٤ ، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسى والاجتماعى، ج٣، النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة ١٢ ، ١٩٨٧ ، ص٣٠.

(٢٠٢) أبو شجاع كورنكيج : يعرف أيضا بكورتكين الديلمى وهو أحد الجند الديلم استولى على الأمور ببغداد ودخل على المتقى بعد خروج البريدي فقلده أمرة الأمراء وخلع عليه (ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٨٠) .

(٢٠٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ن ج٦ ،ص٢٨٠؛ هلال الصابى : تحفة الأمراء ، ص٢٣٦.

(٢٠٤) مسكويه : تجارب الأمم ، ج٢ ، ص١٩ ، ٢٠.

(٢٠٥) نفسه : ص٢٣ الكتبى : عيون الأخبار ، ص٢٨٨.

(٢٠٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٣ ، ص٥١١؛ توفيق اليوزبكى : الوزارة ، ص٨٤.

(٢٠٧) هلال الصابى : نفسه؛ النويرى : نهاية الأرب ، ص١٦٣ .

(٢٠٨) مسكويه : نفسه .

(٢٠٩) المنجنيقات : من أدوات الحرب استخدمها المسلمون على نطاق واسع منذ حكم الأمويين (النويرى : نفس المصدر ، ج٥ ، ص٧٩) .

(٢١٠) مسكويه : نفس المصدر ، ص٢٤؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، مج٤ ، ص١٦٧.

(٢١١) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٨٣؛ ابن تغرى : النجوم الزاهره ، ج٣ ، ص٢٧٤.

(٢١٢) نوشتكين : قائد من الأتراك البجكمية عمل تحت إمرة بجكم حتى قتل فرحل من بغداد هو وزملائه توزون وخجخج ، وساروا إلى الموصل ، وعندما تولى ابن رائق الأمر ببغداد ثاورا ضده مع الجند الأتراك ثم انضموا إلى أبى عبد الله البريدى الذى تقوى بهم (مسكويه : نفسه ، ص١٩ : ٢٥) .

(٢١٣) مسكويه : نفسه ، ص٢٥؛ النويرى : نفسه ، ص١٦٤ .

(٢١٤) المكوس : نوع من الضرائب تفرض على بضائع التجار داخل البلاد و المدن وكانت تحسب من العشر والزكاة (المقدسي : أحسن التقاسيم معرفة الأقاليم ، طبعة دى غوية ، ليدن ، الطبعة الثانية ، ١٩٠٦ ، ص١١٢).

(٢١٥) ابن خلدون : نفس المصدر ، ص٥١٢؛ النويرى : نفسه ، ص١٦٥.

(٢١٦) مسكويه : نفسه ، ص٢٦.

(٢١٧) الحمدانيون: نجحوا في إقامة دولتهم بالموصل أواخر القرن الثالث الهجرى ويرجع نسبهم إلى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب العربية كانت علاقتهم عدائية بالخلافة بادئ الأمر ثم سرعان ما أصبحوا ملاذا للخلفاء والمدافعين عنهم، وعلى رأسهم أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان، الذي عينه الخليفة المتقى أميراً للأمراء، وخلع عليه وعقد له لواء ولقبه ناصر الدولة وذلك في مستهل شعبان من سنة ٣٣٠ هـ وخلع على أخيه على ولقبه سيف الدولة (مسكويه : نفس المصدر، ص٢٨).

(٢١٨) الهمدانى : التكملة ، ص١١٩ ، الدورى : دراسات في العصور العباسية ، ص٧٢

(٢١٩) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٨٥ ، Muir : The Caliphate, P85

(٢٢٠) مجهول: الحدائق والعيون، ص٢١٤؛ الصولى : أخبار الراضي والمتقى ، ص١٦٥

(٢٢١) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل لها قلعه حصينة (ياقوت : معجم البلدان، مج٢، ص٣٨)

(٢٢٢) كمال الدين عمر : بغيه الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار ، ج٥ ، دار الفكر، بيروت، ص٢٤٣٤؛ الهمدانى : نفسه ، ١٢٨.

(٢٢٣) معلثايا : بالفتح ثم السكون بليد له ذكر في الأخبار المتأخرة قرب جزيرة ابن عمر من نواحى الموصل (ياقوت : نفسه ، مج٥ ، ص١٥٨)

(٢٢٤) الهمدانى : نفسه؛ مسكويه : نفس المصدر ، ص٢٧.

(٢٢٥) النويرى : نفسه ، ص١٦٦؛ ابن تغرى : نفس المصدر ، ص٢٧٥.

(٢٢٦) الزبيدية : محلتان ببغداد الأولي في الجانب الغربي قرب مشهد موسى بن جعفر في قطعية أم جعفر والثانية محلة أسفل مدنية السلام منسوبة إليها أيضا وهى في الجانب الغربى أيضا (يا قوت: نفسه ، مج ٣ ، ص١٣٢) .

(٢٢٧) سامراء : سر من رأى : مدينة بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخا (نفسه: ص١٧٣) .

(٢٢٨) المدائن : طولها سبعون درجة وثلث وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف بناها انو شروان بن قباذ وأقام بها هو ومن كان بعده من ملوك بنى ساسان إلى أيام عمر بن الخطاب (نفسه : مج ٥ ، ص٧٤).

(٢٢٩) اليافعى : نفسه؛ الهمدانى : نفسه .

(٢٣٠) مسكويه : نفسه ، ص٣٠ ، Muir : OP. Cit, PP.88,90.

(٢٣١) الهمدانى : نفسه ، ص١٢٩؛ كمال الدين : نفس المصدر السابق.

(٢٣٢) (مسكويه : نفس المصدر السابق؛ النويرى : نفسه ، ص١٦٧ .

(٢٣٣) عسكر جعفر: وهى عسكر أبى جعفر قرية بالبصرة (ياقوت : نفس المصدر ، مج٤، ص١٢٣).

(٢٣٤) مسكويه : نفسه ، ص٣٧.

(٢٣٥) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٩٠؛ النويرى : نفسه ، ص١٧١ .

(٢٣٦) نهرأبان : أحد روافد نهر دجلة يستخدمه المتوجه من الكوفه إلى القادسية بعد اجتياز واسط (الادريسي : نزهه المشتاق ، ص٣٨٣).

(٢٣٧) مسكويه : نفس المصدر ، ص٤٢.

(٢٣٨) مسكويه : نفس المصدر ، ص٤٥؛ النويرى : نهاية الأرب ، ص١٧١ .

(٢٣٩) الهمدانى: التكملة، ص١٣٥؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ص٥١٥.

(٢٤٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٦ ، ص٢٩٠ .

(٢٤١) مسكويه : نفس المصدر ، ص٤٨ ، ابن دحية : النبراس ، ص١٢٣.

(٢٤٢) نفسه. ، النويرى : نفسه ، ص١٧٢ .

(٢٤٣) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٩٥.

(٢٤٤) الهمدانى : نفس المصدر ، ص١٣٦.

(٢٤٥) ابن الأثير : نفسه؛ النويرى : نفسه ، ص١٧٣ ، ١٧٤.

(٢٤٦) مسكويه : نفسه؛ ابن خلدون : نفس المصدر ، ص٥١٦.

(٢٤٧) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها

وفى قراها أربعون ألف بستان (ياقوت : معجم البلدان ، مج٥ ، ص٢٨٨).

(٢٤٨) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام (نفس المصدر: مج٣، ص٥٨).

(٢٤٩) ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة؛ المسعودى: مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٣٤١.

(٢٥٠) الهمدانى : نفس المصدر ، ص١٣٨.

(٢٥١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص٢٨٢.

(٢٥٢) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٢٩٦؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، ج١٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص١٠٩.

(٢٥٣) مسكويه : نفس المصدر ، ص٥٣؛ الهمدانى : نفس المصدر ، ص١٤٥.

(٢٥٤) نفسه ، النويرى : نفسه ، ص١٧٤.

(٢٥٥) ابن الأثير : نفسه .

(٢٥٦) نفسه .

(٢٥٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٦ ، ص٣٣٦؛ النويرى : نفسه ، ص١٧٤.

(٢٥٨) الذهبى : نفس المصدر ، ص١١٠ ، ١١١؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، مج ٦ ، ج١١، ص٢٤٧.

(٢٥٩) مسكويه : نفس المصدر ، ص٦٠ ؛ الهمدانى : نفس المصدر ، ص١٤٦.

(٢٦٠) نهر الأمير : بالبصرة حفره المنصور ثم وهبه لابنه جعفر فكان يقال نهر أمير المؤمنين ثم نهر الأمير (ياقوت : نفس المصدر ، مج٥ ، ص٣١٨).

(٢٦١) الجعفرية : منسوبة إلى جعفر محلة كبيرة مشهورة في الجانب الشرقى من بغداد (ياقوت : معجم البلدان ، مج٢ ، ص١٢٢).

(٢٦٢) الكتبى : عيون الأخبار ، ص٢٩٠.

(٢٦٣) مسكويه: تجارب الأمم ، ج٢، ص٦٠؛ الذهبى: تاريخ الإسلام ، أحداث سنه ٣٣١، ٣٣٢، ص٢٢.

(٢٦٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص٢٩٧.

(٢٦٥) المستكفى بالله : أبو القاسم عبد الله بن المكتفى بن المعتضد بويع له بالخلافة عند خلع المتقى في صفر سنة ثلاث وثلاثين خلع أيام معز الدولة وسملت عيناه في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣٤٤ ، ٣٤٥).

(٢٦٦) مسكويه : تجارب الأمم ، ج٢، ص٧٩؛ الهمدانى : التكملة ، ص١٤٥.

(٢٦٧) نفسه ، نفسه

(٢٦٨) نفسه : ص٨٠.

(٢٦٩) ابن الأثير :الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٣١١؛ دائرة المعارف الإسلامية. مج٣ ، ص٦١٤.

(٢٧٠) نفسه : ص٣١٢.

(٢٧١) الكتبى : عيون الأخبار ، ص٢٩٣.

(٢٧٢) مسكويه : نفس المصدر ، ص٨٦؛ الهمدانى : نفس المصدر ، ص١٤٧.

(٢٧٣) نفسه : ص٨٨.

(٢٧٤) نفسه : ص١١١.

(٢٧٥) المطيع: أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد بويع له بالخلافة عند خلع المستكفى في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقرر له معز الدولة كل يوم مائة دينار فقط ولما اشتد عليه المرض دعاه سبكتكين الحاجب في سنة ثلاث وستين لخلع نفسه وتسليم الأمر إلى ولده الطائع لله (السيوطى : نفس المصدر ، ص ٣٤٥ ، ٣٥٠).

(٢٧٦) أبو جعفر الصيمرى : وزير معز الدولة أسند إليه حرب عمران بن شاهين بالبطائح وتوفى بالجامدة أثناء حصاره لها (ابن الأثير : نفس المصدر ، ص٣٣١ ، ٣٣٤).

(٢٧٧) هجر : بفتح أوله وثانية في الإقليم الثانى مدينة وهى قاعدة البحرين (ياقوت : نفس المصدر ، مج٥ ، ص٣٩٣).

(٢٧٨) الشذآت والزبارب :هي انواع من السفن ومفردهم شذا، الزبزب(ابن منظور:لسان العرب ، ج٤ ،ص٢٢٢١, ١٨٠٢).

(٢٧٩) مسكويه : نفس المصدر ، ص١١٢؛ الهمدانى: نفس المصدر والصفحة .

(٢٨٠) الهمدانى : نفسه؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٣٩.

(٢٨١) مسكويه : نفس المصدر ، ص١٨١؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، مج٦ ، ج١١ ، ص٢٨٢.

ملحق (١)

جزء من قصيدة لأبى الفرج الأصفهانى في تقلد البريدى الوزارة يتضح منها مدى الفساد والأذى الذى طال الدولة العباسية رغم قصر مدتها .

وهى قصيدة طويلة جاء في أولها :-

يا سماء اسقطى ويا أرض ميدى | قد تولى الوزارة ابن البريدى
جل خطب وجـل أمر عضـال | وبداء اشاب رأس الوليد
هدركن الإسـلام وانهتك المـلك | ومحت أثارة فهو مودى
اختـلـقت بهجة الزمـان كما أخ | لق طول الزمان وشى البرودى
يا لقومى لحر صـدرى وعولـى | وعليلى وقلبى المعمود
حين سار الخميس يوم خميس | في البريدى في ثياب سود
سودت أوجه الورى وعلـتهـم | اذ علته بذلة وهمود
قد حباه بها الإمـام اصطـفـاء | واعتمادا منه بغير عميد
خلع تخـلـع العلـى والـواء | عقدة حل عروة المعقود
كان أولى من لبسه خلـع الملك | بغل يسوده وقيود

وختامها بقوله :

في سبيل الإسـلام خير سبيل | محو رسم الإسلام والتوحيد
لا يسـرن غافل بعـد هـذا | بوليد ولا يرع لفقيد
فاستهلى يا عين بالدمـع سحا | وقليل أن تزرفى وتجودى

من كتاب التكملة للهمدانى

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- ابن الاثير : (ت ٦٣٠هـ / ١٣٢٨م) على بن أحمد بن أبى الكرم .
الكامل في التاريخ (بيروت - الطبعة السادسة - ١٩٨٦م) .

- الإدريسى : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموى (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (عالم الكتب - بيروت - الطبعة الاولى - ١٩٨٩م) .

- ابن الجوزى : (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن أبى الحسن على المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (دار صادر - طبعة مصورة عن الدائرة العثمانية حيدر أباد ١٣٥٩هـ) .

- الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى
شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت - ١٩٨٩ م) .

- ابن خلدون : (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥ - - ١٤٠٦م) عبد الرحمن بن محمد
العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون (بيروت - الطبعة الثالثة 1996 -م).

- ابن دحية : أبو الخطاب عمر بن دحية الكلبى
النبراس في تاريخ بنى العباس تحقيق عباس العزاوى (بغداد ١٩٤٦م) .

- الذهبى : (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
تاريخ الإسلام، تحقيق عمر تدمرى (بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٩٤م)
سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط (مؤسسة الرسالة - بيروت).

- السيوطى : (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين
تاريخ الخلفاء، تحقيق ياسر صلاح وآخرون (المكتبة التوفيقية - القاهرة).

- الصولى : (ت ٣٣٥هـ - ٩٤٦م) أبو بكر محمد بن يحيى
أخبار الراضى والمتقى نشره هيوارث دن (القاهرة١٩٣٥م).

- ابن طباطبا : محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى
الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (دار المعارف - القاهرة ١٩٩٥م) .

- العاصمى: (ت ١١١١هـ/ ١٩٦٩م) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك: سمط النجوم العوالى، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون (دار الكتب العلمية - بيروت-١٩٩٨م) .

- عريب بن سعد القرطبى : (ت ٣٦٦هـ / ٩٧٦ - ٩٧٧م)

صلة تاريخ الطبرى.

- ابن العميد : (ت ٦٧٢/ ١٢٧٣م) الشيخ المكين جرجس بن العميد

تاريخ المسلمين (ليدن ١٦٢٥م) .

- أبو الفدا : (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) اسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماه

المختصر في اخبار البشر ، (مجلدان ٤ أجزاء - مكتبه المتنبى القاهرة (١٩٩٨)

- القلقشندى : (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أبو العباس احمد

صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية .

- الكتبى : (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) محمد بن شاكر بن احمد الحلبى

عيون الأخبار في حقائق الأخبار ، أحداث من سنة ٣١١هـ - ٣٥٩هـ ، مخطوط بدار الكتب المصرية - تحت رقم ٨٥١١ تاريخ .

- ابن كثير : (ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م) عماد الدين أبو الفدا

البداية والنهاية ، (بيروت 2001 م) .

- كمال الدين: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة

بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار (دار الفكر - بيروت).

- الماوردى : (ت ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م) أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الأحكام السلطانية ((القاهرة ١٩٢٣م).

- مجهول: الحدائق والعيون ، مخطوط بدار الكتب المصرية - تحت رقم ٨١١٤ تاريخ .

- أبو المحاسن : (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) جمال الدين يوسف بن تغرى بردى

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (نشر دار الكتب المصرية).

- المسعودى : (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٥م) أبو الحسن على

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى (٤ أجزاء - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الرابعة) .

- مسكويه : (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) أبو احمد بن محمد

كتاب تجارب الامم ، (جزءان - نسخه مصورة عن طبعة أمدرو - دار الكتاب الإسلامى - القاهرة).

- المقدسى : (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨ م) شمس الدين أبى عبد الله بن أحمد بن أبى بكر الشامى أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (طبعة دى غوية - ليدن - الطبعة الثانية ١٩٠٦ م) .

- ابن منظور : جمال الدين محمد

لسان العرب ، (دار المعارف - القاهرة).

– النويرى : (ت٧٣٢هـ – ١٣٣٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق احمد كمال زكى (الجزء الثالث والعشرون - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٠م) .

– هلال الصابى: (ت٤٨٨ هـ / ١٠٥٦م) أبو الحسن بن أبى إسحاق ابراهيم الكاتب

تحفه الامراء في تاريخ الوزراء، نشر امدرو (ليدن ١٩١٢).

– الهمدانى : (ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م) محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمدانى ابو الفضل

تكملة تاريخ الطبرى، تحقيق البرت يوسف كنعان (المطبعة الكاثوليكية - بيروت - الطبعة الاولى ١٩٥٨ – م) .

– اليافعى : (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) أبو محمد عبد الله بن اسعد بن على بن سليمان

مرآة الجنان (٤ أجزاء - دار الكتاب الإسلامى - القاهرة ١٤١٣ هـ).

– ياقوت : (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى

معجم البلدان، (٥ مجلدات - دار صادر - بيروت).

ثانيا : المراجع العربية والأجنبية

– حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الثانية عشر ١٩٨٧م) .

– الخضرى، محمد بك الخضرى : تاريخ الدولة العباسية، (بيروت ٢٠٠٤م) .

– الدورى . عبد العزيز الدورى : دراسات في العصور العباسية المتأخرة، (بغداد ١٩٤٥ م).

– لسترنج . كى : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة فرنسيس وكوركيس عواد (مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٥م) .

– اليوزبكى. توفيق : (الوزارة ونشأتها وتطورها في الدولة العباسية) (بغداد١٩٧٠م).

– دائرة المعارف الإسلامية : (المجلد الثالث - بيروت) .

– دهخدا : لغت نامه (المجلد التاسع والعشرون - دانشكاه تهران - تهران ١٣٤٩هـ .ش)

- Kremrer. Alfred von : "The Orient under the Caliphate" vol2, Clacutta, 1920.

- Muir.Sir William : “The Caliphate” Edinburg, 1970.

- Schaban. M.A : “The Abbasid Revolution of the Social and Political” 1960.

د. عبدالحميد حسين محمود (*)

إقليم أسفيجاب من الفتح الإسلامى إلى أواخر القرن الرابع الهجرى

يعد إقليم أسفيجاب أهم ثغور الإسلام فى الجناح الشرقى للدولة الإسلامية، لأنه يمثل الحد الفاصل بين المسلمين والترك من ناحية، وبين البيئة الزراعية والصحراوية من ناحية أخرى. وخصوصية هذا الإقليم جعلته بؤرة للصراع المستمر. وكان هذا لا يخفى على حكام المسلمين وامرائهم بخراسان وبلاد ما وراء النهر؛ فعملوا بكل الوسائل الممكنة بإتباع سياسة الحرب واللين معا. لكسب ولاء قبائل الترك الساكنة على حدود هذا الإقليم وحولوهم من صف العدو إلى صف الحليف الذى يذب الخطر التركى عن ديار الإسلام.

ومما دفعنى إلى دراسة هذا الموضوع هو أن الحدود الإسلامية التركية فى بلاد ما وراء النهر -التركستان- لا تزال فى أمس الحاجة إلى دراسات تبرز دور الثغور الإسلامية فى نشر الإسلام وفى جذب الترك إلى دار الإسلام . واتبعت فى هذه الدراسة المنهج التاريخى فى التأريخ للعمليات الحربية التى دارت بين المسلمين والترك لفتح بلاد ما وراء النهر عامة وأسفيجاب خاصة .كما عولت على المنهج الوصفى فى وصف مدن أسفيجاب المختلفة من خلال مشاهدات وكتابات الرحالة والجغرافيين العرب.

ولقد عالجت فى هذه الدراسة موقع إقليم اسفيجاب الجغرافى ومدنه الثغرية والأربطة ثم انتقلت إلى الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.فى ضوء المعلومات المتاحة فى المصادر التاريخية ،والجغرافية ،وكتب الطبقات والتراجم،وهى أقل من القليل. مما شكل أهم عقبة واجهت الباحث فى الدراسة، ومن المنطقى أن نعترف بذلك .

*-استاذ التاريخ الإسلامى المساعد بكلية التربية - جامعة الفيوم.

أولاً :موقع أسفيجاب الجغرافى

ثغر أسفيجاب(١) أو أسبيجاب(٢) من أهم ثغور الترك(٣) ببلاد ما وراء النهر(٤) على الحدود التركية. وأسفيجاب اسم يطلق على الناحية أى الإقليم وسوف ندرس فى هذا البحث الإقليم ككل – وقصبته باسمه. وأسفيجاب تقع على حدود الإسلام الشمالية التى تفصل بين المسلمين والترك(٥) لذا كانت أهم ثغور الإسلام مصداقا لذلك قول اليعقوبى (٦) (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) الذى وصفها بـ «الثغر الأعظم» الذى يحمى الحدود الإسلامية من خطر الترك. وهو ثغر جليل ودار جهاد قدر عدد أربطته بألف وسبعمائة رباط (٧). وهذا الرقم كبير مقارنة ببلاد ما وراء النهر الأخرى. وكانت السلطات الإسلامية تدرك أهمية هذا الثغر فى حماية الحدود الإسلامية فى أقصى شمال العالم الإسلامى؛ فتم أعفاء سكانه من دفع الخراج. مصداقا لذلك قول الإصطخرى (٨) : «وليس بخراسان وما وراء النهر بلد لا خراج عليه إلا أسفيجاب. وما يقع من المدن فى نواحيها بذخكث، وسبانبكث، والطراز، وشلجى، وأطلخ، وكدر، وستكند، وشاوغر، وصبران، ووسيج». وسبب أعفاء أسفيجاب وبلدانها من الخراج؛ ليتمكن أهلها يؤمذاك من انفاق مقدار الخراج على شراء السلاح ومستلزماته والمعونة من أجل حماية بلادهم من خطر الترك(٩). وهم عدة قبائل الغز(١٠) والتغزغز(١١)، والخرلخية(١٢)، والكيماك) (١٣).

واشتمل إقليم أسفيجاب على عدة مدن وقرى. على حد قول صاحب حدود العالم(١٤) : «ناحية على الحد بين المسلمين والكافرين وهى واسعة عامرة... وفيها مدن ونواح ورساتيق كثيرة». ويضيف ياقوت الحموى (١٥): «ولاية واسعة وقرى كالمدن». وقال عنه أبو الفداء (١٦): «صقع جليل من اصقاع ما وراء النهر».

وكانت حدود أسفيجاب تشمل جميع الأراضى الممتدة شرقا إلى وادى تلاس بما فى ذلك الوادى نفسه والمنطقة الممتدة صوب الشمال الغربى إلى سوران «صبران» (١٧).

وذكر المقدسى أن أسفيجاب كورة من الكور الست فى بلاد ما وراء النهر وهى فرغانة، وأسفيجاب، والشاش، وأشروسنة، والصغد، وبخارى .(١٨) فى حين أن الإصطخرى(١٩) وابن حوقل(٢٠) يد مجون أسفيجاب وبعض بلدانها إلى الشاش. واختلط الأمر على الأدريسى (٢١) فى حسم المعالم الجغرافية للشاش وإيلاق وأسفيجاب بقوله: «فكلها تتقارب أعمالها وتتداخل أكوارها».

أما أبو الفداء لم يكلف نفسه عناء التحرى فى مدن الشاش، ولم يتحقق منها على وجه الدقة؛ ولذلك أغفل ذكرها، لأن غالبية أسمائه إعجمية(٢٢). فما بالنا بإقليم أسفيجاب الأبعد من الشاش.

واشتمل إقليم أسفيجاب على عدة مدن هى :

١- أسفيجاب : هى قصبة الإقليم تقع على حوض نهر أريس. وهو أحد روافد نهر سيحون اليمنى.(٢٣) وموقعها حاليا قرية سيرام الحالية التى تبعد نحو ثمانية أميال شرقى جمكنت

(٢٤) والظاهر أن مدينة أسفيجاب قد تغير اسمها بعد الغزو المغولى إلى سيرام (٢٥) وتبلغ مساحة أسفيجاب نحو الثلث من تنكث (٢٦) ووردت أيضا بنكث (٢٧) وهى حاليا طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان. وقد اهتم الروس بها منذ أن استولوا على خانية بخارى عام ١٩٢٢م. وكانت طشقند تتبعها وأهملوا بخارى وسمرقند لأنهما أكثر استعصاء على الإذابة) (٢٨).

أما عن خطط أسفيجاب فهى كمثل بقية مدن ما وراء النهر القديمة تتألف من:

أ- المدينة (الشهرستان)   ب - القلعة (القهندر)   ج- الربض (الضاحية)

ولقد حل الخراب بالقهندز وبقيت المدينة والربض عامرين. وكان يلتف سور على المدينة الداخلة. وعلى الربض أيضا سور يحيط به مقدار فرسخ (ثلاثة أميال) والربض عامر بالمياه والبساتين. ومبانى أسفيجاب من طين.

وللمدينة أربعة أبواب هى : باب نوجكث، وباب فرخاد، وباب سراكونه، وباب بخارى. والأسواق تمتد فى المدينة والربض. أما دار الإمارة والحبس والجامع فى المدينة الداخلة(٢٩).

وفسر بارتولد شدة الاستحكامات فى أسفيجاب وسائر مدن ما وراء النهر، لحمايتها من غارات البدو المتكررة(٣٠)

٢- فاراب(٣١) أو باراب: من مدن أسفيجاب اسم يطلق على الناحية والمدينة (٣٢)وهى على تخوم بلاد الترك على مقربة من بلاساغون(٣٣) وتقع على ضفة نهر سيحون الشرقية(٣٤). وهى مدينة كبيرة عليها حصن فيه الجامع. ولها أسواق وأرباض وبالحصن حوانيت(٣٥) وتحفل فاراب بالغياض والمزارع فى غربى الوادى وتسقى من نهر الشاش (٣٦) وقصبة فاراب مدينة كدر(٣٧) على حد قول الإصطخرى(٣٨) وابن حوقل(٣٩). أما المقدسى فيعطى قصبة الكورة نفس الاسم الذى تحمله الكورة ويقول إنها كبيرة تخرج نحو خمسين ألف رجل للجهاد وحماية الحدود الإسلامية)(٤٠)

ووصف صاحب حدود العالم (٤١) أهلها «مقاتلون أبطال» وكان بفاراب قوات لحمايتها، يقول ابن خرداذبة(٤٢) (ت ٣٠٠هـ/ ١٢-٩١٣م) : «فيها مسلحة للمسلمين ومسلحة للأتراك الخرلخية» وسكن فى منطقة المراع الخصبة الواقعة بين فاراب وكجندة نحو ألف بيت من الترك الذين دخلوا فى الإسلام(٤٣).

٣- طراز: من مدن أسفيجاب(٤٤) الثغرية على الحدود التركية(٤٥). وطراز ثغر تقع على شط سيحون(٤٦) فى أخر حدود الإسلام فى مواجهة الترك الخرلخية(٤٧) وبين أهل طراز والترك الخرلخية فى أكثر الأوقات حروب وغارات وعندما تتوقف وتعقد الهدنة كانت بينهم التجارات والمعاملات بالأمتعة والسائمة والأوبار وغير ذلك(٤٨)

وطراز مدينة جليلة كثيرة البساتين مشتبكة العمارة يحيط بها خندق وأربعة أبواب ولها ربض عامر على باب المدينة(٤٩). ولطراز نهر كبير وهى طيبة التربة عذبة الماء لطيفة الهواء كثيرة الخيرات(٥٠) ويقع جامعها فى وسط الأسواق وهى متجر للمسلمين من الأتراك(٥١).

٤- ولا سكون : من ثغور الترك خلف نهر سيحون قريبة من كاشغر(٥٢).

٥- شلجى : احدى ثغور الترك من نواحى طراز على حدود التركستان على نهر سيحون(٥٣). وصفها المقدسى(٥٤) بقوله: «وهى صغيرة كثيرة الغرباء بها عشرة آلاف اصفهانى ولها قهندز الجامع خارج منه. وهى بيت الجبال لهم نهر فى وسطه سبع قري»

٦ - بلاج وبروكت: من ثغور التركمانيين الذين دخلوا فى الإسلام(٥٥). وأسند مهمة الدفاع عن هذين الثغرين إلى المهاجرين من أهل المفاوز والبرارى، الذين دخلوا فى الإسلام، وكانوا أهل بأس ومنعة فى القتال ضد أبناء جلدتهم الذين ظلوا على الوثنية(٥٦).

٧- شغلجان : كانت مدينة شغلجان ثغراً فى وجه الكيماك وعلى هذه المدينة حصن(٥٧).

٨- سوران (أوصبران) : تقع خلف نهر سيحون على طرف البرية(٥٨) من الثغور الإسلامية الهامة المواجهة للاتراك الغز والكيماك. لذا كانت سوران عليها سبع حصون بعضها خلف بعض(٥٩) وقيل أن سوران كانت ملتقى للأتراك الغز، الذين يأتون لعقد الصلح والهدنة والتجارات «إذ انعقد الصلح بينهم» (٦٠). وترتب على احتكاك الغز مع التجار المسلمين أن دخل كثير منهم فى الإسلام(٦١).

٩- شلج : من بلاد طراز وقيل قرية من قرى طراز تشبه بليدة. وهى إحدى ثغور الترك. وهى مستقر للأتراك أهلها مسلمون(٦٢).

١٠ سبانيكث أو اسبانيكث : قصبة كورة كنجدة(٦٣) تقع غرب أسفيجاب. وكانت مدينة حصينة بها مسجد جامع ومعظم مبانيها فى الربض(٦٤) وصفها صاحب حدود(٦٥) العالم بقوله : «مدينة نزهة ذات نعمة وثراء».

١١- ستكند : مدينة تحتوى على منبر وهى مجمع الأتراك(٦٦) الذين دخلوا فى الإسلام من مختلف قبائلهم وأبرزهم قوم من الغزية والخرلخية وهما من القبائل القوية التى لها بأس ومنعة فى الأتراك(٦٧).

١٢ جكل : عدها صاحب حدود العالم من الخلخ وتقترب حدودها الشرقية والجنوبية من بلاد الخلخ والغربية حدود التخس، وشمالها بلاد الخرخيز «ولأهلها الأموال الهائلة وهم أهل خيام.. يعبد قسم منهم الشمس والنجوم، وهم حسنو الطباع محبون للاختلاط بغيرهم، ذوو شفقة وملكهم منهم» (٨٦).

ثانياً : الأربطة

حفلت مدن إقليم أسفيجاب بكثرة الأربطة. وقد جاءت كلمة رباط من قوله تعالى: «صابروا ورابطو» (٦٩). ومن قوله تعالى : «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم. وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون»(٧٠). وللأربطة أهمية حربية فى مدن الثغور فى درء خطر العدو فى البلاد التى تجاور بلاد العدو. وإلى جانب أهمية الرباط الحربية وجدت له أهمية علمية فى أوقات السلم لا تقل عن المسجد فكان من مؤسسات العلم فى الإسلام(٧١). وكانت تلك الأربطة تستخدم للدفاع والهجوم معاً ومن هذه المراكز سينتشر الإسلام فى سهوب آسيا الوسطى(٧٢) وكان العلماء والشعراء الذين يفضلون حياة التشقف والراحة يلجأون إلى هذه الأربطة للتفرغ والدرس(٧٣).

والرباطات من الناحية المعمارية هى نقاط عسكرية حصينة أشبه بالقلاع، يحيط بها سور عظيم. وفى داخل كل رباط غرف لسكنى المرابطين ومخازن للأسلحة والمؤن وأماكن لربط الخيول. كما يوجد فى الرباط برج عال، مهمته رصد تحركات العدو والإخبار عنها(٧٤).

وكان أهل بلاد ما وراء النهر يرغبون فى بناء الأربطة يقول الأصطخرى(٧٥): «وترى الغالب على أهل الأموال بما وراء النهر صرف نفقاتهم إلى الرباطات وعمارة الطرق والوقوف على سبل الجهاد ووجوه الخير الا القليل منهم. وليس من بلد ولا منهل ولا مفازة مطروقة ولا قرية آهلة إلا بها من الرباطات».

ولما كانت مدينة أسفيجاب من أهم ثغور الإسلام، فقد حفلت بالأربطة فكان بها ألف وسبعمائة رباط للمطوعة. ومن أشهرها رباط النخشبين، ورباط السمرقنديين، ورباط قراتكين(٧٦) الذى كان حاكما على أسفيجاب فى عهد نصر بن أحمد السامانى(٧٧).

وكان لجامع أسفيجاب أربعة أبواب على كل باب رباط وهى : باب نوجكث، وباب فرخان، وباب شاكرانة، وباب بخارى(٧٨). ووجدت الأربطة أيضا فى مدن خراخراف(٧٩)، واذخكت(٨٠)، وفى ميركى خارج الحصن بنى الامير عميد الدولة فائق خارج الحصن رباطا(٨١).

ثالثا :دور أسفيجاب السياسى

حمل العرب لواء الإسلام وخرجوا من جزيرتهم الفسيحة الواسعة، وانساحوا إلى كل الجهات يرفعون راية الإيمان، ويرفضون العبودية إلا لله(٨٢).

وأسفرت حركة الفتوحات الإسلامية فى بلاد فارس زمن الراشدين عن عدة هزائم لحقت بالفرس على يد العرب فى القادسية، وحلوان، والمدائن ونهاوند، وطاردتهم الجيوش الإسلامية حتى تم فتح قم، وقاشان، والرى وجرجان، وطبرستان وازالوا دولتهم فى عام (٣١هـ/٦٥١م) وخضعت إيران كلها تقريبا للحكم العربى عدا مناطق بلخ، والغور ومناطق شط بحر الخزر وجيلان، وطبرستان(٨٣).

وكان نهر المرغاب آخر أرض الإسلام حين استسلمت إيران. وكان المرغاب الحد الشمالى الشرقى لإيران الساسانية. أما ما بين المرغاب وجيحون الذى هو حد ما وراء النهر كان واقعا تحت نفوذ الترك. والظاهر أن العرب اتخذوا حدودهم عند نهاية العالم الفارسى شرقاً. فإنهم لم يتجاوزا هذه الحدود ولا المنطقة المجاورة إلى ما وراء النهر قبل عهد الوليد بن عبد الملك إلا مرات معدودات عبور المستكشف الموهم جاره أنه يقظ على حماية أرضه وعلى صيانة هيبته ونفوذه(٨٤).

وقام بتلك الفتوحات الحكم بن عمرو الغفارى(٨٥) ثم عبد الله بن زياد فى سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣-٦٧٤م) (٨٦) وسعيد بن عثمان بن عفان فى سنة (٥٦هـ/٦٧٥م) (٨٧) وسلم بن زياد فى خلافة يزيد بن معاوية. وموسى بن عبد الله بن خازم(٨٨). وفى خلافة عبد الملك بن مروان قام ولاة خراسان بفتح بلاد ما وراء النهر حيث عبر أمية بن عبد الله)(٨٩)، والمهلب بن أبى صفرة(٩٠).

ولقد ثبت الحكم الإسلامى فى بلاد ما وراء النهر على يد قتيبة بن مسلم الباهلى. فقام بغزو الطالقان، والصغانيان وعقد مع أهلها صلحا. وفتح بيكند عنوة سنة (٨٧هـ/٧٠٥-٧٠٦م) وواصل قتيبة زحفه سنة (٨٨هـ/ ٧٠٦-٧٠٧م) نحو تومشكت ورامثنة، وكرمنية(٩١). وفتح بخارى سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨-٧٠٩م).

وكان سقوط بخارى فى يد العرب إيذاناً ببداية مرحلة جديدة من السيادة العربية فى تلك المنطقة(٩٢) حيث قامت فى بخارى إدارة عربية منظمة. واستولى قتيبة على شومان(٩٣)، وكش، ونسف فى سنة (٩٢هـ/ ٧١٠-٧١١م). وفى سنة (٩٣هـ/٧١١م) غزا خوارزم وعقد صلحاً مع أهلها يدفعون لقتيبة بموجبه عشرة آلاف رأس وواصل قتيبة زحفه إلى سمرقند. وفرض عليها الحصار فاضطروا إلى التسليم وعقدوا صلحا مع قتيبة. كما سقطت كابل، وفرغانة فى يد قتيبة(٩٤). وواصل قتيبة زحفه إلى الشاش ففتحها سنة (٩٥هـ/ ٧٠٨-٧٠٩م) ثم واصل زحفه شمالاً لفتح أسفيجاب(٩٥). ويبدو أن المسلمين فقدوا السيطرة على ثغر أسفيجاب بعد ذلك يقول البلاذرى(٩٦) (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) «غلبت الترك وقوم من أهل الشاش عليه».

وسلكت الدولة الإسلامية مع الترك الساكنين على الحدود الشرقية للعالم الإسلامى علاقات حربية وسلمية معاً، ولكن جانب السلم يفوق جانب الحرب، ففى حين كانت الدولة تسعى إلى فرض حلفها على الترك والتغلب بالحرب كانت تدعوهم إلى الإسلام والدخول فى عداد أهله، وكانت كذلك تتبع معهم سياسة خاصة عملية مرنة. وهى إشراكهم فى الدفاع عن حدود الإسلام. ولقد نجحت هذه السياسة مع الترك فى زمن يسير للتجنيد، حتى أصبحوا بعد قرن واحد يؤلفون نواة الجيش الذى تعتمد عليه الخلافة، وأصبحوا من خير رعايا الدولة الإسلامية(٩٧).

ومن الجدير بالذكر، أن سياسة إشراك الترك فى الجهاد بصفة مستمرة يبرهن على أنه سياسة مرسومة، وأن من الشعوب من لا يتنازل عن الحرب فى سهولة. والراجح أن هذه الحقيقة لم تغب عن فطنة العرب، فأشركوا الترك فى غزواتهم ضد الترك، واستغلوا بهذا

سيوفا كان ممكنا أن ترفع على رؤوسهم. وتخففوا من بعض الأعباء(٩٨).

وكان الخليفة المأمون يكتب إلى عماله على خراسان أن يغزوا من لم يكن على الإسلام من أهل ما وراء النهر، ويفرض لمن أراد الفرض من أهل تلك النواحى وأبناء ملوكهم، ويستميلهم بالترغيب، فإذا وردوا بابه، شرفهم وأسنى أرزاقهم وصلاتهم(٩٩).

وفى خلافة المعتصم بالله العباسى سار على سياسة المأمون فى التعامل مع الترك حتى صار جل جنده من أهل ما وراء النهر، من الصغد والفراغنة والأشروسنة وأهل الشاش واستقطب ملوك بلاد ما وراء النهر ورحب بهم فى دار الخلافة ببغداد. وجنى المسلمون ثمار هذه السياسة حيث غلب الإسلام على تلك البلاد. وصاروا يغزون من وراءهم من الأتراك(١٠٠) وفى عصر الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢٠-٨٧٢م) أخذت ثغور بلاد ما وراء النهر بعداً إسلامياً يأتيه المجاهدون والمتطوعة ليسهموا فى الجهاد ضد الأتراك. واستطاع الطاهريون حماية الحدود الإسلامية من مرو إلى خوارزم، وأشروسنه، وكاشغر، وأسفيجاب، وفرغانة. وحافظوا على الثغر الشرقى(١٠١).

واستمرت سيطرة الترك والشاش على أسفيجاب قرابة من قرن وربع من الزمان، وأعاد فتحه نوح بن أسد السامانى فى سنة (٢٢٤هـ/٣٨-٨٣٩م) وأعاد أيضا فتح البلاد التى نقضت الصلح وهى كاسان، وأورشت زمن الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) (١٠٢) ورغب فى تحصين أسفيجاب وبنى حولها سوراً يحيط بكروم أهله ومزارعه(١٠٣). ليحميها من غارات الترك وذلك على غرار السور الذى بنى من قبل بالشاش. وظلت ولاية أسفيجاب حتى القرن الرابع الهجرى تحت حكم اسرة تركية منفصلة، وحظيت بامتيازات كبرى على حد قول بارتولد من بينها الأعفاء من الخراج مقابل حماية الثغر من هجمات الترك. وكان حاكم أسفيجاب يرسل فى كل عام إلى حكومة السامانيين بأربعة دوانق، وهو مبلغ ضئيل للغاية ومكنسة بدلا من الخراج؛ كدليل على تبعيته وولائه(١٠٤.)

ولما قامت الدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٩٩م) بذلت جهوداً كبيرة فى سبيل الدعوة إلى الإسلام، ونشر رايته فى ربوع البلاد التى تخضع لسيطرتهم، فكانوا يغتنمون كل فرصة تتاح لهم؛ لتحقيق هذه الغاية كان السامانيون يشنون حروبا كثيرة ضد الأتراك وصبغت هذه الحروب بالطابع الدينى فى عهد إسماعيل بن أحمد(١٠٥).

وسار إسماعيل بن أحمد فى سنة (٢٨٠هـ/٨٩٢م) على رأس جيش إلى بلاد الترك للاستيلاء على مدينة طراز وفتحها وأسلم ملكها مع كثير من الدهاقين، وتليت الخطبة فيها باسم الخليفة العباسى المعتضد بالله، وعاد الأمير إسماعيل بغنائم كثيرة(١٠٦).

ولم ينس الترك ما حل بهم على يد الأمير إسماعيل فاستعدوا لجولة ثانية فى سنة (٢٩١هـ/ ٩٠٣-٩٠٤م) ولكن إسماعيل جمع جيشاً كبيراً من المتطوعة وسيره لقتال الترك وأنزل بهم هزيمة ساحقة(١٠٧). ومما يقف دليلاً على أن حكومة السامانيين كانت لا تزال تتمتع ببعض النفوذ

فى بلاد الترك تلك الرواية التى تشير إلى تشييد رباط بأمر فايق أحد القادة الترك بالبلاط السامانى قرب ميركى(١٠٨)، وقد تعودت القبائل الرحل المجئ فى أعداد كبيرة إلى مدن الثغور الإسلامية بغرض المتاجرة وذلك لحاجتهم الدائمة إلى منتجات المناطق الزراعية، ولعجزهم آنذاك عن الحصول عليها عن طريق الإغارة بسبب سطوة الدولة السامانية(١٠٩).

وعلاوة على ما تقدم؛ هاجرت جماعات من قبائل الغز أوطانها لسبب لم نعرفه، ونزلت بموافقة الدولة السامانية بعض مناطق أسفيجاب الصالحة للمرعى مقابل التعهد بحراسة الحدود ضد غارات الترك الآخرين، كما نزل التركمان (الغز) المناطق الغربية والجنوب الغربى من أسفيجاب(١١٠). وعلى الرغم من ذلك لم يكتف إسماعيل بن أحمد السامانى (٢٧٤-٢٩٥هـ/ ٨٩٢-٩٠٧م) بموقف الدفاع. وإنما أصر على نهج سياسة الهجوم. ففى سنة (٢٩٣هـ/ ٩٠٥-٩٠٦م) شن هجوما على الترك. وتمكن من فتح بعض المناطق من بلادهم(١١١).

وحدث فى عهد الأمير إسماعيل بن أحمد أن شق عصا الطاعة والى أسفيجاب ودعاه إسماعيل إلى الحضور عنده، فرفض وبعث إليه إسماعيل أحد قواده مع مجموعة من الحشم، لكى يحضروه بالقوة. ولكن والى أسفيجاب قبض عليه وأخذ أسلحتهم وأمتعتهم. وأعاد إسماعيل الكرة مرة ثانية إلى والى أسفيجاب بجيش من أتباعه ولم يلبث أن هزم هذا الجيش. وبعد ذلك صمم إسماعيل على تأديب والى أسفيجاب فأعد جيشا وسيره إليه ونجح فى هذه المرة فى أسره وأمر إسماعيل بن أحمد بتنفيذ حكم الإعدام فيه فى الميدان أمام جميع الناس ليكون عبرة لمن يحاول التمرد على البلاط السامانى(١١٢).

وكانت قبضة الدولة السامانية قوية فى أسفيجاب وبلاد ما وراء النهر الأخرى وخراسان. وخير برهان على ذلك أنه لما قدمت رسل ملك الصين وهم أربعة مشايخ من مشايخ الصين لمطالبة الأمير نصر بن أحمد (٣٠١-٣٣١هـ/ ٢٢-٩٢٣م) بخراج سبعة وعشرين سنة وإقامة الدعوة له؛ كتب نصر بن أحمد إلى حكام فرغانة، وخجندة، وأشروسنة، وسمرقند، والشاش، وأسفيجاب، وصغد، وفاراب؛ بتسهيل مهمة الوفد الصينى القادم إلى بخارى(١١٣).

وكان حاكم أسفيجاب يتمتع ببعض النفوذ لدى الترك المقيمين فى الجزء الشرقى من مقاطعة سيردريا، والجزء الغربى من منطقة بدى صو، الذين يدينون بالطاعة للسامانيين. وأما ملك التركمان الذى كان يقيم بمدينة أردوا فكان يبعث بالهدايا إلى صاحب أسفيجاب(١١٤).

وشهدت أسفيجاب فى سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢-٣٢٩م) فرار محمد بن الحسين بن مت إليها على أثر هزيمته وحليفه إلياس بن إسحاق بن أحمد الذى انسحب إلى فرغانة بعد فشل خطتهما فى حصار نصر بن أحمد السامانى فى سمرقند. حيث تمكن قائده أبو عمرو محمد بن أسد فى ألفين وخمسمائة رجل كمنوا خارج سمرقند، وانقضوا على إلياس بن محمد وحليفه محمد بن الحسين «فانهزم الياس وأصحابه فوصل إلياس إلى فرغانة. ووصل ابن مت إلى أسفيجاب ومنها إلى طراز فكوتب دهقان الناحية التى نزلها وأجمع وقبض عليه وقتله وانفذ رأسه إلى بخاري»(١١٥).

رابعا:النشاط الاقتصادى

١- الزراعة

يشوب الغموض التام موضوع ملكية الأرض فى منطقة أسفيجاب. فلم تهتم أمهات المصادر المعتمدة فى التأريخ لهذه الناحية. فى حين وردت إشارات مختلفة عن مناطق أخرى من بلاد ماوراء النهر كالضياع السلطانية التي تخص خلفاء الدولة العباسية .وكانت ضياع واسعة ووجدت ملكيات خاصة .علاوة على أراضى الأمراء والقواد الذين امتلكوا الضياع بأساليب مختلفة ،كما نضيف أيضا ضياع النبلاء المحليين فى ايران ودهاقنيها .وأراضى الفلاحين من أهالى القرى الذين يشكلون الغالبية العظمى من الملاك(١١٦).

أما عن النشاط الفلاحى فى أسفيجاب فقد وفرت لنا المصنفات الجغرافية معلومات عن طبيعة ارض أسفيجاب وخصوبتها مصداقا لذلك قول ابن حوقل(١١٧): «ذات خصب واسعة» وهو نفس الوصف الذى ذكره الحميرى(١١٨): «أرض مستوية ذات خصب» وحفلت منطقة فاراب (باراب) بالغياض والمزارع(١١٩). وأشار ياقوت الحموى(١٢٠) إلى نمو العمران الفلاحى بقوله: «كانت أسفيجاب من أعمر بلاد الله وأنزهها وأوسعها خصبا وشجرا ومياه جارية ورياضا مزدهرة» (١٢١). وقد وصف المقدسى فواكه أسفيجاب واصفا إياها: «نفيسة طيبة» وامتد الخصب والنماء إلى نواحى أسفيجاب فقد ذكر المقدسى(١٢٢) عن أطلخ : «أكثرها بساتين والغالب على رساتيقها الأعناب». وكذلك كانت المنطقة الممتدة من فاراب (باراب) إلى كنجدة عامرة بالمزارع والمراع الخصبة والتى يقيم حولها قبائل من الأتراك الغزية الذين أسلموا وهم مقيمون يشتغلون بالرعى(١٢٣) ووجدت بأسفيجاب عدة أنهار هى نهر خورلوغ(١٢٤)، ونهر كبير يجرى على باب طراز(١٢٥). وكان نهر شلجى يجرى فى وسط سبع قرى)(١٢٦). كما وجد نهر بكل من سوس وكول(١٢٧) .وإلى جانب الأنهار وجدت بعض العيون المائية فى ابارجاج «هذه تل عظيم حوله ألف عين ماء تجتمع فى نهر واحد» على حد قول قدامة بن جعفر(١٢٨)

٢- الصناعة

اشتهرت أسفيجاب بصنع الثياب البيض بكثرة(١٢٩) علاوة على صناعة السلاح والسيوف(١٣٠).وحرفة الدباغة القائمة على جلود الماعز(١٣١).

٣- التجارة :

كانت أسفيجاب وبلدانها بمثابة محطات تجارية بين مجتمعين ؛أولها زراعى فى المناطق الخاضعة للمسلمين، وثانيها صحراوى تسكنه القبائل التركية الضاربة هناك. ومصداق ذلك قول صاحب حدود العالم(١٣٢): «وبها بضائع كثيرة تجتمع بها التجار من الآفاق».

وذكر أحد الباحثين أن مناطق التخوم فى آسيا الوسطى استقر بها بعض التجار الأثرياء الذين يستخدمون شبكة واسعة من العلاقات التجارية وقد زاد استقرار الحكم الإسلامى نشاط هؤلاء التجار كما اتسع نطاق تبادل السلع و الأفكار والطرق(١٣٤). كما كان تجار طراز

يرحلون إلى أصبهان واعتقد السمعانى(١٣٥) ذلك : «وبأصبهان سكة معروفة يقال لها سكة طراز وظنى أن التجار الذين كانوا من طراز يجيئون من طراز ينزلون بها فنسبت إليهم».

ومن أشهر مراكز التجارة فى أسفيجاب :

١- كدر قصبة فاراب(١٣٦).

٢- طراز متجر الأتراك الذين اعتنقوا الإسلام(١٣٧).

٣ - صبران وهى مدينة فى طرف البرية وهى «مدينة يجتمع بها الغزية للصلح والهدنة والتجارات»(١٣٨).

٤ ـ سوران وميران حيث كان الغز يأتون لتلك المدينتين للتجارة وعقد معاهدات الصلح(١٣٩).

٥ - سيكول الواقعة على الحدود بين الخلخ وجيكل قريبة من بلاد المسلمين وهى عامرة وفيرة الخيرات وفيها التجار(١٤٠).

الأسواق :

تمثل الأسواق بؤرة النشاط التجارى فى أسفيجاب. ووصف الإصطخرى(١٤١) كثرة البضائع فى أسواقها بقوله : «أسواق مشحونة». ومن أشهر أسواق أسفيجاب سوق الكرابيس (سوق القطانيين(١٤٢) وكان يفرض على هذا السوق ضريبة شهريةقدرها نحو سبعة آلاف درهم، يصرف عائدها على شراء الخبز والأدام للضعفاء(١٤٣). وكان سوق مدينة وده نوجكث يستمر لمدة ثلاثة أشهر أيام الربيع، وبلغ سعر اللحم المخلع أربعة أمناء بدرهم(١٤٤).

وتنقسم أسواق أسفيجاب حسب موقعها إلى ثلاثة أقسام هى :

١- أسواق يتوسطها الجامع

وجدت تلك الأسواق فى مدن وسيج(١٤٥)، ويلاج(١٤٦)، وبروخ(١٤٧)، وجكل، وبرسخان(١٤٨)، وبهلو، وطراز(١٤٩).

٢ - أسواق بعيدة عن الجامع

وجد هذا النوع فى جمشلاغو(١٥٠)، وشاوغر(١٥١).

٣ - أسواق فى الربض

وجدت بعض الأسواق فى الربض فى مدينة اطلخ(١٥٢)، وكان ربض أذخكت «عامرآ به الأسواق» ومعظم أسواق فاراب فى الربض(١٥٣).

٤ - أسواق على النهر كما هو الحال فى مدينة خورلوغ (١٥٤).

وفى العصر الإسلامى انتقلت التجارة من الربض الواقع خارج المدينة إلى داخل المدينة بالتدريج إلى الأحياء التى يقيم فيها الصناع والتجار فى وسط المدينة(١٥٥).

ولقد التزمت المصادر الصمت عن أنواع تلك الأسواق ومساحتها وتنظيمها والسلع المختلفة وأسعارها ونظام التعامل فيها والإشراف الحكومى عليها.

طرق التجارة

ارتبطت أسفيجاب بمدن ما وراء النهر الأخرى بشبكة هائلة من الطرق هى :

١- طريق خراسان

كان هذا الطريق يواصل اتجاهه شمالاً من سمرقند ويعبر نهر السغد، ومنه يصل إلى زامين(١٥٦) حيث يتفرع إلى طريقين هما :

أ- طريق إلى فرغانة

يبدأ هذا الطريق من زامين إلى سباط ومنها إلى أركند إلى شاركت إلى خنجدة إلى قرية كند إلى سوخ إلى باخسان فى وسط بلاد فرغانة(١٥٧).

ب- طريق الشاش :

كان هذا الطريق يتجه شمالاً من زامين إلى الشاش وسيحون الأسفل(١٥٨).

٢- طريق من الشاش إلى أسفيجاب

يبدأ هذا الطريق من مدينة الشاش إلى معدن الفضة بايلاق، ثم يمضى إلى بلانكنك ومنها إلى باب الحديد ،ومنها إلى كبال ثم إلى غركرد (تمركرد) ومنه فى مفازة إلى أسفيجاب إلى شاواب(١٥٩) ووردت شاراب عند ابن خرداذبه(١٦٠) فى مفازة فيها نهران عظيمان أحدهما مادا والآخر يورث ومن شاواب إلى بدوخكت(١٦١) إلى تمتاج ومنه إلى ابارجاج(١٦٢) وهى تل حوله الف عين تجرى إلى المشرق تسمى بركواب – أى الماء المقلوب صيده (١٦٣) – ثم يعبر النهر فعن يمينه طريق يتجه إلى شاوغرا إلى جويكث فى البرية ثم إلى طراز(١٦٤). ووصف الأدريسى(١٦٥) المسافة ما بين بذخكت إلى طراز بقوله: «لا رباط بينهما ولا عمارة هناك». ومن طراز إلى كويكت ومنها إلى ملك كيماك مسيرة ثمانين يوما يحمل منه الطعام(١٦٦). ومن طراز إلى نوشجان السفلى(١٦٧) ووردت عند الإدريسى(١٦٨) (برسخان السفلى) ثم على كصرى باش(١٦٩) ووردت باش عند ابن خرداذبه(١٧٠) والأدريسى(١٧١). فى جبال عن يمينها وعن يسارهم قم وهى جرمة(١٧٢) ذكرها الإدريسى(١٧٣) (جرمية) وهى أول بلاد الترك الخرلخية(١٧٤). الذين شتون فى مراعيها(١٧٥). وقم بين طور وكولان ناحية الشمال(١٧٦) ومنها إلى كول شوب ثم إلى جبل شوب إلى كولان ثم إلى بركى ونهر بركى يخرج من جبلها فيمر ببلاد إيلاق ويصب فى نهر الشاش ومنها إلى أشبرة(١٧٧) وردت أسبرة عند ابن خرداذبه(١٧٨). ثم إلى توزكت ومنها إلى خرنجوان ثم إلى حول وسارغ ومنها إلى مدينة خاقان التركش ثم إلى نوكت ومنها إلى كبال وإلى نوشجان الأعلى وهو حد العين على بعد مسيرة خمسة عشر يوما للقوافل فى المراعى(١٧٩).

وطريق آخر يتجه شمالا إلى أسفيجاب وعندها يتشعب، فكان يذهب من أسفيجاب غربا إلى فاراب لعبور سيحون، ومنها نحو الشمال أيضا بحذاء ضفته اليمنى إلى صبران وإلى اليمين من أسفيجاب شرقا كان يذهب طريق آخر إلى خراز ومنها إلى بركى أو ميركى آخر مدينة إسلامية فى بلاد الترك(١٨٠).

صادرات أسفيجاب

كان يصدر من أسفيجاب بعض السلع ويأتى فى مقدمتها الرقيق التى شاركت فى تجارته مدن أخرى كفرغانة وسمرقند وخوارزم :

١- الرقيق الترك

يجلب الرقيق الترك من البلدان المحيطة ببلاد ما وراء النهر وفى هذا الصدد يقول الإصطخرى(١٨١) وينقل عنه ابن حوقل(١٨٢): «وأما الرقيق فإنه يقع إليهم من الأتراك المحيطة بهم ما يفضل عن كفايتهم. وينقل إلى الآفاق من بلادهم وهو خير رقيق يحيط بالمشرق كله» ويرى ابن حوقل أن الرقيق التركى المجلوب إلى خراسان ليس فى أنواع الرقيق ما يضاهيه فى الثمن والجمال ورأى العبد منه يباع بخراسان بثلاثة آلاف دينار ويضيف ابن حوقل أنه لم يسمع قط بهذا الثمن إلا بالنسبة إلى الرقيق الماهر فى صنعة الغناء(١٨٣).

ومن المعروف أن الدولة السامانية استخدمت الرقيق لتدعيم حرسها وكتائب جندها فقد ذكر ابن الزبير فى الذخائر والتحف أن المركب التى أقامها نصر بن أحمد بن نوح السامانى (٣٠١-٣٣٢هـ/ ٩١٣-٩٤٣م) لاستقبال رسل ملك الصين سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) كانت مناسبة لوصف ما اقتناه السامانيون بإقليم ما وراء النهر من رقيق لتكوين حرسهم الخاص ولتعزيز فرق الجند.

وكانت تجارة هذا الرقيق على أشدها فى العراق مركز الخلافة العباسية فقد تم الاعتماد عليهم بدلاً من العرب والفرس(١٨٤).

بعض صادرات أسفيجاب إلى البلدان الأخرى

مسلسل	البلد	السلع المصدرة
١	أسفيجاب	اللبود والأغنام(١٨٥) والثياب البيض وآلات السلاح والسيوف والنحاس والحديد.
٢	شلجي	الفضة(١٨٦)
٣	طراز	جلود الماعز(١٨٧)
٤	سوتاخ	الأقواس الجيدة(١٨٨)

خامسا:الحياة الاجتماعية

وعلى صعيد الحياة الاجتماعية فقد استقر فى الإقليم زمن الدراسة عناصر سكانية مختلفة هى : الترك ،والفرس ،والعرب ،والرقيق.

١ ـ الترك شعوب بدوية هيأ موقعهم المتوسط فى القارة الآسيوية ،ارتباطهم بعلاقات وطيدة بمن جاورهم من أهل الحضارات القديمة ،كالصين شرقا وإيران والرومان غربا(١٨٩).

والترك أجناس وعدة ممالك فمنها الخرلخية ،والتغزغز ،وتركش ،وكيماك ،وغز .ولكل جنس من الترك مملكة منفردة، ويحارب بعضهم بعضا، وليس لها منازل ولا حصون .وإنما ينزلون القباب التركية المضلعة ومساميرها سيور من جلود الدواب والبقر وأغشيتها لبود وهم أحذق قوم بعمل اللبود لأنها لباسهم(١٩٠) وحدد الإصطخرى(١٩١) منازل وديار ومضارب القبائل التركية فى مدن بلاد ما وراء النهر الثغرية فى أسفيجاب وفرغانة وخورازم ؛ «أما من خورازم إلى ناحية أسفيجاب الترك الغزية ،ومن أسفيجاب إلى أقصى فرغانة الترك الخزلخية

واشترك الترك فى بعض العادات والتقاليد وكذلك فى نوع الحياة الرعوية، ولما كانت براريهم موطن الخيل ،فقد ربطوا حياتهم بحياتها .ومن المعروف أن الترك رعاة فقد اعتمدوا فى طعامهم على أكل اللحوم (١٩٢) ويتغذون على الألبان (١٩٣) وعرف الترك شراب العسل لكثرته فى بلادهم(١٩٤) .

وصور ابن فضلان(١٩٥) فى الرحلة العادات والتقاليد والحياة والأخلاق فى مختلف البلاد التى مر بها أو أقام فيها وكان دقيق الملاحظة .وأفاض فى عادات شعوب الترك فشرح حال الزواج ،والمهر ،وشروطه ،وأوضاع السكنى، والمأكل، والمشرب ،ووفاء الدين وحال المدين، والضيافة ،واستقبال الزائرين، والغرباء وهذا الوصف عز وجوده فى كتب الرحالة والجغرافيين العربية الأخرى التى اكتفى جلها بذكر قبائل الترك .(١٩٦)

ولا بأس أن تكون بعض هذه العادات سادة فى منطقة الدراسة.ومن الصعب القول أن هذا الوصف ينطبق على إقليم أسفيجاب .خشية من التعميم الذى يفسد خصوصية الدراسة.

وانفرد المقدسى(١٩٧) بوصف أهل أسفيجاب بقوله: «أنهم عاغة وفيهم سلامة وفى قلوبهم غلظة معجبون بمذهبهم وأنفسهم سواء اسيت أم حسنت إليهم أهل الرساتيق خير من أهل القصبة تراهم فيها سباعا وفى غيرها نعاجا».ونفتقر إلى المعطيات التاريخية الكافية لمناقشة أو الرد على وصف المقدسى .

وتأثر الترك الذين دخلوا فى الإسلام فى الأحتفال بالأعياد الإسلامية فقد أحتفلوا بعيد الأضحى يقول ابن الأثير(١٩٨): «وضحوا يوم الأضحى بعشرين ألف رأس غنم وكفى الله المسلمين شرهم».

٢ ـ الفرس

دخل الفرس بلاد ما وراء النهر منذ زمن بعيد ،ودارت حروب طاحنة بين الفرس والترك تبادلا النصر والهزيمة كلا الطرفين.وعلى الرغم من التوتر الحربى بين الفرس والترك ،فقد ترك بعض المؤثرات الفارسية فى بلاد ما وراء النهر منها اللغة الفارسية والديانات .وساهم الفرس بدور كبير فى فتح بلاد ما وراء النهر(١٩٩).

وهذا يذكرنا بدور البربر فى فتح الأندلس ،ونعترف أن المصادر صمتت عن بعض المعلومات عن الوجود الفارسى فى أسفيجاب.

٣ـ العرب

بدأ العرب فى محاولات استقرارهم فى بلاد ما وراء النهر عندما وصل موسى بن عبدالله بن خازم إلى تلك المنطقة فى بخارى وسمرقند(٢٠٠) وزاد عدد العرب فى ولاية قتيبة بن مسلم عندما فتح بخارى عام (٩٠هـ) وقد لجا قتيبة إلى زيادة العرب فى مدينة بخارى ،وخورازم ،وفرغانة،والشاش(٢٠١) .

ومن الطبيعى أن بعض قبائل العرب نزحت إلى أسفيجاب للمرابطة والجهاد .غير أن المصادر ضيعت علينا تفاصيل أقسام تلك القبائل من عدنانية وقحطانية وفروعهما.فلم نجد لها وصفا فى كتب الأنساب التى اتيح لى الأطلاع عليها.

كما أستقر فى بعض مدن أسفيجاب بعض المهاجرين من شلجي بلدة من نواحى طراز الذين عدهم المقدسى(٢٠٢) بـ «عشرة آلاف اصفهاني».كما سكن فى أسفيجاب الرقيق الترك الذى وصف ب «خير رقيق يحيط بالمشرق كله» على حد قول الإصطخرى(٢٠٣)

يجلب من الشمال وكان الإقليم معبر هام لمرور هذا الرقيق إلى بلاد ما وراء النهر والبلدان الإسلامية الأخرى.

سادسا:الحياة الثقافية

وفى ميدان العلم برزت مكانة إقليم أسفيجاب بوضوح فى مختلف فروعه .فكانت ملاذآ لكثير من العلماء الذين خرجوا طواعية من بلاد ماوراء النهر الأخرى . ومن سائر العالم الإسلامى من أجل المرابطة والزود عن ديار الإسلام فى هذا الثغر النائى الذى يمثل أهم منطقة على الحدود الفاصلة بين المسلمين والترك.نذكر منهم على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ أبو القاسم عبدالله بن عجيف الفقيه الشومانى(٢٠٤) .وأبو محمد بن عبدالله بن محمد بن محمود بن عبيد السمرقندى (ت٣٤٣هـ/٩٥٤ ـ ٩٥٥م)(٢٠٥).

وأهتم امراء الدولة السامانية بالعلم اهتماماً كبيراً ويتجلى ذلك فى قول المقدسى(٢٠٦): «من رسوم السامانيين انهم لايكلفون اهل العلم تقبيل الأرض ولهم مجالس عشيات شهر رمضان للمناظرة بين يدى السلطان».وتحفل كتب الطبقات والتراجم بشواهد تبرز تقدير أمراء الدولة السامانية للعلماء والأدباء نذكر منها على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ موقف إسماعيل بن أحمد

السامانى من أهل العلم والعلماء(٢٠٧) وأيضا خروج الأمير نصر بن أحمد السامانى من سمرقند ليستقبل العالم أبا الهيثم خالد بن أحمد بن خالد الذهلى سنة (٢٦٤هـ /٨٧٧م) (٢٠٨).

ولم يقتصر تشجيع العلماء على أمراء الدولة السامانية ،وإنما امتد إلى أصحاب الجاه والنفوذ الذين كانوا ينفقون على العلماء ويبروهم مثل أبو محمد عبد السيد بن محمد بن عطاء النسفى الوسيجى الملقب بسعد(٢٠٩).

أما عن أماكن دور العلم فى أسفيجاب يأتى فى مقدمتها المسجد الذى يمثل مركزاً ثقافيا لشرح تعاليم الإسلام(٢١٠) .وعلى الأخص فى هذه المنطقة النائية عن دار الخلافة والتى يتكلم أهلها باللسان التركى .ومما يبرهن على أهمية المسجد هناك كثرتها فى ربوع الأقليم نذكر منها على سبيل المثال مساجد فاراب(٢١١)، وطراز(٢١٢)، وسبانيكث(٢١٣)، ووسيج(٢١٤)، وشاوغر وسوران، وبلاج، وبروخ(٢١٥).

كما كانت الأربطة من مؤسسات العلم فى أسفيجاب ،كما هو الحال فى أرجاء العالم الإسلامى فهى أماكن للمرابطة وملازمة الثغر لحراسة الحدود الإسلامية، وتقوم بدورها فى ميدان العلم (٢١٦). ولاغرو ان تأثيرها كان قويا بين الجنود المرابطين فى هذه الرباطات؛ فقد كانوا يتدرسون القرآن الكريم، والحديث، والفقه، والعلوم الأخرى(٢١٧).

وحفل اقليم أسفيجاب بنخبة هائلة من العلماء فى مختلف فروع العلم. ففى علم اللغة برز إسحاق بن إبراهيم الفارابى (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م) مصنف كتاب «ديوان الأدب فى اللغة» وهو أول معجم عربى مرتب حسب الأبجدية والذى كتب لاحد الأمراء السامانيين، ووضع الفارابى كتابه على ستة (٢١٨) أقسام الأول :السالم والثانى :المضاعف والثالث :المثال وهو ماكان فى أوله واو أوياء والرابع ذوات الثلاثة وهو ماكان فى وسطه حرف من حروف العلة .والخامس ذوات الأربع وهو ماكان آخره حرف علة .والسادس الهمزة .وكل قسم من هذه الأقسام الستة لسماء وافعال يورد الأسماء أولاً ثم الافعال بعدها .كما ألف الفارابى أيضا كتاب بيان الأعراب ،وكتاب شرح أدب الكاتب (٢١٩).

ونبغ فى علم اللغة إسماعيل بن حماد الجوهرى (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م) وهو ابن أخت إسحاق بن إبراهيم الفارابى، وإسماعيل من مدينة فاراب تميز بالذكاء والفطنة وبرع فى علم اللغة والأدب، رحل إلى العراق وتتلمذ على أبى على الفارسى ،وأبى سعيد السيرافى ،وسافر إلى الحجاز وطوف ببلاد قبيلتى ربيعة ومضر، ثم قفل عائداً إلى خراسان، ونزل بالدمغان عند واحد من أعيان الكتاب هو أبو على الحسين بن على وسمع منه .ولم يلبث أن رحل ا إلى نيسابور وعكف على التدريس والتأليف وتعلم الخط وكتابة المصاحف والدفاتر(٢٢٠).

ومن أشهر مؤلفاته كتاب «الصحاح فى اللغة»(٢٢١) الذى امتدحه أبو محمد إسماعيل بن محمد النيسابورى، الذى حاز على نسخة منه بخط الجوهرى

هذا كتاب الصحاح سيد ما صنف قبل الصحاح فى الأدب

يشمل أنواعه ويجمع ما فرق فى غيره من الكتب (٢٢٢)

وقد بنى الجوهرى معجمه على حروف الهجاء عند ترتيب الفصول، وهو أول معجم رتبت مادته اللغوية من أولها إلى آخرها بحسب الأصل الأخير للكلمة مع مراعاة الأصل الأول أيضا .وقد تميز «الصحاح فى اللغة» بمراعاة الحرف الأخير فى الترتيب العام، وهذا النظام يسعف الأدباء والشعراء فى الحصول على مجموعة من الكلمات ذات القافية الواحدة عند ممارستهم الكتابة المسجوعة، وفى تعلم القصائد الطوال .كما تميز الكتاب بمراعاة الترتيب أيضا فى اوائل الكلمات، بحيث تأتى هى الأخرى مرتبة أبجديا ،والاهتمام بضبط الحروف كان من سمات الكتاب(٢٢٣) ومن مزايا كتاب «الصحاح» إشارته إلى الضعيف والمنكر والمتروك والردىء والمذموم من اللغات .وبين الكلمات المعربة وأشار إلى أسانيدها ،كما أشار إلى المولد وتفرد بذكر كثير من مسائل النحو والصرف وعنى بفقه اللغة المتصل باختلاف دلالات الألفاظ وتغيرها، ونبه إلى المشترك وهو مااتفق لفظه واختلف معناه (٢٢٤) ومن مصنفات الجوهرى الأخرى كتاب «فى العروض سماه عروض الورقة» وكتاب «المقدمة فى النحو»(٢٢٥).

ومن علماء اللغة يحيى بن أحمد أبو زكريا الفارابى صاحب كتاب «المصادر فى اللغة» وتتلمذ على يديه جماعة من العلماء من أهل فاراب وماوراء النهر، وروى الحديث عن أبى عبدالرحمن عبدالله بن عبيدالله بن شريح البخارى والحسن بن منصور (٢٢٦).

وفى علم الحديث (٢٢٧) برز بعض العلماء من أهل أسفيجاب أو ممن رحل إليها نذكر منهم : أبو الوليد أبان بن نشهل البصرى الذى دخل سمرقند وخرج منها غازياً إلى اسفيجاب وتوفى بها(٢٢٨) .وأبو على الحسن بن منصور بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن أحمد الإسفيجابى (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠ ـ ٩٩١م) من طلبة العلم فى الحديث وانتقده بشدة أبو سعد الإدريسى بقوله: «كان الحسن بن منصور هذا راغبا فى طلب الحديث، كتب الكثير، وقيل أنه يزيد فى الرقم ويسرق الحديث ويحدث عمن لم يراهم .وكان يروى عن ظفر بن الليث الإسفيجابى مجاهد بن أعين الفرغانى من أهل العراق وخراسان»)(٢٢٩).

ويعد أبو نصر محمد بن طرخان الفارابى (ت ٣٣٩هـ/٩٥٠ ـ٩٥١م) من ابرز علماء أسفيجاب الذين ضربوا بسهم وافر فى الحضارة الإسلامية فى مختلف ميادين العلم فهو فيلسوف، وفلكى، ورياضى، وطبيب، ومؤرخ مشهور، وأعظم فلاسفة المسلمين(٢٣٠). وامتدحه ابن أبى أصيبعة (٢٣١): «كان فيلسوفا كاملاً، وإماماً حافظاً قد أتقن العلوم الحكيمة، وبرع فى العلوم الرياضية زكى النفس، قوى الذكاء». ومن أشهر مؤلفات الفارابى: شرح كتاب المجسطى لبطليموس، وشرح كتاب البرهان لارسطوطاليس، وشرح كتاب الخطابة لارسطوطاليس حيث شرح المقالة الثانية والثامنة من كتاب الجدل لارسطوطاليس. وله كتاب فى السياسات المدنية ويعرف بمبادىء الموجودات .وكتاب فى الخطابة كبير يقع فى عشرين مجلداً، وكتاب فى التأثيرات العلوية (٢٣٢). كما كتب مقالاً عن حركة الفلك بالإضافة إلى كتب «الجمع بين الحكمين» وأراء أهل المدينة الفاضلة وغيرها كالموسيقى وتصنيف العلوم وساعدت معرفته للغة التركية والفارسية والإغريقية والسريانية إطلاعه على مصادر معرفية متنوعة.(٢٣٣)

وقال البيهقى(٢٣٤): «وقد رأيت فى خزانة كتب نقيب النقباء بالرى من تصانيفه مالم يقرع سمعى اسمه واكثر مارأيته كان بخطه وخط تلميذه أبي زكريا يحيى بن عدي».

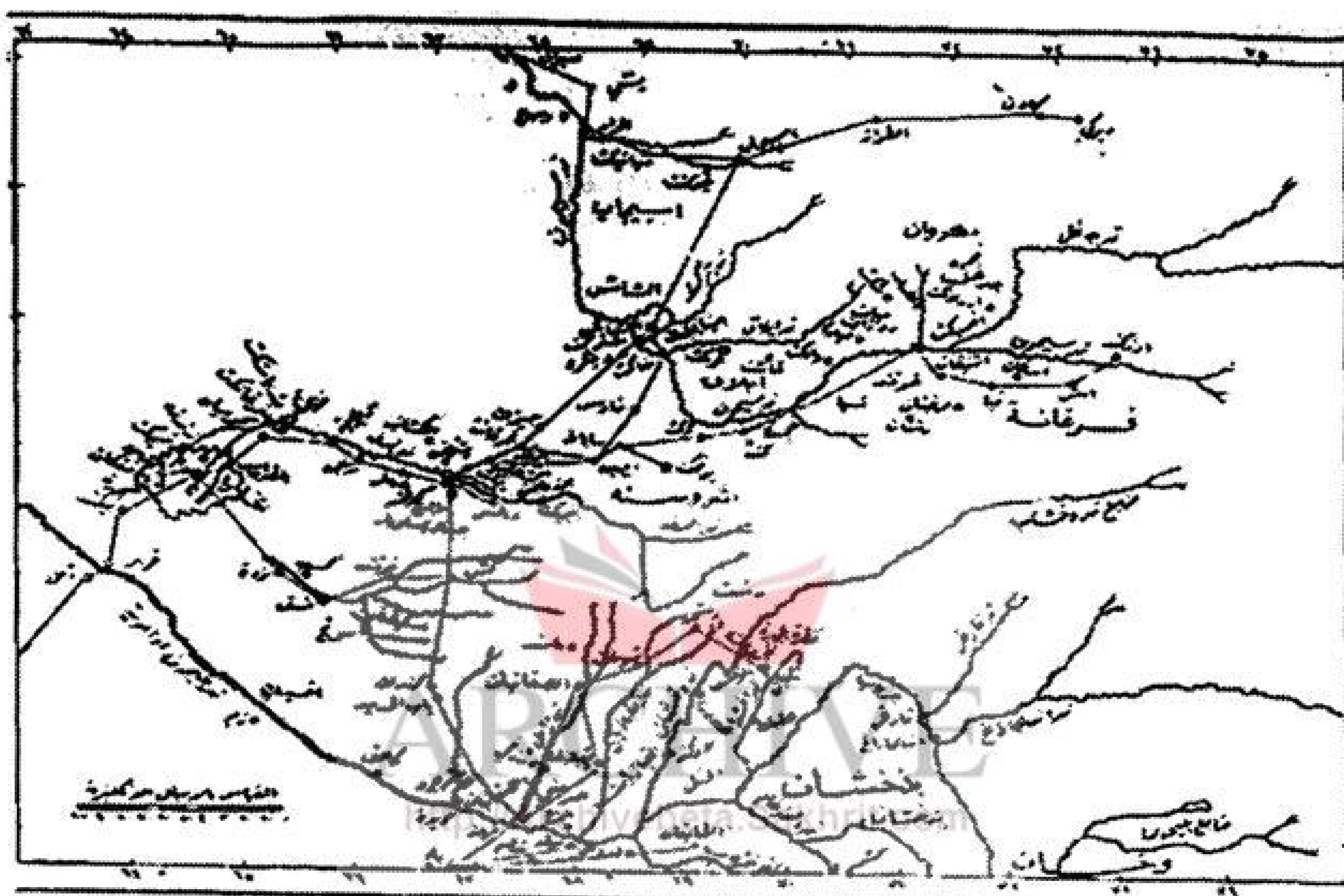
وكان محمد بن طرخان الفارابى المعلم الثانى، ولم يكن قبله أفضل منه فى حكماء الإسلام وتتلمذ عليه ابن سينا(٢٣٥).

الخاتمة

أثبتت الدراسة أن إقليم أسفيجاب ومدنه الثغرية من أهم ثغور الإسلام قاطبة .حيث يقع فى مواجهة خصم عنيد حرفته الأولى فن القتال ، ونجحت الدولة الإسلامية وأمرائها فى خراسان وبلاد ما وراء النهر فى التعامل مع الترك باتباع سياسة الحرب واللين معا. كما اهتمت بحماية أسفيجاب وتحصينها ،فتم أعفاء أهلها من ضريبة الخراج؛ كى يستفيدوا منه فى تجهيز السلاح والعدة .

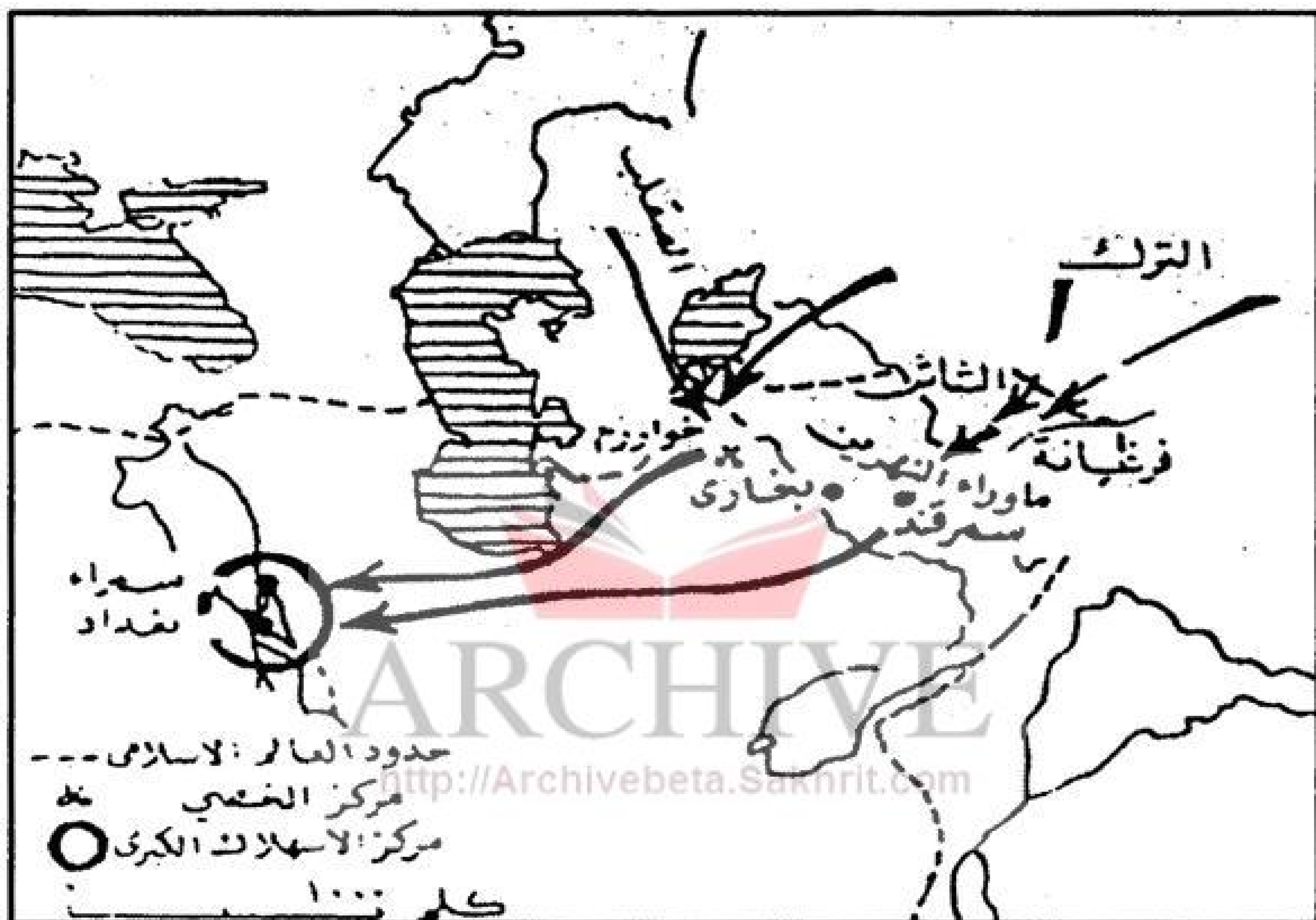
وأظهرت الدراسة أهمية أسفيجاب فى النشاط الأقتصادى حيث تقع بين بيئتين الأولى زراعية ،والثانية صحراوية .وهذا الوضع الجغرافي يحتم ضرورة التبادل بين المنتجات أمرا لاغني عنه ، مها اختلفت العرقيات والديانات .ولقد هيأ هذا الوضع فرصة طيبة للمسلمين للاختلاط بالترك عن قرب ؛ لعقد المعاهدات التجارية ، وشرح مبادىء الإسلام .وبرز هنا دور التجار المسلمين الذين حملوا مشاعل الدعوة الإسلامية وفى جهات أخرى من العالم .

ولقد انخرط أهل أسفيجاب فى الحياة الإسلامية ؛ فبنيت المساجد فى سائر مدن الأقليم وعمرت المدن بالأسواق وظهرت ملامح الحياة الإسلامية والتأثير الإسلامي بوضوح .وخرج من الأقليم نخبة بارزة من العلماء فى مختلف فروع العلم كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية .ولم يقتصر الأمر عند حد التأليف بالعربية وإنما وضع بعض العلماء معاجم هامة فى علم اللغة من أشهرها كتاب الصحاح فى اللغة للجوهرى.



خريطة: بلاد ماوراء النهر

المصدر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية خريطة رقم (٩)



خريطة التجارة فى الرقيق التركى

موريس لومبار :الإسلام فى مجده الأول ،ص٢٩٧.

الهوامش

(١) أسفيجاب بكسر الألف وسكون السين وكسر الفاء، وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفتح الجيم وفى أخرها الباء المنقوطة: السمعانى: الأنساب، الجزء الأول، تحقيق / عبد الله عمر البارودى، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت ١٩٨٨م، ص ١٠٢؛ ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، الجزء الأول، دار صادر، بيروت ١٩٨٠م، ص ٥٦؛ القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، الجزء الرابع، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٨م، ص ٤٤١. «إسفيجاب». حدث خلاف بين الرحالة والجغرافيين وعلماء اللغة حول قراءة أسفيجاب. فقد وردت «اسبيثاب» عند اليعقوبى: البلدان، ليدن ١٨٩٣م، ص٣١٥. وذكرها قدامة بن جعفر «اسبياب»... وأسبيشاب» قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتاب، شرح وتحقيق / محمد حسن الزبيدى، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١م، ص ٤٠٩. ووردت كلمة «أسفيجاب» عند كل من:

السمعانى: المصدر السابق، جـ١، ص ١٠٢. ياقوت: معجم البلدان، الجزء الأول، دار صادر، بيروت (د.ت)، ص ١٧٩؛ القلقشندى: المصدر السابق، جـ٤، ص ٤٤١؛ بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، نقله عن الروسية / صلاح الدين عثمان، الطبعة الأولى، الكويت ١٩٨١م، ص ٢٩٠؛ على اكبر داهخدا: لغة نامة، جلد دوم تحقيق / محمد معين وسيد جعفر، تهران ١٣٧٢هـ، ص ١٩٦٦. وذكر أيضا فى (ص ١٧٦٠) أسبيجاب اسم مدينة فيما وراء النهر تسمى بالتركية شبران وهو نفس الاسم التركى الذى عرفت به أسفيجاب.

وانظر أيضا: إبراهيم الدسوقى شتا: المعجم الفارسى الكبير، المجلد الأول، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٩١. وذكر أيضا فى (ص١٠٢) أسفيجاب اسم بلدة فى تركستان. ومن الملاحظ فى حروف الهجاء الفارسية أن الباء المثلثة فى بعض الأحيان تقلب «فاء».

(٢) وردت كلمة «أسبيجاب» عند: الإصطخرى: المسالك والممالك، ليدن ١٩٢٧م، ص ٣٣٣؛ ابن حوقل: صورة الأرض، الطبعة الثانية، ليدن ١٩٣٨م، ص ٥١٠؛ المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩١م، ص٧٢. كما ووردت عند صاحب حدود العالم «إسبيجاب»

– مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق / يوسف الهادى، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٩١.

وذكرت أيضا «أسبيجاب» دون الهمزة انظر: الأدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، الجزء الثانى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)، ص ٧٠٤؛ الذهبى: سير اعلام النبلاء، الجزء السادس عشر، تحقيق / اكرم البوشى، الطبعة الحادية عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦م، ص ١٣٢؛ القزوينى: أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت (د.ت)، ص ٧٠٤؛ الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار، حققه / إحسان عباس، بيروت (د.ت)، ص ٥٦؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة / كوركيس عواد، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٥م، ص ٥٢٧.

واسبيجاب هو الاسم التركى وأسفيجاب هو الاسم العربى؛ لأن اللغة التركية ليس فيها فاء.

القلقشندى: المصدر السابق، جـ٤، ص ٤٤١.

(٣) أبو الفداء : تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠م، ص ٤٩٥؛ القلقشندى : مصدر سابق، جـ٤، ص٤٤١.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ١، ص٥٦؛ أبو الفداء : المصدر السابق، ص ٤٩٥؛ القلقشندى : مصدر سابق، جـ٤، ص ٤٤١؛ السيوطى : لب اللباب فى تحرير الأنساب، الجزء الأول، تحقيق / محمد أحمد عبد العزيز وآخرون، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١م، ص ٥٦.

(٥) مجهول : حدود العالم، ص ٩١.

(٦) اليعقوبى : المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٧) المقدسى : المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٨) المسالك والممالك، ص ٣٣٣؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٥١٠؛ ياقوت : المصدر السابق، جـ١، ص ١٧٩؛ على اكبر دهخدا : مرجع سابق، جـ٢، ص ١٩٦٦.

(٩) ياقوت: المصدر السابق، جـ١، ص ١٧٩.

(١٠) تقع بلاد الغز بين الخزر والكيماك. (ابن الوردى : خريدة العجائب وفريدة الغرائب، الطبعة الثانية، مطبعة البابى الحلبى، القاهرة (د.ت، ص ٨) والغزطائفة من التركمان عاشوا فى بلاد ما وراء النهر واعتنقوا الإسلام. (أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٥م، ص ١٣٥) وهم قبائل رحل يعيشون فى بيوت شعر. (ابن فضلان : رسالة ابن فضلان، حققها وعلق عليها / سامى الدهان، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٧٨م، ص ١٢٢).

(١١) يحد بلاد التغزغز من الشرق بلاد الصين ومن الجنوب بلاد التبت والخلخ ومن الغرب والشمال بلاد الخرخيز. وكان الخزخيز قديما من التغزغز والتغزغز قبائل رحل ينتقلون من مكان لآخر بحثا عن العشب والكلأ. ويربون الأغنام، والبقر، والخيول. (مجهول: حدود العالم، ص ٦١-٦٢).

(١٢) تقع بلاد الخرلخية شمالى بلاد التبت وغربى بلاد التغزغز وبها أمم عظيمة من الترك وأعظم مدنهم تسمى خاقان الخرلخية وهى مدينة حصينة. (ابن الوردى : المصدر السابق، ص٨٩)

(١٣) الكيماك قبائل كثيرة يعيشون فى الخيام ويتنقلون بحثا عن العشب والكلأ والماء صيفا وشتاء وتجارتهم السمور والأغنام وطعامهم فى الصيف الحليب وفى الشتاء اللحم القديد. وملك الكيماك يدعى خاقان. ويحد بلاد الكيماك من الشرق قسم من بلاد الخرخيز، وجنوبها نهر أرقش وآتل وإلى غربها بلاد الخفجاخ (مجهول : حدود العالم، ص ٦٨).

(١٤) مجهول : حدود العالم، ص ٩١.

(١٥) معجم البلدان، جـ١ ، ص ١٧٩.

(١٦) تقويم البلدان، ص ٤٩٥.

(١٧) بارتولد : تركستان ، ص٢٩٢. محمد على البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر العصور، الجزء الثانى، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة ١٩٨٣م، ص ٤٩٨.

(١٨) المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٦٠-٢٦١.

(١٩) المسالك والممالك ، ص ٢٩٥.

(٢٠) صورة الأرض ، ص ٤٧٤.

(٢١) نزهة المشتاق ، جـ٢، ص ٧٠٩.

(٢٢) أبوالفداء : المصدر السابق، ص ٤٨٧- ٤٩٥.

(٢٣) لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٢٧؛ محمود شيت خطاب : بلاد ما وراء النهر، سلسلة فتوح البلدان الإسلامية، الطبعة الرابعة، دار قتيبة، دمشق ١٩٩٠م، ص ٥٦.

(٢٤) لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٢٧.

(٢٥) بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩٠؛ لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٢٧.

(٢٦) الإصطخرى: المصدر السابق، ص ٣٣٣؛ أبو الفداء : المصدر السابق، ص ٤٩٥.

(٢٧) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٥١٠؛ بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩١.

(٢٨) محمد على البار: المرجع السابق، جـ٢، ص ٥١٣.

(٢٩) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٥١٠؛ بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩١؛ لسترنج: المرجع السابق، ص ٥٢٧؛ محمد على البار : مرجع سابق، جـ٢، ص ٤٩٧؛ محمود شيت خطاب: المرجع السابق، ص ٥٦؛ قحطان عبد الستار الحديثى: ارباع خراسان الشهيرة، جامعة الموصل (د.ت)، ص ٥٢٤.

(٣٠) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة / أحمد السعيد سليمان، سلسلة الألف كتاب الثانى رقم (٢٣٥) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م، ص ٥٥.

(٣١) تقع فاراب حاليا بجمهورية قازاخستان؛ محمد على البار : المرجع السابق، جـ٢، ص ٤٩٧. وفاراب بفتح الفاء والراء المهملة بين ألفين وفى آخرها باء موحدة. أبو الفداء: المصدر السابق، ص ٤٩٣؛ القلقشندى: المصدر السابق، جـ٤، ص ٤٤٠.

(٣٢) لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٢٨.

(٣٣) ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص ٢٢٥؛ على اكبر دهخدا : المرجع السابق، جـ١٠، ص١٤٩٢٥.

(٣٤) بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩٢؛ محمود شيت خطاب: المرجع السابق، ص ٥٧.

(٣٥) المقدسى . المصدر السابق، ص ٢٧٣؛ بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩٢؛ لسترنج: المرجع السابق، ص ٥٢٨.

(٣٦) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٥١١؛ الإدريسى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٧٠٥.

ياقوت : المصدر السابق، جـ٤، ص ٢٢٥؛ القزوينى : المصدر السابق، ص ٦٠٣.

ابو الفداء : المصدر السابق، ص ٤٩٣؛ القلقشندى : مرجع سابق، جـ٤، ص ٤٤٠.

(٣٧) يتشكك بارتولد فى كدر هذه هل هى مدينة اترار أو فاراب المتأخرة. بارتولد: مرجع سابق، ص ٢٩٢-٢٩٣. واطرار مدينة على حدود الترك على بئر سيحون قرب فاراب والبعض يطلق عليها أترار. ياقوت : مصدر سابق؛ جـ١، ص ٢١٨.

(٣٨) الإصطخرى : المصدر السابق، ص ٣٤٦.

(٣٩)ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٥١٠.

(٤٠) المقدسى : المصدر السابق، ص ٣٧٣؛ بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩٢؛ لسترنج: المرجع السابق، ص ٥٢٨.

(٤١) مجهول : حدود العالم، ص ٩١؛ على اكبر دهخدا : المرجع السابق، جـ١٠، ص ٤٦٤٢.

(٤٢) المسالك والممالك، ص ٣١.

(٤٣) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٥١١.

(٤٤) المقدسى : المصدر السابق، ص ٢٦٢؛ أبو الفداء : المصدر السابق، ص ٤٩٦.

(٤٥) السمعانى :المصدر السابق، جـ٣، ص ٢٦٠؛ القلقشندى: المصدر السابق، جـ٤، ص٤٤١.

(٤٦) الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، بطرسبرج ١٨٦٥م، ص ٢٢١.

على اكبر دهخدا : المرجع السابق، جـ٩، ص ١٣٥٨٤.

(٤٧) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٥١١؛ لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٣٠.

(٤٨) الأدريسى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٧٠٥.

(٤٩) المقدسى: المصدر السابق، ص ٢٧٤؛ لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٣٠.

(٥٠) القزوينى : المصدر السابق، ص ٥٤٤؛ على اكبر دهخدا: المرجع السابق، جـ٥، ص ٥٧٥٥.

محمد على حيدر: الدويلات الإسلامية فى الشرق، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٤م، ص ١٨٧.

(٥١) الإدريسى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٧٠٥؛ أبو الفداء: المصدر السابق، ص ٤٩٧؛ محمود شيت خطاب : المرجع السابق، ص ٥٩.

(٥٢) السمعانى : المصدر السابق، جـ١، ص ٣٠٧.

(٥٣) ياقوت : المصدر السابق، جـ٣، ص ٣٥٨.

(٥٤) أحسن التقاسيم، ص ٢٧٥.

(٥٥) المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢٧٤؛ بارتولد : مرجع سابق، ص ٢٩٤.

(٥٦) بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(٥٧) المقدسى : المصدر السابق، ص ٢٧٤؛ بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(٥٨) ياقوت : المصدر السابق، جـ٣، ص ٣٩١.

(٥٩) المقدسى : المصدر السابق، ص ٢٧٤؛ بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩٣؛ لسترنج: المرجع السابق، ص ٥٢٩.

(٦٠) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٥١١؛ الإدريسى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٧٠٥؛ لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٢٩؛ محمود شيت خطاب : المرجع السابق، ص ٥٨.

(٦١) محمد على البار : المرجع السابق، جـ٢، ص ٤٩٨.

(٦٢) ابو الفداء : المصدر السابق، ص ٤٩٧.

(٦٣) ابن حوقل :المصدر السابق، ص ٥١٠.

(٦٤) بارتولد : تركستان ، ص ٢٩٢.

(٦٥) مجهول : حدود العالم، ص ٩١.

(٦٦) أطلق صاحب حدود العالم، ص ٩١ على هؤلاء الترك الأشية. انظر أيضا الإدريسى : مصدر سابق، جـ٢، ص ٧٠٥.

(٦٧) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٥١١؛ بارتولد : تركستان، ص ٢٩٣.

(٦٨) مجهول : حدود العالم، ص ٦٧.

(٦٩) سورة ال عمران : (الآية ٢٠٠).

(٧٠) سورة الأنفال : (الآية ٦٠).

(٧١) موريس لومبار :الإسلام فى مجده الأول،ترجمة/ إسماعيل العربى ،منشورات دار الأفاق الجديدة،المغرب،١٩٩٠م،ص٦٦.

(٧٢) المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت) ص ٤١٤ – ٥٤.

(٧٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، الجزء الرابع، الطبعة السابعة، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٤م، ص ٤٣٧.

(٧٤) عبد البارى محمد الطاهر: خراسان وما وراء النهر، الطبعة الأولى، رياض الصالحين، الفيوم ١٩٩٤م، ص ١٧٢.

(٧٥) المسالك والممالك، ص ٢٩٠.

(٧٦) المقدسى : المصدر السابق، ص ٢٧٣؛ بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩١.

(٧٧) بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩١.

(٧٨) المقدسى : المصدر السابق، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٧٩) المقدسى: المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(٨٠) نفسه، ص ٢٧٤.

(٨١) نفسه، ص ٢٧٥؛ لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٣٠.

(٨٢) محمود شاكر : تركستان الصينية (الشرقية) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩م، ص ٩-١٠.

(٨٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، الجزء الأول، الطبعة الثامنة، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٧٩-١٨١.

(٨٤) محمد عبد الهادى شعيرة: الممالك الحليفة أو ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم، مجلة كلية الآداب - جامعة الملك فاروق الأول، المجلد الرابع، ١٩٤٨م، ص ٤٠.

(٨٥) البلاذرى: فتوح البلدان، الجزء الثالث، تحقيق / صلاح الدين المنجد، النهضة المصرية، القاهرة (د.ت)، ص ٥٠٦،

(٨٦) البلاذرى: المصدر السابق، جـ٣، ص ٥٠٧؛ الطبرى: تاريخ الطبرى، الجزء الخامس، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤م، ص ٢٩٧-٢٩٨؛ الكرديزى: زين الاخبار، ترجمة / عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٩٨٢م، ص ١٧٢.

(٨٧) البلاذرى : المصدر السابق، جـ٣، ص ٥٠٧-٥٠٨؛ الكرديزى : المصدر السابق، ص ١٧٣.

Gibb : The Arab Conquests in Central Asia, London, 1933, p.20.

(٨٨) البلاذرى: المصدر السابق، جـ٣، ص ٥١٠.

شكرى فيصل: حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى، مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٥٢م ص ١٥٢.

(٨٩) الكرديرى : المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٩٠) البلاذرى : المصدر السابق، جـ٣، ص ٥١٣-٥١٤.

(٩١) البلاذرى : مصدر سابق، جـ٣، ص ٥١٦-٥١٧.

- Frye : The Heritage of Persia, London, 1969, p. 246.

- اين الأثير : الكامل فى التاريخ، الجزء الرابع، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م، ص ١٠٥-١٠٩.

(٩٢) حسن أحمد محمود : الإسلام فى آسيا الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢م، ص ١٤٨.

(٩٣) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية، ترجمة / محمد عبد الهادى أبو ريدة، مراجعة / حسين مؤنس، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٨م، ص ٤١٤.

(٩٤) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق / أكرم ضياء العمرى، الطبعة الثانية،

مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٧م، ص ٣٠٠. Frye : op. cit., p. 246.

(٩٥) خليفة بن خياط : المصدر السابق، ص ٣٠٧؛ الطبرى : المصدر السابق، جـ٦، ص ٤٩٢؛ ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٤، ص١٣٢.

(٩٦) فتوح البلدان ، جـ٣، ص ٥١٩؛ قدامة بن جعفر : المصدر السابق، ص ٤٠٩.

Denis sinor:The Cambridge History of early Inner Asia Cambridge Universty Press,1990, p.352.

Frye : The Golden Age of Persia, London, p.82., Hakkiand and Yildiz: The Turks Adoption A of Islam History of Turkish-Islamic States. translated By Hmet ,Ankara,1994, p.36.

(٩٧) محمد عبد الهادى شعيرة : المرجع السابق، ص ٣٩.

(٩٨) محمد عبد الهادى شعيرة : المرجع السابق، ص ٦٣.

(٩٩) قدامة بن جعفر : المصدر السابق، ص ٤١٢.

(١٠٠) نفسه، ص ٤١٣.

(١٠١) محمد عبد العظيم أبو النصر: تاريخ المسلمين وحضارتهم فى آسيا الوسطى، مطبعة الأهرام ههيا (محافظة الشرقية) ٢٠٠١م، ص ٧٣-٧٤.

(١٠٢) ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٣، ص ٥١٩.

(١٠٣) البلاذرى : المصدر السابق، جـ٣، ص ٥١٩؛ قدامة بن جعفر : المصدر السابق، ص ٤٠٩؛ ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٥، ص٢٥٩.

(١٠٤) بارتولد : تركستان، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(١٠٥) محمد على حيدر : المرجع السابق، ص ١٢٢.

(١٠٦) النرشخى : تاريخ بخارى، ترجمة / أمين عبد المجيد بدوى وآخرين، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة (د.ت) ص ١٢٣؛ سعيد نفيسى: أحوال وأشعار رودكى، المجلد الأول، طهران ١٩٣٠م، ص ٣٦٠؛ برتولد اشبولر: تاريخ إيران در قرون تحسين إسلامى، المجلد الثانى، الطبعة الأولى، ترجمة / مريم مير أحمدى، شركة انتشارات علمى وفرهنكى، تهران ١٩٩٠مى ، ص ٦٤.

- Hakk iand and Yildiz : op.cit., p. 36.

(١٠٧) ابن الأثير : مصدر سابق، جـ٦، ص ١٠٩.

– النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب، الجزء الخامس والعشرون، تحقيق م محمد على البجاوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٣٣٧.

(١٠٨) بارتولد : المرجع السابق، ص ٣٩٢.

(١٠٩) بارتولد : المرجع السابق، ص ٣٩٣.

(١١٠) بارتولد : المرجع السابق، ص ٣٩٣.

(١١١) ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٦، ص ١١٥.

(١١٢) سعيد نفيسى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٣٣-٣٣٥.

(١١٣) ابن الزبير: كتاب الذخائر والتحف، تقديم ومراجعة/ صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، الكويت ١٩٨٤م، ص ١٤٠-١٤١.

- إحسان ذنون الثامرى : الحياة العلمية زمن السامانيين، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت ٢٠٠١م، ص ١٥.

(١١٤) بارتولد : تركستان، ص ٣٦٣.

(١١٥) ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٦، ص ١٧٠.

(١١٦) قحطان عبدالستار الحديثى :دراسات فى التنظيمات الأقتصادية لخراسان أولاً : الزراعة، مجلة الخليج العربى السنة ١٥ المجلد ١٩ العدد ١جامعة البصرة١٩٨٧م،ص٦٦ ـ ٦٧.

(١١٧) صورة الأرض، ص ٥١٠.

(١١٨) الروض المعطار، ص ٥٦.

(١١٩) الإدريسى :المصدر السابق، ج٢، ص ٧٠٥.

(١٢١) معجم البلدان، جـ١، ص ١٧٩.

(١٢٢) أحسن التقاسيم، ص ٢٧٣.

(١٢٣) نفسه ، ص ٢٧٥.

(١٢٤) المقدسى : المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(١٢٥) الإدريسى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٧٠٥.

(١٢٦) المقدسى : المصدر سابق، ص ٢٤٧.

(١٢٧) نفسه ، ص ٢٧٥.

(١٢٨) نفسه، ص ٢٧٥.

(١٢٩) قدامة بن جعفر: المصدر السابق،ص١٠٠ ـ ١٠١.

(١٣٠) قحطان عبد الستار الحديثى : دراسات فى التنظيمات الاقتصادية لخراسان فى القرن الرابع الهجرى الصناعة – مجلة المؤرخ العربى، المجلد التاسع عشر، العدد ٣ لسنة ١٩٨٧م، ص ١٢١.

(١٣١) نفسه، ص ١٣٠.

(١٣٢) المقدسى ،ص٣٢٥.محمود شيت خطاب : المرجع السابق، ص ٦٠.

(١٣٣) مجهول : حدود العالم، ص ٩١.

(١٣٤) موريس لومبار: المرجع السابق،ص٦٥.

(١٣٥) السمعاني: المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٠.

(١٣٦) مجهول :حدود العالم ، ص ٩١.

(١٣٧) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٥١١؛ لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٣٠؛ محمود شيت خطاب : المرجع السابق، ص ٥٩.

(١٣٨) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٥١١؛ ياقوت :المصدر السابق، جـ٣، ص ٣٩١.

(١٣٩) المقدسي : المصدر السابق، ص ٢٧٤؛ ياقوت: المصدر السابق، جـ٤، ص ٢٤٢؛ بارتولد: مرجع سابق، ص ٢٩٣؛ لسترنج : مرجع سابق، ص ٥٢٩؛ على أكبر دهحدا : مرجع سابق، جـ٩، ص ١٣٠٩٨.

(١٤٠) مجهول : حدود العالم، ص ٦٧.

(١٤١) المسالك والممالك، ص ٣٣٣.

(١٤٢) المقدسي: المصدر السابق، ص ٢٧٣. بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩١؛ لسترنج : مرجع سابق، ص ٥٢٧.

(١٤٣) المقدسي : المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(١٤٤) نفسه ، ص ٢٧٤.

(١٤٥) المقدسي : المصدر السابق، ص ٢٧٣؛ لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٢٨.

(١٤٦) نفسه، ص ٢٧٤؛ بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(١٤٧) نفسه، ص ٢٧٥.

(١٤٨) نفسه ، ص ٢٧٣.

(١٤٩) نفسه ، ص ٢٧٤؛ بارتولد : المرجع السابق، ص ٢٩٣؛ لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٢٨.

(١٥٠) نفسه ، ص ٢٧٥.

(١٥١) نفسه ، ص٢٧٤.

(١٥٢) نفسه ، ص ٢٧٣.

(١٥٣) نفسه ،ص٢٧٢

(١٥٤) المقدسي : المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(١٥٥) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة / حمزة طاهر، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م، ص ٦٧.

(١٥٦) زامين بلدة بنواحي سمرقند من أعمال اشروسنه وهي على طريق فرغانة إلى الصغد. وبها ماء جار وبساتين وكروم ومزارع. أبو الفداء : مصدر سابق، ص ٤٩٣.

(١٥٧) الإدريسي: نزهة المشتاق، جـ٢، ص ٧٠١.

(١٥٨) لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٣١.

(١٥٩) ابن خرداذبه : المسالك والممالك، ليدن ١٩٣٨م، ص ٢٧، قارن قدامة بن جعفر : المصدر السابق، ص ١٠٠-١٠١.

(١٦٠) نفسه ، ص٢٧

(١٦١) وردت بذخكت عند الإدريسى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٧٠٨.

(١٦٢) ابن خرداذبه :المصدر السابق، ص ٣٨. قدامة بن جعفر : المصدر السابق، ص ١٠٠-١٠١.

(١٦٣) نفسه ، ص ٣٨.

(١٦٤) ابن خرداذبة : المصدر السابق، ص ٣٩؛ قدامة بن جعفر : المصدر السابق، ص ١٠١.

(١٦٥) الإدريسى : المصدر السابق، ص ٧٠٩.

(١٦٦) ابن خرداذبة : المصدر السابق، ص ٣٨.

(١٦٧) نفسه ، ص ٣٨. قدامة بن جعفر : المصدر السابق، ص ١٠١.

(١٦٨) نزاهة المشتاق، جـ٢، ص٧١٤.

(١٦٩) قدامة بن جعفر : المصدر السابق، ص ١٠١.

(١٧٠) المسالك والممالك ، ص ٣٩.

(١٧١) نزهة المشتاق، جـ٢، ص ٧١٤.

(١٧٢) قدامة بن جعفر : المصدر السابق، ص١٠١.

(١٧٣) نزهة المشتاق ، جـ٢ ، ص٧١٤.

(١٧٤) قدامة بن جعفر : المصدر السابق، ص ١٠١.

(١٧٥) ابن خرداذبه : المصدر السابق، ص ٣٨؛ الأدريسى: المصدر السابق، جـ٢، ص ٧١٤.

(١٧٦) نفسه، ص ٣٩.

(١٧٧) الإدريسى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٧١٥.

(١٧٨) ابن خرداذبه : المصدر السابق، ص ٣٩.

(١٧٩) نفسه ، ص ٣٩؛ الإدريسى :المصدر السابق، جـ٢، ص ٧١٥.

(١٨٠) لسترنج : المرجع السابق، ص ٥٣١.

(١٨١) المسالك والممالك، ص ٢٨٨.

(١٨٢) صورة الأرض، ص ٤٦٥.

(١٨٣) توفيق عامر : الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق، جـ٢، تونس ١٩٩٦م، ص ٤٧٧-٤٧٨.

(١٨٤) توفيق بن عامر: الحضارة الإسلامية، جـ٢، ص ٣٨٩.

(١٨٥) مجهول : حدود العالم، ص ٩١.

(١٨٦) بارتولد : تركستان ، ص ٣٦٥-٣٦٦ .

- محمد حسن عبد الكريم الغمادى : خراسان فى العصر الغزنوى ، الأردن ، ص ١٤٩ .

(١٨٧) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(١٨٨) مجهول : حدود العالم ، ص ٩١ .

(١٨٩) حسن التقاسيم ، ص٣٣٩ .

(١٩٠) سعد زغلول عبد الحميد :الإسلام والترك فى العصر الإسلامى الوسيط،المختار من مجلة عالم الفكر (١)دراسات إسلامية ،الكويت١٩٨٤م ،ص١٤٧ .

(١٩١) اليعقوبى : المصدر السابق ،ص٢٩٥ .

(١٩٢) المسالك والممالك ، ص .أحمد فؤاد سيد:الإسلام والثقافة العربية فى بلاد ماوراء النهر الإسلامية آسياوالقوقاز ،دار الغد العربى ،القاهرة١٩٩٦م ،ص٤٨ .

(١٩٢) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ،ص١٩٣

(١٩٣) اليعقوبى: المصدر السابق ،ص٢٩٥ .

(١٩٤) سعد زغلول عبدالحميد: المرجع السابق ،ص١٩٤

(١٩٥) رحلة ابن فضلان ،ص٤٢ .

(١٩٦)اليعقوبى: المصدر السابق ،ص٢٩٥ .

(١٩٧) أحسن التقاسيم ،ص٢٧٣ .

(١٩٨) الكامل فى التاريخ ،ج٨ ،ص٣٨ - ٣٩ .

(١٩٩) محمد أحمد محمد جوده :الحياة الأقتصادية والاجتماعية فى بلاد ماوراء النهر من الفتح الإسلامى إلى سقوط الدولة السامانية ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب جامعة عين شمس٢٠٠٤م ،ص١٦٧ .

(٢٠٠)البلاذرى ،المصدر السابق ،ج٣ ،ص٥١٠ .

(٢٠١) .البلاذرى ،المصدر السابق ،ج٣ ،ص٥١٠ .

(٢٠٢) أحسن التقاسيم ،ص٢٧٥ .

٢٠٣) المسالك والممالك ،ص٢٨٨

(٢٠٤) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، تحقيق/ يوسف الهادى ، الطبعة الأولى، تهران ١٩٩٩م ،ص٣٠١ .

(٢٠٥) نفسه ،ص٣٢٠ .

(٢٠٦) عبدالله رازى: تاريخ كامل ايران از تأسيس مادتا انقراض قاجاريه ، الطبعة العاشرة ، دار شر اقبال، طهران ١٣٧٢هـ . ش، ص١٧٥ .

ـ البناكتي : تاريخ بناكتي روضة اولى الالباب فى معرفة التواريخ والأنساب ، تصحيح/ جعفر شعار، سلسلة انتشارات انجمن آثار على، تهران ١٣٣٨هـ .ش، ص٢١٨.

(٢٠٧) ياقوت : المصدر السابق، ج١، ص١٧١.

(٢٠٨) أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة١٩٧٧م، ص١٠٢.

(٢٠٩) المقدسى : المصدر السابق، ص٢٧٣.

(٢١٠) نفسه، ص٢٧٤.

(٢١٢) بارتولد: تركستان، ص٢٩٢.

(٢١٣) المقدسى : المصدر السابق، ص٢٧٣.

(٢١٤) نفسه، ص٢٧٤.

(٢١٥) إحسان ذنون الثامرى: المرجع السابق، ص٦٣ ـ ٦٤.

(٢١٦) عبدالبارى محمد الطاهر : المرجع السابق، ص١٧٣.

(٢١٧) ذكر حاجى خليفة أن الكتاب على خمسة أقسام الأول فى الأسماء والثانى فى الأفعال والثالث فى الحروف والرابع فى تصريف الأسماء والخامس فى تصريف الأفعال.

– حاجى خليفة :كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، المجلد الأول، دار الفكر، المكتبة الفيصلية، مكة (د ـ ت) ص٧٧٥.

(٢١٨) ياقوت : المصدر السابق، ج٢، ص١٥٩.

(٢١٩) الثعالبى : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، الجزء الرابع شرح وتحقيق/مضير محمد قميحة، الطبعة الأولى، بيروت١٩٨٣م، ص٤٦٨.

ـ ياقوت : معجم الأدباء، الجزء الثانى، دار الكتب العلمية، بيروت (د ـ ت) ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.

– السيوطى بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت١٩٧٩م، ص٤٤٦.

(٢٢٠) حقق هذا الكتاب الاستاذ أحمد عبدالغفور عطار على نفقة السيد عباس الشربتلى فى ستة أجزاء وخرجت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢م. كما قام بنشرهذا الكتاب أيضا فى جزئين الشيخ عبدالله العلايلى من اعداد وتصنيف نديم مرغشلى، وأسامة مرغشلى، الطبعة الأولى، دار الحضارة العربية، بيروت١٩٧٤م.

(٢٢١) الثعالبى: المصدر السابق، ج٤، ص٤٦٨ ـ ٤٦٩. ياقوت: المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٧.

(٢٢٢) عبدالبارى محمد الطاهر: مرجع سابق، ص٣٤٩. إحسان ذنون الثامرى: مرجع سابق، ص١٣٢.

(٢٢٣) إحسان ذنون الثامرى: المرجع السابق، ص١٣٢.

(٢٢٤) ياقوت : المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٧.

(٢٢٥) نفسه، ج٥، ص٦١٢.

(٢٢٦) يتناول علم الحديث دراسة ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله ومأقر عليه من أفعال لم ينكرها عليهم ،وينقسم إلى قسمين الأول : علم دراسة الحديث ويشمل دراسة متن الحديث والثانى : علم رواية الحديث ويتناول دراسة سند الحديث المروى

– أحمد عبدالباقى : معالم الحضارة العربية فى القرن الثالث الهجرى ،مركز دراست الوحدة العربية ، بيروت(د ـ ت) ص١٧٨.

(٢٢٧) النسفى : المصدر السابق، ص٩٠.

(٢٢٨) السمعانى :المصدر السابق،ج١،ص١٠٢.ياقوت : معجم البلدان ،ج١،ص١٨٠.

(٢٢٩) محمد على البار: المرجع السابق ، ج٢، ص٥٠١.

(٢٣٠) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، الجزء الثالث، دار الثقافة، بيروت (د ـ ت) ص٢٢٣.

(٢٣١) نفسه، ج٣، ص٢٣٢. ابن النديم : الفهرست، المكتبة التوفيقية، القاهرة(د ـ ت) ص٣٦١.

(٢٣٢) محمود إسماعيل :سوسيولوجيا الفكر الإسلامى ،طور الأزدهار (٣)الطبعة الأولى،سينا للنشر ،القاهرة ٢٠٠٠م،ص١٢٩.

(٢٣٣) البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام، نشر وتحقيق / محمد كرد على مطبعة الترقى، دمشق١٩٤٦م، ص٣١.

(٢٣٤) نفسه، ص٣٠.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

– ابن أبى اصيبعة (أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدى ت ٦٦٨ هـ /١٢٦٩ م: عيون الانباء فى طبقات الأطباء، ٣ أجزاء ، دار الفكر، بيروت.

– البيهقى: (ظهير الدين) تاريخ حكماء الإسلام، نشر وتحقيق /محمد كرد على مطبعة الترقى، دمشق١٩٤٦م.

– ابن الأثير : (عز الدين أبى الحسن على بن احمد بن ابى الكرم ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢ م)

– الكامل فى التاريخ، ١٠ أجزاء، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

– اللباب فى تهذيب الأنساب ، الجزء الأول، دار صادر بيروت، ١٩٨٠م.

– الإدريسى (أبوعبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز ت ٥٦٤ هـ/ ١١٦٨م): نزهة المشتاق فى أختراق الآفاق، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت) .

– الاصطخرى (أبو القاسم إبراهيم بن محمد توفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى): المسالك والممالك، ليدن ، ١٩٢٧ م .

– البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان، ثلاثة أجزاء، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة د.ت.

– الثعالبى: (ابو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م): يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، المجلد الرابع، شرح و تحقيق / مضير محمد قميحة، الطبعة الأولى، بيروت١٩٨٣م.

– حاجى خليفة (مصطفى بن عبدالله القسنطنصينى الرومى): كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، المجلد الأول، دار الفكر، المكتبة الفيصلية، مكة (د ـ ت)

– الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م)

الروض المعطار فى خبر الأقطار، حققه/ إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٤م .

– ابن حوقل (أبو القاسم أحمد النصيبى توفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى/ النصف الأول من القرن العاشر الميلادى): صورة الأرض، الطبعة الثانية، ليدن ، ١٩٣٨ م.

– خليفة بن خياط (توفى سنة ٢٤٠هـ/٩٥١م): تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمرى، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٧م.

– ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م): المسالك والممالك، ليدن، ١٨٨٩ م

– الدمشقى: (أبو الفضل جعفر بن على ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م): كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد ، مصر ، ١٣١٨ هـ .

– ابن الزبير (القاضى الرشيد بن الزبيرمن علماء القرن الخامس الهجرى) كتاب الذخائر والتحف، تقديم ومراجعة صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، الكويت١٩٨٤م.

– الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

سير اعلام النبلاء، الجزء السادس، تحقيق/أكرم البوشى، الطبعة الحادية عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت١٩٩٦م.

– السمعانى (أبو سعيد عبد الكريم محمد بن منصور ت ٥٦٢ هـ / ١٢١٦ م الأنساب، الجزء الأول، تقديم وتعليق/ عبد الله عمر البارودى، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨ م.

– السيوطى (الحافظ جلال الدين عبدالرحمن ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت١٩٧٩م.

– لب اللباب فى تحريرالأنساب، الجزء الأول، تحقيق محمد احمد عبدالعزيز وآخرون، الطبعة لأولى، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩١م.

–الطبرى (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٢-٩٢٣م): تاريخ الطبرى، ١٠ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٦٦٤م.

– أ بو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢ هـ /١٣٣١م): تقويم البلدان، باريس، ١٨٤٠ م.

– ابن فضلان: (أحمد بن العباس بن راشد): رسالة بن فضلان فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ،حققها سامى الدهان ،الطبعة الأولى، دمشق ١٩٨٨م.

– قدامه بن جعفر (أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد ت ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م) الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق محمد حسن الزبيدى ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ م .

– القزوينى (زكريا بن محمد بن محمد): أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت (د.ت).

– القلقشندى (شهاب الدين أبو العباسى أحمد بن على ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م): صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، ١٤ جزاء، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨ م .

– الكرديزى (أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمد ت٤٤٣هـ/١٠٥١-١٠٥٢م): زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٢ م.

– المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) :

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة ، مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩١ م .

– مجهول: (مؤلف مجهول كتبه عام ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م):

حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، تحقيق / يوسف الهادى، الطبعة الأولى ، دار الثقافة للنشر، القاهرة ، ١٩٩٩ م .

– المقريزى : (تقى الدين احمد بن علي عبدالقادر ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):

المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والأثار، الجزء الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة(د-ت)

– ابن النديم : (محمد بن إسحاق ت٣٨٣هـ/٩٩٣م): الفهرست، المكتبة التوفيقة، القاهرة (د ـ ت)

– النرشخي: (أبو بكر محمد بن جعفر ت٣٤٨هـ/٩٥٩ ـ ٩٦٠م): تاريخ بخارى، ترجمة / أمين عبدالمجيد بدوى وآخرون، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة(د ـ ت)

– النسفى (نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد ٥٣٧هـ/١١٤١ـ١١٤٢م):

القند فى ذكر علماء سمرقند، تحقيق يوسف الهادى ، الطبعة الأولى ، مركز نشر التراث، طهران١٩٩٩م

– النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب؛ ت ٧٣٢ هـ /١٣٣١م)

نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزء الخامس و العشرون ، تحقيق / محمد على البجاوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .

– ابن الوردى : (سراج الدين ابى حفص عمر)

خريدة العجائب وفريدة الغرائب، الطبعة الثانية، مطبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة (د.ت).

– ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الرومى ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)

معجم البلدان، ٥ أجزاء ، دار صادر ، بيروت(د. ت) .

– معجم الأدباء، الجزء الثانى، دار الكتب العلمية، بيروت(د ـ ت) .

– اليعقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر وهب بن واضح): البلدان، ليدن ١٨٩٣م.

ثانيا : المراجع العربية:

– إبراهيم الدسوقى شتا : المعجم الفارسى الكبير، المجلد الأول، مكتبة مدبولى، القاهرة١٩٩٢م .

– إحسان ذنون الثامرى : الحياة العلمية زمن السامانيين، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت٢٠٠١م.

– أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة١٩٧٧م.

– أحمد عبد الباقى : معالم الحضارة الإسلامية فى القرن الثالث الهجرى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (د . ت).

– أحمد فؤاد سيد:الإسلام والثقافة العربية فى بلاد ماوراء النهر الإسلامية آسياوالقوقاز، دار الغد العربى ، القاهرة١٩٩٦م.

– أحمد كمال الدين حلمى :السلاجقة فى التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٠م.

– بارتولد : تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان، الطبعة الأولى، الكويت ،١٩٨١ م .

– تاريخ الترك فى أسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، سلسلة الأ لف كتاب الثانى رقم (١٣٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٩٦م.

– تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة (د . ت) .

– توفيق عامر: الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق، الجزءالثانى، المجلد ٧ تونس، ٦٩٩١م .

– حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، الجزء الأول، الطبعة الثامنة، الهيئة المصرية، القاهرة١٩٩٦م، الجزء الرابع ،الطبعة السابعة، النهضة المصرية، القاهرة١٩٩٤م.

– حسن أحمد محمود : الإسلام فى أسيا الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢ م .

– شكرى فيصل: حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى، مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٥٢م.

– عبد البارى محمد الطاهر: خراسان وما وراء النهر، الطبعة الأولى، مكتبة رياض الصالحين ، الفيوم ١٩٩٤م.

– فلهوزن : تاريخ الدول العربية، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، ومراجعة حسين مؤنس، الطبعة الثانية لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٨م.

– قحطان عبد الستار الحديثى :ارباع خراسان الشهيرة ،جامعة الموصل(د ـ ت)

– لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة كوركيس عواد، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٥م.

– محمد حسن عبد الكريم الغمادى : خراسان فى العصر الغزنوى ، الأردن .

– محمد عبدالعظيم الصوفى :تاريخ المسلمين وحضارتهم فى آسيا الوسطى ،مطبعة الأهرام ههيا (محافظة الشرقية)٢٠٠٠م

– محمد على البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر العصور ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، دار الشروق جدة ١٩٨٣م.

– محمد على حيدر : الدويلات الإسلامية فى الشرق ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

– محمود إسماعيل :سوسيولوجيا الفكر الإسلامى،طور الأزدهار (٣)الطبعة الأولى،سينا للنشر ، القاهرة ٢٠٠٠م.

– محمود شيت خطاب : بلاد ما وراء النهر، الطبعة الرابعة، دار قتية، بيروت، ١٩٩٠ م.

– محمود شاكر :تركستان الصينية (الشرقية) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩م.

– موريس لومبار :الإسلام فى مجده الأول،ترجمة / إسماعيل العربى ،منشورات دار الأفاق الجديدة،المغرب،١٩٩٠م.

ثالثا: الدوريات والرسائل العلمية

– قحطان عبد الستار الحديثى : دراسات فى التنظيمات الاقتصادية لخراسان فى القرن الرابع الهجرى – الصناعة – مجلة المؤرخ العربى، المجلد التاسع عشر، العدد ٣ لسنة ١٩٨٧م.

– قحطان عبدالستار الحديثى :دراسات فى التنظيمات الأقتصادية لخراسان أولاً :الزراعة مجلة الخليج العربى السنة ١٥ المجلد ١٩ العدد ١جامعة البصرة١٩٨٧م.

– سعد زغلول عبد الحميد :الإسلام والترك فى العصر الإسلامى الوسيط، المختار من مجلة عالم الفكر (١)دراسات إسلامية، الكويت١٩٨٤م.

– محمد أحمد محمد جوده :الحياة الأقتصادية والاجتماعية فى بلاد ماوراء النهر من الفتح الإسلامى إلى سقوط الدولة السامانية ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب جامعة عين شمس٢٠٠٤م

– محمد عبدالهادى شعيرة : الممالك الحليفة أو الممالك ما وراء النهر والدولة الاسلامية إلى أيام المعتصم ، مقال بمجلة كلية الآداب – جامعة فاروق الاول (الاسكندرية) العدد الرابع ١٩٤٨م.

رابعاً: المراجع الفارسية

– بروتولد شبولر : تاريخ إيران در قرون تحسينين إسلامى ، جلد دوم ، ترجمة / مريم مير أحمدى ، تهران ، ١٣٦٩ هـ . ش .

– البناكتى :تاريخ بناكتى روضة اولى الالباب فى معرفة التواريخ والأنساب، تصحيح جعفرشعار ، سلسلة انتشارات انجمن آثار على، تهران ١٣٣٨هـ

– عبدالله رازى: تاريخ كامل ايران از تأسيس مادتا انقراض قاجاريه، الطبعة العاشرة، دار شر اقبال، طهران ١٣٧٢هـ .ش.

– سعيد نفيسى: أحوال واشعار رودكى، المجلد الأول، تهران، ١٣٠٩ هـ . ش .

–على أكبر دهخدا : موسوعة لغت نامه، الجزء الثالث، تهران، ١٣٤٧ هـ . ش

خامساً : المراجع الأجنبية :

(1) Denis Sinor:The Cambridge History of early Inner Asia Cambridge Universty press,1990

(2) Frye : The Golden Age of Persia ,London.

(3) Frye:The Heritage of Persia , London,1969.

(4) Gibb: The Arab Conquests Central Asia, London

(5) Hakki and and Yildiz :The Turks Adoption of Islam History of Turkish - Islamic States.translated by Ahmet ,Ankara,1994.

د. منى سعد محمد الشاعر (*)

الفتح السلجوقى لآسيا الصغرى ودور السلاجقة في نشر الإسلام بالأناضول

السلاجقة: أصلهم ونشأتهم

ينتمي السلاجقة إلى سلجوق بن دقاق الذي ينحدر أصله إلى قبيلة قنق، إحدى قبائل الغـُز التركية التي كانت تسكن الصحراء الواسعة والسهوب الممتدة من حدود الصين شرقا إلى شواطئ بحر الخزر غربا(١)، وقد تحركت تلك القبائل على شكل هجرات نحو الجنوب الشرقي، وازدادت كثافتها أثناء حكم السامانيين، وكان الدافع الحقيقي وراء هجرة تلك القبائل من موطنها الأصلي ازدياد عدد السكان وضيق مساحة الأراضي العشبية التي كانت تسكنها (٢)؛ وقد ظلت تتدفق هجرة القبائل التركية وتتركز في وسط أسيا خاصة حول شواطئ نهر جيحون(٣) قبل وبعد الفتح الإسلامي(٤). وعندما فتح السامانيون وسط أسيا في القرنين الثالث والرابع الهجريين- التاسع والعاشر الميلاديين- بسطوا نفوذهم عليها، وبدأوا يعملون على نشر الإسلام بين سكانها، فانتشر الإسلام بينهم على نطاق واسع خاصة بين الأتراك الغـُز(٥).

*-أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد بكلية الدراسات الإنسانية- جامعة الأزهر بالقاهرة

ويبدو أن أول من دخل الإسلام من الأتراك الغُزّ هو «دقاق»، وكان وزيرا للخاقان «بيغو» - أحد خانات التركستان الوثنيين - فاعترض على الغارات التي كان يقوم بها بيغو على الأراضي الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، مما يدل على أنه كان قد دخل في الإسلام، وحسن إسلامه(٦).

وقد خلف سلجوق بن دقاق أباه في رئاسة قبيلة «قنق»، وبرزت عليه إمارات النجابة والنباهة فقربه بيغو إليه وعينه قائدا للجيش، وعندما أطاعه أفراد قبيلته وانقادوا له أثار ذلك حفيظة زوجة بيغو فأوعزت إلى زوجها بقتله(٧)، ولما علم سلجوق بذلك غادر سهوب القرغيز ببلاد التركستان ومعه قبيلته وأتباعه إلى المنطقة التي توجد فيها مدينة «جند» في الوادي الأدنى لنهر سيحون ببلاد ما وراء النهر(٨).

ولقد ساعد اضطراب الأوضاع في بلاد ما وراء النهر على تهيئة الوضع لمشاركة السلاجقة ودخولهم في الأحداث السياسية الجارية آنذاك، إذ أدى الصراع المحتدم بين السامانيين والقراخانيين لبسط نفوذ السيادة والسيطرة على تلك البلاد إلى استعانة السامانيين بقوة سلجوق بن دقاق التي كانت تزداد وتتنامى بسبب زيادة أتباعه ممن دخلوا الإسلام على يديه، فاستجاب سلجوق لدعوة السامانيين وساعدهم في حربهم ضد القراخانيين حتى تحقق لهم النصر(٩).

ولاشك أن وقوف السلاجقة مع السامانيين ضد القراخانيين كان له أثره الطيب في نفوس السامانيين، لذلك سمحوا لسلجوق وجماعته بالاستقرار بالقرب من شاطئ نهر جيحون مقابل تعهده بحراسة المناطق الحدودية؛ مما ساعد على استكمال هجرة السلاجقة من التركستان استقرارهم في تلك المناطق؛ لذلك اتخذ سلجوق من مدينة جند قاعدة له؛ وقد اتبع سلجوق وأتباعه الدين الإسلامي على المذهب الحنفي، وهو المذهب الرسمي للدولة السامانية، حتى أصبح هذا المذهب سائدا بعد ذلك في دولتهم(١٠)، كما تحمس السلاجقة بشدة للإسلام فأخذوا يعملون جنبا إلى جنب مع السامانيين في مهاجمة الترك الوثنيين الذين كانوا يهددون أرض الإسلام في محاولة للقضاء على شرهم(١١)؛ كما عمل السلاجقة بعد استكمال فتح بلاد التركستان على نشر الإسلام بشكل كبير بين الأتراك الوثنيين(١٢)، وأخذوا يعملون على تحرير المدن الإسلامية التي كانت تدفع ضريبة لكفار التركستان الوثنيين(١٣)، وبذلك استطاع سلجوق أن يرضي المسلمين في بلاد ما وراء النهر بما قام به من نشر الإسلام بين أبناء جلدته(١٤).

ولكن لم تسر الأمور على وتيرة واحدة، إذ سرعان ما انهارت الدولة السامانية في عام ٣٨٩ هـ/ ٩٩٨ م(١٥)، وتوزعت أملاكها بين القراخانيين والغزنويين، إلا أن السلاجقة كانوا قد ازداد عددهم ونظموا أنفسهم مما مكنهم من إنشاء قوة عسكرية نظامية يخشى بأسها، فضلا عن أنهم واصلوا جهودهم في نشر الإسلام متمسكين بأهداب الدين والغيرة عليه، وتقربوا من علماء المسلمين مما جمع الناس حولهم، فزاد من حبهم حتى توطد وجودهم في بلاد ما وراء

النهر(١٦)؛ ثم تطورت الأحداث حتى دخل السلاجقة في صراع مع القراخانيين والغزنويين، تمخض عنه سيطرة السلاجقة على بلاد ما وراء النهر وخراسان وإعلان قيام السلطنة السلجوقية في عام ٤٢٩هـ /١٠٣٧م، على يد أول سلاطينها السلطان طغرلبك(١٧).

وعلى الرغم من إعلان السلطنة السلجوقية في عام ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م، إلا أنها لم تتوطد إلا بعد إنزال هزيمة ساحقة بالغزنويين في موقعة دندانقان في رمضان من عام ٤٣١ هـ/ يونية ١٠٤٠ م، تقلص على أثرها وجود الغزنويين في خراسان وبلاد ما وراء النهر، وفي المقابل امتد نفوذ السلاجقة ليشمل معظم شرق الدولة الإسلامية، ثم توسعت غربا حتى امتد نفوذها إلى بغداد ومن ثم سيطرتها بعد ذلك على أجزاء كبيرة من غرب الدولة الإسلامية، حتى امتد نفوذها وسيطرتها على بلاد الشام(١٨)؛ وبذلك أصبحت سلطنة السلاجقة من القوى المؤثرة في أحداث العالم الإسلامي في تلك الآونة، كما كان لوجودها وامتداد نفوذها وتوسعها أثره البالغ في إعادة توازن القوى في الصراع الدائر بين المسلمين والبيزنطيين آنذاك.

الفتح السلجوقي لآسيا الصغرى

أ- مقدمات الفتح:

تمثل منطقة آسيا الصغرى أو الأناضول(وهما مترادفان لإقليم واحد)، شبه الجزيرة الفسيحة الممتدة من بحر إيجة وبحر مرمرة غربا إلى نهر الفرات شرقا، ويحدها من الشمال البحر الأسود وفي الجنوب البحر المتوسط وبلاد الشام، وتنفصل عن أوربا بواسطة مضيقي البسفور والدردنيل وبحر مرمرة، وهي المنطقة التي تمثل في الوقت الحاضر الجزء الرئيسي من الجمهورية التركية(١٩).

وقد سكن آسيا الصغرى أثناء الحكم البيزنطي العديد من العائلات البيزنطية التي كانت تمثل الأرستقراطية البيزنطية وهم من كبار عائلات ملاك الأراضي الزراعية الذين كانوا يتولون قيادة جيوش الأقاليم؛ وكان المسلمون يطلقون على أقاليم الدولة البيزنطية اسم بلاد الروم لذا عرفت آسيا الصغرى عندهم ببلاد الروم(٢٠).

ولقد حاول المسلمون طوال العصرين الأموي والعباسي فتح منطقة آسيا الصغرى، وبسبب ذلك دخلوا في حروب طويلة مع الروم البيزنطيين، وبذلوا جهودا مضنية في الجهاد ضد الإمبراطورية البيزنطية، وحققوا على أثرها نجاحات عظيمة في مجال الفتوح(٢١)، إلا أن الفتح الحقيقي لآسيا الصغرى وانتشار الإسلام بها لم يتحقق إلا على يد الأتراك السلاجقة مما جعل أحد المؤرخين الغربيين يقول:« لقد حمل السلاجقة راية الإسلام إلى آسيا الصغرى بينما لم يستطع العرب القيام بذلك» (٢٢)

ولقد كان لظهور السلاجقة على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أثر كبير على العلاقات الإسلامية البيزنطية، حيث

تبدل الموقف السياسي والعسكري عندئذ، فبعد أن كانت الدولة البيزنطية تجد على حدودها دولة إسلامية ضعيفة منقسمة على نفسها مذهبيا وسياسيا إذا بها تواجه بقيام سلطنة قوية متماسكة مكنت المسلمين من استئناف التوسع على حسابها، في الوقت الذي دخلت فيه الدولة البيزنطية حالة من الركود والضعف بعد زوال الأسرة المقدونية في عام ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م وما تبع ذلك من صراع بين الطبقتين العسكرية والمدنية (٢٣).

وفي تلك الآونة استطاع السلاجقة أن يحققوا وحدة العالم الإسلامي التي دانت بالزعامة الروحية للخليفة العباسي والزعامة السياسية للسلطان السلجوقي، فبدأ السلاجقة يعملون على التوسع الإسلامي عبر آسيا الصغرى يدفعهم إلى ذلك عدة دوافع يأتي على رأسها الدافع الديني، حيث أدرك السلاجقة العظام أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، لذلك عملوا على مواصلة الجهود الإسلامية الأولى من أجل الفتح الإسلامي ونشر الإسلام على أكبر رقعة ممكنة في آسيا الصغرى؛ ولاشك أن هذا الهدف أضفى على حروبهم ضد البيزنطيين طابعا جهاديا دينيا مما أكسبهم عطف المسلمين جميعا؛ وقد حرص السلطان السلجوقي طغرلبك أن يجعل أتباعه من الأتراك دائما تحت تصرفه حتى يتمكن من توجيههم في حملاته المستمرة ضد الإمبراطورية البيزنطية ومواصلة الجهاد ضدهم(٢٤)، ويؤكد ذلك ابن الأثير فيقول: إن«خلقا كثيرا من الغز مما وراء النهر قدموا عليه(أي على طغرلبك) فقال لهم أن بلادي تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون إليه والرأي أن تمضوا إلى غزو الروم وتجاهدوا في سبيل الله وتغنموا» (٢٥).

وتؤكد تلك الرواية أن الغرض من الحملات التي كان يوجهها السلطان طغرلبك إلى الروم البيزنطيين في آسيا الصغرى كان جهادا في سبيل الله من أجل نشر الإسلام بين النصارى؛ كما نستنتج من هذه الرواية دافعا آخرا دفع السلاجقة إلى التمدد والتوسع تجاه آسيا الصغرى وهو الدافع الاقتصادي، فبعد انسياح أعداد كبيرة من الأتراك- الذين دخلوا في الإسلام على يد السلاجقة- في العراق وفارس ضاقت بهم الأرض، الأمر الذي جعل السلطان طغرلبك يوجههم للجهاد ونشر الإسلام في بلاد الروم والتوسع خلالها (٢٦).

يضاف إلى ذلك الباعث السياسي المتمثل في استيلاء البيزنطيين على إقليم أرمينية، التي كانت تمثل بعدا سياسيا وعسكريا كبيرين في علاقة المسلمين بالبيزنطيين، ولم تفرط الدولة الإسلامية على مر العصور في تلك البلاد حتى انتزعتها الأسرة المقدونية في عهد الإمبراطور باسيل الأول (٢٥٣- ٢٧٣هـ/ ٨٦٧ - ٨٨٦ م)، وارتبطت أرمينية في عهد ملكها آشوط الأول من الأسرة البجراطية بنوع من التحالف والعلاقات الودية مع البيزنطيين لذلك أصبحت دولة حاجزة ضد تحرك المسلمين في إقليم أرمينية وآسيا الصغرى(٢٧). وفي الواقع كانت تبعية أرمينية للبيزنطيين مزعزعة بسبب انقسام الأرمن فيما بينهم، مما أدى إلى تناوب الطرفان الإسلامي والبيزنطي على البلاد إلى أن خضعت أرمينية للبيزنطيين في عهد باسيل الثاني (٣٦٥- ٤١٦هـ/ ٩٧٦- ١٠٢٥م) بمقتضى معاهدة بين حنا سمباد الحاكم الأرميني والإمبراطور

البيزنطي في عام ٤١٢ هـ /١٠٢١م نصت على أن يحكم حنا سمباد أرمينية طوال حياته وبعد وفاته تنتقل تبعيتها إلى الإمبراطورية البيزنطية؛ وقد لجأ حنا سمباد إلى ذلك بسبب ما تعرضت له بلاده من غارات مستمرة من قبل السلاجقة والأبخاز(٢٨)، فضلا عن تهديد أخيه آشوط وانتشار الفتن والحروب الداخلية التي شهدتها البلاد؛ وسار سنحاريب ملك الفاسبوراكان على نهج حنا سمباد، فبعد أن أدرك أنه ليس بوسعه أن يقاوم السلاجقة تحالف مع البيزنطيين وحصل في مقابل ذلك على سيواس(٢٩).

لاشك أن السيطرة البيزنطية على معظم أرمينية أصبحت كالحاجز أمام تقدم المسلمين في آسيا الصغرى، الأمر الذي جعل طغرلبك أول سلاطين السلاجقة يرى ضرورة كسره تمهيدا للتوغل داخل الأراضي البيزنطية ونشر الإسلام في أقاليم آسيا الصغرى (٣٠).

ب- محاولات السلاجقة استرداد أرمينية وفتح آسيا الصغرى:

قام السلاجقة بعدة محاولات من أجل استرجاع إقليم أرمينية من أيدي البيزنطيين إلى السيطرة الإسلامية، وكانت أولى تلك المحاولات في عام ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨م على عهد السلطان طغرلبك السلجوقي، إذ أغار إبراهيم ينال القائد السلجوقي على أرمينية إبان حكم الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع مونوماكوس (٤٣٣- ٤٤٧ هـ / ١٠٤٢- ١٠٥٥م) فوصل إلى ملاذ كرد(٣١)، وتابع سيره حتى وصل إلى أرزن(٣٢) وقاليقلا(٣٣)، بل امتد في غاراته حتى وصل إلى طرابيزون على شاطئ البحر الأسود، مدمرا خلال غاراته القرى والضياع والقلاع التي واجهته، وحصل على الكثير من الغنائم والسبايا.

ولقد ألحق إبراهيم ينال بأرزن- وهي إحدى المدن التجارية الأرمينية الغنية التي عرفت بثرائها- كارثة كبيرة حين لقي مقاومة عنيفة من أهلها مما اضطره إلى إشعال النيران فيها، فهلك معظم سكانها وأسر من بقي منهم وبيعوا في أسواق الرقيق؛ وتعد تلك الواقعة أحد الأسباب الرئيسة في انهيار الوطن الأرميني(٣٤)؛ وإزاء ما حل بالأرمن في أرزن نهض البيزنطيون لقتال إبراهيم ينال، وساندهم أمير الأبخاز الذي يعتبر من الموالين للإمبراطور البيزنطي، وتقابل الفريقان واشتد بينهم القتال، وتمكن القائد المسلم إبراهيم ينال من تحقيق النصر على البيزنطيين وحلفائهم، ووقع أمير الأبخاز في الأسر مع جماعة من البطارقة «واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوها، وغنموا ما فيها، وسبوا أكثر من مائة ألف رأس، وأخذوا من الدواب والبغال والغنائم والأموال ما لا يقع عليه الإحصاء»(٣٥).

ومما تجدر الإشارة إليه أن السلطان طغرلبك لم يكن مستعدا في تلك الآونة لفتح باب العداء على مصراعيه مع البيزنطيين، لذلك أمر بإطلاق سراح أمير الأبخاز الموالي للبيزنطيين بعد مفاوضات جرت بينه وبين الإمبراطور البيزنطي انتهت بعقد هدنة بينهما في عام (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)؛ ويبدو أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع لم يكن مستعدا هو الآخر لفتح أي صراع مع السلاجقة، ففي تلك الفترة كانت قبائل البشناج(٣٦) تهاجم الأقاليم

الأوربية التابعة لبيزنطة في بلغاريا وتراقيا، مما اضطر الإمبراطور إلى نقل أفضل الوحدات العسكرية البيزنطية من آسيا الصغرى إلى تلك الأقاليم المضطربة لوقف هجمات البشناج على أراضيه في أوربا(٣٧)، لذلك حاول أن يعمل على استرضاء السلاجقة، فأمر بإصلاح مسجد القسطنطينية، والدعاء فيه للسلطان طغرلبك(٣٨)؛ ويقول ابن الأثير في هذا الصدد« وعمّر ملك الروم الجامع الذي بناه مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وعمّر منارته وعلق فيه القناديل وجعل في محرابه قوسا ونشابة وأشاع المهادنة»(٣٩).

وعلى الرغم من الهدنة التي تمت بين السلاجقة والبيزنطيين إلا أن غارات السلاجقة على البلدان الأرمينية التي سيطر عليها البيزنطيون لم تنقطع، ففي عام ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨م(وهو نفس العام الذي عقدت فيه الهدنة بين السلطان الإمبراطور) أغار السلاجقة على إقليم قارس من نواحي تفليس(٤٠)؛ وعندما علم السلطان طغرلبك بوفاة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع في عام ٤٤٦ هـ/ ١٠٥٤م قام بحملة قادها بنفسه على الأراضي الأرمينية ووصل إلى أرزن، وهاجمت قواته الأقاليم الواقعة بين مدينة أرزن وبحيرة وان(٤١)، أي أنه هاجم المناطق التي استولى عليها البيزنطيون من قبل ومنها أرجيش(٤٢) وباركري(٤٣) وغيرها من الأعمال حتى وصلت غاراته إلى مدينة باسين من أعمال أرزن، ثم توجه إلى ملاذ كرد، وشدد عليها الحصار، ولكن تمكنت القوات البيزنطية بقيادة باسيليوس حاكم المدينة من إحراق آلات الحصار التي ضربتها القوات السلجوقية حول المدينة وصدها، مما اضطر السلطان طغرلبك إلى رفع الحصار عنها والعودة في اتجاه أذربيجان، ودمر أثناء عودته كل ما صادفه من قرى ومزارع، بل أنه أبقى في المنطقة بعض قواته لمواصلة الغارات عليها (٤٤).

وفي عام ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧م اضطربت الأوضاع داخل الإمبراطورية البيزنطية أثر الثورة التي أشعلها إسحاق كومنين ضد الإمبراطور ميخائيل السادس، فتغير الموقف العسكري لصالح السلاجقة، إذ نجح الثوار في سحب القوات البيزنطية من المناطق الأرمينية لمساعدة إسحاق كومنين في ثورته فأصبحت المراكز الحدودية شاغرة من أية مقاومة جدّية(٤٥)؛ ولاشك أن سحب القوات البيزنطية من المناطق الحدودية لمساعدة إسحاق كومنين في ثورته ضد الإمبراطور ميخائيل السادس قد أعطى فرصة كبيرة للسلاجقة، إذ ما لبث القائد السلجوقي قتلمش بن أرسلان(٤٦) أن اجتاح بقواته مناطق واسعة في آسيا الصغرى، شملت العديد من المناطق منها قبادوكيا، وملطية(٤٧)؛ كما أغار على الأقاليم الواقعة عند ملتقى فرعي نهر الفرات، ولم يكتف عند هذا، بل توغل في جوف آسيا الصغرى، وفتح قونية(٤٨) وأقسرا(٤٩) وأعمالهما(٥٠).

وتوالت غارات السلاجقة على الأراضي البيزنطية، ففي عام ٤٥١ هـ/ ١٠٥٩ م توغل السلاجقة في عمق الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى وذلك في بداية عهد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين العاشر دوكاس (٤٥١ - ٤٥٩ هـ/ ١٠٥٩- ١٠٦٧ م) حتى وصلوا إلى مدينة سيواس فهاجموها، وأنزلوا بالبيزنطيين هزيمة ساحقة، ثم عادوا محملين بالكثير من

الغنائم (٥١). واستمرت تلك الغارات على أرمينية وآسيا الصغرى التابعة للإمبراطورية البيزنطية حتى وفاة السلطان السلجوقي طغرلبك في يوم الجمعة الثامن من رمضان عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وإن كانت في معظمها حملات استطلاعية للمنطقة إلا أنها قد نجحت في التمهيد لمد النفوذ السلجوقي لآسيا الصغرى(٥٢).

وبعد وفاة السلطان طغرلبك تولى ابن أخيه ألب أرسلان عرش السلطنة (٥٣)، وقد كان السلطان ألب أرسلان سياسيا محنكا بعيد النظر، فقد سار على خطه عمه من أجل نشر الإسلام بين الممالك المسيحية، لذلك رسم خطة لإحكام سيطرة السلاجقة على العالم الإسلامي مع زيادة توسع سلطنتهم في البلاد المعادية للإسلام خاصة الأقاليم المسيحية المجاورة- بلاد الأرمن والروم البيزنطيين بآسيا الصغرى- على أن يتوافق العمل السياسي والعسكري معا وصبغتهما بالطابع الديني، مما أكسب السلاجقة تعاطف العالم الإسلامي معهم، الأمر الذي ساعد على استقرار حكمهم وامتداد نفوذ دولتهم في أرجاء البلاد الإسلامية والتوسع في البلاد المسيحية المجاورة (٥٤).

يتضح مما سبق أن خطة السلطان ألب أرسلان كانت تعمل على توحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العباسية السنية وحكمها بواسطة السلاجقة، ومن أجل ذلك نهج السلطان ألب أرسلان نهجا جديدا في سياسته مع الإمبراطورية البيزنطية مؤداه الاستقرار الدائم للسلاجقة في قلب آسيا الصغرى، أي في قلب الإمبراطورية البيزنطية؛ ولكي يحقق هدفه هذا كان عليه أن يسارع بفتح الأقاليم المسيحية المجاورة في أرمينية وبلاد الكرج(٥٥)؛ لذلك أقدم السلطان ألب أرسلان أولا على خطوة هامة لتأمين ظهره تمثلت في توثيق علاقاته بكل من السلطنتين الغزنوية والخانية عن طريق المصاهرة حتى يتفرغ لغزو البيزنطيين وهو مطمئن؛ ويقول ابن كثير في هذا الصدد: «وكتب كتاب ولده على ابنة الخان الأعظم صاحب ما وراء النهر وزفت إليه، وزوج ابنه الآخر بابنة صاحب غزنة واجتمع شمل المُلكين السلجوقي والمحمودي»(٥٦).

وفي عام ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م بدأ السلطان ألب أرسلان في تنفيذ مخططه من أجل الجهاد ونشر الإسلام، لذلك أعد حملة كبيرة قادها بنفسه ضد الأقاليم النصرانية المجاورة لحدود دولته، فتوجه بجيشه نحو جنوب أذربيجان ومنها اتجه غربا لفتح بلاد الكرج والمناطق المجاورة للإمبراطورية البيزنطية؛ وكان سكان الكرج يكثرون من الإغارة على أذربيجان مما جعلهم مصدر قلق لسكان المنطقة، لذلك عبر الجيش السلجوقي نهر الرس(٥٧) في طريقه إلى بلاد الكرج، وأثناء سيره وجه ألب أرسلان بعض القوات بقيادة ابنه ملكشاه ووزيره نظام الملك لمهاجمة بعض الحصون الأرمينية التابعة للبيزنطيين، فهاجمت القوات السلجوقية حصن سرماري(٥٨) وتمكنت من فتحه مع جملة من القلاع القريبة منه (٥٩)، ومنه إلى مدينة مريم نشين- وكان بها الكثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى- ففتحتها أيضا، ثم انضمت تلك القوات بعد ذلك إلى قوات السلطان ألب أرسلان وساروا جميعا على سبيزشهر ففتحوها،

ومنها إلى مدينة أعال لال الحصينة ففتحوها بعد مقاومة شديدة من أهلها، ثم اتجهوا إلى ناحية قارس، وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما سيل وردة ونورة، فخرج أهلها مذعنين بالإسلام، فخرّبوا البيع، وبنوا المساجد، ثم سارت القوات السلجوقية إلى مدينة آني، وهي مدينة حصينة بين خلاط وكنجة، فتمكن السلطان ألب أرسلان من فتحها، ودخلها ونظم أحوالها وولى عليها واليا من قبله، ثم سار عنها بعد أن ترك فيها حامية إسلامية كبيرة للذود عنها(٦٠).

ولاشك أن ما قام به السلطان ألب أرسلان يمثل بداية الاستقرار السلجوقي في أرمينية وانتشار الإسلام بالممالك المسيحية المجاورة(٦١)، مما سهل الطريق أمام السلاجقة للوصول إلى قلب الإمبراطورية البيزنطية، فهاجم السلطان ألب أرسلان قبادوقيا، وقام بإرسال بعض القوات لمهاجمة عمورية(٦٢) وقونية، وقيليقية(٦٣) وقيصرية(٦٤) في آسيا الصغرى؛ ومضت القوات السلجوقية في زحفها حتى وصلت ملطية وفرجيا في عام٤٦٠هـ / ١٠٦٧م، واكتسحت في طريقها أقاليم آسيا الصغرى اكتساحا جارفا، الأمر الذي أعجز الإمبراطور البيزنطي قسطنطين العاشر دوكاس عن التصدي لذلك المد السلجوقي العارم(٦٥).

ج- معركة ملاذ كرد وبداية الاستقرار الإسلامي في آسيا الصغرى:

شكل الفتح السلجوقي لبلاد الكرج ومعظم الأراضي الأرمينية، وأجزاء من آسيا الصغرى تحديا كبيرا للبيزنطيين، فقد أدرك الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجنيس(٤٦٠-٤٦٣هـ/ ١٠٦٨- ١٠٧١م)- الذي خلف الإمبراطور قسطنطين العاشر دوكاس في عرش الإمبراطورية- أن السلطان ألب أرسلان يصبغ غزوه للبلاد التابعة للإمبراطورية البيزنطية بصبغة الجهاد الديني، مما جعله يغلب الطابع الإسلامي على البلاد المفتوحة، الأمر الذي جعل نشوب حرب بين المسلمين والبيزنطيين أمرا لا مفرّ منه (٦٦)؛ لذلك حاول الإمبراطور البيزنطي أن يوقف زحف السلاجقة صوب بلاده، فقام بالضغط عليهم بتوجيه عدة حملات عسكرية في الفترة من ٤٦١ هـ/ ١٠٦٩م إلى ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، (٦٧) توجهت منها حملتان إلى حلب وأعمالها التابعة آنذاك لحكم المرداسيين(٦٨).

وقد نجح البيزنطيون في الحملة الأولى فى الاستيلاء على أرتاح(٦٩) وبالس وفي الحملة الثانية استولوا على منبج(٧٠)؛ وبعد أن حقق رومانوس بعض أمانيه في أطراف بلاد الشام توهم أنه بهذا قد حد من تحركات السلاجقة، لذا واصل حملته العسكرية الثانية حتى وصل إلى ملاذ كرد، وعاث في أطرافها فسادا إلا أنه انسحب منها عائدا إلى بلاده بسبب قلة المؤن(٧١).

وعلى الرغم من النجاح الجزئي الذي حققه البيزنطيون في شمال الشام إلا أن هذا لم يحد من مواصلة ضغط السلاجقة على الأراضي البيزنطية وتوغلهم في أرجائها، لذلك اضطر رومانوس إلى القيام بحملته الثالثة لوضع حد لذلك التفوق السلجوقي في الأراضي

البيزنطية(٧٢)؛ فعندما عاد رومانوس من حملتيه السابقتين على بلاد الشام وضع نصب عينيه استرداد المناطق التي سيطر عليها السلاجقة في آسيا الصغرى خاصة في قيصرية وقبادوقيا بالإضافة إلى محاولة الاستيلاء على بعض الأراضي الإسلامية لشحنها بالجند واتخاذها مراكز أمامية لمواجهة أي تحرك سلجوقي في المستقبل، فترك جزءا من جيشه بالقرب من ملطية تحت قيادة فيلاريت الأرميني، وأمره أن يعترض طريق السلاجقة، غير أن السلاجقة استطاعوا إنزال الهزيمة بقوات فيلاريت وفتحوا ملطية، وانسابت جموعهم في قلب آسيا الصغرى، ونهبوا قونية(٧٣).

وعندما علم الإمبراطور البيزنطي رومانوس بتلك الهزيمة التي حلت بقواته وما أصاب مدينة قونية إثر اجتياح السلاجقة لها، تقدم بقواته آملا في وقف الزحف السلجوقي، لكن لم يكن بوسعه التصدي لهم، لذلك عاد إلى القسطنطينية في عام ٤٦٣هـ /١٠٧١م لإعداد جيش آخر لمواجهة السلاجقة، فجهز جيشا وجعل على قيادته القائد مانويل كومنين الذي خرج بجيشه في نفس العام إلا أنه لم يكن أحسن حالا مما أصاب جيش الإمبراطور وقواته، إذ أنزل السلاجقة به هزيمة ساحقة قرب سيواس ووقع القائد البيزنطي في الأسر(٧٤).

مما تجدر الإشارة إليه أن السلطان السلجوقي ألب أرسلان سار في تلك الإثناء إلى حلب وتمكن من إخضاعها، حيث أعلن أميرها رشيد الدولة محمود بن نصر المرداسي تبعيته للسلاجقة، فخلع عليه ألب أرسلان وأبقاه على حكم حلب(٧٥)؛ وأثناء ذلك استغل الإمبراطور البيزنطي فرصة وجود السلطان ألب أرسلان في بلاد الشام وانشغاله بمحاولة تقليص الوجود الفاطمي فيها وإخضاعها لسلطانه فأعد حملة في سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١م لاسترداد أرمينية ووقف غارات السلاجقة على آسيا الصغرى(٧٦)، وخرج الإمبراطور على رأس تلك الحملة التي كانت تتكون من جيش كبير كان معظمه من الروم، والإفرنج، والنورمان، والروس، والبجناك، والكرج(٧٧) «وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاءوا في تجمل كثير وزيٍّ عظيم وقصد بلاد الإسلام فوصل إلى ملاذ كرد»(٧٨)؛ و كما يتضح من تركيبة عناصر الجيش البيزنطي يظهر جليا أن معظمه كان من العناصر المأجورة، أي من الجنود المرتزقة، فرغم كثرتهم العددية إلا أنها كانت تفتقر إلى التجانس والنظام(٧٩)، وتتشكك في بعضها البعض، خاصة ما كان يدور بين البيزنطيين والأرمن والترك من شك وريبة(٨٠).

وبعد أن وصل الإمبراطور البيزنطي رومانوس إلى أرمينية، أعد عدته، فقام بشحن حصونها بالجند قبل قدوم السلاجقة إليها، وجهز بعض الفرق لمهاجمة الجيش السلجوقي ومحاولة تطويقه عند دخوله أرمينية من الجنوب، ثم تابع الإمبراطور زحفه ببقية القوات إلى قيصرية بآسيا الصغرى، ولكن بعد أن أتم ذلك قرر الإمبراطور الانسحاب فجأة والعودة إلى القسطنطينية، بل حاول قبل عودته أن يتوصل إلى اتفاق مع السلطان ألب أرسلان(٨١).

وعلى الجانب الأخر لم تكن الأمور على ما يرام بالنسبة للسلاجقة في تلك الآونة، فقد كان السلطان ألب أرسلان في موقف شديد الحرج إذ أن جزءا كبيرا من جيشه قد تقاعس عن

الاستمرار في مواصلة القتال بسبب تأخير أرزاقهم أثناء حصار حلب؛ وبينما كان السلطان في طريق عودته إلى بلاده عن طريق الفرات بعد إخضاعه حلب وصلت إليه رسل الإمبراطور البيزنطي تعرض عليه الصلح على أن يتنازل الإمبراطور للسلطان عن منبج وأرجيش وملاذ كرد، فضلا عن أنه أرسل إليه هدية(٨٢).

ويوضح ابن العبري ذلك العرض، فيشير إلى أن الإمبراطور عرض على السلطان ألب أرسلان أن يتنازل له على منبج، مقابل أن يتنازل السلطان للإمبراطور على أرجيش وملاذ كرد بالإضافة إلى ضريبة مالية سنوية يدفعها السلطان للإمبراطور(٨٣)؛ ويعتبر هذا التوضيح لشروط الصلح التي عرضها ابن العبري أكثر دقة، ذلك لأن منبج في تلك الآونة كانت في أيدي البيزنطيين منذ أن استولى عليها رومانوس في الحملة الثانية التي شنها على بلاد الشام، في حين كانت أرجيش وملاذكرد خاضعتين للسلطان ألب أرسلان؛ ويشير ابن العبري إلى أن السلطان قبل ذلك العرض، بل وتنازل للإمبراطور عن جميع الأراضي الخاضعة للسلاجقة في أرمينية (٨٤).

لاشك أن السلطان ألب أرسلان قد وافق على عرض الصلح بسبب تقاعس بعض القوات كما ذكر من قبل، فضلا عن أنه لم يكن على أهبة الاستعداد لمواجهة الجيش البيزنطي الكبير الذي كان يقوده الإمبراطور بنفسه، خاصة وأن قواته أيضا كانت قد أنهكت في الحملة على حلب.

ومما يلفت الانتباه إليه ذلك العرض الذي عرضه الإمبراطور البيزنطي على السلطان ألب أرسلان رغم كثر قوات الإمبراطور واستعداده المسبق للحملة والذي تذكره بعض المراجع دون التعليق، بل يتعجب بعض المؤرخين المحدثين من موقف الإمبراطور، ويرجعون ذلك إلى أن تسارع الأحداث عطل تنفيذ الاتفاقية المبرمة(٨٥).

والحقيقة الواضحة من الأحداث تشير إلى أن عرض الصلح الذي عرضه الإمبراطور على السلطان ألب أرسلان إنما كان من قبيل المراوغة حتى يضيع الوقت على السلطان السلجوقي، فلا يستطيع أن يعد قواته الإعداد اللازم لمواجهة الحملة الكبيرة التي أعدها الإمبراطور؛ ولم تطل مدة تلك المراوغة من الإمبراطور، فبعد أن تأكد من عدم استعداد السلطان السلجوقي لمواجهته توجه بقواته صوب خلاط و ملاذ كرد محاولا الاستيلاء عليهما(٨٦).

وعندما علم السلطان ألب أرسلان بالهجوم البيزنطي على أرمينية وكثرة حشود الجيش البيزنطي، ولم يكن قد اتخذ بعد الاستعدادات اللازمة للتصدي لهم، كما لم يسعفه الوقت في أن يجمع قواته في الحال نظرا لبعدها وقرب العدو منه، سير الأثقال مع زوجته الخاتون ووزيره نظام الملك إلى تبريز(٨٧)، وسار هو فيمن معه من القوات مجدًا في السير إلى أرمينية لقتال البيزنطيين قائلا لهم «إنني أقاتل محتسبا صابرا فإن سلمت فنعمة من الله وإن كانت الشهادة فإن ابني ملكشاه ولي عهدي» (٨٨). وعندما وصل السلطان ألب أرسلان إلى أرمينية ورأى تفوق القوات البيزنطية حاول تغيير خطته العسكرية فتظاهر بالانسحاب من المنطقة وعبر الفرات مما أغرى الإمبراطور البيزنطي رومانوس إلى مطاردته ظنا منه أنه فرّ

هاربا من القتال؛ ولكن بعبور الفرات تمكن السلطان ألب أرسلان من تعزيز قواته بمن انضم إليه سواء من الأكراد أو من سائر الناس في المنطقة، وأعاد تنظيم صفوفه، وتأهب لملاقاة الإمبراطور، مما يدل على أنه عمل على بث روح الجهاد والحماس الديني ضد البيزنطيين(٨٩).

أما الإمبراطور البيزنطي فعندما وصل إلى أرزن قسم قواته إلى قسمين: ضم القسم الأول عشرة آلاف مقاتل من الروس ووجهته مدينة خلاط، والقسم الثاني ووجهته ملاذكرد؛ وبدأت القوات البيزنطية في التحرك، كل في الاتجاه المحدد له، فتقدمت قوات القسم الأول إلى خلاط والتقت بمقدمة جيش السلطان ألب أرسلان فتمكنت القوات الإسلامية من إنزال الهزيمة بها عند خلاط، وأسر مقدم الروس (٩٠).

وعلى الجانب الآخر توجه الإمبراطور على رأس القسم الثاني من القوات البيزنطية إلى الجنوب الغربي من خلاط، وعندما وصلها وجد نفسه في مواجهة جيش السلطان السلجوقي ألب أرسلان الذي كان معسكرا في جنوب ملاذكرد، والتقت القوتان في يوم الأربعاء ١٥ من ذي القعدة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١م (٩١) في مكان يعرف بالزهرة (٩٢).

والحقيقة أن السلطان ألب أرسلان على الرغم من انتصاره على القسم الأول من الجيش البيزنطي إلا أنه خشي من كثرته، لذلك آثر السلامة والهدنة مع البيزنطيين، فأرسل مبعوثا من قبله إلى الإمبراطور البيزنطي يعرض عليه الهدنة إلا أن الإمبراطور رفض العرض وقال «لا هدنة إلا بالري» (٩٣)، فانزعج السلطان ألب أرسلان لهذا الرد العنيف، وأدرك حقيقة الموقف البيزنطي الذي يهدف إلى القضاء على الدولة السلجوقية أولا ومن ثمّ القضاء على دولة الخلافة الإسلامية؛ ولعل هذا هو الذي ثبت قلبه على الاستماتة في قتال البيزنطيين والدفاع عن دين الله، وقد قال له إمامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الله البخاري الحنفي« إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح»(٩٤).

لقد كان لكلام الفقيه أبو نصر البخاري أثره البالغ على السلطان وقواته، كما كان للدعاء الذي دعاه السلطان في صلاة الجمعة التي سبقت التحام القوات مباشرة دوره في بث روح الحماس الديني والجهاد لدى الجميع؛ والتقت القوات الإسلامية مع القوات البيزنطية بعد صلاة الجمعة مباشرة، فحملت القوات الإسلامية على القوات البيزنطية حملة شديدة، ودارت معركة حاسمة بين القوتين، كانت الدائرة فيها على البيزنطيين، فانهزموا هزيمة مروعة قتل وأسر منهم الكثير، ووقع الإمبراطور البيزنطي نفسه في الأسر بعد أن جرح في ساحة القتال(٩٥)، وغنم المسلمون غنائم كثيرة لا تحصى؛ ويشير الفارقي إلى مدى ما حصل عليه أهل خلاط من الغنائم، وما أصبحوا فيه من ثراء بعد تلك الوقعة فيقول« وغنم أهل خلاط ومنازجرد من أموالهم ما استغنوا به إلى الآن فإنهم خرجوا وأقاموا مع الجيش وقاتلوا ونهبوا أكثر النهب ومن تلك السنة استغنى أهل خلاط وحصلوا أرباب مال» (٩٦).

أما الإمبراطور البيزنطي الذي وقع في الأسر فقد أكرمه السلطان ألب أرسلان ووافق على إطلاق سراحه مقابل فديه كبيرة، وعقدت اتفاقية بين الطرفين نصت على أن يدفع الإمبراطور جزية سنوية للسلاجقة، وأن يطلق سراح من وقع في الأسر من الأتراك في أيدي البيزنطيين(٩٧)؛ كما تعهد الإمبراطور بإمداد السلاجقة بالمعونة العسكرية متى طلبوها، واتفقوا على تقسيمات إقليمية جديدة، بحيث تظل آني والفاسبوراكان وملاذ كرد في أيدي السلاجقة، ويبقى إقليم الأطراف خاصة أرزن في أيدي البيزنطيين(٩٨).

وبعد عقد الاتفاق بين السلطان ألب أرسلان والإمبراطور البيزنطي عاد الإمبراطور إلى القسطنطينية، ولكن لم تكن الأمور تسير لصالحه، ففي أثناء فترة أسره تولت زوجته الإمبراطورة«أودي كسيا» العرش مع ابنها «ميخائيل دو كاس»، إلا أنها أجبرت على دخول الدير في ٤٧٠ هـ /٢٤ أكتوبر ١٠٧٧م، وأعلن ميخائيل السابع إمبراطورا؛ ولما عاد رومانوس فوجئ بعزله وعومل كعدو للإمبراطورية، فقبض عليه وسملت عيناه (٩٩)؛ إلا أن ميخائيل السابع دوكاس لم يستطع إلا أن يقر تلك المعاهدة التي وقعها رومانوس مع السلطان ألب أرسلان(١٠٠).

- نتائج معركة ملاذكرد:

لقد كانت معركة ملاذكرد(٤٦٣ هـ/ ١٠٧١م) نقطة تحول فاصلة في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ منطقة آسيا الصغرى بصفة خاصة؛ فعلى الصعيد الإسلامي واصل السلاجقة بهذه المعركة كفاح العرب المسلمين ضد الروم البيزنطيين، واستطاعوا بهذا النصر أن يمهدوا للقضاء على الإمبراطورية البيزنطية، العدو الذي ظل يصارعهم منذ بدء حركة الفتوحات الإسلامية الكبرى في القرون الأولى للهجرة؛ وقد كان الروم البيزنطيون يحرصون على وضع أيديهم على بلاد الأرمن وما جاورها ويعتبرونها القنطرة بين الشرق والغرب مما جعل تلك البلاد ميدان الصراع بين الفرس والروم قبل الإسلام، وبين المسلمين والروم فيما بعد، لذا حاول المسلمون وضع أيديهم عليها وبسط نفوذهم فيها بكل السبل، لكن ظل النفوذ البيزنطي فيها قويا وطاغيا حتى كانت موقعة ملاذكرد، ودارت الدائرة على البيزنطيين الذين أخذ نفوذهم يتقلص بعدها شيئا فشيئا حتى زال تماما؛ ولاشك أن تقلص الوجود البيزنطي عن أرمينية وآسيا الصغرى أدى إلى انتشار الإسلام والحضارة الإسلامية بنظمها وجميع مظاهرها (١٠١).

أما عن آسيا الصغرى فإن موقعة ملاذكرد يسرت القضاء على الوجود البيزنطي في أكثر أجزائها مما ساعد على القضاء على الدولة البيزنطية نفسها بعد ذلك على يد الأتراك العثمانيين، وأدى إلى انتشار الإسلام في كل منطقة غرب آسيا، بل وقفز منها مع التقدم العثماني إلى شرق أوربا (١٠٢).

وفي الحقيقة تعد معركة ملاذكرد أكبر كارثة حلت بالإمبراطورية البيزنطية، إذ أن هذه المعركة قررت مصير آسيا الصغرى بعد أن نجح الأتراك السلاجقة في فتحها والتوغل فيها،

ولم تستطع بيزنطة الوقوف في وجه ذلك التوسع السلجوقي العارم الذي استقر في الولايات الشرقية من آسيا الصغرى بالإضافة إلى أرمينيا وقبادوقيا، مما يعد دليلا على قرب موت الإمبراطورية البيزنطية أو بداية نهايتها(١٠٣).

وبعد انتصار السلاجقة على البيزنطيين في معركة ملاذكرد عملوا على محو آثار المعالم البيزنطية من الطرق الرئيسة في المناطق التي فتحوها في أرمينية وقبادوقيا بالإضافة إلى إزالة معالم الإدارة المدنية البيزنطية في المدن خاصة بعد أن تخلى معظم السكان عن البيزنطيين واستسلموا للحكام الجدد من السلاجقة خوفا من المجاعة، ومع ذلك فإن السلاجقة تركوا المدن تحكم نفسها بنفسها ولم يتدخلوا في شؤونها الداخلية إلا أن طبيعة الحياة فيها قد تغيرت عندما أخذت تصبغ بالصبغة الإسلامية، إذ أن انحسار النفوذ البيزنطي عن المنطقة شجع السكان على الدخول في الإسلام، وإن كان دخولهم في الإسلام قد اتسم في بداية الأمر بالطابع الظاهري، حيث ظل أغلبهم يشربون الخمر، كما كان يساق معظمهم إلى الصلاة سوقا، بل أن معظمهم كانوا يتعاونون مع النصارى ضد المسلمين أثناء حصار أو حرب كلما سنحت لهم الفرصة (١٠٤).

ويعد من أكبر نتائج معركة ملاذكرد، بل ومن أهم النتائج العملية الواقعية التي رسخت الوجود الإسلامي في آسيا الصغرى، هو قيام دولة إسلامية قوية في قلب الإمبراطورية البيزنطية والتي عرفت بسلطنة سلاجقة الروم، حيث كان لها الدور الفعّال في انتشار واستقرار الإسلام في آسيا الصغرى؛ يضاف إلى تلك النتائج ظهور بعض الإمارات الإسلامية التركية الصغيرة في منطقة آسيا الصغرى مما زاد من توطيد الوجود الإسلامي فيها؛ فبعد معركة ملاذكرد استقر بعض أمراء الأتراك مثل دانشمند(١٠٥) وزاخاس(١٠٦) ومنكوكجك(١٠٧) في المنطقة، ونجحوا في تأسيس إمارات لهم في الشمال الشرقي لآسيا الصغرى، خاصة حول قيصرية وسيواس وملطية وأماسية، بالإضافة إلى انتشار القبائل التركمانية في المنطقة حيث عملت على مهاجمة المناطق المجاورة وقامت بتدمير طرق المواصلات المؤدية إليهم، مما أرغم حكام الأقاليم البيزنطيين على أن يبقوا معزولين، كما هيأت تلك القبائل للزعماء الأتراك أن يحققوا رغباتهم في تأسيس إمارات مستقلة، وأضحوا بعد ذلك عنصرا أساسيا ومانعا ديموغرافيا وقف عقبة أمام كل محاولة بيزنطية لاستعادة تلك البلاد(١٠٨).

تأسيس سلطنة سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى

يعتبر ظهور سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى أحد النتائج الأساسية المباشرة لمعركة ملاذكرد؛ فبعد انتهاء المعركة إنساح السلاجقة في جوف آسيا الصغرى، واستقروا في ربوعها، شجعهم على ذلك تفجر النزاعات والحروب الداخلية التي نشبت بين البيزنطيين مما مكنّ المسلمين السلاجقة من تأسيس دولة إسلامية قوية في قلب الإمبراطورية البيزنطية، في عام ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، عرفت بسلطنة سلاجقة الروم(١٠٩).

ويرجع تأسيس سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى إلى سليمان بن قتلمش الذي كان قائدا لإحدى الجماعات السلجوقيه التي كانت تفتح في الأراضي البيزنطية بنشاط كبير خاصة بعد وفاة السلطان السلجوقي ألب أرسلان(١١٠)، فقد قام سليمان بن قتلمش بإدارة شئون المنطقة الشمالية الغربية التي فتحت في آسيا الصغرى(١١١)، وقد نجح في إدارتها، بل نجح أيضا في التوسع عبر آسيا الصغرى وضم مساحات شاسعة من الأراضي البيزنطية إلى السلاجقة، وساعده على ذلك عدة عوامل منها:

١- التغيير الديمغرافي الناتج عن الفتح السلجوقي لآسيا الصغرى، إذ أصبحت المناطق الشمالية والشرقية شبه خالية بعد هجرة سكانها الأصليين من البيزنطيين والأرمن الذين اضطروا إلى الفرار وترك قراهم ومزارعهم إلى مناطق أكثر أمنا تحت وطأة تزايد وانسياح القبائل التركية التي ساندت سليمان في فتوحه والتي كانت تطوف أرجاء آسيا الصغرى بحثا عن الماء والكلأ، فأقاموا في تلك القرى الخالية واستقروا فيها وغيروا معالمها (١١٢).

٢- اضطراب الأوضاع داخل الإمبراطورية البيزنطية بعد هزيمة ملاذكرد، إذ استفاد السلاجقة من تلك الأوضاع مما يسر لهم التدخل في الشئون الداخلية لأطراف النزاع حتى تمكنوا بالفعل من التوغل داخل أراضي الإمبراطورية حتى وصلوا إلى المقاطعات الغربية في آسيا الصغرى(١١٣).

ففي عام ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م أرسل الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع إلى سليمان بن قتلمش للاستعانة به ضد ثورة نقفور برينيوس مَىّ، دوق دراخيوم، الذي ثار ضده واتجه إلى أسوار القسطنطينية، فتمكن القائد الكسيوس كومنين بمساعدة سليمان بن قتلمش من القضاء عليه؛ ولعل دخول السلاجقة هكذا في الجيش البيزنطي قد مهد إلى استقرارهم الدائم في الأراضي البيزنطية بآسيا الصغرى وقويت شوكتهم(١١٤). وعندما استعان الإمبراطور ميخائيل السابع بسليمان بن قتلمش للتصدي لثورة نقفور بوتانياتس حاكم ثغر عمورية تحول عنه سليمان ودخل بقواته في خدمة الثائر نقفور بوتانياتس الذي نجح في ثورته، وأعلن نفسه إمبراطوراً في عام ٤٧١هـ/ يناير ١٠٧٨م باسم نقفور الثالث، فدخل سليمان بن قتلمش إلى نيقية(١١٥)، وساعده الإمبراطور نقفور الثالث بوتانياتس في الاستيلاء عليها وعلى نيقوميديا وكزيكوس وخلقدونيا وكريسوبوليس التي تقع جميعها في غرب الأناضول(١١٦).

ولا شك أن هذا يدل على مدى حنكة سليمان بن قتلمش وقدرته السياسية لاستغلال تلك الأوضاع المتأججة داخل الإمبراطورية البيزنطية الأمر الذي مكنه من التوسع في غرب الإمبراطورية البيزنطية وامتداد الفتح السلجوقي إلى غرب الأناضول.

وعندما استقرت الأمور للإمبراطور نقفور الثالث بوتانياتس حاول إجلاء السلاجقة عن الأراضي التي دخلوها في غرب الأناضول، دون جدوى، إذ أعلن السلاجقة الثورة والعصيان ضده، بل أعلن سليمان بن قتلمش نفسه سلطانا على تلك البلاد واتخذ من نيقية عاصمة له، ولم يأت عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م إلا وكان السلطان سليمان بن قتلمش مستقراً ومسيطراً على كل

أراضى آسيا الصغرى(١١٧) من قيليقية إلى الدردنيل(١١٨).

ولاشك أن اتخاذ سليمان بن قتلمش من نيقية- تلك المدينة التي كانت تعد من أجلّ وأعظم المدن في العالم النصراني ولا تبعد أكثر من مائة ميل عن القسطنطينية- أول عاصمة لسلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى(١١٩) يدل على مدى تغلغل المسلمين الأتراك في قلب الإمبراطورية البيزنطية وبالتالي انتشار الإسلام على نطاق واسع.

هكذا استطاع سليمان بن قتلمش السلجوقي أن يؤسس دولة إسلامية في قلب آسيا الصغرى، وهي المنطقة التي لم يستطع الفاتحون الأوائل من العرب المسلمين فتحها مثلما فتحوا بلاد العراق وفارس وبلاد الشام ومصر على الرغم من الجهود العظيمة التي بذلت من أجل ذلك.

- توطيد النفوذ السلجوقي فى آسيا الصغرى:

لقد أدى قيام سلطنة سلاجقة الروم في قلب آسيا الصغرى، وعلى حساب ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية، إلى تدفق العنصر التركي إلى المنطقة بشكل كبير، مما أدى في نفس الوقت إلى هجرة الكثير من السكان الأصليين من البيزنطيين والأرمن وغيرهم من العناصر المسيحية من تلك البلاد والرحيل عنها إلى مناطق أخرى أكثر أمنا. الأمر الذي واكبه صبغ تلك البلاد بتعاليم العقيدة الإسلامية السمحة وما تحمله الحضارة الإسلامية من نظم وآداب حلت محل الحضارة اليونانية والديانة المسيحية؛ أي أن قيام سلطنة سلاجقة الروم الإسلامية في آسيا الصغرى أدى إلى تفتيت الأسس والقواعد التي كان يسير عليها المجتمع البيزنطي ليحل مكانها الأسس والقواعد التي يقوم عليها الدين الإسلامي بتعاليمه السمحة. ويؤكد ذلك المؤرخون الغربيون أنفسهم. فيرجع روبنسن فريونز زقىً ئ. سبب اضمحلال الحضارة البيزنطية في آسيا الصغرى إلى تنامي ظاهرتين جليتين واضحتين هما انتشار الإسلام وتدفق وازدياد القبائل التركية فيها(١٢٠).

ولم يتوقف دور سلطنة سلاجقة عند إرساء الأسس الإسلامية السمحة وتزايد العنصر التركي في آسيا الصغرى فحسب، بل تعدى ذلك بكثير، إذ كان لوجود تلك السلطنة أثره البالغ والمباشر في الحد من الهجمات البيزنطية والصليبية على البلاد الإسلامية؛ فقد قام سلاجقة الروم بدور بارز من أجل الجهاد والدفاع عن الوجود الإسلامي ضد الصليبيين زمن الحملتين الأولى والثانية، وإن كانوا أخفقوا في التصدي لصليبي الحملة الأولى(٤٩٠ هـ/١٠٩٧م) الذين تحالفوا مع البيزنطيين وفاجأوا السلطان السلجوقي قلج أرسلان الأول(٤٨٥-٥٠٠هـ/١٠٩٢-١١٠٧م) مستغلين خروجه من أجل تثبيت وجوده وفرض سيطرته على التركمان في آسيا الصغرى وانشغاله في محاربة بني الدانشمند الذين كانوا يسعون للاستقلال؛ فقد نجح الصليبيون في حصار نيقية عاصمة السلاجقة، بينما تمكن البيزنطيون أثناء الحصار الاستيلاء عليها دون علم الصليبيون بعد عقد معاهدة مع الحامية الإسلامية المدافعة عنها

مستغليين اشتداد الحصار عليهم وخروج معظم الجيش مع السلطان قلج أرسلان مما اضطر الحامية إلى تسليم المدينة للبيزنطيين في ١٦ رجب عام ٤٩٠ هـ / ١٩ يونيو عام ١٠٩٧ م مقابل تأمينهم(١٢١).

وعلى الرغم من نجاح صليبي الحملة الأولى في الوصول إلى أهدافهم ورغم ضياع نيقية عاصمة السلاجقة إلا أن السلطان السلجوقي قلج أرسلان تمكن من أن يستعيد قوته ويبسط نفوذه في المنطقة مرة أخرى متخذا من قونية عاصمة لسلطنته، لذلك تمكن من التصدي للجموع الصليبية التي بدأت تتدفق إلى الشرق في عام ٤٩٤ هـ /١١٠١م آملة أن تحقق مثلما حقق أسلافهم صليبو الحملة الأولى، لكن أنزل بهم السلطان السلجوقي قلج أرسلان عدة هزائم متلاحقة في معارك مرسيفان، وهرقلة الأولى، وهرقلة الثانية، حتى أبيد معظمهم (١٢٢)؛ وبهذا النصر المؤزر أصبح السلاجقة يسيطرون على الطريق البري الذي يجتاز آسيا الصغرى إلى بلاد الشام سيطرة كاملة مما جعله غير آمن أمام الصليبيين والبيزنطيين على حد سواء، لذا لجأ الصليبيون إلى سلوك الطريق البحري الأكثر كلفة إلى بلاد الشام، وبهذا ظل الطريق البري عبر آسيا الصغرى مغلقا في وجه الصليبيين عدة أعوام بسبب بسط النفوذ السلجوقي عليه(١٢٣).

وفي زمن الحملة الصليبية الثانية(٥٤٢هـ/١١٤٧م) قام سلاجقة الروم بقيادة السلطان ركن الدين مسعود بن قلج أرسلان (٥١٠- ٥٥٠هـ /١١١٦- ١١٥٥م) بدور بارز في الجهاد ضد الصليبيين والتصدي لتلك الحملة التي قادها كل من كونراد هوهنشتاوفن إمبراطور ألمانيا ولويس السابع ملك فرنسا؛ فقد تمكن السلاجقة من إنزال هزيمة ساحقة بالقوات الصليبية وأثبتوا بذلك مقدرتهم على قيادة العالم الإسلامي في مواجهة الخطر الصليبي وحمل راية الإسلام والجهاد ضد الصليبيين(١٢٤)، لذا أرسل الخليفة العباسي المقتفي بأمر الله (٥٣٠ -٥٥٥ هـ/ ١١٣٥-١١٦٠م) الهدايا والتشاريف إلى السلطان ركن الدين مسعود(١٢٥)؛ ولاشك أن ذلك كان تقديرا وإجلالا من الخليفة للدور الذي قام به سلطان سلاجقة الروم في محاربة أعداء الدين، والمحافظة على هيبة العالم الإسلامي والذود عن الدين الحنيف إبان تلك الفترة.

انتشار الإسلام فى آسيا الصغرى

لقد ظل الحماس الديني الذي أبداه السلاجقة عند اعتناقهم للإسلام على قوته واندفاعه خلال القرون الأولى التي أعقبت اعتناقهم للدين الإسلامي مما دعى الأجيال التي أعقبتهم تعتبر أن من واجبها الديني حماية الخليفة الشرعي والدفاع عن العقيدة الإسلامية(١٢٦) ونشرها في البلدان المفتوحة، ولا أدل على مدى انتشار الإسلام في آسيا الصغرى على أيدي السلاجقة من رواية الرحالة ابن بطوطة التي قال فيها زوجميع أهل هذه البلاد على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه مقيمين على السنة لا قدري فيهم ولا رافض ولا معتزلي ولا خارجي ولا مبتدع وتلك فضيلة خصهم الله تعالى بها»(١٢٧).

ولقد صاحب قيام سلطنة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى التزام سلاطين السلاجقة بالجهاد ونشر الإسلام في ربوع المناطق التي تم فتحها، إذ كان لدى هؤلاء السلاطين قناعة تامة أن الدين الإسلامي لن ينتشر في تلك المنطقة إلا بضرورة تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية السمحة مع المواطنين أصحاب الديانات الأخرى؛ لذلك اتسمت سياستهم مع المسيحيين منذ بداية تواجدهم بآسيا الصغرى بالتسامح والعدل والحرية الدينية التي كفلت للكثيرين الاحتفاظ بدينهم، فلم يكن هناك تعصب ديني لدى السلاجقة، مما جذب الكثيرين من مسيحي آسيا الصغرى إلى الدخول في الإسلام طواعية (١٢٨)؛ ويدل على ذلك التسامح الديني الموقف الذي اتبعه السلطان السلجوقي ألب أرسلان مع الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينيس عندما وقع في الأسر، حيث عامله معاملة حسنة وأكرمه، ثم أطلق سراحه (١٢٩).

ومما تجدر الإشارة إليه أن السماحة الدينية كانت تعد أحد سمات سلاطين سلاجقة الروم، حيث تذكر المصادر أن السلطان سليمان بن قتلمش عندما توجه إلى أنطاكية وفتحها في عام ٤٧٧هـ / ١٠٨٤ م نادى السلطان بالأمان، وحرم على جنوده استخدام القوة أو دخول أي بيت أو مضايقة السكان(١٣٠)، مما طمأن سكان أنطاكية وجعلهم يشعرون بالأمان في ظل السيطرة السلجوقية (١٣١).

كذلك راعى سلاطين سلاجقة الروم الإبقاء على الكنائس التي كان يمارس فيها المسيحيون طقوسهم الدينية، ولم يحدث أن تحول مسجد إلى كنيسة إلا في إطار ضيق، حيث لم تشر المصادر المعاصرة إلا إلى بعض الحالات النادرة التي تم فيها ذلك، وكانت إحداها في بداية تأسيس السلطنة عندما أمر السلطان سليمان بن قتلمش بتحويل كنيسة القديس بطرس بأنطاكية إلى مسجد(١٣٢)، صلى فيه المسلمون يوم الجمعة ١٥ شعبان عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م« وأذن فيه ذلك اليوم مائة وعشر من المؤذنين وخلق كثير من أهل الشام» (١٣٣)؛ وأخرى كانت في سينوب (صنوب) في عام ٦١١ هـ /١٢١٤م عندما فتحها السلطان عز الدين كيكاوس(٦٠٨- ٦١٦هـ/ ١٢١١- ١٢١٩م) حيث حول كنيسة المدينة إلى مسجد وعين عليها قاضيا وخطيبا ومؤذنا(١٣٤)؛ وربما فعل السلطان عز الدين كيكاوس ذلك لأن حاكم مدينة سينوب البيزنطي بدأ بالإغارة على المناطق الحدودية لسلطنة سلاجقة الروم، مما دفع السلطان عز الدين إلى التوجه إلى سينوب ومحاصرتها حتى تم له فتحها وفرض جزية على أهلها بلغت عشرة آلاف دينار وخمسمائة رأس خيل وألفا رأس بقر وعشرة ألاف رأس غنم وخمسون حملا من أنواع التحف(١٣٥).

ولا شك أن السماحة الدينية التي اتبعها السلاجقة في آسيا الصغرى جعلت المسيحيين يرحبون بالحكم الإسلامي، فأشار متى الرهاوي إلى أن المسيحيين في آسيا الصغرى كانوا يكنون الحب والاحترام للسلطان قلج أرسلان الثاني(٥٥٠- ٥٨٨هـ/ ١١٥٥- ١١٩٢م)، لذلك حزنوا حزنا شديدا لوفاته لشعورهم أنهم فقدوا حاميهم (١٣٦).

ومما لاشك فيه أيضا أن حسن سياسة سلاطين السلاجقة تجاه أصحاب الديانات الأخرى كان لها دور كبير في دخول أعداد كبيرة من سكان المنطقة في الإسلام؛ ففي الوقت الذي زاد فيه

عدد السكان المسلمين كان يقابله نقص كبير في عدد السكان المسيحيين مما يؤكد انتشار الإسلام على نطاق واسع بين نصارى آسيا الصغرى؛ وبرز بعض رجالات الدولة السلجوقية ممن كانوا حديثي عهد بالإسلام، الذين كانوا ينتمون إلى الأرستقراطية البيزنطية العليا، بل وجد عدد كبير من الصناع والعلماء وحتى كبار الصوفية ممن كانوا يدينون بالديانة المسيحية ثم تحولوا أو تحول آباؤهم من قبل إلى الإسلام في ظل دولة سلاجقة الروم الإسلامية؛ يضاف إلى ذلك عوامل أخرى منها حسن معاملة المسلمين للمسيحيين والمخالطة الطويلة بينهما، فضلا عن ترأس المسلمين لمعظم المناصب العليا في الدولة وجهود العلماء ورجال الدين المسلمين ممن كانوا سببا في دخول الكثير من المسيحيين في الإسلام(١٣٧).

ومن الأمثلة على الزيادة المطردة في انتشار الإسلام بين المسيحيين ما حدث في إمارة قيليقية من اعتناق كثير من الأرمن الإسلام، بل وترحيب بعض الأسر بالحكم الإسلامي مثل أسرة بجوساج التي اعتنق كل أفرادها الإسلام منذ عام٤٦٥ هـ /١٠٧٢ م(١٣٨)؛ كما اعتنق بعض أفراد عائلة جابراس الإسلام(١٣٩)، وبرز منهم الحاجب اختيار الدين حسن بن جابراس، وهو يوناني الجنسية، اعتنق الإسلام وأصبح أحد أكابر أمراء السلطان قلج أرسلان الثاني، ومن أقرب المقربين إليه، فولاه السلطان النيابة في مملكته، وهو رجل تقي، وله صدقات كثيرة دارة كان ينفقها في أوجه الخير(١٤٠)، إلا أنه قد قتل على يد أحد التركمان أثناء الفتنة التي حدثت بين السلطان قلج أرسلان وأحد أبنائه(١٤١).

- مظاهر انتشار الإسلام في آسيا الصغرى:

تعددت مظاهر انتشار الإسلام في آسيا الصغرى حيث حرص سلاطين السلاجقة على طبع البلاد بالطابع الإسلامي ونشر الثقافة الإسلامية، لذلك اهتموا اهتماما كبيرا بإنشاء المساجد والجوامع والمدارس والزوايا والربط وغيرها من المؤسسات الدينية التي تدعم انتشار الإسلام في المنطقة خاصة وأنها عاشت قرونا طويلة في ظل الحضارة اليونانية والديانة المسيحية؛ وفيما يلي نماذج لأهم المظاهر التي صاحبت انتشار الإسلام في آسيا الصغرى، شملت:

أ- المساجد والجوامع:

بذل سلاطين السلاجقة جهودا كبيرة في بناء العديد من المساجد والجوامع في شتى ربوع البلاد المفتوحة في آسيا الصغرى، وربما كان ذلك ترجمة عملية لما ورد على لسان السلطان السلجوقي طغرلبك حيث قال: إذا شيدت منزلا ولم أشيد بالقرب منه مسجدا فإنني استحي من الله، لذلك حرص السلاطين بعده على إنشاء المساجد بأحجام كبيرة وعلى مساحات واسعة في مقابل إنشاء قصورهم بأحجام متواضعة(١٤٢)، وربما يعزي ذلك إلى حرصهم على إظهار المساجد بهذا الحجم لتجسيد مظهر صبغ البلاد بالطابع الإسلامي الذي يظهر في عظمة واتساع المساجد.

ولقد أدرك السلاجقة منذ بداية تواجدهم أن منطقة آسيا الصغرى في حاجة كبيرة إلى إنشاء العديد من المساجد خاصة وأنها كانت ذات طابع مسيحي بيزنطي(١٤٣)، ولاشك أن هذا هو ما دعا السلطان السلجوقي ألب أرسلان إلى تشييد المساجد في المناطق التي فتحها في طريقه لآسيا الصغرى في بلاد الكرج والأرمن في عام ٤٠٦ هـ / ١٠٦٤م، أي قبل لقائه مع البيزنطيين في ملاذكرد؛ ويشير الحسيني إلى ذلك في أكثر من موضع فيقول في فتح تفليس- قاعدة بلاد الكرج« ففتح السلطان البلد وبنى فيها الجامع»(١٤٤)، كما يقول أيضا عن بلدة أخرى، يقال أنها بلدة نمرود بن كنعان، خرّبها السلطان أثناء المواجهة مع الكرج «وبنى بجوارها بلدة وجامع»(١٤٥)؛ ولاشك أن هذه الروايات تؤكد أن السلاجقة قد ساروا على نفس النهج الذي سار عليه الفاتحون المسلمون الأوائل من العرب في أن يكون المسجد أول بناء في المناطق التي تطؤها أقدامهم وتفتح على أيديهم.

وعندما قامت سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى اهتم سلاطين السلاجقة بتشييد المساجد في البلدان المفتوحة، فعندما فتح السلطان كيخسرو الأول بن قلج أرسلان- في فترة سلطنته الثانية(٦٠١-٦٠٨ هـ/ ١٢٠٤-١٢١٢م)- مدينة أنطاليا في عام ٦٠٣ هـ/ ١٢٠٦م بنى فيها مسجدا وعين فيه خطيبا وإماما ومؤذنا(١٤٦)، ثم انتشرت بعد ذلك المساجد الجامعة في أنحاء آسيا الصغرى عقب تلك الفتوحات، بحيث أصبح في كل مدينة مسجد جامع أو أكثر، هذا بالإضافة إلى انتشار المساجد الخشبية الصغيرة في كثير من الأحياء داخل المدن والقرى(١٤٧)؛ ويؤكد الرحالة ابن بطوطة الذي زار المنطقة على انتشار المساجد الجامعة بالمدن فيشير إلى وجود مسجد جامع في مدينة أنطاليا، وأن من عادتهم أن يقرأ جماعة من الصبيان بالأصوات الحسان بعد العصر في كل يوم في المسجد الجامع وفي المدرسة سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم»(١٤٨)، ووجود مسجد جامع في مدينة أكريدور(١٤٩)؛ أما في مدينة لاذق فيذكر ابن بطوطة أن « فيها سبعة من المساجد لإقامة الجمعة»(١٥٠)، كما يشير إلى العديد من المساجد الجامعة في قونية وأقصرا وسيواس وغيرها من المدن(١٥١)؛ وفي سينوب (صنوب) يقول في وصف مسجدها الجامع أن« المسجد بمدينة صنوب من أحسن المساجد، وفي وسطه بركة ماء عليها قبة تقلها أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام، وفوقها مجلس يصعد له على درج خشب» (١٥٢).

ب- المدارس:

تعتبر المدارس من المؤسسات التعليمية والتوعية الكبرى التي كان لها دور كبير في الدعوة إلى الإسلام بآسيا الصغرى مما سهل عملية انتشاره وبث الحضارة الإسلامية في أرجائها؛ ولقد زخرت آسيا الصغرى بالعديد من المدارس التي انتشرت في جميع مدنها، وإن كان معظمها يقوم على تدريس علوم الدين من تفسير وحديث وعلوم القرآن خاصة إقراء القرآن الكريم الذي انتشر في المساجد والمدارس بآسيا الصغرى، إلا أنها قد شملت أيضا تدريس العلوم العقلية من فلك وطب وغيرها(١٥٣).

ويشير ابن بطوطة في رحلته إلى آسيا الصغرى إلى انتشار العديد من المدارس في المدن المختلفة، وأن معظم تلك المدارس كان يتلى فيها القرآن يوميا بعد صلاة العصر(١٥٤)، وكأنه تحدد ذلك الموعد يوميا لإقراء القرآن الكريم وتحفيظه، ولاشك أن دراسة علوم الدين في المدارس السلجوقية كانت من أبرز سماتها مما ساعد على سرعة انتشار الإسلام في آسيا الصغرى.

ومن المدارس التي كان لها دور كبير في بث الحضارة الإسلامية في آسيا الصغرى مدرسة الأمير اختيار الدين حسن بن جابراس(١٥٥)؛ كما أنشئت في قيصرية عدة مدارس منها المدرسة الغياثية التي أنشأها السلطان غياث الدين كيخسرو عام ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م وتعرف لدى العامة بـ جيفته مدرسة(١٥٦)، ومدرسة خوند خاتون التي أنشأتها خوند خاتون في عامي ٦٣٥، ٦٣٦ هـ/١٢٣٧، ١٢٣٨م، والمدارس الصاحبية ومدرسة حاجي قلج ومدرسة سراج الدين(١٥٧)، بالإضافة إلى مدرسة أرطوقوش في أتابي، ومدرسة إينجي منارة التي أنشأها الوزير الصاحب عطا في قونية، ومدرسة في سيواس تعرف بـ كوك مدرسة، أنشأها عبد الله كه لوك عام ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١م، ومدرسة الغازي خليفت في آماسيا، وغيرها الكثير من المدارس التي انتشرت في آسيا الصغرى(١٥٨) التي اشتغلت بتدريس العلوم النقلية والعقلية وكانت تعد من أبرز مظاهر انتشار الإسلام في تلك البلاد.

ويعتبر الوقف أحد الدعامات الأساسية في إنشاء المدارس وغيرها من المؤسسات التعليمية في الدولة الإسلامية(١٥٩)، ففي سلطنة سلاجقة الروم أوقف السلاطين والأمراء الكثير من الأوقاف للإنفاق منها على المؤسسات التعليمية لضمان استمرارها في القيام بواجباتها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في آسيا الصغرى؛ يؤكد ذلك ما ورد في وثيقة الوقف التي حررها الأمير السلجوقي آلتون آبا في قونية، والتي خصص جزءا من دخلها لتعليم القرآن الكريم لمن هم حديثي عهد بالإسلام سواء من المسيحيين أو اليهود أو المجوس ممن يعيشون في آسيا الصغرى أو ممن يعيشون خارجها(١٦٠).

ج- العلماء:

لقد صاحب العلماء سلاطين السلاجقة منذ بداية الفتح الإسلامي لآسيا الصغرى وكان لوجودهم دور كبير في بث روح الحماس الديني لدى الفاتحين، ولا أدل على ذلك من الدور الذي قام به العالم الجليل والإمام الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الله البخاري الحنفي الذي كان بصحبة السلطان ألب أرسلان في حملته على الروم البيزنطيين في موقعة ملاذكرد عام ٤٦٣هـ /١٠٧١م، في الوقت الذي كانت فيه أعداد جيش الروم أضعاف مضاعفة لعدد جيش المسلمين، فثبت العالم الجليل أبو نصر البخاري المسلمين في خطبته وبث فيهم روح الحماس الديني وخاطب السلطان قائلا له: «إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح»(١٦١)، وبالفعل كتب الله النصر للمسلمين في تلك الموقعة التي على أثرها فتحت لهم أقاليم آسيا الصغرى.

وعندما تأسست سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى حرص سلاطين السلاجقة على تعيين العلماء من أئمة ومعلمين وقضاة في المساجد والمدارس من أجل إعادة تشكيل المجتمع الجديد في آسيا الصغرى على أسس إسلامية(١٦٢)، لذلك حرص السلاطين منذ أن قامت دولتهم على استجلاب العلماء من شتى البلدان الإسلامية، فأرسل المؤسس الأول للسلطنة سليمان بن قتلمش إلى ابن عمار صاحب طرابلس يطلب منه أن يرسل إليه بعض علماء المسلمين وقاضي شرعي لتصريف الأمور الدينية والمدنية بالأقاليم(١٦٣).

ولقد صاحب انتشار الإسلام في آسيا الصغرى وسياسة السلاطين في دعوة العلماء إلى المنطقة وجود جمهرة كبيرة من العلماء، دأبوا على بث ونشر التعاليم الإسلامية السمحة بين أهل تلك البلاد، مما كان له أثر ملموس في نشر الإسلام وترسيخ الحضارة الإسلامية، كما كان يعد أحد المظاهر البارزة لانتشار الإسلام فيها.

ولقد برز العديد من العلماء في آسيا الصغرى سواء ممن كان من أهلها أو ممن ارتحل إليها وأقام فيها من أجل نشر الثقافة الإسلامية بين أهلها؛ وقد تنوع هؤلاء العلماء مابين علماء دين أو علماء في العلوم العقلية المختلفة أو جمع بين العلوم العقلية والنقلية معا مثل العالم الجليل الإمام القاضي أفضل الدين الخونجي الذي جمع بين علوم الدين فضلا عن أنه «كان إمام وقته في المنطق والمعقولات والطب(١٦٤)، كما تميز في العلوم الحكمية وأتقن الأمور الشرعيةس(١٦٥)؛ وقد أرسل السلطان الكامل القاضي أفضل الدين الخونجي رسولا إلى سلطان سلاجقة الروم غياث الدين كيخسرو الثاني (٦٣٤-٦٤٤هـ/١٢٣٧- ١٢٤٦م)، وعندما عاد الخونجي من سفارته وجد السلطان الكامل قد مات فعاد إلى بلاد سلاجقة الروم في عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨م وأقام بها بعد أن ولاه السلطان غياث الدين كيخسرو القضاء، وقد كان القاضي الخونجي معظما لدى السلطان غياث الدين، واستمر قائما في آسيا الصغرى حتى الغزو المغولي لها، فاضطر إلى العودة مرة أخرى إلى القاهرة في عهد السلطان الصالح أيوب وتولى القضاء بها(١٦٦).

أما العلامة موفق الدين بن عبد اللطيف البغدادي الشافعي فكان عالما جليلا في كثير من العلوم سواء منها النقلية أو العقلية، كما كان فقيها، ومحدثا، ولغويا ونحويا وطبيبا وفيلسوفا، وبرع في العلوم الدينية وخاصة علم الحديث، فحدث بمصر والقدس ودمشق وحران وبغداد، ثم ارتحل إلى آسيا الصغرى(١٦٧) ز وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام، وكان له منه الجامكية الوافرة والصلاة المتواترة «(١٦٨)؛ وظل العلامة موفق الدين مقيما في مدينة أرزنجان في آسيا الصغرى في خدمة علاء الدين داود بن بهرام، وصنف له عدة تصانيف، ثم توجه في عام ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م إلى أرزن الروم وأقام بها فترة، ثم عاد منها إلى أرزنجان في صفر عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م، وتجول في معظم مدن آسيا الصغرى ومنها دبركي و ملطية، ثم سار إلى حلب وعمل بها، ثم عاد إلى بغداد وتوفي بها في عام ٦٢٩ هـ /١٢٣٢م(١٦٩).

أما في علم الفقه فقد زار الكثير من الفقهاء آسيا الصغرى واستقروا بها لنشر علمهم، ومنهم العالم الفقيه القاضي أحمد بن عبد المجيد بن محمد القبس الذي تولى القضاء في مدينة

ملطية، والقاضي أحمد بن محمد بن أبي سعدان(١٧٠)، والعالم الجليل علاء الدين الكاساني، الذي كان فقيها وعالما بعلمي الأصول والفروع، وقد عقد الكاساني مناظرة حول مسألة المجتهدين مع أحد كبار علماء آسيا الصغرى ويدعى الشعراني(١٧١)؛ ولاشك أن ذلك يدل على مدى تطور ما وصل إليه علم الفقه ونظام الاجتهاد في الإسلام بإقليم آسيا الصغرى في عهد سلاطين سلاجقة الروم(١٧٢)، كما يدل على مدى اهتمام السلاجقة بالعلم والعلماء، حيث سعى السلاطين إلى تشجيع العلم وجمع العلماء من شتى بقاع البلدان الإسلامية، وعقد المناظرات العلمية بينهم.

أما في علم الحديث فقد وفد إلى سلطنة سلاجقة الروم عدد كبير من علماء الحديث الذين كان لهم دور كبير في وضع أسس دراسة علم الحديث في آسيا الصغرى(١٧٣)، منهم الشيخ المحدث أبو القاسم عبد الحميد بن عبد الخالق بن المبارك الواسطي الأصل البغدادي المولد، الذي ارتحل إلى آسيا الصغرى وأقام بها حتى توفي بمدينة سيواس سنة ٦٠٨ هـ /١٢١١م(١٧٤)، والمحدث أبو أحمد محمد بن عبد الرشيد الهمذاني، الذي كان من محدثي بغداد ثم سار إلى بلاد سلاجقة الروم فأقام في أقسرا بآسيا الصغرى وحدث بها حتى توفي بها(١٧٥)، والفقيه المحدث محمد بن الإمام العلامة أبو الخير أحمد بن إسماعيل القزويني الذي تلقى تعليمه في بغداد على يد نخبة من العلماء وتكلم في المسائل والوعظ وحدث بها، ثم ارتحل إلى مدينة قيصرية بآسيا الصغرى وحدث بها حتى وافته المنية بها في عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م(١٧٦)، والشيخ المحدث مكرم بن مسعود بن حماد بن أبي داود الإيادي أبو الغنائم الأبهري الذي عاش في آسيا الصغرى وتولى القضاء بها حتى توفي في عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م(١٧٧).

كما نبغ في علم الحديث من أبناء آسيا الصغرى عدد من المحدثين الذين تتلمذوا على أيدي معلميهم من المحدثين الوافدين، منهم المحدث الشيخ سعد الدين بن عربي الذي ولد في مدينة ملطية في عام ٦١٨هـ/١٢٢١م، وقد سمع سعد الدين بن عربي الحديث ودرسه ثم حدث به حتى أصبح من كبار محدثي آسيا الصغرى، بالإضافة إلى أنه كان شاعرا مجيدا وله ديوان مشهور، وكانت وفاته بدمشق في عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م(١٧٨).

وفي علوم القراءات وإقراء القرآن الكريم ظهر عدد كبير من العلماء في بلاد سلاجقة الروم كان من أبرزهم الصائن أبو عبد الله محمد البصري، مقرئ بلاد الروم، وقد قرأ الصائن القراءات بدمشق على يد شيخ القراء منتجب الدين الهمذاني(١٧٩)، والمقرئ الشيخ أبو أحمد محمد الهمذاني الذي قرأ القرآن وعلمه بمدينة أقسرا(١٨٠)، والمقرئ مهذب الدين علي بن محمد الكاري الذي تولى تعليم القرآن الكريم وتحفيظه لأبناء الأمراء بسلطنة سلاجقة الروم(١٨١).

أما في مجال العلوم العقلية، فقد استقبلت آسيا الصغرى في ظل حكم سلطنة سلاجقة الروم عددا كبيرا من علماء الكلام والمنطق الذين ذاع صيتهم، منهم الشيخ العلامة سراج الدين الأرموي، صاحب المؤلفات العديدة في مجال علم المنطق، أهمها «البيان في المنطق»؛ وقد شغل هذا الشيخ منصب قاضي قونية، واستدعاه السلطان الصالح أيوب إلى مصر وأرسله في سفارة دبلوماسية إلى الإمبراطور

فردريك الثاني، إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة، تأكيدا على استمرار العلاقات الدبلوماسية التي بدأها أبوه السلطان الكامل من قبل فأحسن الإمبراطور استقباله وأحسن إليه، فألف له الشيخ كتابا في المنطق أعجب به الإمبراطور «أحسن إليه الإنبرور إحسانا كبيرا وعاد سراج الدين إلى الملك الصالح مكرما»(١٨٢). ولاشك أن اعتماد السلطان الصالح أيوب عليه في تأكيد العلاقات الدبلوماسية مع الإمبراطور تدل على أن هذا العالم الجليل كان عالما بالكثير من اللغات غير اللغة العربية مما جعل السلطان الصالح أيوب يستدعيه ليسند إليه تلك المهمة. وقد عاد سراج الدين الأرموي بعد انقضاء تلك المهمة إلى قونية وظل مقيما بها حتى وفاته في عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م(١٨٣).

كما ارتحل إلى بلاد سلاجقة الروم أيضا من علماء الكلام الشيخ صفي الدين الهندي، الذي قابل الشيخ سراج الدين الأرموي وصنف الكثير في علم الكلام وأصول الفقه، ومصنفاته كلها حسنة جامعة(١٨٤).

كذلك استعان سلاطين السلاجقة في آسيا الصغرى بالكثير من الأطباء المسلمين من مختلف البلدان الإسلامية منهم الطبيب شمس الدين أبو العباس أحمد بن مهذب الدين أبوعلي بن الحسن بن على بن هبل، الذي ولد في الموصل عام ٥٤٨ هـ/١١٥٣م، وعاش بها وبرع في علم الطب، حيث درسه على يد والده، ثم ارتحل إلى آسيا الصغرى في عهد السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو (٦٠٨- ٦١٦ هـ/١٢١١-١٢١٩ م) فأكرمه السلطان إكراما كبيرا، وظل مقيما في آسيا الصغرى حتى وفاته بها، فأمر السلطان بنقله إلى الموصل فدفن بها(١٨٥)؛ والطبيب كمال الدين الحمصي الذي اشتهر في صناعة الطب حتى كان الملوك والأعيان يطلبونه لما ظهر من علمه في ذلك المجال، والذي ارتحل إلى آسيا الصغرى في عام ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م في عهد السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو(١٨٦)، كما أرتحل إلى آسيا الصغرى أيضا الطبيب أبو بكر يوسف الرسغني الملقب بالتقي، وكان ماهرا في علم الطب، واتصل بخدمة السلطان علاء الدين كيقباذ (٦١٦- ٦٣٤ هـ/ ١٢١٩- ١٢٣٧ م) واستمر في خدمته وفي خدمة ابنه السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني (٦٣٤- ٦٤٤هـ /١٢٣٧- ١٢٤٦م) الذي تولى السلطنة بعده (١٨٧).

هكذا اهتم سلاطين سلاجقة الروم في آسيا الصغرى بالعلم والعلماء حتى تمكنوا من تحويل المنطقة من الحضارة البيزنطية إلى الحضارة الإسلامية بكل ما تحمله من تعاليم الإسلام السمحة مما سهل عليهم عملية انتشار الإسلام وتوطيده في آسيا الصغرى.

د- انتشار الصوفية وازدهار الفكر الصوفي:

صاحب انتشار الإسلام في آسيا الصغرى ازدهار الصوفية وانتشار الفكر الصوفي، فقد رصد ابن بطوطة العديد من الزوايا التي انتشرت في آسيا الصغرى والتي كانت مقرا لعدد من فرق المتصوفة(١٨٨)؛ ولقد وجدت الصوفية موطنا ملائما لها في آسيا الصغرى خاصة في مدينة قونية التي انتشرت فيها الصوفية تحت رعاية الصوفي الكبير جلال الدين الرومي(١٨٩) مؤسس الطريقة المولوية للدروشة، حيث تبلورت تعاليمها حتى وصلت إلى أوج عظمتها في قونية(١٩٠). كما انتشر أتباع الطريقة اليسوية القادمين عن طريق خوار زم، وأتباع قطب الدين حيدر القادمين من خراسان، الذين عملوا على نشر طرقهم في معظم مدن آسيا الصغرى (١٩١).

ومن أبرز الطرق الصوفية التي ظهرت أيضا في آسيا الصغرى الفتوة أو الأخية التي يشير ابن بطوطة إلى تعريفها فيقول:« وأحد الأخية أخي على لفظ الأخ إذا أضافه المتكلم إلى نفسه، وهم بجميع البلاد التركمانية والرومية في كل بلد ومدينة وقرية» (١٩٢)، وهؤلاء الأخية لهم زوايا كثيرة مفروشة بكل ما تحتاج إليه، فضلا عن أنهم يُحضرون إليها يوميا ما يلزمها من الطعام والفواكه والشراب، ويستضيفون فيها المسافرين، ويقدمون لهم كل ما طاب؛ ويصف ابن بطوطة ملبس أحد هؤلاء الأخية بأنه يلبس ثيابا ممزقة، وعلى رأسه قلنسوة لبد، ومع ذلك فهم ينفقون ما يتكسبون به في النهار في استضافة الغرباء ليلا(١٩٣)؛ كما يصف ابن بطوطة أحد زواياهم التي زارها واستضيف بها فيقول: « فلما صليت المغرب عاد إلينا ذلك الرجل وذهبنا معه إلى زاويته فوجدناها زاوية حسنة مفروشة بالبسط الرومية الحسان وبها كثير من ثريات الزجاج العراقي، وفي المجالس خمسة من البياسيس، والبيسوس شبه المنارة من النحاس له أرجل ثلاث وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس.......... وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان ولباسهم الأقبية وفي أرجلهم الأخفاف»(١٩٤).

ولقد شهدت آسيا الصغرى قدوم عدد كبير من العلماء المتصوفة إليها، وكانت تدرس مؤلفاتهم مع غيرها من الدراسات الصوفية في مؤسساتها التعليمية، ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ شهاب الدين السهروردي الذي قدم إلى آسيا الصغرى في عهد السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ (١٩٥)؛ وقد كان السهروردي شيخ شيوخ بغداد، وكان يعد من كبار علماء عصره، وله مجلس وعظ عليه إقبال كبير، وكان شيخا صالحا ورعا، كثير الاجتهاد، بارعا في أصول الفقه، تخرج على يديه الكثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة «ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله»(١٩٦)، ومن مؤلفاته عوارف المعارف(١٩٧)؛ وقد سافر السهروردي إلى بلدان كثيرة «وتردد في الرسلية بين الخلفاء والملوك مرارا وحصلت له أموال كثيرة فرقها بين الفقراء والمحتاجين»(١٩٨).

كما قدم أيضا إلى آسيا الصغرى الصوفي الكبير الأندلسي الأصل محيي الدين بن عربي «صاحب التصنيفات في التصوف وغيره»(١٩٩)، وكان ابن عربي كثير التجوال والترحال بين البلدان الإسلامية المختلفة، وعندما قدم إلى آسيا الصغرى استقبله سلطان سلاجقة الروم استقبالا حافلا، وأمر له بدار تساوي مائة ألف درهم (٢٠٠)؛ ولقد تجول ابن عربي في معظم مدن آسيا الصغرى فزار ملطية وقونية وسيواس، وكان بصحبته تلميذه عفيف الدين سليمان التلمساني الذي عاش واستقر في آسيا الصغرى لينشر تعاليم أستاذه في التصوف(٢٠١).

وهكذا وجد التصوف أرضا خصبة في آسيا الصغرى، فكثر أتباعه، وكثرت معهم خنقاوات وزوايا المتصوفة، مما يؤكد توفر المناخ الديني والروحي الخصب في سلطنة سلاجقة الروم، حتى كان التصوف يعد أحد مظاهر انتشار الإسلام في ربوع تلك البلاد، ويؤكد ذلك ما ذكرته تمارا تالبوت رايس إذ تقول: «لم تجد الطريقة الصوفية في بغداد موطنا روحيا لها كما لم تجده في بلاد فارس حيث ظهر الكثير من زعمائها المشهورين بل وجدت لها الوطن الملائم في مدينة قونية»(٢٠٢)، ولعل هذا يوضح مدى انتشار التصوف في تلك البلاد، مما يدل على قوة انتشار الإسلام والتمسك بأهداب الدين الذي ما زال أثره باقيا في نفوس الكثيرين من الأتراك إلى اليوم.

الهوامش:

١- بحر الخزر: هو بحر قزوين، وهو بحر واسع عظيم لا اتصال له بغيره، وعليه طبرستان وجرجان وآسكون، وباب الأبواب وهو الدربند، ومن جهة الشرق جبال موقان وطبرستان، وجبل جرجان، ويتجه من الشمال إلى بلاد الخزر؛ تصب فيه أنهار كثيرة وفي غربه جبال القبجاق، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت ١٩٨٨م، ج ١، ص٣٤٢، ٣٤٣.

٢- الراوندي: راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة: إبراهيم أمين وآخرون، القاهرة ١٩٦٠م، ص ١٤٥؛ أرمينوس فامبري: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: أحمد محمود الساداتي، القاهرة ١٩٧٢م، ص ١٢٧.

٣- نهر جيحون: اسم وادي خراسان على وسط مدينة جيهان يمر به ذلك النهر الذي سمي باسمه، وهو يجري في بلاد عديدة، ويصب في بحيرة خوارزم، ويتجمد في فصل الشتاء، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٩٦، ١٩٧.

٤- أرمينوس فامبري: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور، ص ١٢٧.

٥- بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان القاهرة ١٩٥٨م، ص١٠٣، ١٠٤؛ أرمينوس فامبري: المرجع السابق، ص ١٢٨.

٦- الحسيني: كتاب أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق: محمد إقبال، بيروت ١٩٨٤م، ص١.

٧- الحسيني: المصدر السابق: ص ٢.

٨- محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، بيروت ٢٠٠٢، ص ١٩.

٩- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٦م، ج ٨، ص ٢٢.

١٠- الراوندي: راحة الصدور، ص١٤٥؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٤٢٥؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ١٩.

١١- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ١٨؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٤٢٥.

-١٢ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت ١٩٧٥، ص ٢١- ٤١؛ تامارا تالبوت رايس: السلاجقة- تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخولي، إبراهيم الداقوقي، بغداد ١٩٦٨م، ص ١٩- ٢٩؛ عبد النعيم محمد حسنين: دولة السلاجقة، القاهرة ١٩٧٥م، ص ٢٢- ٤٢؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ٤٣٤ - ٩٥٤؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ص١٨- ٣٣.

١٣- بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ٣٧ ؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ٤٢٥.

١٤- الراوندي: راحة الصدور، ص١٤٥؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ٤٢٥.

١٥- عن سقوط وانهيار دولة السامانيين انظر: حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ٣٦٥ - ٧٦٣؛ عصام الدين عبد الرؤف: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٨٨، ١٨٩.

١٦- حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ٤٢٦.

١٧- أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق، ص ٢٤، ٢٥؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ٤٣٠.

١٨- أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٢١- ٤١؛ تامارا تالبوت رايس: السلاجقة- تاريخهم وحضارتهم، ص ١٩- ٢٩؛ عبد النعيم محمد حسنين: دولة السلاجقة، ص ٢٢ ٢٤ ؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ٤٣٤ - ٤٥٩؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ص١٨- ٣٣.

١٩- عن موقع آسيا الصغرى أو الأناضول انظر: شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم الإسلامي(جغرافي- تاريخي- اقتصادي)، دمشق١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٤٢، ٤٣؛ محمد عبد الشافي المغربي: آسيا الصغرى في العصور الوسطى، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص ٩، ١٠.

٢٠- محمد عبد الشافي المغربي: آسيا الصغرى في العصور الوسطى، ص ٩، ١٠.

٢١- عن الجهاد ضد الروم البيزنطيين زمن الأمويين والعباسيين، انظر: إبراهيم أحمد العدوي: الأمويون والبيزنطيون- البحر المتوسط بحيرة إسلامية، القاهرة ١٩٥٣م؛ عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، بيروت ١٩٨٨م، ص ٧٣-٧٥، ٩٤، ٩٥، ١١٣-١١٦، ١٧١، ١٧٢، ١٩٣-١٩٧؛ حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشرف: المرجع السابق، ص ١٢٨- ١٣٩؛ عصام الدين عبد الرؤف: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ٥٣- ٥٦.

٢٢ - Robinson, F.: Atlas of the Islamic world since 1500, Oxford, 1987, P. 25.

٢٣- Vasiliev, A.V.: The History of the Byzantine Empire (339 -1453), Madison, U.S.A., 1973, Vol. I, P. 429; Setton, K.M.: A history of the Crusades, Vol. I, Pennsylvania, 1969, P. 136;

- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٣٥.

٢٤ - Setton, K. M.: A history of the Crusades, Vol. I, P.144-147;

- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٣٥، ٣٦.

٢٥- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٧٩م، ج ٨، ص ٤٨.

٢٦ - محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٣٥، ٣٦.

٢٧- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٦٥م، ص ٣٣٨ - ٣٣٩؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٣٦؛

Cambridge Medieval History, Vol. IV, P. 140.

٢٨- الأبخاز: اسم ناحية من جبل القبق المتصل بباب الأبواب، وهي جبال وعرة لا مجال للخيل فيها، تجاور بلاد اللان ويسكنها أمة من النصارى يقال لهم الكرج، فيها تجمعوا ونزلوا على نواحي تفليس، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٦٤.

٢٩ - Cambridge Medieval History, Vol. IV, P. 163.

٣٠ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٣٧.

٣١- ملاذكرد: بلدة صغيرة بناؤها من الحجر الأسود، معظم أهلها من الأرمن والروم، بها أعين ولكن ليس لها أشجار، أرضها خصبة كثيرة الخير، وهي قريبة من أرزن التي تقع جنوبيها، بينهما يومان أو ثلاثة، وفي شرقيها مدينة بدليس، بينهما قريب من يوم ونصف، انظر: أبو الفدا: تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠م، ص ٤٩٤، ٣٩٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، بيروت د. ت، ص ٢٩٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٢.

٣٢- أرزن: مدينة مشهورة قرب خلاط، لها قلعة حصينة، كانت من أعمر نواحي أرمينية، فتحها عياض بن غنم صلحا بعد فتح الجزيرة الفراتية، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٥٠؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٩٥.

٣٣- قاليقلا: مدينة من عمل خلاط، ثم أصبحت فيما بعد من نواحي ملاذ كرد؛ وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى امرأة ملكت أرمينية كانت تسمى قالي، فبنيت هذه المدينة وأطلقت عليها قالي قاله، يعني إحسان قالي، ثم صورت نفسها على أحد أبوابها، فعربتها العرب إلى قاليقلا، وعرفت فيما بعد بأرزن الروم، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٩٩؛ ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة ١٣٧٣؟ / ١٩٥٤م، ج٣، ص ١٠٥٩.

٣٤ - Finlay, G.: History of the Byzantine Empire , London 1853 , P. 577; Chamician, M.: History of Armenia. Trans. by Johannes Avadalle, Calcutta 1827, Vol. II , P.138;

- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص٣٨.

٣٥- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٩، بيروت ١٩٧٩م، ص ٥٤٦.

٣٦- البشناج: أو البجناك موطنهم الأصلي استبس وسط آسيا، ثم اتجهوا إلى جنوب روسيا، ومنها إلى المجر، ويرجع سبب هجرتهم إلى ضغط قبائل الغز التركية على حدودهم الغربية، وقد احتل البجناك مناطق واسعة على البحر الأسود ظلوا لفترة طويلة على وفاق مع بيزنطة، وقاموا بالوساطة التجارية بينها وبين شعوب المنطقة خاصة روسيا ، انظر: زبيدة عطا: الترك في العصور

الوسطى، القاهرة، د.ت، ص ٨.

٣٧- أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون في شرقي البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجريين، التاسع والثاني عشر الميلاديين، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٢٢٣.

٣٨- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٨؛

Grousset, R.: Histoire de L'Arménie des Origines a 1071, Payot, Paris, 1947, P.588- 590.

٣٩- ابن الأثير: المصدر السابق ج ١٠، ص ٢٨.

٤٠- Gousset, R. : Histoire de L Arménie des Origines a 1071, P. 597.

٤١- بحيرة وان: وأحيانا يطلق علها بحيرة أرجيش، تمتد من الشرق إلى الغرب بانحراف إلى الجنوب بين بركري وخلاط وأرجيش، انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٩٧؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٩٥.

٤٢- أرجيش: هي مدينة قديمة من أعمال خلاط، تقع على الساحل الشمالي لبحيرة وان، وكثيرا ما عرفت البحيرة باسمها حيث كان يطلق عليها بحيرة أرجيش، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج١، ص ١٤٤؛ فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة ١٩٦٦م، ج ١، ص ١٩٧.

٤٣- باركري: تقع بركري شرقي خلاط وهي قريبة من أرجيش، بينها وبين مدينة خلاط خمسة أيام وبينها وبين أرجيش ثلاثة أيام، أو ثلاثة فراسخ، انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٠٢؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٨٩.

٤٤- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٩، ص ٥٩٨، ٥٩٩.

Chamician, M.: History of Armenia, Vol. II, P.142 - 146 ; Matthieu d'Edesse: Extraits— de la chronique de Matthieu d'Edesse In: R. H .C. D. Arm., Paris 1869, Pp. 98 - 102,

- حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٩٣م، ص ١٨٣؛ زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص ٤٧.

٤٥ - Grousset, R. : Histoire de L ' Arménie des Origines a 1071, P- 596- 597;

- شارل أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، القاهرة ١٩٥٣م، ص١٩٥.

٤٦- هو قتلمش بن أرسلان بيغو بن سلجوق بن دقاق، كان قد انشق على حكم السلطان طغرلبك في أواخر عهده، ونزح مع أتباعه إلى المنطقة الجبلية الواقعة جنوبي بحر قزوين ولم يلبث أن أعلن الثورة على ألب أرسلان، لكن لم يمهله ألب فحاربه وتغلب عليه وقتله في عام ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م، ثم عفا عن أبنائه بعد مقتله، انظر: الحسيني: المصدر السابق، ص ٣٠- ٣٢؛ الراوندي: المصدر السابق، ص ١٨٥؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ١١؛ تامارا تالبوت: المرجع السابق، ص ٢٩.

٤٧- ملطية: هي بلدة مشهورة تتاخم بلاد الشام وكانت هذه المدينة من أجل مدن الثغور الإسلامية في مواجهة الروم البيزنطيين، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٩٢، ١٩٣؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٨٥.

٤٨- قونية: مدينة مشهورة من مدن آسيا الصغرى تتمتع بموقع استراتيجي، حيث أنها كانت مفترق الطرق إلى مدن آسيا الصغرى المحيطة بها، وكانت في عصر السلاجقة دار ملكهم، انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، القاهرة، د. ت، مجلد ٢، ص ٨١٢؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٨٣؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤١٥.

٤٩- أقسرا: من أعظم المدن الإسلامية في آسيا الصغرى وبها سكنى ملوكها وهم سلاجقة الروم، ولقد ورد تعريف أقسرا في ياقوت مقترنا بتعريف قونية، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤١٥.

٥٠- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، بيروت ١٩٧١، ج ٥، ص ١٦٢؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٤٠

٥١- Grousset, R. : Histoire de L ' Arménie des Origines a 1071, P. 608.

٥٢- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٤٠.

٥٣- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٦ - ٩٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، بيروت ١٩٧٧، ج ١٢، ص ٩٠، ٩١.

٥٤- حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ٤٥٥.

٥٥- الكرج: جيل من النصارى كانوا يسكنون جبل القبق، وبلد السرير، فقويت شوكتهم حتى ملكوا تفليس، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤٦.

٥٦- ابن كثير: المصدر السابق، ج١٢، ص ٩١.

٥٧- نهر الرس: نهر يخرج من قاليقلا ويمر بأران ثم يمر ببورنان ثم بالمجمع فيجتمع مع نهر الكـر وبينهما مدينة البيلقان، ويمر الكر والرس معا فيصبان في بحر جرجان، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٤٤؛ محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي لأرمينية، بيروت ١٤١٩؟/ ١٩٩٨م، ص ٢٥، ٢٦.

٥٨- سرماري: ولاية واسعة بها قلعة حصينة تقع بين تفليس وخلاط، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٥؛ ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، ج ١، ص ٧٠٩؛ الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص ٣٤، ٣٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٧، ٣٨.

٥٩- الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص ٣٤، ٣٥؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٣٧ - ٣٨، Grousset, R.: Histoire de L ' Armenie des Origines a 1071, P. 612.

٦٠- الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص٣٩-٤٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص٤٠.

- Matthieu d'Edesse: Extraits de la chronique de Matthieu d' Edesse, Pp. 125 -126; Cahen, C.: Pre-Ottoman Turkey 1071 -1330, translated from the French by, J. Jones, Williams, London 1968, P. 70.

٦١- Matthieu d'Edesse: Extraits de la chronique de Matthieu d' Edesse, Pp.125 - 126; Cahen, C. : Pre-Ottoman Turkey 1071 -1330 , P. 70,

- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٤١.

٦٢- عمورية: من بلاد الروم، فتحها الخليفة العباسي المعتصم في عام ٢٢٣ ؟ / ٨٣٧ م، وهي من أعظم فتوح الإسلام، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٨.

٦٣- قيليقية: تقع في الجنوب الشرقي من آسيا الصغرى بين جبال طوروس والبحر، كانت من أهم الثغور الإسلامية حتى سقطت في أيدي البيزنطيين في القرن العاشر الميلادي، ثم انتقلت إلى أيدي الأرمن إلى أن تمكن سليمان بن قتلمش من السيطرة عليها، ثم سيطر عليها الأرمن مرة أخرى إلى أن أصبحت عاصمة مملكة أرمينية الصغرى، انظر: استارجيان: تاريخ الأمة الأرمينية، الموصل ١٩٥١م، ص ٢٠٣، ٢٠٤؛ بول آميل: تاريخ أرمينيا، ترجمة شكري علاوي، بيروت، د. ت، ص ٥،

Lorga, N.: L'Arménie, Cilicienne, Paris1930, P. 89.-

٦٤- قيصرية: مدينة عظيمة من بلاد الروم وهي عاصمة لملوك بني سلجوق في هذه المنطقة، انظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، د.ت، ص ٥٥٣، ٥٥٤.

٦٥- Cahen, C.: Pre-Ottoman Turkey 1071 -1330, P. 70 ,

- زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص ٤٩؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص٤٢.

٦٦- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٤٥.

٦٧- الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح بن علي البنداري، القاهرة ١٩٠٠م، ص ٣٥.

٦٨- المرداسيون: عشيرة عربية أقامت إمارة وراثية في حلب بدءا من عهد صالح بن مرداس وذلك في عام ٤٥١ ؟/ ١٠٥٩م، واستمرت تحكم في حلب حتى عام ٤٧٢؟ /١٠٧٩م، انظر: ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل المنصور بيروت ١٩٩٦م، ص ١٢٩ - ١٤١.

٦٩ - أرتاح: اسم لحصن منيع كان من العواصم، وهي من أعمال حلب، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ١٤٠، ١٤١.

٧٠- منبج: مدينة قديمة على الفرات بينها وبين حلب مسيرة يومين، وبينها بين ملطية مسيرة أربعة أيام، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٥، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

٧١- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، القاهرة د.ت، ص ٩٨؛ الأصفهاني: المصدر السابق، ص ٣٥؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق دائرة المعارف الإسلامية، الدكن، الهند ١٩٥٢، ج ٨، ق١، ص٢٥٤.

٧٢- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٩٩؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص٢٥٤؛ أحمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص ٢٢٩-٢٣١.

٧٣ - Grousset, R. : Histoire de L'Arménie des Origines a 1071, P. 624; Cahen, C.: Pre - Ottoman Turkey, P. 71

٧٤ - Grousset, R. : Histoire de L'Arménie des Origines a 1071, P. 624; Cahen, C.: Pre -ttoman Turkey, P. 71.

٧٥- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص٢٨٠؛ ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص ١٧٣.

٧٦- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص٤٤.

٧٧- ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٩٩؛ الأصفهاني: المصدر السابق، ص ٣٧؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص ٦٥؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨، ق ١، ص٢٨٢؛ ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة، السيد الباز العريني، بيروت ١٩٩٣م، ج١ ص ١٠٧.

Oman ,C. A.: History of the Art of war in the Middle Ages , London 1924, Vol: I, P.– 219; Ostrogorsky, G.: A History of the Byzantine States. Trans. By Hussey, J.; Oxford, 1968, P. 304.

٧٨- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٥.

٧٩- زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص ٤٩؛ أحمد عبد الكريم: المرجع السابق، ص ٢٣٣؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص٤٥.

٨٠ - Cahen, C.: Pre -Ottoman Turkey, P. 29; Franzius, E.: History of Byzantine Empire, New York, 1967, P. 290.

٨١- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص٤٥.

٨٢- سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨ ، ق١، ص ٢٨٠ ، ٢٨١.

٨٣- ابن العبري: تاريخ الزمان، ترجمة: إسحاق أرملة، بيروت ١٩٨٦م، ص ١٠٩.

٨٤- ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٠٩، وراجع: محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٤٦.

٨٥- سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، بيروت ١٩٧٢م، ص ١٤٦- ١٤٨؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٤٧.

٨٦- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٥؛ ستيفن رنسيمان: المرجع السابق، ج١، ص ١٠٨،
Franzius, E.: History of Byzantine Empire, P. 290.–

٨٧ – تبريز: بلد مشهور من أعمال أذربيجان، وهي مدينة عامرة حسنة ذات أسواق محكمة في وسطها عدة أنهار وبساتين، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص ١٣.

٨٨ – ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٥؛ سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ق ١، ص ٢٨١؛ ابن العديم: المصدر السابق، ص١٧٧.

٨٩- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٤٧.

٩٠- الفارقي: تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض، بيروت ١٩٧٤م، ص ١٨٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص ٦٥؛ ستيفن رنسيمان: المرجع السابق، ص ١٠٨،

Grousset, R.: Histoire de L'Arménie des Origines a 1071, P. 629; Franzius, E.: History– of Byzantine Empire, P. 290; Ostrogorsky, G.: A History of the Byzantine States, P. 304.

٩١- الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص ٤٩؛ ابن العديم: المصدر السابق، ص ١٧٨.

٩٢- الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص ٤٩؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٢، ص ١٠١؛ ويشير كل من ابن العديم وسبط بن الجوزي إلى أن المكان يعرف بالرهوة، وبعد مراجعة معجم البلدان لياقوت الحموي، وجد أن الرهوة صحراء قرب خلاط، في حين لم يتم الحصول على تعريف للزهرة، راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ١٠٨، ١٠٩؛ سبط بن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ق١، ص ٢٨١؛ ابن العديم: المصدر السابق، ص١٧٨.

٩٣- ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص ٦٥؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، بيروت ١٩٥٨، ص ١٦١.

٩٤- ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص ٦٥، ٦٦، ورد هذا النص أيضا في الحسيني: المصدر السابق، ص ٤٩؛ ابن العديم: المصدر السابق، ١٧٨.

٩٥- الحسيني: المصدر السابق، ص ٤٩- ٥٢؛ ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٩٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص ٦٦؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١٢، ص ١٠١.

٩٦- الفارقي: المصدر السابق، ص ١٩٠.

٩٧- الراوندي: راحة الصدور، ص ٢٨٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٧؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١٨٥؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٢، ص ١٠١.

٩٨ – Ostrogorsky, G. : A History of the Byzantine States., P. 354 ,

– زبيدة عطا: المرجع السابق، ص ٥٠؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٤٩.

٩٩ – Ostrogorsky, G. : A History of the Byzantine States., P. 354 ,

– زبيدة عطا: المرجع السابق، ص ٥٠ – ١٥؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص٤٩–٥٠.

١٠٠– الراوندي : المصدر السابق ، ١٨٩ ؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص٤٥٧؛ شارل أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٧–١٩٩.

١٠١– حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ٤٥٧، ٤٥٨.

١٠٢– حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ٤٥٨.

١٠٣– حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٩٠، ١٩١؛ محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٥٣.

١٠٤ – Vasiliev, A.V.: The History of the Byzantine Empire, Vol. I, P. 432,

– محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٥١.

١٠٥– بنو الدانشمند: ينسب بنو الدانشمند إلى إحدى الأسرة التركمانية بآسيا الصغرى، وقد تزعمها كمشتكين أحمد غازي دانشمند أحد قادة السلطان ألب أرسلان، الذي اشترك معه في موقعة ملاذكرد، فمنحه ألب أرسلان مدن توقات، وسيواس والبستان وملطية وغيرها، ثم استقل بها كمشتكين أحمد بعد وفاة ألب أرسلان، وظلت في حكم أسرته حتى تمكن سلاجقة الروم من تقليص وجود الدانشمنديين في آسيا الصغرى، انظر عن ذلك بالتفصيل: عفاف صبره: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٨٥م، ص٢٨٠، ٢٨١؛ علي بن صالح المحميد: الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٤م.

١٠٦– زاخاس: هو أحد الأمراء الأتراك، أسس إمارة له في غرب آسيا الصغرى، وسيطر على أزمير وغيرها من البلدان الواقعة على بحر إيجة، كما أسس أسطولا بحريا ساعده في التوسع على حساب الإمبراطورية البيزنطية، انظر: محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٥٨، ٥٩.

١٠٧– منكوكجك: أسرة تركية أسست إمارة لها في المنطقة الواقعة في غرب الفرات في مناطق أرزنجان وكماخ، وديروركي، وكان منكوجك غازي مؤسس هذه الأسرة أحد قادة السلطان ألب أرسلان، انظر: عفاف سيد صبرة: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٨٧-- ٢٨٨؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٥٩.

١٠٨– عفاف سيد صبرة: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٨٠– ٢٨٨؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٥٨، ٥٩.

١٠٩– زبيدة عطا: المرجع السابق، ص ٥٤ – ٦٥؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٥٣.

١١٠– زبيدة عطا: المرجع السابق، ص ٥٦.

١١١– محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٥٣، ٥٤.

-١١٢ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٥٤.

١١٣- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٥٤.

١١٤ - أحمد عبد الكريم: المرجع السابق، ص ٢٤٣؛ زبيدة عطا: المرجع السابق، ص ٥٧.

١١٥ - نيقية: تقع في إقليم بيثينيا في الشمال الغربي من آسيا الصغرى على بحيرة اسكانيوس Ascanius، فتحها الأتراك السلاجقة واتخذوها عاصمة لمملكتهم وظلت في أيديهم أكثر من عشرين عاماً، انظر:

Vasiliev, A. V.: The History of the Byzantine Empire, U.S.A., 1971, Vol. II, Pp. 512-513;-

- إسمت غنيم: دراسات في تاريخ إمبراطور نيقية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص ١٧٢، ١٧٣.

١١٦- أحمد عبد الكريم: المرجع السابق: ص ٢٤٢ - ٤٤٢؛ زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص٥٦- ٥٨.

١١٧- أحمد عبد الكريم: المرجع السابق، ص ٢٤٢ - ٤٤٢؛ زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص٥٦ - ٥٨.

١١٨- الدردنيل: هو أحد المضايق التركية، وهو ممر مائي ضيق ومتعرج يتصل بمضيق البسفور عبر بحر مرمرة، ويفصل المضيقان البحر الأسود عن بحر إيجة، انظر: باوندزوكنجربري: أطلس أوربا، ترجمة: محمد فاتح عقيل، الإسكندرية ١٩٧٦م، ص ١٦٢.

١١٩ - Vasiliev, A.V.: The History of the Byzantine Empire, Vol. I, P. 432; Grousset, R. : Histoire de L'Arménie des Origines a 1071, P. 629.

١٢٠- Robinson, F.: Atlas of the Islamic world since 1500, Oxford, 1987, P. 25.

١٢١- عن سقوط نيقية انظر: فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي، بيروت ١٩٩٠م، ص ٤٦- ٥٠؛ مؤرخ مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة ١٩٥٣م، ص ٢٢ -٣٧؛ وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية- الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة: سهيل زكار، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٢٢٩ - ٢٤٤.

١٢٢- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، القاهرة ١٩٧٥م، ص ٣٣٥ - ١٤٣؛ ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٨- ٤٨.

١٢٣- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ص٣٤١؛ ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٤٧.

١٢٤- عن الحملة الصليبية الثانية انظر: وليم الصوري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٥٨ - ٦٧٧؛ إتش . إ . ماير: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، القاهرة ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٣٥- ١٥٣؛ ميشيل بلار: الحملات الصليبية والشرق اللاتيني- من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٨٣-١٨٩.

١٢٥- زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى، ص ٩٥.

١٢٦- تامارا تالبوت رايس: السلاجقة- تاريخهم وحضارتهم، ص ١٣٦.

١٢٧- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: درويش الجويدي، بيروت ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م، ج ١، ص ١٥٦.

١٢٨- محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٢٦٦.

١٢٩- محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٤٩.

١٣٠- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ص ٤٢٢.

١٣١- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ص ٤٢٢؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٨٨؛ ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دمشق١٩٨٤م، ص٢١١، ٢١٢.

١٣٢- محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

١٣٣- ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص ٢١٣.

١٣٤- ابن بيبي: الأوامر العلائية في الأمور العلائية المسمى بسلجوق نامة، تحقيق: هوتسما، ١٩٠٢م، ص ٥٨.

١٣٥- ابن بيبي: المصدر السابق، ص ٥٤-٥٩.

١٣٦ - Matthieu d'Edesse: Extraits de la chronique de Matthieu d'Edesse, P. 231 Turan, O.: Les Souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans, Stvdia Islamica, T.I., (Paris 1953), P. 75.

١٣٧- محمد فؤاد كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، القاهرة ١٩٩٣م، ص ١٣٣؛ محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٢٧١.

١٣٨- محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٢٧١.

١٣٩- عائلة جابراس أو جافراس وهي إحدى الأسر البيزنطية العريقة التي كانت تحكم في ولاية طرابيزون البيزنطية، وقد تصدت للسلاجقة والتركمان عندما توجهوا لفتح تلك الولاية، ثم تمكنت تلك الأسرة من الحفاظ على الولاية حتى أصبحت تحكم فيها حكما شبه مستقل في عهد الكسيوس كومنين، انظر:

- Cahen, C.: Pre -Ottoman Turkey, P.97;

- محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٢٧٣.

١٤٠- النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٧، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٨٥ م، ص٩٧.

١٤١- ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٢١٤، وراجع: محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٢٧٤.

١٤٢ - Turan, O.: Les Souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans, P.85;

- محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٢٦٠.

١٤٣ - Turan, O.: Les Souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans, P.85;

- محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٢٦٠.

١٤٤- الحسيني: المصدر السابق، ص ٤٥.

-١٤٥ الحسيني: المصدر السابق ، ص ٤٦.

١٤٦- ابن بيبي: المصدر السابق، ص ٣٤، ٣٥.

١٤٧- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٧-٢٨٩؛ أوقطاي أصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، ترجمة: أحمد محمد عيسى، استانبول ١٩٨٧م، ص٩٠- ٩٥؛ محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٢٦٠.

١٤٨- ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج ١، ص ٢٥٧.

١٤٩- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٩.

١٥٠- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦١.

١٥١- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٧- ٢٨٩.

١٥٢- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٧.

١٥٣- أوقطاي أصلان أبا: المرجع السابق، ص ٩٥، ٩٦؛ محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٣٥٠.

١٥٤- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٧ - ٢٨٩.

١٥٥- النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٧، ص ٩٧.

١٥٦- تامارا تالبوت رايس: المرجع السابق، ص ١٦٤.

١٥٧- أوقطاي أصلان أبا: المرجع السابق، ص ١٠٥.

١٥٨- أوقطاي أصلان أبا: المرجع السابق، ص ٩٥ - ١٠٧؛ تامارا تالبوت رايس : المرجع السابق ، ص ١٦٤ ،١٦٥؛ محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٣٥٢.

١٥٩- عن دور الوقف في دعم الحركة العلمية، انظر: منى الشاعر: دور الوقف في دعم وإثراء الحركة العلمية في العصر الأيوبي، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، العدد ٢٣، لسنة ٢٠٠٥م، ص ٢٠٥-٢٤٨.

-١٦٠ Turan, O.:: Islamisation dans la Turquie du Moyen age. stvdia Islamica, T.X., (Paris 1959) Pp. 140-141

- محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٣٥٢.

١٦١- ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص ٦٥، ٦٦، ورد هذا النص أيضا في: الحسيني: المصدر السابق، ص ٤٩؛ ابن العديم: المصدر السابق، ١٧٨.

١٦٢- ابن بيبي: المصدر السابق، ص ٣٤، ٣٥، ٥٨؛

Turan, O.: Les Souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans, Pp.85, 86.-

١٦٣- Turan, O.: Les Souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans, P. 86;
Cahen, C.: Pre -Ottoman Turkey, P.77.

١٦٤- ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ٥، تحقيق: حسنين ربيع، القاهرة ١٩٧٧م، ص ١٦٠، ج ٦، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت ٢٠٠٤ م، ص ٨٦، ٨٧

١٦٥- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت ١٩٦٥م، ص٥٨٦.

١٦٦- ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ٥، ص ١٦٢، ج ٦، ص ٨٧.

١٦٧- ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص ٦٨٣؛ الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق. إحسان عباس، بيروت ١٩٧٤م، ج ٢، ص ٣٨٧.

١٦٨- الكتبي: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٣٨٧.

١٦٩- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ٦٨٣- ٦٩٦؛ الكتبي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٨٧، ٣٨٨.

١٧٠- ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل ذكار، بيروت ١٩٨٨م، ج٣، ص١٠٦٦- ١١٤٩.

١٧١- ابن العديم: بغية الطلب، ج ١٠، ص ٤٣٤٧- ٤٣٥٤.

١٧٢- محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٣٥٧.

١٧٣- محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٣٥٤.

١٧٤- المنذري: التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد، بيروت ١٩٨٨م، ج٢، ص٢٢٤.

١٧٥- المنذري: المصدر السابق، ج٣، ص ١١٧.

١٧٦- الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوا د معروف، شعيب الأرنؤوط مهدي، بيروت ١٩٨٨ م، الطبقة ٦٢، ص ٢٠٢، ٢٠٣؛ المنذري: المصدر السابق، ج٢، ص ٣٩٥، ٣٩٦.

١٧٧- الذهبي: المصدر السابق، الطبقة ٦٤، ص ٧٣.

١٧٨- الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص ٢٦٧.

١٧٩- الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد، السعيد بسيوني زغلول، بيروت ١٩٨٥م، ج٣، ص٣٥٥؛ سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، يحيي هلال سرحان، بيروت ١٩٩٦م، ج ٢٣، ص ٢١٩.

١٨٠- المنذري: المصدر السابق، ج٣، ص ١١٧.

١٨١- اليونيني: ذيل مرآة الزمان، القاهرة ١٩٩٢م، ج٣، ص ٢٦٨، ٢٦٩.

١٨٢- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص ٢٤٧؛ السبكي: طبقات الشافية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، القاهرة ١٩٩٢م، ج ٨، ص ٣٧١.

١٨٣- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص ٢٤٧؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٣٧١.

١٨٤- السبكي: المصدر السابق، ج٩، ص ١٦٢، ١٦٣.

١٨٥- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤١٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، الطبقة ٦١ ص ٣٣٣ - ٣٣٥.

١٨٦- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ٦٨٢.

١٨٧- ابن العديم: بغية الطلب، ج ١٠، ص ٤٣٥٦، وراجع: محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٣٦٢.

١٨٨- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٧ - ٩٨٢.

١٨٩- جلال الدين الرومي: من أصل فارسي، ولد في مدينة بلخ في عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م، وكان والده بهاء الدين من عائلة غنية نبيلة يتصل نسبها بالخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن طريق علاء الدين بن طوقوش شاه خوارزم، ولقد رحل جلال الدين مع أبيه إلى قونية، ولما مات أبوه ارتحل إلى دمشق وحلب ليتابع دراسته العلمية، ثم عاد إلى قونية وتولى التدريس بها في أربعة معاهد للعلم، انظر: تمارا تالبوت رايس: المرجع السابق، ص ١٤٧ - ١٥٠.

١٩٠- تمارا تالبوت رايس: المرجع السابق، ص ١٤٧، ١٤٨.

١٩١- محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص٢٧٩.

١٩٢- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٧.

١٩٣- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٧

١٩٤- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٨.

١٩٥- محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٢٧٦.

١٩٦- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٧٠م، ج٣، ص ٤٤٦.

١٩٧- ابن خلكان: المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٤٦؛ أبو شامة: الذيل على الروضتين، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، بيروت ١٩٧٤م، ص ١٦٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، بيروت ١٩٩٠م، ص ١٣٨، ١٣٩.

١٩٨- ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٣٨، وراجع: قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة: صادق نشأت، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٧٠١.

١٩٩- الكتبي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٣٥.

٢٠٠- الصفدي: الوافي بالوفيات، فيسبادن ١٩٧٤م، ج ٤، ص ١٧٣؛ الكتبي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٣٥، ٤٣٦؛ المنذري: المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٥٥.

٢٠١ - محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٢٧٩.

٢٠٢ - تامارا تالبوت: المرجع السابق، ص ١٤٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية والمترجمة

١- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي، ت: ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠م)

«عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، تحقيق نزار رضا، بيروت ١٩٦٥م.

٢- ابن الأثير (عز الدين على بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بالجزري، ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

«الكامل في التاريخ »، ١٢ جزءا، بيروت ١٩٦٥ ،١٩٦٦، ١٩٧٩، ١٩٨٣م.

٣- ابن بطوطة (أبو عبدالله محمد بن عبد الله، ت:٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

ـ رحلة ابن بطوطة: المسماه تحفة النظّار في عجائب الأمصار وغرائب الأسفار، تحقيق: درويش الجويدي، بيروت ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.

٤- ابن بيبي (ناصر الدين يحيى بن محمد):

ـ الأوامر العلائية في الأمور العلائية المسمى بسلجوقنامة، تحقيق: هوتسما، ١٩٠٢م.

٥- ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي، ت:٣٦٧هـ/ ٩٨٧م)

ـ صورة الأرض، بيروت، د .ت.

٦- ابن خلدون (عبد الرحمن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، ت: ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م)

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، بيروت ١٩٧١م.

٧- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر)، ت: ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م:

ـ وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨- ١٩٧١م.

٨- ابن الشحنة (أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي)، ت: ٨٩٠ هـ /١٤٨٥م:

ـ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دمشق ١٩٨٤م.

٩- ابن عبد الحق البغدادي(صفي الدين عبد المؤمن)، ت: ٧٣٩هـ /١٣٣٨م:

ـ مراصد الإطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

١٠- ابن العبري (العلامة غريغوريوس أبو الفرج جمال الدين الملطى)، ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م:

ـ تاريخ مختصر الدول، بيروت ١٩٥٨م؛

ـ تاريخ الزمان، ترجمة: إسحاق أرملة، بيروت ١٩٨٦م.

١١- ابن العديم(الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن هبة الله بن العديم)، ت:٦٦٠هـ/١٢٦١م:

- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل ذكار، بيروت ١٩٨٨م.

ـ زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل المنصور، بيروت ١٩٩٦م.

١٢- ابن القلانسي (أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي)، ت: ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م:

ـ ذيل تاريخ دمشق، القاهرة ، د.ت.

١٣- ابن كثير(عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي)، ت:٧٧٤هـ /١٣٧٢م:

- البداية والنهاية، ج ١٢، بيروت ١٩٧٧، ج ١٣، بيروت ١٩٩٠م.

١٤- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل)، ت: ٦٩٧هـ /١٢٩٧م:

ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الأجزاء ١-٣، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٣ , ١٩٦٠م، الجزءان الرابع والخامس، تحقيق حسنين ربيع، القاهرة ١٩٧٢، ١٩٧٧م، ج ٦ تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت ٢٠٠٤ م.

١٥- أبو شامة(شهاب الدين محمد عبد الرحمن بن إسماعيل)، ت: ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦م:

ـ الذيل على الروضتين ، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، بيروت ١٩٧٤م.

١٦- أبو الفدا(الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل)، ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م:

ـ تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠م.

١٧- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله)، من علماء القرن السادس الهجري:

ـ نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، القاهرة، د. ت.

١٨- الأصفهاني(عماد الدين أبو عبد الله بن صفي الدين أبو الفرج محمد بن نفيس الدين المعروف بالكاتب الأصفهاني)، ت: ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م:

ـ تاريخ دولة آل سلجوق- اختصار الفتح بن علي البنداري، القاهرة ١٩٠٠م.

١٩- الحسيني (صدر الدين بن علي)، ت: ٥٧٥ هـ/١١٨٠م:

ـ كتاب أخبار الدولة السلجوقية، تصحيح: محمد إقبال، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢٠- الذهبي (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد)، ت: ٧٤٨ هـ /١٣٤٧م:

ـ العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد والسعيد بسيوني زغلول، بيروت ١٩٨٥م؛

ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوا د معروف وشعيب الأرنؤوط مهدي، بيروت ١٩٨٨ م؛

- سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، تحقيق بشار عواد معروف، يحيي هلال سرحان، بيروت ١٩٩٦م؛

٢١- الراوندى (أبو بكر محمد بن على بن سليمان)، ت ٦٠٣هـ/١٢٠٦م:

ـ راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة: إبراهيم أمين وآخرون، القاهرة ١٩٦٠م.

٢٢- سبط بن الجوزى (أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى التركي)، ت: ٦٥٤هـ /١٢٥٦م:

ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الجزء الثامن بقسميه تحقيق دائرة المعارف العثمانية، الهند، الدكن ١٩٥٢م.

٢٣- السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافي)، ت: ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩م:

- طبقات الشافعية الكبري، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، القاهرة ١٩٩٢م.

٢٤ - الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م:

ـ الوافي بالوفيات، ج ٤، فيسبادن ١٩٧٤م.

٢٥- الفارقي(أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي)، ت: ٥٩٠ هـ/ ١٠٩٤م:

ـ تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض، بيروت ١٩٧٤م.

٢٦- فوشيه الشارتري:

ـ تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي، بيروت ١٩٩٠م.

٢٧- القزويني (زكريا بن أحمد بن محمود)، ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م:

ـ أثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، د. ت.

٢٨- الكتبي (محمد بن شاكر)، ت: ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢م:

ـ فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس بيروت ١٩٧٤م.

٢٩- المنذري (زكي الدين أبو الحسن محمد بن عبد العظيم)، ت: ٦٥٦هـ/١٢٥٨م:

ـ التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق: بشار عواد،ج٢، بيروت ١٩٨٨م.

٣٠- مؤرخ مجهول:

- أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة ١٩٥٣م.

٣١- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م:

- نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٧، تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣٢- وليم الصوري:

- تاريخ الحروب الصليبية- الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة: سهيل زكار، بيروت٢٠٠٣م.

٣٣- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي)، ت: ٦٢٦؟/ ١٢٢٨م:

- معجم البلدان، ٥ أجزاء، بيروت ١٩٨٨م.

٣٤- اليونيني (أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين)، ت: ٧٢٦؟/ ١٣٢٦م:

- ذيل مرآة الزمان، القاهرة ١٩٩٢م.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة

١- إبراهيم أحمد العدوي:

- الأمويون والبيزنطيون- البحر المتوسط بحيرة إسلامية، القاهرة ١٩٥٣م.

٢- إتش . إ . ماير:

- تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، القاهرة ١٩٩٩م.

٣- أحمد عبد الكريم سليمان:

- المسلمون والبيزنطيون في شرقي البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجريين، التاسع والثاني عشر الميلاديين، القاهرة ١٩٨٢م.

٤- أحمد كمال الدين حلمي:

- السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت ١٩٧٥م.

٥- أرمينوس فامبري:

- تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: أحمد محمود الساداتي، القاهرة ١٩٧٢م.

٦- استارجيان، د. ل.ل.:

- تاريخ الأمة الأرمينية، الموصل ١٩٥١م.

٧- إسمت غنيم:

- دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

٨- أوقطاي أصلان آبا:

ـ فنون الترك وعمائرهم، ترجمة: أحمد محمد عيسى، استانبول١٩٨٧م.

٩- بارتولد، ف. ف.:

ـ تاريخ الترك في آسيا الوسطي، ترجمة: أحمد السعيد سليمان القاهرة ١٩٥٨م.

١٠- باوندزوكنجربري:

ـ أطلس أوربا، ترجمة: محمد فاتح عقيل، الإسكندرية ١٩٧٦م.

١١- بول آميل:

ـ تاريخ أرمينيا، ترجمة: شكري علاوي، بيروت، د. ت.

١٢- تامارا تالبوت رايس:

ـ السلاجقة- تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخولي وإبراهيم الداقوقي، بغداد ١٩٦٨م.

١٣- حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف:

ـ العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة، ١٩٩٥ م.

١٤- حسنين ربيع:

ـ دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٩٣م.

١٥- زبيدة عطا:

ـ الترك في العصور الوسطي، القاهرة، د.ت.

١٦- ستيفن رنسيمان:

ـ تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة، السيد الباز العريني، بيروت ١٩٩٣م.

١٧- سعيد عبد الفتاح عاشور:

- الحركة الصليبية، ج ١، القاهرة ١٩٧٥م.

١٨- سهيل زكار:

ـ مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، بيروت ١٩٧٢م.

١٩- السيد الباز العريني:

ـ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٦٥م.

٢٠- شارل أومان:

ـ الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، القاهرة ١٩٥٣م.

٢١- شوقي أبو خليل:

ـ أطلس دول العالم الإسلامي(جغرافي- تاريخي- اقتصادي)، دمشق ١٤١٩هـ /١٩٩٩م.

٢٢- عبد العزيز الدوري:

ـ العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، بيروت ١٩٨٨م.

٢٣- عبد النعيم محمد حسنين:

ـ دولة السلاجقة، القاهرة ١٩٧٥م.

٢٤- عصام الدين عبد الرؤف:

ـ دراسات في تاريخ الدولة العباسية، القاهرة ١٩٩٩م.

٢٥- عفاف سيد صبره:

ـ دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٨٥م.

٢٦- علي بن صالح المحميد:

ـ الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٤م.

٢٧- فتحي عثمان:

ـ الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة ١٩٦٦م.

٢٨- قاسم غني:

ـ تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة: صادق نشأت، القاهرة ١٩٧٢م.

٢٩- محمد سهيل طقوش:

ـ تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغري، بيروت ٢٠٠٢م.

٣٠- محمد عبد الشافي المغربي:

ـ آسيا الصغرى في العصور الوسطي، الإسكندرية، ٢٠٠٢ م.

٣١- محمد فؤاد كوبرلي:

ـ قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، القاهرة ١٩٩٣م.

٣٢- محمود شيت خطاب:

ـ قادة الفتح الإسلامي لأرمينية ، بيروت ١٤١٩؟/ ١٩٩٨م.

٣٣- منى سعد محمد الشاعر:

ـ دور الوقف في دعم وإثراء الحركة العلمية في العصر الأيوبي، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، العدد ٢٣، لسنة ٢٠٠٥م.

٣٤- ميشيل بالار:

ـ الحملات الصليبية والشرق اللاتيني- من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة ٢٠٠٣ م.

ثالثا: المصادر والمراجع الأجنبية

١- Cahen, C.: Pre-Ottoman Turkey 1071 -1330, translated from the French by, J. Jones, Williams, London 1968.

٢- Cambridge Medieval History, Vol. IV.

٣- Chamician, M.: History of Armenia, Vol. II, Trans. by Johannes Avadalle, Calcutta 1827.

٤- Finlay, G.: History of the Byzantine Empire, London 1853.

٥- Franzius, E.: History of Byzantine Empire, New York, 1967.

٦- Grousset, R. : Histoire de L ' Arménie des Origines a 1071, Payot, Paris, 1947.

٧- Lorga, N.: L'Arménie, Cilicienne, Paris1930.

٨- Matthieu d'Edesse: Extraits de la chronique de Matthieu d'Edesse, In: R. H. C. D. Arm., Paris 1869.

٩- Oman, C. A.: History of the Art of War in the Middle Ages, Vol: I., London 1924.

١٠- Ostrogorsky, G.: A History of the Byzantine States. Trans. By Hussey, J., Oxford 1968.

١١- Robinson, F.: Atlas of the Islamic World since 1500, Oxford 1987.

١٢- Setton, K.M.: A History of the Crusades, Vol. I, Pennsylvania 1969.

١٣- Turan, O.: Les Souverains Seldjoukides et leurs sujets non Musulmans, Stvdia Islamica, T. I., Paris 1953.

١٤- Turan, O.: L' Islamisation dans la Turquie du Moyen Age, Stvdia Islamica, T. X., Paris 1959.

١٥- Vasiliev, A.V.: The History of the Byzantine Empire (339 -1453), Vols. I & II, U.S.A. 1971, 1973.

د. أميرة بنت أحمد الجعفرى (*)

سياسة الدولة الأموية فى إدارة الثغور الأندلسية

(١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١)

تمهيد :

الثغر : بالفتح ثم بالسكون، كل موضع قريب من ارض العدو كأنه مأخوذ من الثغرة، وهى الفرجة فى الحائط، (١) وقيل هى ما يلى دار الحرب، وموضع المخافة من خروج البلدان (٢).

وهناك من يرى بأن نظام الثغور من إنشاء الإمبراطور هرقل(٦١٠-٦٤١م) الذى تولى الإمبراطورية ووجد الخزينة خاوية، والضرائب فادحة، والجنود من المرتزقة الذين يزيدون من أعباء الخزينة مع عدم إخلاصهم فى الحروب، لذلك أوجد هرقل هذا النظام (نظام الثغور والأجناد)، ويعرف بنظام هرقل والذى أخذه الفرس والعرب فيما بعد (٣).

ويقوم هذا النظام على أساس اقتطاع ما تبقى من أراضى الإمبراطورية البيزنطية - بعد أن أغار الفرس عليها - إلى إقطاعات زراعية تعطى إلى قوة عسكرية صغيرة تقيم فيه مع عيالها، لأنه كان يتحتم على الجندى أن يقضى فترات طويلة خارج مدينته ومنزله فى مواقع الجبهات، ومن هذه الإقطاعات الزراعية يعتاش الجندى مع عائلته بزراعتها وأخذ محصولها دون أن يشاركه بها أحد، مقابل أن يلبى نداء الدولة مصطحبا معه حصانه وسيفه وزاده، فبذلك يكون قد كفل معيشته من دون أن يكلف الدولة شيئا (٤).

*- أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد بقسم التاريخ ـ كلية الآداب بالدمام

على أن هذا النظام قد تطور بعد ذلك تطورا كبيرا على يد العرب المسلمين واصبحت له أنظمته وإدارته الخاصة المتميزة في الشام ومصر وغيرها من البلدان التى خضعت للسيادة الإسلامية، ولكى نتمكن من معرفة ما كانت عليه هذه الثغور فى الأندلس، لابد من معرفة بدايات تكوينها، وحدودها وهذا ما سنقف عليه فى هذه الدراسة.

عرفت الثغور فى الأندلس بأنها المدن القريبة من خط الحدود مع مسيحى الشمال، والتى اتخذها المسلمون كمعامل الاعتصام بها عند الخطر وتنظيم وسائل الغزو عندما يتقرر القيام به (٥).

الحدود الجغرافية للثغور فى الأندلس :

ليس من السهل تحديد مناطق الثغور فى الأندلس تحديدا جغرافيا دقيقا خلال فترة الدراسة، وذلك لاختلاف هذه الحدود من فترة تاريخية لأخرى تبعا لنتائج الصراع الإسلامي - النصرانى ،الذى كان بين مد وجزر فى عصر الولاة (٩١-١٣٨هـ/٧١١-٧٥٦م)، وعصر الدولة الأموية بقسميه عصر الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٦م) وعصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ/٩١٢-١٠٣١م).

والمتأمل لفتح الأندلس، الذى استغرق حوالى أربع سنوات (٩٢-٩٥هـ/٧١٠-٧١٣م) يلاحظ أن المسلمين لم يستكملوا فتح شبه الجزيرة الإيبيرية وتركوا بعض المناطق الوعرة فى أقصى الشمال، فلم يصل حكمهم إلى جبال قرقشونة فى أقصى الشرق، وجبال بنبلونة ومنطقة اشتريس ASTURIAS وجليقية GALICIA فى الشمال والشمال الغربى حيث نبتت حركة المقاومة النصرانية هناك، وأسست لها دول باتت تهدد الوجوه الإسلامى فى تلك البلاد (٦).

وعلى الرغم من أن عمليات الفتح استمرت فى عصر الولاة (٩١-١٣٨هـ/٧١١-٧٥٦م) إلا أن المصادر التاريخية التى بين أيدينا تضن علينا ولم تحمل إلا النزر اليسير من الحديث عن مجهودات الولاة فى تثبيت الوجود الإسلامى فى ذلك الصقع البعيد عن مركز الخلافة الأموية فى المشرق، حيث ذكر ابن القوطية (٧) أن موسى بن نصير عندما قرر العودة للمشرق شد حصون الأندلس، أى قواها، واستخلف ابنه عبد العزيز الذى وصف فى إدارته للأندلس بأنه «ضبط سلطانها وسد ثغرها، وافتتح مدائن كثيرة»(٨). كما نجد معارضة من الوالى السمح بن مالك الخولانى (١٠٠-١٠٢هـ/٧١٨-٧٢٠م) لأمر الخليفة الأموى عمر بن العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) الذى طالبه بإجلاء المسلمين من الأندلس إشفاقا عليه إذ خشى من غب العدو عليهم، إلا أن السمح أخبره «بقوة المسلمين وكثرة عددهم فى الأندلس وشرف معاقلهم»(٩). ولا ندرى كيف تسنى للسمح خوض فتوحات جديدة مع أن سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز كانت تجميد الفتوح على الأقل حتى يتسنى له خفض النفقات لإصلاح الميزانية الأموية والموازنة بين موارد الدولة ونفقاتها، ولعل السمح نشط فى فتح ما وراء البرت بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز وتغير سياسة الدولة الأموية(١٠).

ويرى أحد المؤرخين المحدثين (١١) أنه من أهم الأسباب فى تغير حدود المناطق الثغرية فى الاندلس هو انشغال العرب بالصراع القبلى المقيت بين القيسية واليمنية من جهة والصراع بين العرب والبربر من جهة أخرى حتى أن المصادر العربية قد اسهبت فى تفاصيل تلك المنازعات التى أدت إلى توقف الجهاد ضد نصارى الشمال فى إسبانيا، وأدى كذلك إلى حدوث مجاعة كبيرة لأن الحروب التى وقعت لم تكن قصيرة الأمد ولا محصورة الميدان، إنما شملت البلاد كلها مما دفع العرب إلى هجرة المواضع التى كانوا قد استقروا فيها فى الوسط والشمال والغرب وخلفوها، لا يكاد يشرف على عمارتها أحد، كما قام البربر بالهجرة إلى إفريقية جماعات، فانتهز النصارى الأسبان هذه الفرصة وأخذوا ينحدرون إلى الجنوب ويستردون الكثير من المناطق التى كانت تحت السيادة الإسلامية فتمكن بلاى (١٢) Pelayo Covadonga ملك جليقية من هزيمة المسلمين فى موقعة كوفا دونجا عام ١٣٣هـ/٧٥٠م وأخرجهم من جليقية كلها، وتقهقر المسلمون إلى استورقة وأخلوا المنطقة الشمالية الغربية كلها ونزلوا حتى قورية (١٣) وماردة (١٤) عام ١٣٦ هـ/٧٥٣م(١٥) وبذلك خسر المسلمون ربع ما فتحوه من شبه الجزيرة الإيبيرية بعد حكم دام أربعين سنة تقريبا.

وخلال فترة الدراسة لم يكن الشمال الإسبانى النصرانى كله يشكل دولة واحدة بل كان هناك فى عصر إمارة بنى أمية ثلاث تجمعات نصرانية رئيسة هى :-

١-مملكة جليقية(١٦) واشتوريس كانتا مملكة واحدة وقد نشأت على يد بلاى عام ٩٨هـ/٧١٨م فى الركن الشمالى الغربى من شبه جزيرة أيبريا، إلا أن أوضاع كل منهما كانت تختلف عن الأخرى وفى أواخر القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى، صارت مملكة جليقية- أشتوريس تدعى بمملكة ليون Leon وذلك بعد امتداد هذه المملكة شرقا وجنوبا وضمها أراضى جديدة(١٧)

٢- التجمع النصرانى الثانى ويعرف بمملكة نبرة (نافار (NAVARRA) وهى فى غربى جبال البرنات وإلى الشرق من جبال كنبريه (CANTABRIA) على أبواب فرنسا وهى بذلك مملكة فاصلة بين إمارة برشلونة التى تقع على ساحل البحر المتوسط فى الشرق، وبين مملكة جليقية واشتريس (١٨)

٣- أما التجمع النصرانى الثالث فهو إمارة قطالونية (CABLONIA)

(برشلونة) وهى إمارة تمتد من جبال البرنات فى الشمال إلى بلنسية فى الجنوب ومن منطقة الثغر الأعلى (سرقسطة) (١٩) فى الغرب إلى البحر المتوسط فى الشرق. (٢٠).

أما بالنسبة للثغور فى الأندلس، فقد اصطلح المؤرخون على تقسيمها على النحو التالى:

الثغر الأعلى: ويشمل سرقسطة، عاصمة هذا الثغر، ولاردة (٢١)، وتطيلة (٢٢)، ووشقة(٢٣)، وطرطوشة(٢٤) وغيرها. وكان هذا الثغر يواجه برشلونة ومملكة نافار وتمثله اليوم منطقة أراغون.

الثغر الأوسط : وكان يواجه مملكة ليون وقشتالة، وكانت عاصمته أول الأمر مدينة سالم (٢٥)، ثم استبدلت بها طليطلة (٢٦).

الثغر الأدنى : (الثغر الجوفى) ويشمل المنطقة الواقعة بين نهرى دويرة وتاجة من مدن هذاالثغر، قورية وقلمرية (٢٧) وشنترين(٢٨) وماردة (٢٩).

أما بالنسبة للسواحل فالأندلس شبه جزيرة يحيط بها البحر المتوسط من الجهتين الشرقية الجنوبية الشرقية، والمحيط الأطلسى من الجهات الجنوبية الغربية والغربية والشمالية الغربية، مما جعلها مستهدفة من ناحية التجار (٣٠).

ولا شك أن هذا الامتداد الساحلى الكبير للأندلس قد ضاعف من المسؤولية الملقاة على عاتق الدولة الأموية فى إنشاء عدد من القلاع والحصون فى القسم الشمالى من المسيتا الإسبانية المعروف باسم برودليا BARDULIA وقد مهد ذلك لظهور إمارة قشتالة، وهى بلاد القلاع، وفى الوقت نفسه، وزاد من صعوبة إدارة مناطق الثغور البرية والبحرية (٣١).

ويتضح من هذه الثغور ومواقعها أن المسلمين استغلوا طبيعة إسبانيا الجبلية فى تكوين شبكة دفاعية قوية، فجعلوا من سلاسل الجبال ووديان الأنهار التى تقطعها فى خطوط مستعرضة من الشرق إلى الغرب أو العكس خطوط دفاعية ضد أى هجوم يقع عليها من المسيحيين فى الشمال، فقامت على هذه الوديان مدن هامة كانت بمثابة قواعد عسكرية لهذه الخطوط، فمدينة سرقسطة مثلا كانت مركز للخط الدفاعى الأول فى الشمال وهو نهر الإبرو EBRO ولهذا كانت سرقسطة تسمى الثغر الأعلى أو الثغر الأعظم وأحيانا كانت تسمى (أم الثغر الاعلى)(٣٢)، وتليها جنوبا مدينة طليطلة التى كانت مركزا للخط الدفاعى الثانى وهو نهر التاجو TAJO ولهذا سميت بالثغر الأدنى، وفى أقصى الجنوب نجد نهر الوادى الكبير GAUDA IQUIVIR الذى تقع عليه عواصم الأندلس مثل قرطبة (٣٣) وإشبيلية (٣٤) وقادس (٣٥).

وهذا الوضع السياسى والحربى لإسبانيا قد جعل تاريخها الوسيط صراعا مستمرا بين المسلمين والمسيحيين ولهذا اعتبرت الأندلس فى نظر المسلمين ثغرا للدولة الإسلامية وأرضا للجهاد والرباط (٣٦)، حتى أطلق اسم الثغر على الأندلس كلها تجاوزا حيث وصفها ابن عذارى (٣٧) فى عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) بأن «بلاد الإسلام بالأندلس صارت هى الثغر المخوف».

أولى الأمويون فى الأندلس الثغور جل اهتمامهم، لما تحتله هذه المناطق من أهمية استراتيجية وعسكرية كبرى وتجلى هذا الاهتمام فى مظاهر عدة، من أبرزها :

أولا : التنظيمات الإدارية :

كانت مناطق الثغور تتبع إداريا حكومة قرطبة، من حيث اختيار الولاة ومراقبتهم وتوفير الدعم المادى والمعنوى لهم، وقد حرص الأمويون على اختيار ولاة المناطق الثغرية

وعينوا عليها عمالا عرفوا بعمال الثغور (٣٨) وتطور الأمر فى عصر الخلافة الأموية حيث جُعل للثغور وزيرا فى عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) يعرف باسم وزير الثغور (٣٩) وبالنسبة للثغور البحرية فقد أتجه الأمويون إلى توطين بعض الأسرات العربية على الساحل الجنوبى الشرقى لحمايته من الغارات التى يشنها النورمان أو القطلانيون أو البنادقة ردا على غارات المسلمين على السواحل الإيطالية، فأنزلوا جماعة من عرب اليمن وهم بنو سراج القضاعيون على ساحل بجاية، «ووكلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل»(٤٠) كما كان هناك وزيرا خاصة للنظر فى كتب أهل الثغور والسواحل والاطراف وغير ذلك (٤١). وقد حرص الأمويون على اختيار الثغور والسواحل والأطراف وغير ذلك (٤١). وقد حرص الأمويون على اختيار القيادات القوية فى المناطق الحساسة ومن ذلك اختيار عبد الرازق بن عيسى من البحريين الذى ذاعت شهرته فى حماية بجانة (٤٢) حتى أن المسافرين عندهم كانوا يضعون أمتعتهم ورحالهم بالأسواق والشوارع مطروحة بلا حارس فلا يكاد يضيع منها شيئا وذلك بسب براعة أميرهم - السالف الذكر - فى ضبط أمور البلاد وتحصينها وحمايتها (٤٣).

اعتمدت الدولة الأموية على سياسة تولية الأسر المشهورة والمعروفة بولائها لهم فى إدارة الثغور وعقدت لهم السجلات بولاية الحصون والقرى (٤٤)، وكانت هذه سياسة لها نتائج إيجابية وأخرى سلبية فمن إيجابياتها ضمان الاستقرار فى مناطق الحدود بضمان استقرار الأسر التى تحكم، كما أن الدولة الأموية كانت تستعين بهم فى إخماد الثورات الداخلية أحيانا وفى رد الأخطار التى تواجهه السواحل والمدن القريبة منها كما فعل الأوسط عندما استعان ببنى قسى لمواجهة المجوس الذين هاجموا غرب الأندلس (٤٥) ومن سلبياتها طمع الأسر فى الاستقرار بهذه المناطق وحفلت المصادر التاريخية بأمثلة كثيرة على هذا النوع من الاستقلال فى مناطق الثغور (٤٦)

واهتم الأمويون بإرسال كتبهم إلى ولاة الثغور متضمنة التعليمات والتوجيهات بالاهتمام بالثغور حتى لا يأخذهم العدو عنوة، وقد كانت رسائلهم تصدر تباعا (٤٧).

كانت المناطق الثغرية وعمالها تحت مراقبة إدارية مدروسة تنوعت فيها وسائل الأمراء الأمويين وخلفائهم فى عملية المتابعة والمراقبة بين قيامهم بزيارات ميدانية بأنفسهم للتأكد من الأوضاع واستقراراها، وبين إرسال أبنائهم ومن يثقون بهم من رجالات الدولة لينقلوا لهم الوضع بكل دقة ووضوح وبين سؤال بعض الأفراد القادمين من مناطق الثغور.

وفى مجالات الزيارات الميدانية حفلت المصادر التاريخية بالكثير من الأمثلة على الجولات الميدانية التى قام بها الأمراء والخلفاء الأمويون لدراسة وتتبع أحوال المناطق الثغرية، كما فعل عبد الرحمن الداخل اثناء ثورة عبد الغافر اليمانى بإشبيلية حيث كان آنذاك فى الثغر «يسد خلله ويحسم علله»(٤٨)وكذلك فعل عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م عندما خرج فى غزوة بنبلونة حيث قام بالمرور على الثغور والحصون ورتب

أمورها وأصلح أحوالها (٤٩)، وكانوا أحيانا يبعثون إلى ولاة الثغور أمينا يمتحنهم ويتأكد من ولائهم، ويبدو أن عبد الرحمن الداخل كان أول من أقر نظام استجواب الرجال فى تلك النواحي واختبار بصائرهم، فكان يستقدم كل من يطلع له على سوء سريرة وشبهة فى الثغر (٥٠) وسار ابنه هشام الرضا على نهج والده حيث اعتاد أن «يبعث إلى الكور قوما عدولا يسألون الناس عن سير العمال، ثم ينصرفون إليه بما عندهم»(٥١).

وسار حفيده عبد الرحمن الأوسط على نهجه، فأخذ أهل الذنوب والريب وعفا عن الباقين فى غزاته إلى أوريط (٥٢) وبعث الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط من يمتحن طاعة أزراق بن منتيل قائده على الثغر صاحب وادى الحجارة وثغرها (٥٣).

ومما لا شك فيه أن اتجاه الأمويين وحرصهم على امتحان الولاة فى مناطق الثغور، يعود إلى كثرة الثورات والانتفاضات، التى حدثت فى المناطق الثغرية فى العصر الأموى حيث حفلت المصادر بتفصيلات كثيرة عنها (٥٤).

كانت الرقابة على الثغور وولاتها مستمرة، إذ حرص الأمويون على تتبع أحوالهم بإرسال أبنائهم ليكونوا عيونا لهم ترصد أوضاع الثغور واحتياجاتها، ففى عام ٢٢٤هـ/٨٣٨م أغزى الأمير عبد الرحمن الأوسط ابنه الحكم إلى دار الحرب، وأمره «بالتجول فى جنبات الثغر، لفهم مآربه، وابتغاء مصالحه»، وطلب منه الإسراع بالكتابة إليه بما يحتاج إليه دون الانتظار حتى يرجع وبالفعل بعث عبد الرحمن الأوسط بعشرة آلاف دينار فى دفعتين إلى مدينة سرقسطة لتنفق فى ترميم قنطرتها وشد ما تثلم من سورها (٥٥). وها هو المنذر بن محمد يسمع بوفاة أبيه فلا يرده هذا عن إكمال عمله فى متابعة الثغور وأحوالها (٥٦).

كما حرص الأمويون على تتبع خبار الثغور، ممن قدم إليهم منها من ذلك ما قام به عباس الثقفى عندما أخبر الحكم الربضى عن امرأة تستصرخ الحكم فى مدينة الفرج، فيبادر لإغاثتها ونصرتها (٥٧) وها هو الحكم المستنصر يقف وهو فى طريقه إلى الزهراء، ليستمع إلى جمع من أهل ثغر لاردة ويسألهم رجلا رجلا عن عاملهم رزق بن الحكم الجعفرى فيثنون عليه وعلى سيرته، فيسر بذلك ويحمد الله عليه (٥٨).

حرص الأمويون على التقييم المستمر لأداء قواد الثغور، وإذا ما لاحظوا ضعفا أو تقصيرا من قبلهم بادروا بعزلهم، كما فعل عبد الرحمن الناصر مع بنى داوود عندما عزلهم وعين على الحصون الثقات من رجاله أومن يحسن السيرة فى الرعية (٥٩).

اتبع الأمويون سياسة التحفيز لرجال وقادة الثغور الذين كانوا يثبتون جدارة وأمانة وإخلاصا للدولة الأموية، حيث كانوا يطلقون أيديهم فى تلك المناطق، التى كانت تتحول تدريجيا إلى مراكز نفوذ للأسر، فنجد عمرو بن يوسف عامل الحكم الربضى على طليطلة يعين ابنه يوسف على مدينة جبل تطيلة الحصينة التى بناها، كما يعين ابن عمه شبريط على وشقة من مدن الثغر الأعلى(٦٠) إلا أن هذه المكانة والثقة لم تقف حائلا بين متابعة الحكم لأمور

الثغور وعمالها، حتى أنه بعث ابنه عبد الرحمن فى عام ١٩٤ هـ/٨١٩م للتأكد من وضع طليطلة فأشار عليه بعد عودته بضرورة الانتباه لسيطرة عمروس وأسرته على منطقة الثغر الأوسط مما استوجب أن يرسل حملة إلى هناك (٦١). وكانوا شديدى الاستخبار عن الثغور، والتطلع إلى ما يحدث فيها، وفى حالة تأخر وصول أخبار الثغور عنهم، كانوا يرسلون الثقات من رجالهم لاستعلام الأمر.

ويرى أحد المؤرخين (٦٢) المحدثين أن المسلمين أميل إلى التساهل مع السكان فى النواحى الثغرية طمعا فى كسبهم إلى جانب المسلمين وكانوا كذلك أكثر كرما على الجنود المقيمين فى الثغر منهم على المقيمين فى الولايات المدنية، وأميل إلى تقبل هذا الرأى وأجد له أمثلة فى سياسة الدولة الأموية فى إدارة الثغور ممثلا فى استقبالهم لقواد الثغور استقبال الأبطال وتوزيع الأموال والكسوة عقب كل غزاة (٦٣).

كما كانوا يستقبلون فى العاصمة استقبالا رسميا يدل على عظم مكانتهم وأهميتهم كدخول محمد بن رزق الجعفرى الوالى على ثغر لاردة ومنتشون إلى قرطبة، حيث استقبل بكتائب الخيل والعدة (٦٤)، كما أن أمراء بنى أمية وخلفائهم حرصوا على توفير الأمن الاقتصادى لجنود الثغور عندما الحقوا أبنائهم فى ديوان الأرزاق بمجرد التحاقهم بالثغور أو الجيوش (٦٥).

كما كانوا يستمعون إلى أهلى الثغور وشكاواهم، ويستجيبون لمطالبهم أحيانا فى تغيير ولاتهم ممن لا يرتضون سياستهم كما فعل الحكم الربضى عندما عزل عامله عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث عن طليطلة، وعين عبد رب بن زريق بعد أن راسله أهل طليطلة بذلك (٦٦). ويلاحظ أيضا كثرة تغيير الولاة وعزلهم بشكل واضح فى عصر الأوسط (٦٧) وكما عزل الناصر بنى سالم عن مدينة الفرج فى عام ٣٠٨هـ/٩٢٠م لأن أهاليهم اشتكوا منهم، وعين سعيد بن المنذر مكانهم (٦٨) كما حرصوا كثيرا على سكان الثغور وافتكاك أسراهم، وقد كان من نتائج هذا الاهتمام البالغ أن رجلا فى زمن هشام بن عبد الرحمن الداخل (الرضا) (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) أوصى بمال لفك سبية من أرض العدو فطلبت فلم توجد لشدة احتراسه بثغره، واستنقاذا لمن سبى وضعفا من عدوه، حتى أنه وصف بالجود والكرم وتحصين الثغور (٦٩)، كما نجد بريل حاكم برشلونة فى سفارته إلى الحكم المستنصر يبعث له بهدية ثلاثين أسيرا من أسارى المسلمين لأنه أعلم «أن ذلك أفضل ما يسر به أمير المؤمنين ويبتهج به ويكافئ عليه»(٧٠).

كما سارت الدولة الأموية فى سياسة الاعتدال والحكمة وسامحت الثائرين فى مناطق الثغور الذين ثابوا إلى رشدهم ورغبوا فى العودة إلى الطاعة كما فعل الأوسط مع محمود الماردى(٧١) ومع موسى بن موسى القسوى (٧٢).

كان لهذا الحرص والمتابعة آثارها فى السيطرة على أوضاع الثغور حتى بلغ الأمر أن عامل الأمير محمد بن الأوسط على بجانة لا تجرى ببحره جارية إلا بمعرفته وتحت إشرافه، حتى لقد ظهرت هناك على عهده خشبة جاسية أنكر عمر شأنها، وكتب إلى الأمير بخبرها بعد

أن أخذ له طولها وعرضها، فشكر له محمد استقصاءه لما وكل به، وصرف إلى نظره يومئذ جميع الأنشيات، وخزلها عن كورة إلبيرة.

بلغت قوة الدولة الأموية شأنا بعيدا عملت له الدول المجاورة ألف حساب فها هو قرلش بن قارلة أعظم ملوك الفرنجة يسالم الأمير محمد ويتحفه بالهدايا (٧٣). وها هو غيتار صاحب برشلونة يبعث رسوله للحكم المستنصر لتجديد السلم بينهما، ورسول هوتو ملك الإفرنج يجدد صلته، وأسقف جرنش ونونه بن غند شلب صاحب قشتيلة يرغب فى تجديد الصلح (٧٤).

ثانيا : التنظيمات المالية :

أهتم الأمويون بالتنظيم المالى للثغور وأولوه جل عنايتهم، وقد كان عبد الرحمن الأوسط فيما يبدو أول من نظم الأمور المالية فى الثغور، حيث حدد المصارف والنفقات والتى حددها بالجزاء والعشور لإنفاقها فى احتياجات الجند ورواتبهم، وما يزيد على ذلك ينفق فى فك الأسرى ومرمة الحصون، ومصالح الثغور بالإضافة إلى أنه سمح لولاته فى الثغور بأن يرتزق فى كل شهر لعمالتهم مائتى دينار (٧٥)، وكان عبد الرحمن الناصر قد حدد ثلث الجباية للجند (٧٦).

زاد اهتمام الأمويين بالثغور فى عهد الحكم المستنصر حتى أنه حبس ربع جميع ما ورثه عن أبيه الناصر فى جميع كور الأندلس وأقاليمها على ثور الأندلس كافة، توزع عليهم غلات هذه الضياع عاماً بعد عام على ضعفائهم. (٧٧) إضافة إلى ضريبة الحشود والبعوث، التى كان الأمويون يأخذونها بتجديدها كل سنة للصوائف الغازية لدار الحرب (٧٨).

كما اعتمدت الثغور على بعضها البعض فى الإمدادات مثلما حدث عام ٣٥٠هـ/٩٦١م عندما دخل أردون بن أذفنش وشانجه بن غرسيه إلى مدينة ناجرة بالثغر الأقصى وعاث فيها فسادا، فجاءات المساعدات من كل الأطراف والثغور (٧٩).

ونظرا لما تمتعت به المدن الثغرية من خصوبة تربتها وجودة محاصيلها، فقد كانت الزراعة أحد مصادر الدخل التى اعتمدت عليه فى تمويل أمور الدفاع والهجوم، حيث اعتمدت الثغور على ما تنتجه المدن الثغرية وما تبيعه فى أسواقها (٨٠).

ومثلت الغنائم التى كانوا يحصلون عليها أحد مصادر الدخل كذلك فى المناطق الثغرية (٨١) ومن ذلك ما تم فى عام ٢٤٢هـ/٨٥٦م عندما تمكن موسى بن موسى من فتح حصن طراجة وهى من آخر أحواز برشلونة، ومن خمس ذلك الحصن زيدت الزوائد فى المسجد الجامع بسرقسطة (٨٢)، كما بلغت غنائم الناصر فى بعض غزواته درجة لم يتمكنوا فيها من حملها، وبلغ سعر القمح ستة أقفزة (٨٣) بدرهم، فلا يوجد من يشتريه (٨٤).

كانت الإمدادات للمناطق الثغرية تصل تباعا وفق الظروف التى تمر بها تلك الثغور، فإذا كان الثغر عاجزا عن الدفاع عن نفسه بسبب اجتياح القوات النصرانية لأراضيه، كان الأمويون يسارعون بتوجيه الجيوش والمساعدات لهم من كافة الكور والأقاليم (٨٥).

حرص الأمويون على تزويد الثغور وإمدادها بما تحتاجه، حتى عندما حلت المجاعة بالأندلس عام ٣٠٢هـ/٩١٤م ووقع الوباء فى الناس وكثر الموتى فى «أهل الفقر والحاجة، ولم تتمكن الإدارة الأموية من إرسال جيش أو الخروج فى غزاة، إلا أن الخليفة عبد الرحمن الناصر، عادية عمل فى هذا الوقت على ضبط أطرافه والتحفظ بالمسلمين من عادية أهل الخلاف والخلعان(٨٦).

ثالثا: التنظيمات الحربية:

اهتم الأمويون بالتنظيمات الحربية المتمثلة فى تحصين المدن الثغرية بكل ما يمكنه أن يزيد فى قوتها الدفاعية والهجومية، وتمثلت هذه التنظيمات فى بناء المدن الثغرية وفق أصول وقواعد تهيؤها لتكون مراكز دفاع وهجوم فى مناطق الثغور بحيث اشتمل هذا النوع من العمارة الحربية على الأسوار المحيطة بالمدن الثغرية، بأبراجها وأبوابها، ومأ أدخل على هذه الأسوار والأبراج من تحسينات استحدثها المسلمون لتدعيم النظم الدفاعية أمام خطر الاسترداد النصرانى، مثل الأبراج البرانية، والأسوار الأمامية، والأبواب ذات المرافق الملبسة بالحديد حتى تقاوم ضربات العدو إذا استطاع الوصول إليها، وهو أسلوب شاع استخدامه فى جل أبواب المدن الثغرية الإسلامية (٨٧) كما اشتمل أيضا على القصاب والقلاع التى كانت عادة فوق الأماكن المشرفة العالية حتى تتمكن حامياتها من السيطرة والإشراف على كل ما يحيطها من مناطق (٨٨) وتأثرت العمارة الحربية الإسلامية لهذه المدن الثغرية بطبيعة الحال بالعمارة الحربية الرومانية أو البيزنطية التى كانت سائدة فى أسبانيا (٨٩).

ويبدو أن عبد الرحمن الناصر كان أكثر الأمويين اهتماما بهذا النوع من الاستراتيجيات العسكرية التى تقوم على سياسة الاستعداد للدفاع والهجوم وتدل المصادر – التى بين أيدينا – على اهتمام الأمويين ببناء الحصون والإكثار منها (٩٠) فمن خلال استقراء النصوص التاريخية نلاحظ الاهتمام ببناء الحصون بكثرة فى مناطق الثغور وتخص منهم بالذكر محمد بن عبد الرحمن الأوسط الذى وصف «بعنايته بمصالح المسلمين، والتهمم بثغورهم، والحفظ لفروجهم، والضبط لأطرافهم...»(٩١)

ومن أهم إنجازاته فى هذا المجال بنيان حصن إستيرش لغلال مدينة سالم فى الثغر الأوسط، وحصن طلمنكة وحصن مجريط وحصن بنه فراطه (٩٢).

وتحفظ المصادر وصفا دقيقا لعملية بناء بعض المدن الثغرية مثل مدينة سالم فى الثغر الاوسط التى اختار مكانها عبد الرحمن الناصر لتواجه قشتيلة، وأمر رجال الثغر بالاجتماع لبنيانها بعد أن أمدهم بما يحتاجونه وتم إرسال البنائين إليها من بلاد الثغر (٩٣).

أهتم الناصر ببناء المدن المحصنة مثل مدينة الفتح فى جبل جرنكش (٩٤) التى رتب بنيانها الوزير محمد بن سعيد بن المنذر، وأمر الناصر بنقل الأسواق إليها، والتمدين لها، لتكثر مرافق أهل العسكر بها. كما بنى مدينة سكتان وشحنها بالرجال، واتخذ فيها الأطعمة

والأسلحة (٩٥) وسار ابنه الحكم المستنصر على نفس سياسته حيث بعث أحمد بن نصير لبنيان مدينة بثغر طليطلة وتشييدها، وتوثيق أمورها وجعل بين يديه أحمال أموال (٦٩). وبلغت شدة الحصون وقوتها أنها كانت تحاصر حوالى أربع وسبعين يوما ولا يستطيعون أقتحامها مثل حصن غرماج (٩٧).

اهتم الأمويون ببناء مراكز الجند فى داخل المدن الثغرية لتكون مركزا ومستقرا للقواد الملازمين فيها، وتجهيزها بالعدة والسلاح، والحوانيت والمساجد (٩٨) وكانوا يشجعون الجند على الاستقرار فى الحصون عن طريق الإثبات لهم فى ديوان العطاء بدينارين فى الشهر على أن يستوطن فى هذا الحصن وله المنزل والمحرث (٩٩).

ومما يجدر ذكره أن الإكثار من بناء الحصون كانت له آثار سلبية أحيانا على الدولة الأموية إذ استغلته أيدى الثائرين على الدولة فكانت مأوى لعديد من الثورات مما دفع بالخليفة الناصر إلى التخلص من عدد منها كانت فى جيان لأنها «كانت مستركحا لأهل الشر والخلاف، وضررا على أهل الطاعة والاستقامة» على حد قول ابن عذارى (١٠٠).

ومن التحصينات أيضا كان الاهتمام بالأسوار حيث كان السور من أبرز السمات التى ميزت تخطيط المدن الثغرية فى العهد الإسلامى، وقد اهتم الأمويون ببناء الأسوار لحماية المدن(١٠١). وعندما أغار النورمانديون على إشبيلية، تمكنوا من الدخول فى المدينة دون أن تعترضهم أسوار منيعة، فقد دخلوا المدينة وهى عورة سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م، (١٠٢) واستباحوا سبعة أيام ن فاضطر الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى تحصين إشبيلية وبناء سورها بالحجارة(١٠٣)، كما اهتم الخليفة الناصر بتحصين المدن الثغرية أمام الخطر الفاطمى، فأسس مدينة المرية وأحاطها بالأسوار المنيعة، كما أنشأ برجا بقلعة طريف سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م، وفى عهد الخليفة المستنصر بالله أقيمت أبراج وحصون بنواحى الأندلس المختلفة فى الجنوب وفى الشمال على المرتفعات المطلة على الطرق الموصلة بين المدن(١٠٤)، ومن أجل أن يكرس المستنصر بالله الأمن لدى حدوده الشمالية، جعل للثغور جيشا خاصا بها مركزه فى مدينة سالم وبعض أقسامه فى المدن الأخرى الهامة كمجريط ووادى الحجارة GUADALAJARA وغرماج، وحرص على إمداده بالمؤن والأسلحة (١٠٥).

كانت المدن الثغرية مزدوة بالقلاع والأبراج والقصاب، فقد عمد المسلمون إلى إنشاء مراكز حصينة تمكينا لمصالحهم الاقتصادية ورغبة فى دعم نظامهم الدفاعى، وتميزت هذه المدن بصفات حربية بحتة، ويتضح ذلك بجلاء من أسمائها مثل قلعة جابر، وحصن العصر، وحصن الفار وبمالقة وحصن المدور، وقصبة المرية وقصبة بطليوس وقصبة مالقة وغيرها، وكلها تنطق بالدور الكبير الذى قامت به، كما تعبر عن الجهاد المرير الذى قام به المسلمون في تلك الفترة للاحتفاظ بوطنهم الحبيب والذوذ عنه، مما حدا بأحد الباحثين (١٠٦) القول: «أن المسلمين فى الأندلس فى القرن العاشر الميلادى، قد وصلوا فى فن العمارة الحربية فى المدن الثغرية، إلى درجة من التقدم لا يمكن مقارنتها».

وكانت طبيعة الوضع الجغرافى للأندلس كشبه جزيرة – كما ذكرنا سابقا – قد حتمت على الدولة الأموية اتباع سياسة بحرية حربية معينة لحماية سواحلها وثغورها لذلك كان عليهم الاهتمام بالسواحل البحرية وحمايتها، ولعل هذا الاهتمام لم يظهر منذ قيام الدولة الأموية ربما لعاملين: أولهما، انشغال أمراء بنى أمية بالقضاء على الفتن الداخلية، وفى نفس الوقت اعتماد سياسة دفاعية أو هجومية – حسب مقتضيات الحال إزاء الممالك المسيحية فى شمال إسبانيا، وأما العامل الثانى فهو اطمئنان الدولة الأموية فى الأندلس إلى الدولة البيزنطية لاشتراكهم مع الأمويين فى الاندلس فى معاداة العباسيين (١٠٧) ولم نسمع عن اهتمام الأمويين بالمناطق الساحلية إلا عندما تحدثت المصادر عن الغارة النورماندية على بلاد الأندلس عام ٢٢٩ هـ/٨٤٣م حيث أبلغ وهب بن حزم عامل أشبونة (١٠٨) أن هناك أربع وخمسين مركبا للمجوس، ومعها أربع وخمسين قاربا، هنا كتب الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى عمال السواحل بالتحفظ (١٠٩).

ومن هنا بدأت الادارة الأموية الاهتمام بالثغور البحرية، واصدر عبد الرحمن الأوسط أوامره بإنشاء أسطول بحرى مع الاهتمام بتحصين السواحل الجنوبية والجنوبية الغربية، وإنشاء مراقب ومحارس على طول الساحل الغربى المطل على المحيط الأطلسى وشحنها بالمقاتلة (١١٠)

وتركز اهتمام الأمويين فى الثغور البحرية على تزويدها بدور صناعة السفن كما فى دار صناعة السفن فى إشبيلية حتى بلغت فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) سبعمائة غراب (١١١)، واستعدوا بالآلات والنفط، وقد كان لهذه الاستعدادات أثرها فى حماية السواحل الأندلسية حيث فشلت الحملة الثانية للمجوس فى عام ٢٤٤هـ/٨٥٨م بسبب الاستعداد الجيد فى السواحل (١١٢) وفشلت حملة المجوس على سواحل الأندلس الغربية فى عام ٣٥٥ هـ/ ٩٥٦م حيث كانوا فى ثمانية وعشرين مركبا (١١٣) وتؤكد المصادر على أن ذروة ازدهار البحرية الإسلامية فى الأندلس كانت فى عهد الخليفة الناصر الذى تمكنت أساطيله من افتاح سبتة وطنجة من المغرب حيث استعمل عليها القادة وحصنها بالرجال، وأمدهم بالجيوش الكثيفة فى الأساطيل (١١٤)

وكان تحصين السواحل الثغرية من الأهمية بمكان أيضا عند الأمويين، حتى أنه عندما خرجت المجوس إلى ساحل الغرب سنة ٢٤٧ هـ/٨٦١ م فى ستين مركبا وجدوا البحر محروسا والمراكب تجرى فيه ما بين حائط إفرنجة فى الشرق وحائط جليقية فى الغرب ولم يتمكنوا من الدخول بسبب الاستعدادات الحصينة التى اتخذها الأمويون للدفاع عن السواحل. (١١٥).

وكانوا يسارعون فى الاستجابة لسد كل عورة فى ثغورهم البرية والبحرية ومن ذلك استجابة الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط فى تجهيز أسطول للسيطرة على أحد المواقع البحرية عندما أخبره أحد رؤساء البحر أن بلد جليقية من ناحية البحر لا معقل

لها ولا حصن، وأن ساحلها نزهة لمن يقصده (١١٦) وأحيانا كانوا يقومون بضربات احترازية لتأديب من يتعرض لسفن المسلمين ومن ذلك ما أمر به عبد الرحمن الأوسط من توجيه العساكر على أهل جزيرة ميورقة، لنكايتهم، وإذلالهم ومجاهرتهم بنقضهم العهد وإضرارهم بمن مر عليهم من مراكب المسلمين، فغزتهم ثلاثمائة مركب (١١٧) وهذا الاستعداد والتهيؤ الكامل فى الثغور آتى ثماره فى هزيمة المجوس عندما حاولوا دخول الأندلس فى عام ٣٦٠ هـ/٩٧٠ م فى عصر الحكم المستنصر (١١٨). واستمرت سياسة الحرص واتخاذ الحيطة والحذر بالنسبة للثغور البحرية بإرسال الصوائف إلى السواحل خشية عايدة المجوس الأردمانيين الطارقين له (١١٩) واستمر هذا الاهتمام بالسواحل الأندلسية طيلة العصر الأموى فها هو المنصور بن أبى عامر ينشئ أسطولا كبيرا فى الموضع المعروف بقصر أبى دانس من ساحل غرب الأندلس، ويجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين، وحمل الأقوات والأطعمة والعدد والأسلحة، استظهارا على نفوذ العزيمة (١٢٠)

وقد زودت المناطق الثغرية بكل انواع الأسلحة حيث كانت هناك اسلحة خفيفة كالقوس والرمح والسيف (١٢١) وأسلحة ثقيلة كالمنجنيقات والعرادات، ويبدو أن الأمويين قد أكثروا من استخدام المنجنيقات حتى بلغ عددها فى أحد غزوات عبد الرحمن الداخل ستة وثلاثين منجنيقا (١٢٢).

وعن فنون القتال فى المدن الثغرية ينقل أبو بكر الطرطوشى (١٢٣) وصفا شائعا بقوله: «.. فأما صفة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأيناه فى بلادنا، وهو تدبير نفعله فى لقاء عدونا، أن نقدم الرجالة بالدرق الكاملة والرماح الطوال، والمزاريق المسنونة النافذة، فيصفوا صفوفهم، ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم فى الأرض، وصدورهم شارعة إلى عدوهم وهم جاثمون فى الأرض، وكل رجل منهم قد ألقم الأرض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التى تمرق سهامهم من الدروع والخيل خلف الرماة، فإذا حملت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجالة عن هيئاتهم، ولا يقوم رجل منهم على قدميه، فإذا قرب العدو، رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق وصدور الماح تلقاهم، فأخذوا يمنة ويسرة، فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ما شاء الله». ويبدو أن هذا النظام تطور فيما بعد فاصبح يقوم على نظام خماسى أى المقدمة والمؤخرة، والميسرة والميمنة والقلب (١٢٤).

ومما سبق يتضح أن الدولة الأموية اتبعت سياسةالتخطيط والمتابعة والرقابة، والاستعانة بالأبناء والأقارب فى عملية المراقبة، قامت سياستها على أساس من الحكمة والاتزان فى التعامل مع الثورات الداخلية حرصا منها على المناطق الثغرية فهادنت الثوار وصالحت القوى الأجنبية فى حالات الضعف واتبعت سياسة الحزم فى الوقت المناسب. ومن ذلك إرسال يحيى بن حكم الغزال فى سفارة إلى ملك الروم

(١٢٥) ومساعدة غليالم بن برناط أحد عظماء إفرنجة لمغاورة الملك لذويق بن قارلة بن ببين(١٢٦).

وصفوة القول أن الدولة الأموية اتبعت سياسة إعطاء الصفة شبه المستقلة للمناطق الثغرية والتقليل من سيطرة حكومة قرطبة، وذلك لتحقيق أهداف منها : الالتفاف للمؤامرات والثورات التى ما فتأت مشتعلة طيلة العصر الأموى، وثانيا : ضمان استقرار الثغور ودرء خطر القوى النصرانية المتوثبة دائما للانقضاض على الدولة الأموية، والتى استفادت حقيقة من الثورات ضد الدولة الأموية بتوسيع مناطق نفوذها (١٢٧) وامتازات سياستهم بالمرونة والحكمة إلى حد كبير فى التعامل مع أهل المناطق الثغرية حيث كانت تستجيب لمطالبهم فى تغيير الولاة، وتستجيب لمطالبهم فى إجراء تعديلات وإنشاءات داخل مدنهم، وأن ما قاموا به من إنجازات حضارية مهمة فى هذا الميدان، تركت آثارها على الأندلسيين، بل امتدت آثارها إلى جيرانهم من نصارى أوروبا.

الهوامش

(١) ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : معجم البلدان، دار صادر، بيروت - لبنان -١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ج٢، ص٧٩.

(٢) الفيروز آبادى، محمد بن يعقوب بن محمد (٨١٧هـ/١٤١٤م): ترتيب القاموس المحيط، إعداد الطاهر أحمد الزاوى، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان -١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، ج١، ص٤٠٨.

(٣) انطوانيت أديب باسيلى : ثغور العرب فى التاريخ، مجلة تاريخ العرب والعالم، بيروت - لبنان - السنة الثالثة، ع٣٦، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٥٤.

(٤) المرجع السابق، ص٥٤

(٥) مصطفى أبو ضيف أحمد، القبائل العربية فى الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية، دار النشر المغربية الدار البيضاء - المغرب - د.ت، ص١٨٥.

(٦) رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصرى، القاهرة - مصر- د. ت، ص٢٧-٢٨.

(٧) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبيارى، دار الكتاب المصرى، القاهرة - مصر - ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص٣٦.

(٨) ابن عذارى، أبو العباس أحمد (ت حوالى ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولان، إ. ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت - لبنان - ط٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص٢٤.

(٩) ابن القوطية، المصدر نفسه، ص٣٨.

(١٠) Conde,J. :A History of the dominion Arabes in Spain,London,1909.P.32

Sandoval,F.P:Historia de Los Reyes de castilla y de Leon, Pamplona,1634,p.p114-116

(١١) حسين مؤنس، فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر، جدة، - المملكة العربية السعودية - ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص٣٢١-٣٢٢.

(١٢) بلاى: قائد قوطى قاد حركة المقاومة ضد الوجود الإسلامى فى الأندلس منذ عام ٩٨هـ/٧١٦م. ، عبد الرحمن الحجى، التاريخ الأندلسى، دار القلم، بيروت - لبنان - ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص٢٦٩.

(١٣) قورية قريبة من ماردة، ولها سور منيع، من أحصن المعاقل. الحميرى، محمد بن عبد المنعم (ت٨٦٦هـ/١٤٦١م): الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إ. ليفى بروفنسال، دار الجيل، بيروت -

لبنان، ط ٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨ م، ص ١٦٤.

(١٤) ماردة: مدينة بغرب الأندلس كانت مقر القواد والجنود. الحميرى : المصدر نفسه، ص ١٧٦.

(١٥) GLICK,THOMAS: ISLAMIC AND CHRISTAiN IN THE EARLY MIDDLE AGES,PRINCETON UNIVERSITY PRESS,1979,P.54

(١٦) سميت مملكة جليقية بهذا الاسم لأنها قامت على حدود الولاية الرومانية القديمة التى كانت تسمى بهذا الاسم، وظل هذا الاسم علما عليها حتى أواخر عصر إمارة بنى أمية عندما نقل الملك غرسيه بن الفونس الثالث العاصمة إلى ليون عام ٢٩٤هـ/٩١٠م،

شكيب أرسلان، الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان -د. ت ج١، ص ٣١٧.

(١٧) GLICK, Op.CIT,PP.56-57

(١٨) رجب عبد الحليم، العلاقات، ص ٦١.

(١٩) سرقسطة : تقع شرق قرطبة، تتوسط مدن الثغر، مشهورة بصناعة النسيج، ولها مدن ومعاقل منها قلعة أيوب. العذرى : (أحمد بن عمر بن أنس) ت٤٧٨/١٠٨٥م. ترصيع الأخبار، تحقيق عبد العزيز الأهوانى، صحيفة المعهد المصرى، مدريد، مج ٢٢، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص٢٤؛ ابن غالب : (محمد بن غالب الغرناطى) ت ٥٧١هـ/١١٧٥م، فرحة الأنفس فى تاريخ أهل الأندلس، تحقيق لطفى عبد البديع، القاهرة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، ص ١٨.

(٢٠) رجب عبد الحليم : العلاقات، ص٩٢.

(٢١) لاردة: مدينة فى ثغر الاندلس الشرقى، مشهورة بالكتان، الذى يوزع منها إلى جميع نواحى الثغور. الحميرى : الروض المعطار، ص١٦٨.

(٢٢) تطيلة: مدينة فى جوفى وشقة مشهورة بجودة تربتها ن وطيب ثمرها. الحميرى: المصدر نفسه، ص٦٤.

(٢٣) وشقة: مدينة شرق مدينة تطيلة، مشهورة باسواقها وثمارها. المصدر السابق، ص١٩٥.

(٢٤) طرطوشة: تقع شمال شرق إسبانيا بالقرب من ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر الإبرو وعلى بعد ٨٤كم جنوبى مدينة طركونة التى تعتبر طرطوشة من أعمالها، وهى مشهورة فى العصر الإسلامى بأنها وجهة التجار، واشتهرت بدار صناعتها التى أنشأها عبد الرحمن الناصر. ابن غالب : فرحة الأنفس، ص١٧؛ ابن الكردبوس : (أبو مروان عبد الملك التوزرى) ق٦/١٢م، الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، تحقيق د. أحمد مختار العبادى، صحيفة المعهد المصرى، بمدريد - إسبانيا - ع ١٣، ١٢٨٥- ١٣٨٦هـ/١٩٦٥-١٩٦٦م، ص١٠٠.

(٢٥) مدينة سالم: تقع شمالى مدريد بنحو ١٥٣كم فى الطريق الذى بين مدريد وسرقسطة، وهى مدينة قديمة من العصر الرومانى، عمرها زعيم مغربى مصمودى يسمى سالم بن ورعمال المصمودى

الذى يحتمل أن يكون من أوائل الفاتحين، ومنذ ذلك الوقت عرفت هذه المدينة باسم هذا القائد وكانت من أعظم المدن وأحصنها، مشهورة بالزروع والجنات. الإدريسى، محمد بن عبد العزيز (ت٥٤٨هـ/١١٥٤م): نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت – لبنان ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج٢، ص٥٥٣، ابن الكردبوس : الاكتفاء، ص٦٠.

(٢٦) طليطلة : كانت قاعدة مملكة القوط، وهى مطلة على نهر تاجة، مشهورة بالزعفران. ابن غالب . فرحة الأنفس، ص ١٩

(٢٧) قلمرية : تبعد عن قورية أربعة ايام وهى مدينة حصينة، عامرة بالكروم والتفاح. الحميرى : الروض المعطار، ص ١٦٤.

(٢٨) شنترين : مدينة شرق قرطبة، ولها حصون كثيرة، ابن غالب : فرحة الأنفس، ص١٩.

(٢٩) البكرى، عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) : جغرافية الأندلس وأوروبا، جزء من كتاب المسالك والممالك، تحقيق د. عبد الرحمن، دار الإرشاد، بيروت – لبنان – ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ص٩٥؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبنانى، بيروت – لبنان – ط١، ١٤٠٣هـ ج٧، ص٣٠٧.

(٣٠) أحمد العبادى، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – مصر – ١٩٧١م، ج٢، ص٥٠.

(٣١) Sandoval,Op.Cit,p.127

(٣٢) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) المقتبس من أنباء أهل الأندلس، السفر الثانى، تحقيق محمود على مكى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض – المملكة العربية السعودية –ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٤٢٩؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصرى، القاهرة – مصر –، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص١٣٨.

(٣٣) قرطبة : قاعدة الاندلس وأم المدائن، عاصمة الدولة الأموية فى الأندلس، مشهورة بتوسطها بين المدن الأندلسية وكثرة خيراتها، ابن غالب : فرحة الأنفس، ص٢٦؛ السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – مصر –١٩٨٤م، ص١٥–٢٠.

(٣٤) إشبيلية : مدينة قديمة معناها (المدينة المنبسطة) تبتعد عن قرطبة مسيرة ثلاثة أيام، مشهورة بتجارة الزيت. الحميرى : الروض المعطار، ص١٩.

(٣٥) قادس : جزيرة بالأندلس، مشهورة بالمعز. الحميرى: المصدر نفسه، ص١٤٥.

(٣٦) العبادى، أحمد مختار، فى تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان – د. ت، ص١٩.

(٣٧) ابن عذارى :، ج٢، ص٢٢١.

(٣٨) ابن عذارى : المصدر نفسه، ج٢، ص٩٧.

(٣٩) المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٠؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٢٥٢.

(٤٠) الحميرى : الروض المعطار، ص٣٧، العبادى : تاريخ البحرية، ج٢، ص٥١.

(٤١) بجانة: كانت مشهورة قبل المرية، ثم انتقل أهلها إلى المرية، التى عمرت وخربت بجانة. الإدريسى : نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٦.

(٤٢)، العبادى، أحمد مختار، فى تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان – د. ت، ص١٩

(٤٣) ابن حيان : المقتبس(تاريخ دولة الأمير عبد الله الأموى بقرطبة) تحقيق ملشور. انطونية، باريس، ١٩٣٧م ص٨٨.

(٤٤) ابن حيان : المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجى، ص٢٠٣

(٤٥) المجوس أو الأردمانيون يقصد بهم النورمان، إذ أن التسمية الاولى محرفة من لفظ النورد مانيين وفقا لعادة الأندلسيين فى قلب النون إلى همزة، مثل أربونة ونربونة، أما الثانية فقد أطلقها المسلمون عليهم لأنهم كانوا يشعلون النيران فى كل موضع يمرون به، فحسبهم المسلمون مجوسا لهذا السبب. ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص٦٩؛ العبادى، سالم : تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص١٥٢.

(٤٦) بدأت حركات الاستقلال فى مناطق الثغور منذ عصر الولاة حيث تذكر الروايات أنه فى أثناء دخول بدر مولى عبد الرحمن الداخل على الأندلس للدعوة له كان ابوسف الفهرى خارج إلى سرقسطة بسبب ثورة عامر القرشى العامرى ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٦، أخبار مجموعة، ص٦٨.

(٤٧) أخبار مجموعة، ص١٣٤، ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٥، ٢٣٨.

(٤٨) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٥٠.

(٤٩) المصدر السابق، ج٢، ١٨٦.

(٥٠) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٥٤.

(٥١) المصدر السابق، ج٢، ص٦٦.

(٥٢) المصدر السابق، ج٢، ص٨٢.

(٥٣) أخبار مجموعة، ١١١.

(٥٤) هناك أمثلة كثيرة على الهزائم التى منى بها الأمويون من وراء أهل الثغور ومداهنتهم للنصارى الأسبان. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٠؛ ابن عذارى: المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠–٥٨، ١٧٠، ولمزيد من التفاصيل انظر أميرة الجعفرى: السياسة الداخلية للإمارة الأموية نى الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب للبنات بالدمام، ١٤٠٨/١٩٨٨، ص١٣٠–١٥٧، حمدى حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة فى عصر الإمارة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ÷ مصر – ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٥–٢٦.

(٥٥) ابن حيان : المقتبس، السفر الثانى، ص٤٢٩.

(٥٦) ابن عذارى : ج٢، ص١٢٠

(٥٧) ابن عذارى : ج٢، ص١٢٠؛ أخبار مجموعة، ص١١٧.

(٥٨) ابن حيان : المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجى، ص ١٥٢.

(٥٩) ابن حيان : المقتبس، السفر الثانى، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٦٠) ابن حيان : المقتبس، السفر الثانى، ص ١١٩.

(٦١) ابن حيان : المقتبس، السفر الثانى، ص١٣٣

(٦٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص٢٩٨.

(٦٣) ابن حيان : المقتبس، السفر الثانى، ص١٣٢، ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجى، ص ١١٦؛ ابن عذارى : المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٠، ١٨٩.

(٦٤) ابن حيان : تحقيق الحجى، ص١٦٨.

(٦٥) أخبار مجموعة، ص١٠٩.

(٦٦) ابن حيان : المقتبس، السفر الثانى، ص ١٠٣. وراجع أيضا :

Marlin,Higbee walker: Islamization and Muwallads in early Islamic Spain (P,HD) Columbia University,1998,pp.81=82

(٦٧) وقد عرف الأوسط كذلك بكثرة تغيير القضاة حتى بلغ عددهم عشرة قضاة ابن حيان : المقتبس، تابع السفر الثانى، ص٤٠، انظر جدول رقم (٥).

(٦٨) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص١٧٦.

(٦٩) شبه هشام الرضا فى البيان المغرب سيرته بعمر بن عبد العزيز. ابن الأثير : (ابو الحسن على بن أبى الكرم محمد الشيبانى) ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م، الكامل فى التاريخ، دار الكتاب العربى، بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ج٥، ص١٠١؛ أخبار مجموعة، ص١٠٩.

(٧٠) ابن حيان : المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجى، ص٢١.

(٧١) ابن حيان : المقتبس، السفر الثانى، ص ٤٤٣.

(٧٢) ابن حيان : المقتبس، تابع السفر الثانى، ص٧

(٧٣) ابن حيان : المقتبس، تابع السفر الثانى، ص١٣١

(٧٤) ابن حيان : المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجى، ص١٦٩، ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٣٠٩؛ حسين دويدار : السفارات بين الأندلس والدول الاجنبية فى العصر الأموى، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٢٥-٢٧

(٧٥) ابن حيان : المقتبس، السفر الثانى، ص٤٤٣.

(٧٦) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١.

(٧٧) المصدر السابق : ج٢، ص٢٣٤.

(٧٨) كان الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط أول من أسقط هذه الضريبة. المصدر السابق: ج٢، ص١٠٩.

(٧٩) ابن عذارى :البيان المغرب، ج٢، ص١٧٢.

(٨٠) المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٣.

(٨١) أفاضت المصادر التاريخية فى وصف الغنائم التى اكتسبها المسلمون فى حركة الصراع الدائمة التى كانت بين المسلمين والنصارى الأسبان ومن ذلك ما غنمه المسلمون فى حصن تفالية فى عهد الناصر حيث كانت الأطعمة كثيرة، والنعم فيه فائضة ابن حيان : المقتبس، تابع السفر الثانى، ص٣٤١، ابن عذارى : ج٢، ص١٨٦، ٨٢، ٦٥. وكذلك ما ذكر بأن محمد بن عبد الملك الطويل صاحب وشقة من الثغر أصاب فى إحدى غزواته ما يقرب من ثلاثة عشر ألف دينار وضعها فى بنيان سور وشقة فحصنه وحكمه. ابن حيان : المقتبس، السفر الثالث، ص١٤٧.

(٨٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٩٦.

(٨٣) القفيز من مكاييل الأشياء اليابسة، واختلفت مقاديره فى البلاد الإسلامية فى العصور المختلفة. الشيزرى، عبد الرحمن بن نصر (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق الباز العرينى، القاهرة، ١٩٤٦م، ص١٧.

(٨٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ن ص١٨٠

(٨٥) ابنحيان : المقتبس، تحقيق الحجى، ص٢٢٣.

(٨٦) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص١٦٨.

(٨٧) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص٢٢٧؛ محمد بن عبد الستارعثمان : المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، الكويت، ذو الحجة ١٤٩٨هـ/أغسطس ١٩٨٨م، ص١٤٢، وراجع أيضا :

Trres,Henri: L,ART Hipano Maureszue, Des Origins Au XIIIe, Siecle, Paris 1932, PP.54-55

Torres Balbas, (Los Contornos De Las Ciudades Hispano Musulman AL-Andalus, Volxv, PP437-486,1950

(٨٨) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية، ص١٤٢-١٤٣.

(٨٩) السيد عبد العزيز سالم: فى تاريخ وحضارة الأندلس، ص٢٢٨.

(٩٠) يبدو أن سياسة بناء الحصون كانت منتشرة حتى على الحدود مع الممالك النصرانية حيث بلغت عدد الحصون التى فتحها عبد الملك بن أبى عامر سنة ٣٩٣هـ ٨٥ حصنا .ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٨ وجرى الإدريسى على التفريق بين الحصن والقصر والغالب عليه أنه يعتبر الأبنية الساحلية المحصنة قصورا، أما الأبنية المحصنة الداخلية فإنه يسميها بالحصون. محمد عبد الهادى

شعيرة : الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية ، ص٢٣٦ .

(٩١) ابن حيان : تابع السفر الثانى، ص١٣٢؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص١٠٣

(٩٢) ابن حيان : المقتبس، تابع السفر الثانى، ص١٣٢؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢،ص ١٠٣ .

(٩٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ٢١٤. وراجع :

HARVEY, L.P.: ISLAMIC SPAIN,CHICAGO,1990,PP204-206

(٩٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ٢٠٣ .

(٩٥) المصدر السابق، ج٢، ص٢١٠ .

(٩٦) المصدر السابق : ج٢، ص ٢٣٦ .

(٩٧) ابن حيان : المقتبس، تحقيق الحجى، ص٢٣٤ .

(٩٨) ابن عذارى : المصدر نفسه، ج٢، ص٢٠٨ .

(٩٩) المصدر السابق ن ج٣، ص٧ .

(١٠٠) المصدر السابق، ج٢، ص١٩٠ .

(١٠١) ابن عذارى البيان المغرب، ج٢ ص ٩٤ .

(١٠٢) ابن سعيد المغربى على بن موسى «٦٨٥هـ/١٢٨٦م» المغرب فى حلى المغرب، جزءان تحقيق شوقى ضيف، دار المعارف القاهرة، ١٩٥، ١٩٥٣ ط٢ ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ج١ص٤٩ .

(١٠٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨١؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٠ .

(١٠٤) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص، ٣٢٣ .

١٠٥- Torres Balbas,op.cit,p462

١٠٦- Glick, Thomas,op,cit, p149

(١٠٧)- محمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ص ٤٦

(١٠٨) أشبونه تقع على ساحل المحيط الأطلسى عند مصب نهر التاجو، الحميرى: الروض المعطار، ص١٦ .

(١٠٩) ابن عذارى: البيان المغرب ج٢، ص٨٧ .

(١١٠) العبادى سالم: تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص١٦٠ .

(١١١) الغراب نوع من السفن القديمة. ابن الكردبوس: الاكتفاء، ص٩٩؛ ابن أبى دينار القيروانى: (أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى) كان حيا ١١١٠هـ/١٦٠١ م. المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط٢ ١٩٦٧م، ص٩٩ .

(١١٢)- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٣.

(١١٣)- ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٣٩.

(١١٤)- اخبار مجموعة، ص ١٣٦؛ ابن عذارى، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٠٤.

(١١٥)- ابن حيان: المقتبس، تابع السفر الثانى، ص ٣١٣ وقارن ابن عذارى حيث يذكر أن هذه الغزوة كانت فى عام ٣٤٥هـ وأن عدد المراكب كان اثنتى وستين مركبا. البيان لمغرب، ج٢، ص٩٦.

(١١٦) ابن حيان: المقتبس تابع السفر الثانى ص ٣٩٨.

(١١٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢ص٨٩.

(١١٨) ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجى، ص٥٨.

(١١٩) ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجى، ص٧٨.

(١٢٠)ابن عذارى: المصدر نفسه، ج ٢، ص٢٩٥.

(١٢١) المصدر السابق، ج٢ ص٩٥، ١٧٩.

(١٢٢) اكثرت المصادر التاريخية من ذكر المنجنيق واستعماله فى الحروب والمعارك التى خاضها الأمويون فى المناطق الثغرية، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٥، ص ٦٦؛ ابن عذارى المصدر نفسه، ج٢ص٦٤، ٨٨ أخبار مجموعة ص١٠٥.

(١٢٣) الطرطوشى أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م): سراج الملوك، القاهرة د.ت، ص١٧٩.

(١٢٤) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٥٨ م، ص٤٧٩ ؛ Marlyn Walker,op.cit,p 142

(١٢٥) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي ٣٥٠.

(١٢٦) ابن حيان: المقتبس، تابع السفر الثانى ص٣.

(١٢٧) رينهرت دوزى: المسلمون فى الأندلس، ترجمة حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٢، ص١٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

– ابن الأثير : (على بن أبى الكرم محمد الشيبانى ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

الكامل فى التاريخ، دار الكتاب العربى، بيروت – لبنان – ط٤، ١٤٠٣ ه/١٩٨٢م.

– الإدريسى : (محمد بن عبد العزيز ت ٥٤٨هـ/١١٥٤م).

نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق، جزءان عالم الكتب، بيروت – لبنان – ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م

– البكرى : (عبد العزيز بن محمد ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)

جغرافية الأندلس وأوروبا، جزء من كتاب المسالك والممالك، تحقيق

عبد الرحمن الحجى، دار الإرشاد، بيروت – لبنان – ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

– الحميرى : (محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠ ه/١٤٩٤م).

الروض المعطار فى خبرالأقطار، تحقيق إليفى بروفنسال، دار الجيل، بيروت – لبنان – ط٢، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٨م.

– ابن حيان: (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م)

المقتبس من أنباء أهل الأندلس، السفر الثانى، تحقيق محمود على مكى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض – المملكة العربية السعودية – ط١، ١٤٠٤ هـ/٢٠٠٣م.

– المقتبس (تاريخ دولة الأمير عبد الله الأموى بقرطبة) اعتنى بنشره الأب ملتشور أنطونية، باريس، ١٩٣٧م.

– المقتبس (خمس سنوات من أيام الحكم المستنصر) تحقيق عبد الرحمن الحجى، دار الثقافة، بيروت – لبنان –١٩٨٣م.

– ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥ م)

تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، ١٤ جزء، دار الكتاب اللبنانى، بيروت – لبنان – ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

ابن أبى دينار القيروانى : (محمد بن أبى القاسم الرعينى كان حيا ١١١٠هـ/١٦٠١م).

المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٧م.

ابن سعيد (على بن موسى ت٦٨٥هـ /١٢٨٦ م).

المغرب فى حلى المغرب، جزءان، تحقيق شوقى ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ه/١٩٦٤م

الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر ت٥٨٩هـ/١١٩٣م).

نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق الباز العرينى، القاهرة، ١٩٤٦م

الطرطوشى (أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)

سراج الملوك، القاهرة، د. ت.

- ابن عذارى : (أبو العباس أحمد كان حيا حتى سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م).

البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. سى كولان، إ. ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت - لبنان - ط٤، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م

- العذرى : (أحمد بن عمرب بن أنس ت٤٧٨ هـ/١٠٨٥م).

ترصيع الأخبار، تحقيق عبد العزيز الأهوانى، صحيفة المعهد المصرى، مدريد، مج ١٣٨٥، ٢٢ /١٩٦٥م.

- ابن غالب : (محمد بن غالب الغرناطى ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)

- فرحة الأنفس فى تاريخ أهل الأندلس، تحقيق لطفى عبد البديع، القاهرة ن ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

- الفيروز آبادى : (محمد بن يعقوب بن محمد ت٨١٧هـ/ ١٤٤١م).

ترتيب القاموس المحيط، إعداد الطاهر أحمد الزاوى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.

- ابن القوطية : (أبو بكر محمد بن عمر ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م).

تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دارى الكتاب المصرى، القاهرة - مصر - ط ١، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

- ابن الكردبوس : (أبو مروان عبد الملك التوزرى ت ٦ هـ/١٢م).

الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، تحقيق د. احمد مختار العبادى، صحيفة المعهد المصرى، مدريد - إسبانيا - ع١٣، ١٣٨٥-١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٥-١٩٦٦م.

- مؤلف مجهول : ....

أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دارى الكتاب المصرى، القاهرة - مصر - ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

- ياقوت الحموى (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت - لبنان - ١٤٠٤/١٩٨٣م

ثانيا : المراجع العربية :

– أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان – د. ت

– تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – مصر –١٩٧١م.

– أميرة أحمد الجغفري: «السياسية الداخلية للإمارة الأموية في الأندلس»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب للبنات بالرياض، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

–أنطوانيت أديب باسيلي: ثغور العرب في التاريخ، مجلة تاريخ العرب والعالم، بيروت – لبنان – السنة الثالثة، ع٣٤، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

– حمدى عبد المنعم محمد حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الإمارة، مؤسسة شباب الجامعة، بالإسكندرية – مصر –١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

– حسين يوسف دويدار: السفارات بين الأندلس والدول الأجنبية في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

– حسين مؤنس: فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر، جدة – المملكة العربية السعودية – ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

– رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف (دار الكتاب المصري)، القاهرة – مصر – د.ت

– رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، الجزء الثاني، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

– السيد عبد العزيز سالم:

– قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – مصر – ١٩٨٤.

– في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، الإسكندرية، ١٩٩٨ م

– شكيب أرسلان: الحلل الأندلسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان – د. ت

– عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي، دار القلم، بيروت – لبنان – ط٢، ١٤٠٢ هـ/١٩٨١م.

– مصطفى أبو ضيف أحمد: القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء – المغرب– د. ت

- محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - مصر -١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، الكويت، ذو الحجة ١٤٠٨ هـ/أغسطس ١٩٨٨م.

- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٥٨م.

ثالثا : المراجع الأجنبية :

Conde, J.A: History Of The Dominio Arabes In Spain, London,1909

Glick,Thomas: Islamic And Christian Spain In The Early Middle Ages, Princeton University Press, 1979

Harlyn, L.P.: Islamic Spain. Chicago.1990

Marlyn, Higbee Salker: Islamization And Muwallads in In Early Islamic Spain (PHD) Columbia University, 1998

Sadovale, F. P: Historia De Los Reyes De Castilla y De Leon, Pamplona 1634.

Terres, Henri: L' art Hispano Mauresque, Des Origins Au XLLLe, Siecle, Paris 1932

Torres Balbas,)Los Contornos De Las Ciudades Hispano Musulamans Alandlus, Vol XV, 1950

ملاحق البحث

أولا : الجداول

ثانيا : الخرائط

بيان بأهم الحصون والمدن الثغرية فى عصر الدولة الأموية

جدول رقم (١)

اسم الحصن	المصدر
جبل تطيلة/مدينة حصينة في الثغر الأعلى بناها عمروس بن يوسف وعين عليها ابنه يوسف 186هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 118
حصن دروقة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط	ابن حيان:المقتبس،تحقيق ملشور .انطونية،ص 20
حصن غرماج من ثغر مدينة سالم	ابن حيان:المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي،ص 218
حصن برهوم	ابن حيان:المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي،ص 226
حصن أوريولة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص 97
حصن قشتيل	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص 97
حصن جرنيق تم فتحه في/253هـ	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص99
حصن كركى	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص102
حصن منت شلوط	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص102
حصن روطة تم فتحه في 268هـ	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص105
حصن لوشة أمر ببنائه الأمير عبد الله بن محمد	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص124
حصن الخشن يلي حصن لوشة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص141
حصن بايش	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص141
حصن بلدة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص142
حصن منتشون	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص144
حصن منت بطروش	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص145
حصن أشر	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص147
حصن بشار قشتيلة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص148
حصون شمنتان	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص161
حصن الشارة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص161

حصن قلهرة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص164
حصن بلتيرة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص172
حصن دوش أمانتش	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص174
حصن القليعة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص176
حصن وخشمة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص177
حصن قاشتر مورش	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص177
حصن أرنيط	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص178
حصن بلتبيرة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص189
حصن الوقاع	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص201
حصن مورة من حصون طليطلة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص203
حصن قنيلش/حصن الفهمين	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص203
حصن مولة فتحه المنصور بن أبي عامر366هـ	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص265
حصن المال وحصن زنبق فتحهما المنصور بن أبي عامر	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص267
حصن ممقصر من ثغر برشلونة فتحها عبد الملك بن أبي عامر/393هـ	ابن عذارى:البيان المغرب،ج3،ص4

أهم عمال الثغور في عصر عبد الرحمن الداخل 138-172هـ/755-788م
(جدول رقم 2)

اسم العامل	المنطقة	المصدر
عبد الرحمن بن عقبة	أربونة/طرطوشة	ابن القوطية:افتتاح الأندلس،ص 52
ولد سعد بن عبادة	طليطلة	ابن القوطية:افتتاح الأندلس،ص 52
حصين بن الدجن	طليطلة	أخبار مجموعة،ص 84
سالم أبي زعبل	ماردة	أخبار مجموعة،ص 98
عاصم بن مسلم	طليطلة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص 53
عبد الرحمن الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الأنصاري	سرقسطة/165هـ	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص 56
علي بن حمزة	سرقسطة/167هـ	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص 57



أهم عمال الثغور في عصر هشام الرضا 172-180هـ/788-796م
(جدول رقم 3)

اسم العامل	المنطقة	المصدر
عمروس بن يوسف	طليطلة/أواخر أيام هشام	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 120
الحكم الربضي	طليطلة/176هـ	ابن القوطية: افتتاح الأندلس،ص 65؛ ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 278
حدير المعروف بالمذبوح	ماردة/173هـ	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص 62

أهم عمال الثغور في عصر الحكم الربضي180-206هـ/796-821م
(جدول رقم 4)

اسم العامل	المنطقة	المصدر
محمد بن عبد الله بن مزين	طليطلة/180هـ(الثغر الأوسط)	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 103
عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث	طليطلة/180هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 103
عبد رب بن زريق	طليطلة/180هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 103
عبد العزيز بن حسان	طليطلة/181هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 105
عمروس بن يوسف	طليطلة/186هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 105
سعدون الرعيني	برشلونة/185هـ(قاصية الثغر الشرقي)	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 117
الوليد بن عبد الملك	طليطلة/190	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 130
عبيدة بن حسان	ماردة/الثغر الأدنى/192	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 131
أبا زكريا المذبوح	ماردة/الثغر الأدنى/192	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 131
أحمد بن عبد الواحد بن مغيث	طليطلة/198	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 137
مهاجر بن عتبة	طليطلة/198	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 137
عبيدون بن الغمر	سرقسطة/198	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 137
عبد الرحمن بن الحكم	جميع الثغر/199	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 137
عقبة بن أبي الأشمط	ماردة/201	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 139
إبراهيم بن مزين	طليطلة/198	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 146
بنو قسي:أذعنت الأندلس في عهد الحكم ما عدا بنو قسي في الثغر		ابن القوطية:تاريخ افتتاح الأندلس، ص 70

أهم عمال الثغور في عصر عبد الرحمن الأوسط 206-232هـ/821-852م
(جدول رقم 5)

اسم العامل	المنطقة	المصدر
محمد بن عتبة	طليطلة/208هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 418
مهاجر بن عتبة	سرقسطة/209هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 419
الوليد بن أمية	طليطلة/209هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 418
يحيى بن عبد الله	سرقسطة/214هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 423
حارث بن بزيع	ماردة/الثغر الأدنى/215هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 423
عبد الرؤوف بن عبد السلام	طليطلة/216هـ/بعد عزل إبراهيم بن عتبة	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 424
أيمن بن مهاجر	طليطلة/219هـ/	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 426
الغمر بن عبيدون بعد عزل حمدون بن أبي عبدة	طليطلة/220هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 426
عبد الله بن كليب	طليطلة/224هـ	ابن حيان:المقتبس،السفر الثاني،ص 429

عامر بن كليب	طليطلة/226هـ	ابن حيان: **المقتبس**، السفر الثاني، ص 446
محمد بن أبي عبدة/عبد العزيز بن هاشم	طليطلة/227هـ	ابن حيان: **المقتبس**، السفر الثاني، ص 448
عبد الله بن كليب ثم عزله وعين الحارث بن بزيع	طليطلة/228هـ	ابن حيان: **المقتبس**، السفر الثاني، ص 449
المنذر بن الأوسط	سرقسطة وجميع الثغر الأعلى/225هـ	ابن حيان: **المقتبس**، السفر الثاني، ص 450
عزل حارث بن بزيع وعين محمد بن السليم	طليطلة/232هـ	ابن حيان: **المقتبس**، تابع السفر الثاني، ص1
عزل محمد بن السليم وعين أيوب بن السليم	طليطلة/233هـ	ابن حيان: **المقتبس**، تابع السفر الثاني، ص2
عبيد الله بن يحيى	طرطوشة/234هـ	ابن حيان: **المقتبس**، تابع السفر الثاني، ص3
عزل أيوب بن السليم وعين يوسف بن بسيل	طليطلة/234هـ	ابن حيان: **المقتبس**، تابع السفر الثاني، ص3

أهم عمال الثغور في عصر محمد بن عبد الرحمن 238-273هـ/852-886م

(جدول رقم 6)

اسم العامل	المنطقة	التاريخ
عبد الوهاب بن أحمد بن مغوث	سرقسطة/257هـ	ابن حيان: **المقتبس**، تابع السفر الثاني، ص 326.
حارث بن بزيع	قلعة رباح وطلبيرة/341هـ	ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص 95
سعيد بن عباس القرشي	ماردة/254هـ	ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص 100
موسى بن غلند	وشقة	ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص 100
مطرف بن عبد الرحمن وطربيشة بن ماسويه	قسمت طليطلة إلى قسمين بسبب اختلاف أهلها على الولاة	ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص 101

أهم عمال الثغور في عصر المنذر بن محمد 273-275هـ/886-888م

(جدول رقم 7)

اسم العامل	المنطقة	المصدر
أحمد بن البراء بن ملك القرشي	سرقسطة	ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 123؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور. انطونية، ص 86

أهم عمال الثغور في عصر عبد الله بن محمد 275-300هـ/888-912م

(جدول رقم 8)

المصدر	المنطقة	اسم العامل
ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور. انطونية، ص 17	تطيلة وطرسونة	لب بن محمد
ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور. انطونية، ص 21	سرقسطة	أحمد بن البرا
ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور. انطونية، ص 21	سرقسطة	محمد بن عبد الرحمن التجيبي (هو من خاطب الأمير عبد الله بن محمد وطلب منه تعيينه فوافقه بسبب انشغاله بالثورات التي اشتعلت في عهده)
ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور. انطونية، ص 106	طرطوشة	عبد الحكم بن سعيد بن عبد السلم
ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور. انطونية، ص 106	طرطوشة/278هـ	عبيد الله بن محمد بن العمر بن أبي عبدة
ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور. انطونية، ص 109	طرطوشة	عبد الله بن عباس
ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور. انطونية، ص 109	طرطوشة	موسى بن فطيس

أهم عمال الثغور في عصر عبد الرحمن الناصر/300-350هـ

(جدول رقم 9)

المصدر	المنطقة	اسم العامل
ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور. انطونية، ص 19	مدينة الفرج من الثغر الأوسط	مطرف بن موسى بن ذي النون
ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور. انطونية، ص 21	سرقسطة	محمد بن عبد الرحمن التجيبي
ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص 161	حصن المنتلون	محمد بن عبد الوهاب
ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص176	طليطلة	لب بن الطربيشة
ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص176	مدينة الفرج	سعيد بن المنذر
ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص194	مالقة	عبد الملك بن العاصي
ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص200	ماردة	محمد بن إسحاق

أهم عمال الثغور في عصر الحكم المستنصر 350-366هـ/961-976م

(جدول رقم 10)

اسم العامل	المنطقة	المصدر
عبد الرحمن بن رماحس	قائد البحر/360هـ	ابن حيان:المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي،ص 24
أحمد بن يعلي	سرقسطة/361هـ	ابن حيان:المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي،ص 68
أحمد بن محمد بن عباس	سرقسطة	ابن حيان:المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي،ص 69
رزق بن الحكم الجعفري	لاردة/363هـ	ابن حيان:المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي،ص 151



أهم عمال الثغور في عصر الدولة العامرية

(جدول رقم 11)

اسم العامل	المنطقة	المصدر
عبد الرحمن بن مطرف	سرقسطة	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص 282
عبد الرحمن بن يحيى(سماجة)	سرقسطة/379هـ	ابن عذارى:البيان المغرب،ج2،ص 283

د. يسرى أحمد زيدان (*)

الدور الأندلسى والمصرى فى إقريطش

(٢١٠-٣٥٠هـ/ ٨٢٥-٩٦١م)

مقدمة:

حظيت جزيرة إقريطش «كريت» بعدة دراسات وكتابات تاريخية، اقتصر بعضها على تناول فتحها وتقديم صورة موجزة للوضع السياسية بها حتى زوال الحكم الإسلامى عنها (١)، بينما توسع بعضها الآخر فى تناول الصراع العسكرى بين المسلمين بها وبين الإمبراطورية البيزنطية(٢)، الذى أدى فى نهاية الأمر إلى عودة الجزيرة للتبعية البيزنطية (٣٥٠هـ/٩٦١م)، وعرضت هذه الدراسات والكتابات دور الأندلسيين فى فتح الجزيرة، لكنها أغفلت تماما دور الأندلسيين الثقافى فى الجزيرة بعد فتحها، فلم تتناوله فى كلمة واحدة، لأنها ركزت على الجانب السياسى فقط دون غيره. كما أهملت الحديث عن دور مصر فى محاولات الفتح لإقريطش، فضلا عن دورها الثقافى بها والذى لم ينل عبارة واحدة فى هذه الكتابات والدرسات التاريخية عن إقريطش العربية.

والحق إن إقريطش ارتبطت ارتبطا وثيقا بالأندلس ومصر منذ الفتح الإسلامى لها، وحتى زوال السيادة الإسلامية عنها، يؤكد ذلك أن الإقريطشيين اختار بعضهم سكنى الإسكندرية، وبعضهم النزول بالأندلس بعد سقوط بلدهم فى يد البيزنطيين(٣).

*- أستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

وهذا البحث محاولة لاستجلاء نواح غامضة فى تاريخ إقريطش، وتكملة للمجهودات السابقة التى تناولت الأحداث السياسية، وفصلت الحديث عن الوقائع والحروب والانتصارات أو الهزائم. ولن يعرض البحث للأحداث السياسية إلا بقدر ما يخدم هدفه، ويبرز مقصده، أو لتصحيح معلومة والتحقق من خبر، وحسم خلاف بين المؤرخين القدامى، لم يعرض له المؤرخون المحدثون. وتجدر الإشارة إلى أن كثيرا من نقاط البحث ومادته كانت ممن انفرد ببعضها بعض المؤرخين والجغرافيين المسلمين، بينما انفرد بعضهم بأخبار ومواد أخرى، الأمر الذى استدعى العناية بكل المصادر التى ورد ذكر إقريطش بها، والتعمق فى دراسة الأخبار القليلة التى وردت فى مصادرنا عن موضوع البحث.

أولا: المحاولات الأولى لفتح إقريطش:

تعد إقريطش خامس أكبر جزيرة فى جزر البحر المتوسط(٤)، وتتمتع بموقع مهم فى وسط البحر المتوسط، حيث تتحكم فى الممرات المائية إلى بحر إيجه، وسواحل آسيا الصغرى، وتجاور عددا لا يحصى من جزر بحر إيجه، مثل: رودس وغيرها. وهذا الجزر كانت تشكل خطا دفاعيا أماميا لسواحل الإمبراطورية البيزنطية المطلة على بحر إيجه وبحر مرمرة، ولهذا السبب يمكن لفاتحى هذه الجزيرة تهديد الإمبراطورية البيزنطية تهديدا مباشرا (٥).

وقد أثبت المسلمون فى المرحلة المبكرة من تاريخهم البحرى فهما جيدا لطبيعة الجزر التابعة للروم فى شرق البحر المتوسط وفى وسطه، إذ رأوا ضرورة الاستيلاء عليها، لما تتمتع به من مراكز استراتيجية مهمة، ولشل حركات الروم البحرية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، بل ولتهديد سواحل الروم نفسها(٦).

ومن هنا بدأ المسلمون محاولتهم لفتح إقريطش من السواحل الشامية سنة (٥٤ هـ/٦٧٤م) فى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، وعلى يد أمير البحر جنادة بن أمية، وتكررت هذه المحاولات فى خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) ففتح بعضها، كما فتحت أجزاء أخرى منها فى خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٨٧٨-٨٠٨م) على يد حميد بن معيرف الهمدانى(٧).

وانفراد ابن عساكر (٨) بخبر مهم لم يعرض له الباحثون الذين عرضوا لتاريخ إقريطش، وهو أنه فى سنة (١٢٢هـ/٧٤٢م) خرج أسطول من الإسكندرية إلى إقريطش، وهزم من بها، واستوطن المسلمون فى هذه السنة «ووطنوا إقريطش وأصابوا بها رقيقا».

ومما سبق يتبين أن المحاولة الإسلامية الناجحة التى أعقبها استقرار تام انطلقت من الإسكندرية (فرضته إقريطش) (٩)، والتى تقابلها(١٠)، كما تقابل الشام جزيرة قبرص. ولعل هذا الفتح كان فى ذاكرة الفاتحين للجزيرة فتحا نهائيا سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م)، فاستفادوا منه، فنجحوا فى الفتح والاستيطان هناك لحوالى قرن ونصف قرن، ارتبطوا خلالها بمصر ارتباطا قويا، حتى نجح البيزنطيون فى عزل إقريطش عن مصر، وغيرها من قوى إسلامية، فوقعت

إقريطش فى قبضة الروم.

ثانيا: الفتح النهائى لإقريطش والدور الأندلسى والمصرى:

أ- ثورتا الربض الأولى والثانية بالأندلس:

ارتبط الفتح التام لإقريطش وقيام إمارة إسلامية بها بأحد الأحياء الأندلسية التى تقع جنوب مدينة قرطبة على الضفة الغربية من نهر الوادى الكبير، وهذا الحى هو « حى الربض» الذى ساهم سكانه مساهمة فاعلة فى فتح إقريطش. وكان أهل الربض قد ثاروا ثورتين كبيرتين على الأمير الأموى الحكم بن هشام بن عبد الرحمن (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٧-٨٢١م) بسبب قسوته وشدته فى التعامل مع المخالفين له، المعارضين لسيادته (١١)، ومنها الاعتماد على أحد الذميين النصارى فى إحدى الوظائف المالية، وتحكمه فى المسلمين لقربه الشديد من الحاكم، وحظوته عنده (١٢)، وغير ذلك من أعمال رأى قوم من أعلام قرطبة ضرورة عزله بسببها، واختاروا ابن عم له هو (محمد بن القاسم) ليتولى الأمر بديلا للحكم (١٣).

وتحرك هؤلاء الناقمون على الحكم سنة (١٨٩هـ/٨٠٦م) مطالبين بعزله، واشترك فى هذه الثورة الأولى (١٤) عدد من أعلام قرطبة وفقهائها «أزيد من سبعين رجلا سعوا فى الخلاف عليه، فصلبهم وذلك فى سنة تسع وثمانين ومائة، وهذه السطوة أوجبت ثورة الربض»(١٥) ومن هؤلاء السبعين: يحيى بن مضر، وموسى بن سالم الخولانى، ومالك بن يزيد بن يحيى التجيبى، وكان من فضلاء الناس وصلحائهم ووجوههم (١٦).

وهدأت الأحوال بقرطبة اثنتى عشرة سنة، لم ينس فيها الفقهاء وباقى علماء الدين، وكبار الشخصيات والأعلام ما نزل بإخوانهم على يد الحكم من بطش وقتل، فتحينوا الفرص كى يثوروا مرة أخرى ربما يحققون هدفهم فى هذه المرة، فيعزلون الحكم، والدليل على ما أقول هو قول عبد الواحد المراكشى معلقا على الثورة الثانية والأخيرة لأهل الربض «وكان أشد الناس عليه فى أمر الفتنة الفقهاء، هم الذين يحرضون العامة ويشجعونهم» (١٧). والدليل أيضا أن هذه الثورة لأهل الربض سنة (٢٠٢هـ/٨١٧م) ضمت العديد من الفقهاء وأهل الفتيا مثل: طالوت الفقيه، ويحيى بن يحيى الراوية عن مالك، وأخيه، وأمثالهم (١٨).

وأشعل فتيل الثورة حادث عادى مفاده قيام أحد مماليك الأمير الحكم بدفع سيف إلى أحد الحدادين بحى ربض قرطبة ليصقله، فلما أدى الصيقلى مهمته، رفض المملوك دفع الأجرة وتهكم بالصيقلى ثم قتله، فحدثت الثورة فى الربض القبلى، ثم ثار أهل قرطبة فى باقى أرباضها (١٩).

وكانت هذه الوقعة هائلة شنيعة، أشرف فيها الحكم على سير أحداثها من فوق سطح قصره (٢٠) بعدما بلغه الثائرون، ودارت الدائرة فى نهاية الثورة على الثائرين الذين بلغ عددهم أربعين ألفا (١٢)، فقتل منهم زهاء عشرة آلاف (٢٢)، وهدمت ديارهم ومساجدهم،

وأجبر من نجا من القتل على ترك قرطبة، فخرجوا أفواجا بأهليهم وأولادهم من قرطبة، بينما أمر الحكم بهدم الربض القبلى حتى صار مزرعة، ولم يعمر طوال حكم بنى أمية للأندلس (٢٣). ولم يُسمح لمن عفا عنهم الحكم من الفقهاء وأهل العلم ممن خرج من قرطبة ثم ناله عفو منهم بالعودة إليها مرة أخرى، أو إلى ما قرب منها من أماكن (٢٤).

وتفرق أهل الربض فى العديد من الأماكن الأندلسية وغيرها، فاستقبلت سرقسطة بعضهم، ومنهم الفقيه نصر الجهنى (٢٥)، بينما لحق جمهور منهم بطليطلة (٢٦)، ومنهم جد للمؤرخ لسان الدين بن الخطيب يعرف بابن وزير (٢٧). وتوجه بعضهم إلى فاس فصيروها مدينة، غلب على اسمها «مدينة الأندلس» (٢٨).

وسار منهم جماعة بلغوا خمسة عشر ألفا (٢٩)يتقدمهم عمر بن شعيب الغليظ (٣٠) إلى الإسكندرية.

ب- الربضيون ينضمون إلى إخوانهم الأندلسيين بالإسكندرية وفتح إقريطش:

سبق الربضيون إلى الإسكندرية فى هذه الفترة، أندلسيون بحارة استقروا بها قبل الربضيين سنة (١٩٩هـ/٨١٤م)، وفى ذلك يقول الطبرى(٣١): «حدثنى غير واحد من أهل مصر أن مراكب أقبلت من بحر الروم قبل الأندلس فيها جماعة كبيرة أيام شغل الناس قبلهم بفتنة الجروى وابن السرى (٣٢) حتى أرسوا مراكبهم الإسكندرية، ورئيسهم يومئذ رجل يدعى أبا حفص، فلم يزالوا مقيمين حتى قدم عبد الله بن طاهر مصر».

ويزيد المقريزى الخبر السابق بيانا وتوضيحا فيقول: «وكانت بالإسكندرية مراكب الأندلسيين قد قفلوا من غزوهم» (٣٣)، ويذكر أن هؤلاء الأندلسيين نزلوا بمراكبهم رمل الإسكندرية» ليبتاعوا ما يصلحهم، وكذلك كانوا على الزمان، وكانت الأمراء لا تبيحهم دخول الإسكندرية، وإنما كان الناس يخرجون إليهم فيبايعونهم» (٣٤) أى أنه قد جرت عادة الأسطول الأندلسى أن يرسى بالإسكندرية للتزود بالمؤمن والأزواد، والأقوات، وباقى التجارات، وفى هذه المرة سنة (١٩٩هـ/٨١٤م) اعتدى أحد الجزارين بالإسكندرية على رجل منهم، لما نزلوا منطقة الرمل، فأنفوا لذلك، وحملوا السيف على أكثر أهل الإسكندرية، فلم يجدوا من يردعهم لاختلال الأحوال بها، واضطراب أمورها، فتغلبوا عليها وملكوها، حتى سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م). وفيها أعاد عبد الله بن طاهر الإسكندرية إلى التبعية للخليفة العباسى المأمون (٣٥).

ولما ترك الربضيون قرطبة إلى الإسكندرية وجدوا الأندلسيين قبلهم قد سيطروا عليها، فنزلوا عليهم، ولعل عبارة الطبرى الآتية تقوى هذا الرأى، فضلا عن الروايات السابقة التى تفرض هذا التسلسل المنطقى للأحداث وقتئذ. يقول الطبرى:« فلما دخل عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر أرسل إلى من كان بها من الأندلسيين وإلى من كان انضوى إليهم يؤذنهم بالحرب إن هم لم يدخلوا فى الطاعة» (٣٦).

وأرى أن الربضيين هم الذين انضووا إلى الأندلسيين بالإسكندرية، أو أنهم جزء ممن انضموا إلى الأندلسيين بالإسكندرية.

وقد تم التصالح بين الأندلسيين والربضيين، وبين عبد الله بن طاهر فى سنة (٢١٠ هـ/ ٨٢٥م)، على الرحيل عن الإسكندرية، إلى بعض جزر الروم التى ليست تابعة للدولة الإسلامية (٣٧)، وتقديم العون والمال لهم (٣٨)، فاختار الأندلسيون جميعا جزيرة إقريطش، ففتحووها، حصنا بعد حصن، ومدينة تلو مدينة، حتى لم يبق فيها من الروم أحد(٣٩).

جـ. تحرير الخلاف حول قائد الفتح أمير إقريطش:

اختلف فى اسم فاتح وقائد الأندلسيين: تجارة وربضا لجزيرة إقريطش، فهو عند البلادرى»: أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسى المعروف بالإقريطشى (٤٠).

وكذلك عند(ياقوت) الذى نقل عن البلاذرى، إلا أنه نقل عن غير البلاذرى رواية أخرى، فذكر أن فاتحها هو (عمرو بن شعيب المعروف بابن الغيظ (٤١). وهو عند «النويرى»(٤٢)، والحميدى(٤٣) «الضبى»(٤٤)، و«المقرى»(٤٥): أبو حفص عمر بن شعيب.

وإن كان النويرى قد ذكر بعد ذلك اسم عمر بن عيسى بن على أنه ابن عمر بن شعيب. وهذا خطأ منه بدون شك.

أما ابن يونس (٤٦) فقد ترجم لشعيب بن عمر بن عيسى الإقريطشى، وذكر أنه صاحب جزيرة إقريطش، وأنه تولى فتحها بعد سنة عشرين ومائتين. وقد عرض الحميدى والضبى لهذا الخلاف - الذى لم يعرض له أى باحث تناول فتح إقريطش- فذكرا أن فاتحها فى رواية ابن يونس شعيب بن عمر، وفى رواية أخرى: عمر بن شعيب، وهى رواية لابن حزم، وعلقا على ذلك بقولهما: «ويحتمل أن يكون حضرا الفتح» (٤٧).

وعندى أن فاتح إقريطش هو: عمر بن عيسى الأندلسى، أما ما ذكره ابن يونس من فتوحات لشعيب بن عمر بن عيسى، فهى فتوحات أكمل بها فتوحات والده التى حدثت سنة (٢١٠هـ-/٨٢٥)، أو ربما استعاد مناطق إقريطشية كانت قد وقعت فى أيدى الروم، فاستعادها شعيب بن عمر سنة (٢٢٠هـ/٨٣٥م). أما ما ذكر من أن فاتح إقريطش هو: (عمرو بن شعيب) أو (عمر بن شعيب)، فأرى أن هذه الشخصية شاركت فى الفتح أيضا، وأنها شخصية أخرى غير الشخصية الأولى (عمر بن عيسى)- والذى أوقع الخلط بين المؤرخين هو كنية الفاتحين، وهى (أبو حفص)، وكون (عمر بن عيسى) له ابن اسمه شعيب تولى بعده، فالاثنان شاركا فى الفتح: الأول لأنه كان قائدا للأسطول الأندلسى الذى نزل الإسكندرية (١٩٩هـ/٨١٤م)- كما سبقت الإشارة- والثانى لأنه كان زعيما من زعماء الربض، وقد ذكر الذهبى (٤٨) أن الربضيين الذين خرجوا من الأندلس سنة (٢٠٢هـ/٨١٧م)، كان فيهم عمر بن شعيب الغليظ. بينما ذكر الطبرى(٤٩) أن مراكب الأندلسيين بالإسكندرية عندما قدمت فى أيام فتنة الجروى وابن السرى

– وسبقت الإشارة إليها وإلى أنها كانت فى سنة (١٩٩هـ/٨١٤م)، وأن الأندلسيين شاركوا فيها – كان رئيسهم رجل يُدعى أبا حفص. وأرى أنه عمر بن عيسى الأندلسى الذى فتح إقريطش وحكمها ثم آلت من بعده إلى أبنائه (٥٠)، وهذا هو الأقرب للمنطق أن يتولى فتح وحكم الجزيرة قائد الأسطول الفاتح، وليس شخصية أخرى شاركت فى ثورة الربض، كما أنه لا يمكن أن يكون شخص فى مكانين معا فى الوقت نفسه، ومن ثم فهما: عمر بن عيسى، وعمر بن شعيب، شخصيتان اثنتان: الأول كان موجودا بمصر مشاركا فى أحداثها السياسية سنة (١٩٩هـ/٨١٤م)، والثانى كان موجودا بالأندلس مشاركا فى أحداثها السياسية سنة (٢٠٢هـ/ ٨١٧م) وسار الأثنان معا إلى إقريطش ففتحاها سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م)، ولأن الاثنين كانا قائدين: أحدهما للأسطول الأندلسى، والآخر لثورة الربض، فإن بعض المؤرخين ذكروا أن فاتح إقريطش هو الأول، والبعض الآخر ذكروا أنه الثانى، وأرى أن العبارة التى وردت عند الحميدى والضبى «ويحتمل أن يكونا حضرا الفتح» عبارة صحيحة تساهم مع ما تقدم من أدلة فى حسم الخلاف حول هذا الأمر.

د- عمارة إقريطش:

أصبحت إقريطش بعد فتحها بالأعداد الغفيرة السابقة ذات طابع إسلامي وهو الأمر الذى أشار إليه الاصطخرى، وهو يقارن بين صقلية وإقريطش فقال عنها: «وسكانها جميعا مسلمون، أهل غزو، وبين أظهرهم نبذ من النصارى كما يكون ببلدان المسلمين »(٥١) ولأن فاتحى إقريطش كانوا من أهل الصنائع والمهن والحرف والزراعات (٥٢) فإن الجزيرة قد عمرت بهم وعلى أيديهم (٥٣)، وعلى أيدى من نزل إقريطش من المسلمين أيضا، وفى ذلك يقول ابن الأبار: «فاعتمروها وجاءهم الناس من كل مكان فأوطنوها معهم»(٥٤). فتحولت إقريطش من جزيرة قليلة العمران(٥٥) إلى جزيرة عامرة كثيرة الخصب بمدنها، وجزرها المتعددة (٥٦).

وأنشأ المسلمون بهذه الجزيرة مدينة جعلوها عاصمة لهم، وهى مدينة (الخندق) التى أسست فى سنة الفتح نفسها، وعرفت بهذا الاسم لأن المسلمين بنوا حول هذه المدينة خندقا كبيرا لحمايتها، وعرفت هذه المدينة فيما بعد، وحتى الآن باسم (كانديا) (Candia)، وباسم (Herakliom)(٧٥).

وقد تحدث المؤرخون المحدثون (٥٨) عن هذه العاصمة التى أنشأها المسلمون، فذكروا أنها كانت فى الجهة الشرقية من الجزيرة، على خليج «لادا» (Lada)

وللإدريسى حديث عن مدينة الخندق، ووصف لمدنها، ولعمارتها، ضمنه كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» (٥٩). وبسبب ازدهار إقريطش اقتصاديا على أيدى المسلمين، فإن تجارتها ومحاصيلها كانت تحمل إلى جميع النواحى (٦٠).

تعقيب

برز الدور الأندلسى واضحا فى فتح إقريطش، فالفاتحون من الأندلس، لكن مصر هى البلد التى انطلق منه الفاتحون إلى إقريطش، فمن الإسكندرية تم الفتح النهائى سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م)، الذى أعقبه استقرار وتوطين للمسلمين بإقريطش، كما كانت الإسكندرية سابقا سنة (١٢٢هـ/٧٤٢م)، المكان الذى انطلق منه الأسطول الإسلامى لفتح إقريطش واستيطانها فى السنة الماضية.

وأعتقد أن دور مصر لم يقف عند هذا الحد، بل إن عددا من المصريين ساهموا فى الفتح، كما ساهمت مصر فى تقديم العون والمال للفاتحين الأندلسيين. وهناك عبارة وردت فى مصاردنا التاريخية (٦١)، تؤكد ما ذهبت إليه وهى «وكان أكثر المفتتحين لها معه - مع فاتحها عمر بن عيسى- أهل الأندلس».

ومعنى هذا أن هناك مشاركين كثيرين من غير الأندلسيين فى فتح إقريطش، ولأن الفتح انطلق من مصر، فأعتقد أن هؤلاء المشاركين كانوا منها كذلك، ولعل عبارة الطبرى (٦٢) الخاصة بانضواء جماعات إلى الأندلسيين البحارة بالإسكندرية تخص المصريين كما تخص الربضيين، وإذا كان عبد الله بن طاهر قد اشترط على الأندلسيين عندما كانوا بمصر ألا يأخذوا معهم أحدا من أهل مصر ولا عبدا ولا آبقا، وبعث من فتش عنهم فى مراكب الأندلسيين، فوجدوا فيها جمعا من الذين اشترط عليهم ألا يخرجوهم (٦٣). فإنى أرى أن ذلك كان خاصا بأناس معينين من المصريين، ولم يكن متعلقا بجميع المصريين الذين خرج بعضهم مع الأندلسيين إلى إقريطش، كما أنى أظن أن عددا آخر من المصريين توجه بعد ذلك إلى إقريطش، وذلك نظرا للعلاقات القوية التى نشأت بين إقريطش وبين مصر، وفى قول ابن الأبار «وجاءهم الناس من كل مكان فأوطنوها معهم» (٦٤). ما يزكى رأيى كذلك فإن الأندلسيين وهم بالإسكندرية انضم إليهم فقهاء - من الأندلس وغيرها - جاءوا للحج عن طريق مصر، فخرج بعضهم مع الأندلسيين إلى إقريطش، مما يبين أن الأمر لم يقتصر على الربضيين وغزاة البحر من الأندلس فقط، ومن هؤلاء الذين حجوا وانضموا إلى الأندلسيين المتوجهين لفتح إقريطش: الفقيه محمد بن عيسى بن دينار الغافقى القرطبى، ووصف بأنه كان زاهدا، عالما، حج وحضر افتتاح إقريطش، فاستوطنها (٦٥)، وقد لقب ياقوت الحموى (٦٦) محمد بن عيسى بن دينار بالإقريطشى، وأشار إلى بعض من روى العلم عنه، ومنهم: عبد الله بن محمد النسائى المؤدب.

وهكذا شاركت مصر الأندلس فى الفتح، وإن كان الدور الكبير للأندلسيين فيه، على عكس أمور أخرى كان دور المصريين أوضح، وتساوى المصريون - تقريبا- مع الأندلسيين فى أدوار أخرى كالدور الثقافى فى إقريطش، وقد ساهم الأندلسيون ومن معهم من مصريين وغيرهم فى طبع الجزيرة بالطابع الإسلامى، بينما «أجلى جميع الروم» (٦٧)، وبعض الإقريطشيين من غير المسلمين، وقاد أحدهم جيشا روميا أغار به على ثغر «ملطية» (سنة ٢٥٩ هـ/٨٧٢م)، فهزم إمام المسلمين (٦٨)، بينما بقى بإقريطش بعض سكانها النصارى بشهادة

الإصطخرى، المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (٦٩): «وسكانها جميعا مسلمون، أهل غزو، وبين أظهرهم نبذ من النصارى كما يكون ببلدان المسلمين».

وأجمعت المصادر على أن المسلمين بإقريطش سببوا إزعاجا كبيرا للإمبراطورية البيزنطية (٧٠)، حيث كانت إقريطش (من أعظم بلاد المسلمين نكاية على الروم) (٧١)، وحيث إن المسلمين بإقريطش استفادوا من أخشاب إقريطش فى صنع سفن غزوا بها جميع ما حولهم من جزائر القسطنطينية «ففتحوا أكثر الجزائر، وغنموا وسبوا» (٧٢).

ثالثا: الدور الثقافى الأندلسى والمصرى فى إقريطش:

قام الفقهاء والمحدثون الأندلسيون والمصريون بنشر الثقافة الإسلامية بإقريطش بعد فتحها، وقد سبقت الإشارة إلى مشاركة بعض هؤلاء الفقهاء فى الفتح نفسه، بما يبين دور هؤلاء الفقهاء الفكرى المبكر فى الجزيرة المفتوحة.

ومن أبرز من ساهم فى تعليم العلوم الدينية، والإفتاء بإقريطش من الأندلسيين: الفقيه مروان بن عبد الملك الذى انتقل من الأندلس إلى إقريطش واستوطنها «وكانت تدور فتيا إقريطش عليه» (٧٣). وهذا الفقيه كان من كبار الفقهاء، يرحل إليه الفقهاء للأخذ عنه، والتلمذة على يديه، الأمر الذى جعل الفقهاء الأندلسيين يرحلون إلى إقريطش من أجل دراسة وتعلم الفقه على يد الفقيه الكبير مروان بن عبد الملك، وهذا بالطبع أثرى الحياة العلمية بالجزيرة. وقد أورد المؤرخ الخشنى (ت٣٦١ هـ/٩٧١م) خبرا يتصل برحلة أحد مشايخ الأندلس الكبار، وهو أحمد بن خالد بن يزيد الجباب (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م) إلى إقريطش حيث سمع بها مروان بن عبد الملك، وأدخل أحمد بن خالد إلى الأندلس علما كثيرا، وسمع منه من أهلها ناس كثير (٧٤). وكان الفقيه أحمد بن خالد حافظا لفقه الإمام مالك، راوية للحديث، جماعة للكتب، وصف بأنه غمام وقته فى الفقه والحديث (٧٥)، ولا شك فى أنه لعب دورا هو الآخر فى الحركة الثقافية الدينية بإقريطش.

وقد سئل الفقيه المحدث أحمد بن خالد: «على مروان كانت تدور فتيا أهل إقريطش؟» قال: نعم. فقيل له: وهل كان يحسن الفتيا ؟ قال: كذا.

وحكى أحمد بن خالد عن خلاف فقهى وقع بينه وبين شيخه مروان بن عبد الملك بإقريطش، وكان الرأى الراجح فيه لأحمد بن خالد، فمضى مروان بن عبد الملك إلى كتبه، فوجد المسألة كما قال الفقيه أحمد بن خالد «فصار من ذلك خبر فى البلد حتى بلغ الأمير الخبر، وكان أميرها يسمى شعيبا، وكان له ولد يكنى أبا حفص ولى بعده» (٧٦).

وهكذا كانت هناك محاورات ومناقشات بإقريطش أثرت تأثيرا إيجابيا فى الحياة العلمية الدينية فى الجزيرة، حيث أن أمراءها كان لهم اهتمام بالعلم الدينى، ومنهم أميرها شعيب بن عمر بن عيسى الذى كان قد أخذ العلم بالعراق، وبمصر عن جدّ للمؤرخ ابن يونس، وعن غيره (٧٧).

ولم يكن مروان بن عبد الملك مفتى إقريطش مهتما بالفقه فحسب، بل كان ذا علم بالتاريخ، وجمع تاريخا على الأمصار، وسمعه منه كذلك الفقيه المحدث أحمد بن خالد، كما ألف فقيه إقريطش عددا كبيرا من الكتب، غير أنها فقدت ضمن ما فقد من تراث المسلمين (٧٨).

ومن الأندلسيين الذين نشروا العلم الدينى بإقريطش: العالم يحيى بن عثمان الأندلسى الذى انتقل إلى إقريطش وسكنها (٧٩). وارتحل إليه بعض الأندلسيين لتلقى العلم على يديه، ومنهم: مسلمة بن القاسم بن إبراهيم القرطبى (ت٣٥٣هـ/٩٦٤م) (٨٠). ومسلمة بن القاسم الزيات(٨١).

ويعد الفقيه الأندلسى: أحمد بن خلف بن أبى حجيرة القرطبى (ت٣٥٦ هـ/٩٦٦م)، أحد الفقهاء الأندلسيين الذين تركوا أثرا علميا كبيرا فى إقريطش، وساهم مساهمة واضحة فى التدريس للأندلسيين الذين رحلوا إلى إقريطش، طلبا للتلقى من علمائها (٨٣).

وانفرد المقريزى (٨٤) بخبر عن أحد الفقهاء الأندلسيين الذين كان لهم دور بمصر وإقريطش معا، وهو الفقيه محمد بن عمر بن يوسف الأندلسى (ت٣١٠ هـ/٩٢٢م) الذى قدم مصر واستوطنها، وحدث بها، وكان فقيها بمذهب الإمام مالك، ثم دخل إقريطش للتدريس بها.

أما عن الدور المصرى فقد كان - تبعا لما ذكرته المصادر - قريبا من الدور الأندلسى فى هذا الجانب، ذكر ابن يونس (٨٥) والذهبى (٨٦) أن عالما مصريا من علماء الحديث النبوى، الدارسين له وهو الحسن بن محمد بن أحمد الغسال المصرى (٣٠٢ هـ/٩١٤م) دخل إقريطش، فمات بها نصرانى بيعت كتبه، فاشترى الحسن بن محمد منها ما يتصل بتعبير الرؤى، وعدد الأيام، وحفظ ذلك، وجربه، فكان فى تفسير الرؤيا عجبا من العجائب.

وإلى إقريطش توجه شيخ المالكيين بمصر: الفقيه على بن جعفر، بعد أن كتب أهل إقريطش إلى مصر يسألون أن يوجه إليهم من يفقههم، ويتقلد حكمهم، فتم الاتفاق على إرساله «فخرج إليها وأقام بها إلى أن دخلها الروم، واستحوذوا عليها من سنة خمسين وثلاثمائة وملكوها» (٨٧).

وكان الفقيه على بن جعفر المعروف بأبى الحسن فيمن أسر بإقريطش- هو وابنه الذى مات فى الأسر- وحمل إلى القسطنطينية وجرت بينه وبين نفقور (الطاغية) ملكها (٨٨) مناظرة (٨٩)، زعم فيها نفقور أن عيسى (عليه السلام) بشر به جميع الأنبياء، فى حين أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يبشر به أحد من الأنبياء، وادعى أن المسلمين غير مجمعين على النبى صلى الله عليه وسلم، فبعض المسلمين يقولون بأن النبى علىّ صلى الله عليه وسلم، وسأل نفقور الفقيه أبا الحسن عن أمور خاصة بالقدر، ورد الفقيه أبو الحسن على كل دعاوى وزعم نفقور، وفندها، ثم انتقل إلى الهجوم فذكر مقالات واختلافات النصارى حول البارى تعالى، فأدرك نفقور أنه طرق ميدانا لا يحسنه.

وواضح مما تقدم أن المذهب الفقهى الذى كان سائدا بإقريطش هو المذهب المالكى مذهب أهل الأندلس، ولذلك فإن معظم الفقهاء كانوا يدرسون هذا المذهب بها.

تعقيب :

مما سبق يتبين لنا الدور الأندلسى والمصرى الثقافى فى إقريطش، وما ذكرته بعض المصادر عن هذا الدور هو أمثلة – فقط – تدلل عليه، وقد لمسنا طرفا من الرحلات العلمية الأندلسية إلى إقريطش– فى حدود ما ذكرته المصادر – وأظن أن هذه الرحلات كانت أكبر مما تلمسناه فى الروايات والأخبار الواردة بهذا الشأن. كما أن العلاقات القوية التى ربطت مصر بإقريطش– وسيأتى الحديث عن بعضها – كانت تسمح بدور ثقافى كبير فى الجزيرة، قدمت المصادر نماذج منه، تنهض هذه النماذج دليلا قويا على أثر مصر الثقافى فى الجزيرة، ذلك الأثر الذى كان موازيا لأثر الأندلس. ونستأنس هنا بعبارة ابن الآبار – التى سبق ذكرها –: «وجاءهم الناس من كل مكان فأوطنوها – إقريطش– معهم».

وهكذا استقبلت إقريطش علماء الدين الأندلسيين والمصريين الذين لعبوا دروا ثقافيا مهما فى أثناء الحكم الإسلامى لها، واستقبلت الجزيرة كذلك بعض المغضوب عليهم من الخلفاء العباسيين ومنهم أحد كبار الدولة فى خلافة المستعين (٢٤٨–٢٥٢هـ/٨٦٢–٨٦٦م)، وهو أحمد بن الخصيب الذى سخط عليه الخليفة المستعين بوقيعة من الأتراك، فنهب ماله، ونفاه إلى إقريطش (٩٠).

رابعا: الدور المصرى فى تسليح إقريطش:

كانت إقريطش مشهورة بأخشابها التى هيأت للمسلمين إنشاء الأساطيل بها (٩١)، ولكنها كانت تفتقد إلى المعدات الحربية والأسلحة التى تمكنها من مهاجمة القواعد والجزر الرومية فى البحر المتوسط، ووقع عبء إمداد إقريطش بالأسلحة والعدد العسكرية على مصر، ولدينا خبر يبين ذلك أورده الطبرى فى أحداث سنة (٢٣٨هـ /٨٥٢م)، وفيها هاجم الروم ثغر دمياط المصرى بثلاثمائة سفينة انتهبت دمياط وأحرقت مساكنها وجوامعها، وقتلت وسبت العديد من النسوة المسلمات والقبطيات اللائى وصل عددهن إلى ستمائة امرأة، وأحرق الروم مخزونا لقلوع السفن «واحتملوا سلاحا كان فيها أرادوا حمله إلى أبى حفص صاحب إقريطش نحو من ألف قناة وآلتها، وقتلوا من أمكنهم قتله من الرجال، وأخذوا من الأمتعة والقندر والكتان ما كان عبى، ليحمل إلى العراق (٩٢).

ويخبرنا الخبر السابق بدور مصر فى تزويد إقريطش بالمعدات والإمدادات العسكرية، وبتزويد غيرها – كالعراق – بالثياب الكتانية (٩٣) التى اشتهرت بها دمياط.

ولعل هذا الدور كان دافعا لأهل إقريطش لأن يستمدوا العون والنصرة من مصر إبان هجوم الروم الأخير عليهم فى أثناء تبعيتها لحكم الإخشيديين الذين لم يقدموا شيئا ذا بال لإقريطش، فأنكر عامة مصر تخاذهم وتقاعسهم، فأظهر على بن الإخشيد نصرة الإقريطشيين، فحرك بعض السفن فى البحر، ليسكن بهذا الفعل غضب عامة مصر (٩٤).

وقد أشار أحد المصادر الشيعية إلى مدى الصلات القوية التى كانت قائمة بين إقريطش ومصر قبيل زوال الحكم الإسلامى عن إقريطش وذلك فى أثناء رسالة الخليفة المعز لدين الله–

الذى استغاث به أهل إقريطش بالمغرب بعد طلب عون مصر - إلى على بن الإخشيد والى مصر للعباسيين وورد فيها ك «وأنت لعمرى بذلك أجدر لقربهم منك، واتصالهم بك، وميرهم بلدك، وكونهم وإياك فى دعوة احدة»(٩٥). وورد فيها أيضا: «.... ومراكبهم بخيرات بلدهم وأطعمتها تمير إلى مصر، وهداياهم تصل إلى عمالها» (٩٦).

ومن النصوص السابقة يتبين الاتصال الوثيق بين مصر وإقريطش، وتردد السفن بين البلدين المسلمين، وغضب عامة مصر على ما نزل بإقريطش من حصار أدى إلى سقوطها فى أيدى الروم، وعجز السلطة الحاكمة الضعيفة فى مصر عن نجدة الجزيرة، فى ظل ضعف الخلافة العباسية، وإذا كانت مصر لم تنجد إقريطش، فإن الفاطميين بالمغرب لم يقدموا سوى الكلام والوعود الكاذبة لأهالى إقريطش الذين أرسلوا وفدا فى إحدى السفن إلى بلاد المغرب يسألون المعز النصرة فلم يجدوا عنده سوى الجدل العقيم، والوعود الواهية (٩٧)، بالرغم من أن الوفد الإقريطشى عدد للخليفة الفاطمى مزايا إقريطش، ومناه بحكمها «فلما مثل بين يديه قبل الأرض مرارا وأدى إليه عن القوم ما أرسلوه به من تضرعهم واستغاثتهم وسؤالهم ورغبتهم واسترحامهم، وجعل يذكر له قدر البلد وموضعه من بلد الروم ومن مصر، وأنه فرضة لهما، وأن الله تعالى - إن أقدره على دفع المشركين عنه وملكه - كان سبب فتح القسطنطينية والمشرق عليه، وعدد ما فيه من الآلات والمعادن، وما يتهيأ به من إنشاء أساطيل وقربه من القسطنطينية ومن مصر»(٩٨).

ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن توجه إقريطشيين نحو الأندلس طلبا للنجدة، مما يبين أن علاقتهم السياسية وغيرها بمصر كانت أقوى وأوثق، وأن الاعتماد على مصر كان كبيرا، وأن دور مصر المختلف كان بارزا فى إقريطش.

خامسا: الدور المصرى التجارى مع إقريطش:

أشارت المصادر التاريخية إلى وجود علاقة تجارية قوية بين مصر وإقريطش إبان تبعيتها للمسلمين، أدى ثغر دمياط - من خلالها - دورا ملموسا فى العلاقة التجارية بين البلدين المسلمين، بالإضافة إلى الإسكندرية «فرضة إقريطش وصقلية والمغرب كله»(٩٩).

وكان الدور التجارى متبادلا بين الجانبين، حيث جلب من إقريطش إلى الإسكندرية الجبن والعسل وغير ذلك (١٠٠)، فى حين أن مصر قدمت لإقريطش الحرير والثياب الدمياطية الشهيرة المعروفة بالإتقان والجودة (١٠١).

وقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره المؤرخ الشيعى (النعمان بن محمد) المعاصر للأحداث الأخيرة فى تاريخ العلاقة بين مصر وإقريطش، وما تضمنته من روايات أخبار تشهد بهذه العلاقة التجارية بين البلدين، وتكشف فى الوقت نفسه عن عمق الود المتبادل بين الجانبين.

هذا ولم تشر المصادر إلى أى نوع من العلاقات التجارية بين إقريطش وبين الأندلس.

الخاتمة

قامت بجزيرة إقريطش إمارة إسلامية فى الفترة ما بين سنة (٢١٠ هـ/٨٢٥م) إلى سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م)، كانت إقريطش فيها ذات طابع إسلامى أصيل، وذات صبغة إسلامية خالصة، بفضل الأعداد الغفيرة الفاتحة، ومن هاجر إلى الجزيرة بعد ذلك من مسلمين مثلوا أغلبية ساحقة بالجزيرة. ووقع عبء فتح الجزيرة على فرقة بحرية أندلسية انضم إليها جماعة أندلسية أخرى هى جماعة الربض بقرطبة، وانطلق الفتح الإسلامى للجزيرة من الإسكندرية ألتى كانت منطلقا لفتح آخر سابق للجزيرة، أتى ثماره المرجوة، وفائدته المبتغاة من الفتح، إذ صاحبه استقرار واستيطان، كما حدث فى الفتح الإسلامى الأخير للجزيرة. وساهمت مصر فى الفتح الأخير بالدعم المالى، كما شارك فيه بعض المصريين. على أن ارتباط الجزيرة بعد ذلك قد أصبح قويا بمصر خاصة، حيث أن مصر ساهمت فى تقديم الأسلحة والمعدات والآلات الحربية التى أمكنت المسلمين بالجزيرة من تحقيق فتوحات لهم على حساب الدولة البيزنطية، ومن إحراز انتصارات عديدة على هذه الدولة، ومن تهديد عاصمتها القسطنطينية. كما ارتبطت الجزيرة بعلاقات تجارية وثيقة بمصر، تبادل فيها الطرفان بتقديم تجارات وصناعات كل فريق. ولعل اتجاه الإقريطشيين لطلب العون من مصر إبان حصار الروم لإقريطش دليل على العلاقة القوية التى ربطت الجانبين، كما أن غضب العامة فى مصر على عدم تقديم أمرائها الإخشيديين العون لإقريطش وقت الحصار مؤشر واضح على عمق العلاقة بين مصر وإقريطش.

وإذا كانت علاقة مصر بإقريطش كانت أقوى من علاقة الأندلس بإقريطش، فإن الأندلسيين والمصريين اشتركوا معا فى نشر الثقافة الإسلامية والعلوم الدينية بالجزيرة، حيث استقبلت إقريطش العديد من الفقهاء الأندلسيين والمصريين، وحيث كانت الرحلة العلمية إلى إقريطش معروفة ومقررة للأخذ عن العلماء والفقهاء بها.

وأخيرا فإن الإقريطشيين ومن كان معهم من سكان الجزيرة لم يجدوا أمامهم سوى الإسكندرية والأندلس وصقلية ليتوجهوا إليها فارين بدينهم من الرومان إثر سقوط الجزيرة فى أيديهم (٣٥٠هـ/٩٦١م).

وقد ظهر بالبحث بعض وجهات النظر، خالفت رؤى وتوجهات أخرى سابقة وأعتمد الباحث فى وجهة نظره على ربط بعض الروايات ببعض، وتأمل بعض الأخبار والتعمق فى دلالاتها.

الهوامش:

(١) ظهر ذلك فى كتاب «المسلمون فى أوروبا فى العصور الوسطى» للدكتور إبراهيم على طرخان، راجع ص ٨٤ -٨٧، وكتاب «فى تاريخ المغرب والأندلس» للدكتور أحمد مختار العبادى: ص١٢١-١٢٥

(٢) مثال ذلك ما كتبه إبراهيم العدوى عن إقريطش فى كتابه «قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط» ص١٠٥-١١٧، وما كتبه حسين مؤنس عنها فى كتابه «تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط» ص١١٥-١١٦. وفى «أطلس تاريخ الإسلام» ص٢٨٧-٢٨٨، ودراسة أسمت غنيم: «الإمبراطرية البيزنطية وكريت الإسلامية»، وهى دراسة سياسية، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المراجع التى كتبها المتخصصون اليونان عن تاريخ الجزيرة اقتصرت بطبيعة الحال على تاريخها السياسى، ومن ذلك دراسة أحد الأساتذة بجامعة كريت: Ineocharis Detorakis: History Of Crete

(٣) راجع عبد الوحد المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص٢٠ وذكر أيضا أن بعض الإقريطشيين سكن صقلية:

(٤) From Wikipedia. The Free Encyclopedia Ao. I. HTTP: Wikipedia. ORG Crete

وإقريطش (كريت) هى أكبر الجزر اليونانية، بينما أكبر جزر البحر المتوسط هى جزيرة صقلية، وقد قارن بعض الجغرافيين المسلمين بين جزر البحر المتوسط من حيث المساحة

راجع الإصطخرى: المسالك والممالك ص٥١؛ وابن حوقل: صورة الأرض: ص١٨٤.

(٥) راجع فى ذلك إبراهيم العدوى قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط، ص ١٠٨١٠٧، عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ العرب، العصر العباسى الأول، ٢٨٧/٣؛ إسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ص ٣٤-٣٠.

(٦) راجع فى ذلك إبراهيم العدوى: قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط، ص ٣٦

(٧) راجع البلاذرى: فتوح البلدان ص٢٣٧؛ وقدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة ص٣٥١؛ وابن عساكر: تاريخ دمشق ٦٧/١١؛ وارجع ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق: ٣٨٧/٤

(٩) ابن زولاق: فضائل مصر؛ ص ٥٠

(١٠) المقدسى: أحسن التقاسيم ص١٥؛ وراجع ابن العديم: بغية الطلب، جـ١، ص٣٩٨، ويذكر هنا أن إقريطش تقابل برقة مباشرة فى حين أنها تقابل الإسكندرية مع وجود انحراف.

(١١) دافع ابن عذارى عن الأمير الحكم بن هشام، وألقى باللوم على الثائرين الذين لم يكن لديهم سبب مقنع أو ضرورة ملحة تدعوهم للثورة - فى نظره- وإنما ثاروا بطرا وطمعا فى مزيد من الحقوق. راجع: البيان المغرب: ج٢ ص٧١، ٧٥-٧٦؛ وراجع: ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج٤ ص٤٩٠ و٤٩١، حيث أشاد هو الآخر بالحكم بن هشام والغريب أنه لم يذكر شيئا عن ثورتى أهل الربض وهو يترجم للأمير الحكم.

(١٢) راجع لسان الدبن ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام، ص١٥.

(١٣) راجع ابن القوطية: تاريخ افتتاح الاندلس، ص١٠١؛ وراجع ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٧١.

(١٤) لم تعرض إسمت غنيم فى كتابها: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية لهذه الثورةالأولى، وكذلك بقية الأساتذة الفضلاء الذين كتبوا عن ثورة ربض قرطبة، وتناولوا فقط الثورة الثانية لأهل الربض، ومنهم الدكتور أحمد مختار العبادى فى كتاب: تاريخ المغرب والأندلس، ص١٢٢. وإذا كانت هذه الثورة الأولى لا علاقة لها مباشرة بإقريطش، فإننى أظن أن الثورة الثانية التى لها علاقة بإقريطش ما كانت لتندلع لولا نتائج الثورة الأولى التى ساهمت مساهمة أساسية فى الثورة الثانية سنة ٢٠٢ هـ، بالإضافة إلى بعض العوامل المساعدة التى لا يمكن أن تستقل وحدها بإشعال ثورة ضخمة بمثل ثورة أل الربض، ولعل ما يؤكد كلامى هو ما ذكره ابن الأبار فى كتابه: التكملة والصلة: ج٢ ص٧٠٨.

(١٥) ابن الأبار: التكملة والصلة: ج٢ ص٧٠٨.

(١٦) ابن الأبار: السابق نفسه والصفحة نفسها.

(١٧) عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص٢٠.

(١٨) لسان الدبن ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام، ص ١٥.

(١٩) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ص٤٢.

(٢١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٥٧.

(٢٢) لسان الدين ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام، ص ١٥.

(٢٣) للوقوف على كافة أحداث هذه الثورة راجع: ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٧٥-٧٧؛ وابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ص ٤٢؛ والذهبى: سير أعلام النبلاء ج٨ ص٢٥٧؛ ولسان الدين ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام ص١٥، والنويرى: نهاية الأرب: ج٢٤، ص٣٨٤، وج٢٣ ص٣٧٠-٣٧٣؛ وابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠١.

(٢٤) راجع: ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢ ص٧٧.

(٢٥) راجع: ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٣٥٩.

(٢٦) راجع: ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٤٥؛ وابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ص٤٢؛ والذهبى: سير أعلام النبلاء؛ ج٨، ص٣٥٧.

(٢٧) لسان الدبن ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام، ص ١٥.

(٢٨) راجع: ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٧٧؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٥٧.

(٢٩) راجع: ابنه القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص١٠١؛ وابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ص٤٢ وقدر هؤلاء بالألوف، والذهبى: سير أعلام النبلاء ج٨، ص ٢٥٧؛ لسان الدين ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام ص١٦؛ وابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٤٥.

(٣٠) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٦١٣.

(٣١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٦١٣.

(٣٢) نشبت هذه الفتنة سنة ١٩٩هـ/٨١٤م، وابن السرى كان أميرا لمصر بينما كان عبد العزيز بن الوزيرالجروى ثائراً بتنيس، يطلب ولاية الإسكندرية. راجع فى ذلك: المقريزى: الخطط ج١، ص ١٧٢.

(٣٣) المقريزى: الخطط، ج ١، ص١٧١.

(٣٤) المقريزى: الخطط، ج١، ص١٧٢.

(٣٥) راجع: ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠١؛ والمقريزى: الخطط، ج١، ص١٧١-١٧٢؛ والذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٦١٣.

(٣٧) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٦١٣.

(٣٨) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤/٣٨٤، وقارن بين ما ذكره ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ص٤٢، من أن ابن طاهر أنزلهم جزيرة إقريطش. وبين ما أورده ابن القوطية من أن عبد الله بن طاهر «ابتاع المدينة منهم بمال كثير». تاريخ افتتاح الأندلس: ص١٠١. وهو ما ذكره الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ١٥٧.

(٣٩) راجع: البلاذرى: فتوح البلدان: ص٢٣٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٢٣٦؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٥ ص٣٨٤.

(٤٠) راجع: البلاذرى: فتوح البلدان: ص٢٣٧؛ قدامة بن جعفر: الخراج، ص٣٥١؛ المقريزى: الخطط، ج١، ص ١٧٢.

(٤١) راجع: ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٢٣٦؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٧٥.

(٤٢) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٨٤.

(٤٣) راجع الحميدى: جذوة المقتبس، ص٣٠١.

(٤٤) راجع الضبى: بغية المقتبس، ص ٣٠١.

(٤٥) المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص١٤٣.

(٤٦) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج٢، ص١٠١؛ وراجع السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٧، وجعل الفتوحات سنة ٢٣٠ هـ؛ وابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج٣ ص٣٧٥، وهناك خبر ذكره ابن عذارى: البيان المغرب ج١ ص١١٣ أنه فى سنة ٢٤٤ هـ غزا العباس صاحب صقلية أرض الروم وخرج أمره إلى إقريطش فقتل وسبى، ولعل هذا الخبر يؤكد أن بعض أجزاء الجزيرة كانت تقع أحيانا فى أيدى الروم فتغزا من جديد من قبل المسلمين.

(٤٧) راجع الحميدى: جذوة المقتبس ص٣٠١؛ والضبى: بغية المقتبس، ص٣٠١.

(٤٨) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٥٧.

(٤٩) الطبرى: تاريخ الأمم الملوك، ج٨، ص ٦١٣.

(٥٠) تولى إقريطش شعيب بن عمر بن عيسى بعد وفاة والده، ثم تولاها عبد العزيز بن شعيب بن عمر بن عيسى. راجع فى ذلك المصادر الآتية مجتمعة: ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج٢ ص١٠١؛

وابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، القسم الأول ص١٢٤؛ وياقوت: معجم البلدان ج١ ض٢٣٦. ويقول المقريزى عن فاتحى إقريطش: «وساروا إلى جزيرة إقريطش، وكان الأمير معهم: ابو حفص عمر بن عيسى ثم تولاها ولده من بعده». الخطط ج١ ص١٧٢

(٥١) الإصطخرى: المسالك والممالك ص٥١؛ وابن حوقل: صورة الأرض ص١٨٤؛ وابن الأثير: الكامل ج٥ ص٢١٢؛وارجع قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة، ص٣٥١.

(٥٢) سبقت الإشارة إلى أن أهل الربض الذين نزلوا فاس، ابتنوا على ساحلها مدينة غلب على اسمها مدينة الأندلس الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٥٧. وقد اشار الدكتور أحمد مختار العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس ص١٢٤إلى أن هؤلاء الربضيين نقلوا إلى عاصمة الأدارسة مظاهر الحضارة الأندلسية، فأعطوها طابعا أندلسيا جميلا فى صناعتها وأبنيتها البيضاء، وعرفت مدينة فاس بمدينة الأندلسيين. أما مدينة العالية التى أسسها إدريس الثانى على الضفة المقابلة فقد أسكنها لجماعة من عرب إفريقية من نواحى القيروان، ولهذا سميت بمدينة القيروانيين، ثم خفف الاسم إلى قرويين، وبمضى الوقت غلب اسم فاس على المدينتين وصار يشمل عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين. راجع: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٨٧.

(٥٣) راجع: النويرى: نهاية الأرب: ج٢٤ ص٣٨٤؛ والمقريزى: الخطط، ج١ص٢٨٧؛ وابن خلدون: العبر: ج٤ ص٦٠؛ والطبرى: تاريخ الأمم، ج٨ ص٦١٣.

(٥٤) راجع: ابن الأبار: الحلة السيراء ج١ ص٤٥.

(٥٥) راجع: وابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ص٤٢.

(٥٦) الإدريسى: نزهة المشتاق ج٢ ص٦٣٥؛ وابن حوقل: صورة الأرض ص١٨٤.

(٥٧)
- From Wikipedia, The Free Encyclopedia
- p. Z. http: en. Wikipedia dia. Org/ Wiki/ Heraklion.

(٥٨) راجع: إبراهيم العدوى: قوات البحرية العربية ص١١٠؛ وحسين مؤنس: تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط ص١١٥-١١٦، وعنه نقل إبراهيم طرخان: المسلمون فى أوروبا فى العصور الوسطى ص٨٥، وذكروا أن لفظ (الخندق) العربى حرف إلى (كانديا).

(٥٩) الإدريسى: نزهة المشتاق ج٢ ص٦٤٠، وراجع ص٦٣٥، وص٦٣٩.

(٦٠) الإدريسى: نزهة المشتاق ج٢ ص٦٤٠؛ وأبو الفدا: تقويم البلدان، ص١٩٥.

(٦١) الحميدى: جذورة المقتبس: ص٣٠١؛ والضبى: بغية الملتمس: ص٤٠٧؛ والمقرى: نفح الطيب، ج٤، ص١٤٣.

(٦٢) راجع: الطبرى: تاريخ الأمم، ج٨، ص٦١٣.

(٦٣) راجع: المقريزى: الخطط ج١ ص١٧١.

(٦٤) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٤٥.

(٦٥) القاضى عياض: ترتيب المدارك ج٣، ص١٥٢؛ راجع ترجمته لأسرته: ص١٥٠ -١٥٣، وراجع

ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة: ج١، ص٣٥٦؛ والمقرى، نفح الطيب، ج٢، ص٣٦٣-٣٦٤

(٦٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص٢٣٦.

(٦٧) قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة، ص٣٥١.

(٦٨) الذهبى: العبر، ج٢، ص٢٤.

(٦٩) تجدر الإشارة هنا إلى معاصرة الإصطخرى لإمارة إقريطش الإسلامية، وكذلك عاصرها ابن القوطية: «تاريخ افتتاح الأندلس» ص١٠١؛ الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٦١٣، وعنها نقل البكرى، جغرافية الأندلس وأوربا، ص١٣٨.

(٧٠) - From Wikipedia. The Free Encyclopedia_P.Z.Http: EN. Wikipedia Dia.Org/ Wiki/ Herakion

ومن الطبيعى أن يزعم مورخو اليونان الآن أن المسلمين كانوا قراصنة فى حوض البحر المتوسط كما أدعى المرجع السابق.

(٧١) ياقوت: معجم البلدان، ج١،ص٢٣٦.

(٧٢) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٨٤.

(٧٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، القسم الثانى: ص ١٢٤، وراجع ص ١٢٣.

(٧٤) الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين: ص ١٨؛ راجع من ص١٧، وراجع ص٤٦، ١٣٧.

(٧٥) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، القسم الأول، ص ٣١.

(٧٦) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، القسم الثانى: ص ١٢٤.

(٧٧) راجع ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج٢، ص١٠١؛ الحميدى، جذوة المقتبس، ص٣٠١؛ الضبى: بغية الملتمس، ص٤٠٧.

(٧٨) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، القسم الثانى: ص١٢٣.

(٧٩) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، القسم الثانى: ص١٨٩.

(٨٠) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، القسم الثانى: ص١٢٨-١٢٩، وراجع ص١٣٠.

(٨١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، القسم الثانى: ص١٨٩.

(٨٢) راجع ترجمته عند ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس،القسم الأول: ص٤٨.

(٨٣) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، القسم الثانى: ص١٢٨.

(٨٤) المقريزى: المقفى: ج٦، ص٤٥٦.

(٨٥)ابن يونس: تاريخ المصريين، القسم الأول، ص ١٢٢.

(٨٦) الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٢٣، ص٨٨.

(٨٧) القاضى عياض: ترتيب المدارك، ج٣، ص٢٩٥.

(٨٨) كان نقفور بن الفقاس هو قائد الجيش البيزنطى الذى استولى على إقريطش سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١م).

فى أثناء حكم ملك الروم، رومانوس الثانى. وقد أشار ياقوت الحموى إلى ذلك: «معجم البلدان: ج١ص٢٣٦» إلى تولى نقفور السلطة فى الدولة البيزنطية بعد وفاة رومانوس الثانى عقيب سقوط إقريطش فى ايديهم. راجع: الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٨ص٢٥٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة: ج٣ ص٣٧٥، وقد أشار النويرى فى نهاية الأرب ج٢٤ ص٣٨٧-٣٨٨ إلى محاولة الروم لإجبار المسلمين بالجزيرة على التنصر بعد وقوعها فى أيديهم. كما فصل الحديث عن سقوها، وذكر أنها سقطت بالحصار والجوع. راجع ص٣٨٥-٣٨٦. وللوقوف على صمود الجزيرة وتصديها للروم، حتى السيطرة البيزنطية عليها راجع ابن الأثير: الكامل ج٧، ص٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص ٢٠٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٦٠، المقريزى: الخطط: ج١، ص١٧٢

From Wikipidia, The Free Encyclopedia-P.Z.

وانفرد ياقوت في معجمه بذكر اسر الأمير عبد العزيز بن شعيب، وبنى عمه، وغيرهم، وحملهم إلى القسطنطينية مع أموالهم فى نحو ثلاثمائة مركب. ياقوت: السابق ج١، ص٢٣٦

(٨٩) راجعها عن القاضى عياض: ترتيب المدارك، ج٣، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٩٠) راجع اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٤٩٤، والمسعودى: مروج الذهب ج٤، ص١٤٥؛ ابن الجوزى: المنتظم ج١٢ ص٧؛ ابن الأثير: الكامل ج٥ ص٣١٢؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج١٨ ص ٢٣؛ والنويرى: نهاية الأرب، ج٢٢، ٣٠٣.

(٩١) راجع الإدريسى: نزهة المشتاق ج٢، ص٦٤٠؛ وقارن ذلك بما لدى النعمان بن محمد: المجالس والمسايرات، ص٤٤٦.

(٩٢) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: ج٩، ص١٩٤؛ وراجع من ص ١٩٣؛ وراجع الخبر عن ابن الأثير، الكامل، ج٧ ص٦٨-٦٩، طبعة دار صادر - بيروت. ولم يذكر اسم إقريطش بل ذكر ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص ٤٧٣. وكان هجوم الروم فى يوم وقفة عرفة. وراجع أيضا: المقريزى: الخطط ج١ ص٢١٣.

(٩٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص١٩٤؛ وياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٤٧٢-٤٧٣.

(٩٤) النعمان بن محمد: المجالس والمسايرات، ص٤٤، وراجع ص٤٤٣.

(٩٥) المصدر السابق: ص٤٤٥.

(٩٦) المصدر السابق: ص٤٤٤.

(٩٧) المصدر السابق: ص٤٤٣، وص٤٤٦-٤٤٧.

(٩٨) المصدر السابق: ص ٤٤٦.

(٩٩) ابن زولاق: فضائل مصر، ص٥٠.

(١٠٠) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ١٩٥؛ الإدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٤٠، حيث ذكر أن جيد الجبن يعمل بإقريطش، ويحمل إلى جميع النواحى «ولا يعدله شيء من نوعه».

(١٠١) راجع: الكندى: فضائل مصر ص٥٢، ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٤٧٢-٤٧٣

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

ابن الأبار (محمد بن عبد الله ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م):

– الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف.

– التكملة لكتاب الصلة، نشر وتصحيح السيد عزت العطار الحسينى، مكتبة الخانجى بمصر، والمثنى ببغداد، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

ابن الأثير: (على بن أبى الكرم محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م:

– الكامل فى التاريخ، بيروت

الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، من علماء القرن السادس الهجرى:

– نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق. عالم الكتب، بيروت، لبنان.

الإصطخرى: (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى):

– المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحسينى، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، الذخائر.

البكرى(أبو عبيد عبد الله البكرى ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

٥– جغرفية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك للبكرى، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، دار الإرشاد، بيروت.

البلاذرى: (أحمد بن يحيى ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):

– فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن تغرى بردى: (جمال الدين يوسف ت٨٧٤هـ/١٤٦٠م):

– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ولبنان

ابن الجوزى: (أبو الفرج، عبد الرحمن ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

– المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الحميدى: (محمد بن أبى نصر ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م):

– جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، المكتبة الأندلسية ١٩٦٦م.

ابن حوقل: (النصيبى)

– صورة الأرض، بيروت، لبنان.

ابن خرداذبة: (عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة):

– المسالك والممالك، طبع فى مدينة ليدن، ١٨٨٩م، دار المدينة

الخشنى: (محمد بن حارث ت ٣٦١هـ/٩٧١م):

– أخبار الفقهاء والمحدثين، دراسة وتحقيق: ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا. المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٩٢م.

ابن الخطيب: (لسان الدين بن الخطيب ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م):

– كتاب أعمال الأعلام فى من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ا. ليفى بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ١٩٥٦م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

– تاريخ ابن خلدون، تحقيق الأستاذ: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١.

ابن خلكان: (أحمد بن محمد ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):

– وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

الذهبى: (محمد بن أحمد ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

– سير أعلام النبلاء، ج٨ تحقيق نذير حمدان، ج١٢، تحقيق صالح السامر، مؤسسة الرسالة.

– العبر فى خبر من غير، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة حكومة الكويت.

– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، ج ١٨، ج٢٣، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى.

ابن زولاق: (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م):

– فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق: على محمد عمر، الهيئة المصرية للكتاب.

ابن سعيد: (على بن موسى ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

– المغرب فى حلى المغرب، تحقيق: شوقى ضيف، دار المعارف.

السيوطى: (جلال الدين عبد الرحمن ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

– تاريخ الخلفاء، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الضبى: (أحمد بن يحيى بن عميرة ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م):

– بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس، دار الكاتب العربى ١٩٦٧، المكتبة الأندلسية (٦).

الطبرى: (محمد بن جرير ت٣١٠هـ/٩٢٢م):

– تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

ابن عبد ربه: (ابو عمر أحمد بن محمد):

– العقد الفريد، شرح وضبط الأساتذة: أحمد أحمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبيارى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ابن العديم: (كمال الدين عمر ت ٦٦٠ هـ/١٢٦١م):

– بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق ١٤٠٨هـ/١٩٨٨.

ابن عذارى: (ابو عبد الله محمد المراكشى فى القرن الثامن الهجرى):

– البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وبروفنسال، الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٨٣م.

ابن عساكر: (على بن الحسن بن هبة الله ت٥٧١هـ/١١٧٥م):

– تاريخ دمشق، تحقيق: على شيرى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

القاضى عياض: (عياض اليحصبى) ت٥٤٤هـ/١١٤٩م):

– ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير، دار مكتبة الحياة، بيروت.

– أبو الفدا: (عماد الدين إسماعيل): تقويم البلدان، باريس.

قدامة بن جعفر: (أبو الفرج، الكاتب البغدادى):

– نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، طبع فى مدينة ليدان، ١٨٨٩م، دار المدينة.

البن القوطية: (أبو بكر محمد):

– تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عمر فاروق، مؤسسة المعارف، بيروت.

ابن كثير: (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

– البداية والنهاية، تحقيق: على محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن الكندى: (عمر بن محمد بن يوسف، كان حيا فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى):

– فضائل مصر المحروسة، تحقيق: على محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المراكشى: (عبد الواحد المركشى):

– المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان مطبعة الاستقامة بالقاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٩م.

المسعودى: (أبو الحسن على بن الحسين ت٣٤٦هـ/٩٥٧م):

– مروج الذهب، دار المعرفة، بيروت.

المقدسى: (شمس الدين محمد):

– أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت.

المقريزى: (أحمد بن على ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):

– المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة بولاق.

المقرى: (أحمد بن محمد ت١٠٤١هـ):

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شرح وضبط: مريم قاسم، يوسف على طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

ابن منظور: (محمد بن مكرم ت٧١١هـ/١٣١١م):

- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، دار الفكر، دمشق ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

النعمان بن محمد (أبو حنيفة ت٣٦٣هـ/٩٧٤م):

- المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقى وإبراهيم شبوح، ومحمد اليعلاوى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس ١٩٧٨م.

النويرى: (شهاب الدين أحمد ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

- نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٢٣ تحقيق: أحمد كمال زكى، وج٢٤ تحقيق: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ياقوت: (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

اليعقوبى: (أحمد بن يعقوب بن جعفر ت٢٨٤هـ/٨٩٧م):

- تاريخ اليعقوبى، دار صادر، بيروت.

ابن يونس: (أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد ت٣٤٧هـ/٩٥٨م):

- تاريخ ابن يونس المصرى، القسم الأول: تاريخ المصريين، والقسم الثانى: تاريخ الغرباء، جمع وتحقيق ودراسة: عبد الفتاح عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ثانيا: المراجع:

- إبراهيم أحمد العدوى: قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط، مكتبة نهضة مصر.

- إبراهيم على طرخان: المسلمون فى أوروبا فى العصور الوسطى، سلسلة الألف كتاب، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦م.

- أحمد مختار العبادي: فى تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

- أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار المعارف، ١٩٨٣م.

- حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربى.

- تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، الدار المصرية اللبنانية.

- FROM WIKIPEDIA. THE FREE ENCYCLOPEDIA_P.Z.–

-http:en. WIKIPEDIA dia org/wiki/Crete.

- Ineocharis Detorakis: History of Crete . Iraklion.1994

د.أحمد إبراهيم علي (*)

المارسات المغولية على الهند وأثرها على أوضاع البلاد الداخلية

(٦١٨هـ/١٢٢١م - ٦٠٧هـ/١٣٠٩م)

كان لسقوط العاصمة الصينية بكين في قبضة القوات المغولية بقيادة جنكيز خان عام (٦١٣هـ/١٢١٦م) إيذاناً ببدء تطور سياسي وعسكري خطير في شرق العالم الإسلامي، حيث زادت رهبة وقوة جنكيز خان في نفوس حكام المسلمين(١) في مناطق تركستان - ما وراء النهر - وخراسان، هذا بجانب حكام شبه القارة الهندية حيث جاور المغول إقليم البنغال - الواقع في شرق الهند - وسرعان ما ترجمت تلك المخاوف إلى واقع عملي بعدما استطاع جنكيزخان دحر القوات الخوارزمية بعد ثلاث سنوات من سقوط بكين، وتثنى له الاستيلاء على مدن تركستان و خراسان بعد وفاة السلطان علاء الدين خورزمشاه عام (٦١٧هـ/١٢٢١م)(٢).

برغم تلك الضربة القاصمة إلا أن قوة الخوارزميين لم تضعف بعد، حيث قاد الكفاح ضد المغول السلطان جلال الدين منكبرتي، وفي خلال عام واحد حقق سبع انتصارات متتالية عليهم، حتى كانت المعركة الفاصلة بين الطرفين على نهر السند عام (٦١٨هـ/١٢٢٢م)، حيث دارت الدائرة على جند السلطان جلال الدين منكبرتي، فقتل أغلب جنده، وغرق الآخرون في نهر السند، ولم يبلغ الضفة الأخرى سوى سبعمائة جندي يسبقهم السلطان جلال الدين(٣)، وكانوا جميعاً في حالة مرض وإعياء شديدين .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الهند تشكل بؤرة الصراع في الشرق الأقصى بين المغول والمسلمين، وقد حاول جنكيزخان عبور نهر السند خلف خصمه بهدف القضاء عليه نهائياً، وبلوغ الصين من جهة الغرب، ومن ثم أرسل إلى حاكم دهلى السلطان شمس الدين التمش يعرض عليه رغبة عبور أراضيه باتجاه الصين، ولكنه رفض(٤) خشية طمع جنكيز خان في ملكه، وثم رأى آخر يفسر لنا عدم إقدام جنكيز خان على عبور النهر، حيث حذره المنجمون بسوء طالعه إذا ما حاول دخول الأ راضي الهندية، ويذكر بعض المؤرخين أن جنكيز خان أخافه شدة حرّ الهند، وتأثيره السلبي على نشاط وقوة جنده(٥) . وعلى أية حال فقد بقيت الهند في مأمن من خطر المغول في تلك المرحلة،

*-مدرس بكلية دار العلوم/ جامعة المنيا.

هذا وتعد دراسة الممارسات المغولية على الهند من الدراسات الشيقة والجديدة، حيث اعتدنا كثيراً قراءة أبحاث علمية تتعلق بالهجمات المغولية علي مناطق تركستان و خراسان والعراق وأوربا دون أن نجد بحثاً خاصاً بالهند الإسلامية، ناهيك عن تلك الأبحاث التي تناولت باستفاضة إسلام مغول العراق أو القبيلة الذهبية دون إلقاء الضوء على إسلام مغول الهند، والذين بقي أثرهم في البلاد أكثر من غيرهم من خلال وجود دولة أباطرة مغول الهند، والتي بقيت لأكثر من قرن ونصف تحكم الهند وأجزاء من أفغانستان.

بجانب ما سبق فقد أثرت الهجمات المغولية على الهند كثيراً في المجتمع الهندي بصفة خاصة، وفي الشرق الإسلامي بصفة عامة، حيث أصبحت الهند عاصمة إسلامية عالمية يأوي إليها كبار العلماء والمثقفين، وأبناء الخلفاء والسلاطين الذين وجدوا فيها الأمن والأمان، ومزيداً من الاحترام والتقدير من جانب سلاطين دهلي فألفوا وأبدعوا، كما أثرت تلك الهجمات على اقتصاد البلاد، وتسببت في الكثير من الاضطرابات الاقتصادية التي تصدي لها المسلمون بحزم وقوة، ناهيك عن الدور الذي لعبه رجال الدين والتصوف في نشر الإسلام بين المغول، ومحاولة إدماجهم في المجتمع، وتوجيه قوتهم لما فيه صالح الإسلام والمسلمين.

أولا : الممارسات المغولية على الهند فى العهد المملوكي :-

قبيل الغزو المغولي كانت الهند تحت حكم أسرة المماليك وذلك منذ عام (٦٠٦هـ/ ١٢٠٦م)، حيث كان يجلس على عرش البلاد ثاني سلاطين تلك الأسرة وهو السلطان شمس الدين التمش[٦] الذي كان عليه أن يتحمل عبء دخول السلطان جلال الدين منكبرتي الهند، والذود عن حوضه ضد القوات الخوارزمية والمغولية، بجانب حربه ضد المتمردين في الشمال والشرق حتى يتثني له توحيد الهند تحت سلطته.

ما كاد السلطان جلال الدين منكبرتي يستقر في الهند حتى وفد عليه أربعة آلاف جندي كون بهم جيشاً جديدا، وراح يوطد نفوذه في الهند، وكان أول من تصدي له زانه شتر الحاكم المحلى لمنطقة جبل جودي في غرب إقليم البنجاب، وبعد معركة قصيرة هزم زانه شتر وفقد حياته وتاجه[٧]، وعقب ذلك حاول السلطان جلال الدين منكبرتي تكوين حلف عسكري لمواجهة سلطان دهلي و القوات المغولية، ومن ثم تزوج من ابنة راجا سنكين صاحب إقليم كهكر[٨]، ليتفرغ بعد ذلك للتوسع في إقليم البنجاب، وسدّ الباب في وجه جنكيز خان إذ ما حاول دخول الهند

كان إقليم البنجاب تحت سيطرة السلطان ناصر الدين قباجه، الذي كان على خلاف دائم مع السلطان شمس الدين التمش، وفى بداية معاركه حقق السلطان جلال الدين منكبرتي انتصارات عظيمة على السلطان ناصر الدين قباجه، فأخذ يتوسع في الاتجاه الجنوبي الغربي، وهنا أدرك السلطان التمش خطورة الوضع، واحتمالية تقدم السلطان الخوارزمي باتجاه دهلي، فأمد قباجه ببضعة آلاف جندي، ولكن ذلك لم يفلح في وقف القوات الخوارزمية

التي استولت على مدينة كلور ثم قلعة برنوزخ [٩]، ثم أخذ يتوغل في اتجاه الجنوب الشرقي حتى استطاع دخول مدينة انهلوره، واحضر من هناك إبلا كثيرة كانت سبباً في تحسين وضعه العسكري[١٠] حتى تمكن أخيراً من الاستيلاء على معقل السلطان قباجه حيث مدينة أجه، وأضاف إليها مدينة سدوستان، بعدما دفع حاكمها فخر الدين السلاري للاستسلام[١١].

أثرت أحداث البنجاب الأخيرة على أوضاع الهند السياسية، حيث كانت عيون جنكيزخان ترصد تحركات السلطان جلال الدين منكبرتي عن كثب، وترغب في إضعاف قوته عن طريق افتعال المزيد من الاضطرابات داخل إقليم البنجاب، وهنا أمر جنكيزخان قائده «تروباي تقشي» بالتحرك تجاه إقليم البنجاب عام (٦٢١هـ/١٢٢٤م)، وكانت وجهته مدينة الملتان فحاصرها مع عشرين ألف جندي[١٢]، وخلال أربعين يوماً كافح السلطان ناصر الدين قباجه مع أهالي المدينة ضد القوات المغولية التي أرهقتها وأضعف من قوتها حرارة الجو المرتفعة، وحصون المدينة، واستبسال أهلها، مما دفع تروباي تقشي إلى فك الحصار والعودة إلى خراسان[١٣] وكانت تلك أولي الحملات المغولية على الهند .

أثبتت حملة «تروباي تقشي» أن الهند أصبحت هدفاً للقوات المغولية، وأن ذلك ربما يكون راجعا في الأساس لوجود السلطان جلال الدين منكبرتي فيها، وعلى جانب أخر حدد المغول هدفهم وهو الاستيلاء على إقليم البنجاب الذي أصبح يعج بالمؤامرات والحروب، أما السلطان جلال الدين منكبرتي فقد رأى نفسه على موعد مع أعدائه المغول الذين أخذوا يدفعونه بعيداً عن ملكه في خراسان، ومن ثم أرسل إلى السلطان شمس الدين التمش يطلب منه تحديد موضع في دهلي للإقامة مع جنده حتى يستعد لقتال المغول مرة أخري[١٤] . إزاء ذلك الوضع رفض السلطان شمس الدين التمش طلب خصمه، معتذراً بأن جو دهلي الحار لا يناسب القوات الخوارزمية، وكان هذا الرد مصحوباً بجملة من الهدايا والتحف مع عرض سخي بتزويج ابنته من السلطان جلال الدين[١٥] . وكان يهدف من وراء ذلك تأجيل المواجهة العسكرية لحين اكتمال الاستعدادات الحربية .

أدرك السلطان شمس الدين التمش مدى الخطر الذي بات يهدد الهند، فراح يستعد لطرد السلطان جلال الدين من البلاد، فجهز لذلك جيشاً قوامه ثلاثين ألف فارس ومائة ألف رجل، مع ثلاثمائة فيل، وبعد مناوشات طويلة بين الطرفين تم عقد الصلح، الذي وافق عليه السلطان شمس الدين التمش بعدما أخذ يرى مدى استعداد القوات الخوارزمية لترك الهند، والعودة إلى خراسان[١٦]، وقد تم ذلك في بداية عام (٦٢٤هـ/١٢٢٧م) عقب وفاة جنكيزخان، إلا أن السلطان جلال الدين رفض التنازل عن شمال الهند نهائياً فترك قائده بهلول أوزبك نائباً عنه على شمال غرب الهند متخذاً من مدينة لاهور مركزاً له[١٧].

ارتاح خاطر السلطان شمس الدين التمش من السلطان حلال الدين، وازدادت راحته بعد أن طرد بهلول أوزبك من البلاد، كما استطاع توحيد الشمال الهندي مع دهلي بعد قضائه على السلطان ناصر الدين قباجه، إلا أن الأحداث السابقة كشفت النقاب عن مدي ضعف إقليم

البنجاب أمام الغزاة الخوارزميين والمغول، وأفرزت عن عداء دفين بات يحيط بالعلاقات الهندية المغولية، بعدما رأى المغول مدى تحسن علاقة السلطان شمس الدين التمش مع الخليفة العباسي المنتصر بالله الذي بارك حروب السلطان التمش، وأرسل إليه عام (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) مرسوماً بذلك مع الأنعام عليه بلقبه ناصر أمير المؤمنين[١٨].

عقب وفاة جنكيز خان انشغل المغول بولاية العرش حتى استقر الأمر لابنه أوكتاي الذي اهتم بضم باقي أراضي خراسان، وقطع دابر القوات الخوارزمية، والمناوشات العسكرية مع الخلافة العباسية، وتسكين ثورات أهالي تركستان، وتدعيم نفوذه في الصين[١٩]. إلا أن ذلك لم يمنعه من استغلال اضطراب أوضاع الهند عقب وفاة السلطان شمس الدين التمش عام (٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، فهاجم قائده «هوقاتور» إقليم كشمير، واكتسح شمال غرب الهند، وعمل السلب والنهب في إقليم البنجاب[٢٠] فنشر بأعماله تلك الفزع والرعب فى نفوس الأهالي، وأيقظ حكام دهلي على واقع الرعب المغولي، وخطرهم القادم .

كانت حملة هوقاتور البداية الحقيقية للغزوات المغولية للهند، والتي كانت دائماً مصدر قلق وإزعاج لحاكم دهلي السلطان بهرامشاه ابن التمش، الذي أعطي بأعماله الغير مسئولة الفرصة كاملة للمغول لمعاودة غزو إقليم البنجاب حيث اتبع نهج الاغتيالات السياسية ضد كبار القادة الذين رغبوا في التخلص منه لانصرافه عن أمور الحكم، والاهتمام بالشراب واللهو[٢١]، وقد واكبت تلك الظروف هوى المغامر المغولي نيقودار، الذي اقتحم إقليم البنجاب في سرعة مذهلة، وطوق مدينة لاهور قاعدة الإقليم[٢٢] وشرع في مدّ نفوذه، وتوطيد قوته في شمال الهند .

حاول والي المدينة ملك قراقش التصدي للقوات المغولية، ولكن فوجئ بتمرد كبير يسود معسكر الجند الذين رأوا أنفسهم يدافعون عن سلطان مستهتر ضعيف، وقد دفع ذلك ملك قراقش للفرار ليلاً تاركاً المدينة لقمة سائغة في فم نيقودار الذي دخلها في يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الآخر عام (٦٣٩هـ/١٢٤٢م) [٢٣] وقد دفع الأهالي ضريبة هذا الإهمال حيث وقعوا فريسة في أيدي المغول الذين نهبوا المدينة، واقتادوهم أسري بعدما سطوا على أملاكهم، وقد حاول السلطان بهرامشاه إقناع وزيره نظام الملك بضرورة التحرك ضد المغول، وتخليص لاهور من قبضتهم، ولكن نظام الملك الذي كان يشك في نوايا السلطان بهرامشاه ضرب حصارا حول دهلي، استمر ثلاثة أشهر ونصف، حتى تثني له القبض على السلطان بهرامشاه، وإيداعه السجن[٢٤]، وقد ساعد هذا الوضع القائد المغولي نيقودار للتوغل أكثر باتجاه دهلي، ولم يمنعه عنها سوي وصول الأنباء بوفاة الإمبراطور أوكتاي فعاد مرة أخري إلى خراسان[٢٥] وقد أثبتت تلك الحملة مدي ضعف ووهن دفاعات الهند، وسهولة اختراق مدنها، مما جعل المغول يطمعون أكثر في ثروات الهند وكنوزها .

تميز عهد أوكتاي بأنه العهد الذي اكتمل فيه فتح المناطق الواقعة شمال الصين فضلاً عن ضم كوريا وأجزاء كبيرة من جنوب غرب الصين، وعقب وفاته تولت الحكم زوجته توركينا

بالوصاية على ابنها «كيوك» واستمر هذا الوضع حتى عام (٦٤٤هـ/١٢٤٦م) [٢٦] وقد أثرت تطورات الوضع العسكري على الجبهة الصينية على أوضاع شرق الهند وبالتحديد إقليم البنغال، حيث اجتاحت قوة مغولية هذا الإقليم قادمة من إقليم التبت، وقد تمكنت تلك القوة من بلوغ قصبة الإقليم حيث مدينة لكهنوتي، وقد دفع هذا الوضع والى المدينة عز الدين طغاخان إلى طلب المدد من السلطان علاء الدين فيروزشاه، الذي أرسل إليه ما يحتاج إليه حتى تمكن من رد الغزاة [٢٧]، وكانت تلك الغزوة تمهيداً لغزوات أخري أكثر قوة وعنفوانا، وأصبح على حكام دهلي القتال في جبهتين متباعدتين في آن واحد .

استمرت الهجمات المغولية على إقليم البنجاب ففي عام (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) هاجمت جموع منهم شمال غرب الهند بقيادة القائد مانكو الذي اخترق الإقليم حتى بلغ مشارف مدينة أوجه، وهناك تصدي له أهالي المدينة مع القائد بلبن الذي أوقع بهم هزيمة قاسية[٢٨]، منعتهم من التفكير في غزو البلاد لحوالي عشر سنوات، حيث كرر القائد مانكو غزو الهند مرة أخري، وحتى يتجنب مواجهة القائد بلبن قرر اقتحام مدينة الملتان، وقد أغراه انتصاره هذا إلى محاولة اقتحام مدينة أوجه من جديد، ولكنه تلقي هزيمة أخري دفعته لترك الهند، والتنازل عن مدينة الملتان [٢٩]، والارتداد مرة أخرى باتجاه الصين .

لازال الوضع العسكري للصين يؤثر سلباً على الوضع العسكري للبنغال، حيث هاجمت جموع من المغول إقليم البنغال عام (٦٥٤هـ/١٢١٦م)، وذلك بقيادة القائد قوبلاي قآن، وكان الهدف من تلك الحملة التخريبية جمع المؤن اللازمة للجيش المتجه لفتح جنوب الصين[٣٠]،وقد اتسع نطاق الحملات المغولية على إقليم البنغال عقب اكتمال فتح الصين، والسيطرة التامة على خراسان والعراق، وتولي قوبلاي قآن عرش الخاقانية، ومن ثم أرسل أحد قواده العظام ويدعي نستردين - نصر الدين - عام (٦٧١هـ/١٢٧٢م) إلى شرق الهند، فاقتحم إقليم البنغال مع اثنا عشر ألف فارس، ورغم تصدي القوات البنغالية بعددها البالغ ستين ألف جندي لهذا القائد إلا أن المغول حققوا عليهم نصراً حاسماً[٣١]، وتكمن أسباب هزيمة البنغاليين فى عدم اهتمامهم بالدروع مما جعلهم أكثر عرضاً للإصابة، واعتماد الجيش على قوة الأهالي غير المؤهلين للقتال المنظم، ناهيك عن عدم استغلالهم للفيلة الاستغلال الأمثل[٣٢]، أما أهم تلك الأسباب فترجع إلى انصراف حاكم البنغال طغرل خان، الذي أعلن نفسه سلطاناً مستقلاً عن دهلي، وأهمل أمر تحصين شرق البنغال، وأهتم فقط بتوسيع نفوذه في منطقة أورسيا، فبينما القوات المغولية تجتاح شرق البنغال كان طغرل خان يحاول اقتحام قلعة جاجنكر، فدخل في معارك طاحنة ضد حكامها الهنادكة، وأخذ يتوغل في تلك المناطق على حساب راجا بهوج حاكم سنكارم[٣٣]، تاركاً أمر الدفاع عن غرب البنغال إلى حامية صغيرة، ومعتمداً على معاونة الأهالي .

حقق المغول انتصاراً عظيماً في تلك المرحلة علي القوات البنغالية، وكان ذلك على حساب سقوط أعداد ليس بقليلة منهم، وذلك مما دفع القائد نستردين إلى عدم التوغل في إقليم

البنغال، واكتفي بما استحوذ عليه من غنائم وأسلحة، ولأول مرة استولي المغول على أعداد جمة من الفيلة، أمر الخاقان قوبلاي قآن بضمها إلى الجيش [٣٤].

أدرك السلطان غياث الدين بلبن حاكم دهلي مدي اضطراب أوضاع إقليم البنغال ومن ثم عزم على القضاء على الحاكم المتمرد طغرل خان، ومن ثم تحرك ضده عام (٦٧٨هـ/١٢٨٠م) حيث استطاع القضاء عليه في مدة وجيزة وقبل عودته إلى دهلي وليَ على الإقليم ابنه بغرخان، وأمره ببذل المزيد من الجهد في تحصين قلاع الإقليم الشرقية لمواجهة القوات المغولية[٣٥]، والتي عجزت تماماً على اختراق الإقليم مرة أخري.

انتهي السلطان بلبن من متاعب الغزوات المغولية علي شرق الهند، وكان عليه أن يبذل المزيد من الجهد لصدّ هجماتهم على الشمال والشمال الغربي، لذا شرع بزيارة مدينة لاهور، فدرس أوضاعها عن قرب، وأمر بتشييد عدة قلاع عسكرية في جبهتها الغربية، وعمر القري الواقعة بالقرب منها، ومدّ أهلها بالسلاح اللازم للدفاع عنها وقت الحاجة، وقبل الرحيل عنها ولى على المدينة ابنه محمد، وضم إليه باقي المناطق البنجابية حتى مدينة الملتان[٣٦] ثم عين ابنه الثاني بغرخان على مدينة سامانية، وبذلك تثني له رد جحافل المغول إذا ما حاولوا الهجوم على إقليم البنجاب حيث يطبق عليهم بغرخان من الشمال ومحمد من الجنوب، وإذا أرادوا مزيد من القوات يتقدم لمساندتهم القائد برباك بيك من الشرق حيث دهلي[٣٧]، وبتلك الخطة تحبط محاولة المغول نهب وسلب مدن البنجاب، وحماية دهلي من هجماتهم.

برغم تلك التحصينات، فقد عاود المغول الهجوم مرة أخري على إقليم البنجاب وذلك عام (٦٨٣هـ/١٢٨٥م)، وتلك المرة بقيادة الخان تيمور قآن حاكم الصين، فاستطاع أن يعبر نهر جهليم، ولم يستطع الأهالي البسطاء التصدي له فقام بأكبر عملية سلب ونهب للمنطقة الواقعة بين النهر ومدينة لاهور(٣٨)، وقبل وصوله إلى مشارف مدينة لاهور خرج له القائد محمد الذي لم ينتظر وصول أخيه بغرخان من مدينة سامانية مغتراً بقوته، وأعداد جنده التي كانت تفوق أعداد القوات المغولية، فألتقي الطرفان في معركة سرير على نهر لاهور، وكادت الدائرة تدور على جند الخان تيمور قآن، لولا أن أصاب سهم رأس الأمير محمد فأرداه قتيلا، وبرغم ذلك لم تستطع القوات المغولية التقدم بعيداً عن لاهور[٣٩]، بسبب استبسال الجيش المغولي في القتال، إلا أن الخان تيمور قآن استطاع الحصول على غنائم لا حصر لها، وأسر أعداد جمة من الجند والعلماء وكان علي رأسهم الشاعر والأديب أمير خسرو الدهلوى[٤٠] وكانت تلك أخر حملة منظمة يقودها المغول على إقليم البنجاب في العهد المملوكي.

ثانيا : الممارسات المغولية على الهند فى العهد الخلجى :-

لم يتحمل السلطان غياث الدين بلبن الذي بلغ الثمانين من عمره خبر مقتل ابنه محمد حتى وفاه أجله عام (٦٨٣هـ/١٢٨٥م) فجلس على عرش البلاد حفيده معز الدين كيقباد الذي انصرف إلى اللهو والشراب، ولم يستطع سد الفراغ السياسي الذي تركه السلطان بلبن، فطمع

كبار القادة في حكم الهند حتى تمكن أحدهم وهو ملك فيروز الخلجى في الوصول إلى سدنة الحكم عام ٦٨٦هـ/١٢٨٨م) فجلس على عرش الهند، وأطلق على نفسه لقب السلطان جلال الدين[٤١] لينتقل بذلك حكم الهند من سلالة المماليك إلى سلالة الأتراك الخلج، وفي فترة الحكم الخلجى ازدادت الهجمات المغولية على شمال الهند بشكل كبير حتى أن أحد القادة العسكريين وهو ملك تغلق، يذكر أنه قاتل المغول تسعاً وعشرين مرة أثناء ولايته على مدينة الملتان فهزمهم فيها جميعاً[٤٢] حيث استغلت القوات المغولية انشغال سلاطين الخلج بفتح الجنوب الهندي، وتأمين الحدود الشرقية للبلاد في شن المزيد من الغارات على البلاد.

والملاحظ أن المغول في تلك المرحلة غيروا سياستهم العسكرية، حيث أخذت هجماتهم طابعاً جديداً من حيث تعدادها وقوتها، ومحاولتهم اقتحام دهلي، والقضاء نهائياً على الحكم الإسلامي في الهند، وبدأت الهند تتحمل هجمات حكام تركستان من أبناء الخان جغتائى حيث ضعفت قوة أباطرة الصين من المغول وهزم الخان تيمور قاآن أمام الخان قايدو حاكم تركستان عام (٧٠٣هـ/١٣٠٦م) . كانت أولي تلك الحملات تلك التى وقعت عام (٦٩١هـ/١٢٩٢م) وبلغ تعداد جند المغول فيها مائة وخمسون ألفاً يقودهم الغونبيسة - حفيد جنكيز خان - وقد بلغ بقواته حدود مدينة لاهور وما إن علم السلطان جلال الدين بهذا الأمر حتى انبري لخصمه، وتقاتل معه بظاهر لاهور[٤٣] بيد أن أحداً منهما لم يستطع حسم المعركة لصالحه فلجأ الطرفان إلى عقد الصلح لأول مرة، وعقب ذلك أخذت السفرات تتبادل بين السلطان جلال الدين والقائد الغونبيسة الذي اقتنع بالدين الإسلامي، فالتحق مع عدد كبير من جنده بخدمة السلطان جلال الدين، وتم تعيين موضع في دهلي لإقامة جند المغول أطلق عليه في بداية الأمر غياثبور ثم مغول بور[٤٤]، وكان هذا أول استقرار رسمي للمغول في العاصمة دهلي، وبداية تغلغلهم في المجتمع الهندي .

لم يستمر السلطان جلال الدين في الحكم طويلاً حيث جلس على سدنة الحكم خلفاً له ابن أخيه علاء الدين الخلجى وذلك عام (٦٩٥هـ/١٢٩٧م) [٤٥]، وفي عهده الذي دام عشرين عاماً تصدي بحزم وقوة للقوات المغولية، وألحق بهم خسائر فادحة، وكانت أولي تلك الحملات تلك التي وقعت عام (٦٩٦هـ/١٢٩٨م) وكان يقودها قايدو الذي هجم على الهند من أقصي الشمال الغربي فعبر نهري جهليم وستلج في طريقه إلى مدينة دبالبور، تاركاً خلفه دماراً وسلباً عظيما، ومبتعداً بتلك الخطة عن منطقة لاهور، التي اعتاد المغول السابقين الهجوم عليها، وقد تثنى له الاستيلاء على طول المناطق الواقعة من مدينة الملتان حتى جبل جودي[٤٦] ليقطع بذلك أي اتصال محتمل بين القوات الخلجية في شمال جنوب إقليم البنجاب.

أدرك السلطان علاء الدين مدى العواقب الوخيمة لتلك الحملة لو تقدم قائدها إلى الشرق حيث دهلي، فأرسل من فوره القائد طغرخان لوقف زحف المغول، حيث تقاتل الطرفان في معركة «جالدنجار» - قرب لاهور - وفيها كانت الغلبة للقوات الخلجية، التي كبدت المغول خسائر فادحة فقتلوا منهم عشرين ألف جندي، و اقتيدوا جماعة منهم إلى قلعة كواليار حيث

تم سجنهم، أما النساء والأطفال فأرسلوا إلى دهلي للخدمة والعمل، ونجا قايدو من تلك المعركة بشق الأنفس(٤٧)، وكانت تلك أقوي الضربات التي نزلت بالمغول في الهند، وكان عليهم أن يتحملوا المزيد لاحقاً .

اشتد الصراع المغولي الخلجى في تلك المرة على إقليم السند، حيث حاول المغول الانتقام لهزيمتهم السابقة، ومن ثم عاودوا الهجوم على الهند مرة أخري عام (٦٩٧هـ/١٢٩٩م)، وكان يقودهم هذه المرة القائد صلدي نام، وقد فضل الهجوم على أقصي إقليم السند فبلغ في سهولة ويسر مدينة سيوستان(٤٨)، و قبيل استقراره في المدينة أدرك صلدي نام أنه قد وقع في شرك عدوه، حيث طوقت القوات الخلجية بقيادة طغرخان المدينة، وأحكمت الحصار حولها، وبعد فترة وجيزة اقتحم الخلج المدينة، وقاموا بأكبر مذبحة ضد القوات المغولية، وتم أسر القائد المغولي صلدي نام مع سبعمائة من كبار رجاله، اقتيدوا جميعاً إلى دهلي وتم إعدامهم تحت أقدام الفيلة(٤٩)، وكان لهذا النصر صداه في الهند و تركستان، حيث تيقن أهالي البنجاب والسند أن دحر القوات المغولية والقضاء عليها بات بالأمر السهل اليسير إذا ما توفر لديهم رجال عظماء أمثال طغرخان وجنده .

لم يكن خان مغول تركستان «داوو» ليقف مكتوفي الأيدي أمام تلك الهزيمة القاسية التي تعرضت لها قواته، لذا عمل من فوره في نفس العام السابق على تلقين الخلج درساً في فنون الحرب والقتال، فأرسل ابنه قتلغ خواجه مع مائتي ألف فارس وجندي(٥٠)، أفزعت تلك الحملة أهالي إقليمي البنجاب والسند الذين فروا من ديارهم تاركين مدنهم تسقط الواحدة تلو الأخرى في أيدي المغول، وفضل القادة الخلج التقهقر قليلاً ناحية دهلي للدفاع عنها، ومن ثم تثني للقائد قتلغ خواجه الاستيلاء على مدن الملتان و دبالبور و لاهور، وشرع بالتقدم ناحية دهلي، وبات على بعد فرسخين منها(٥١) في أول حصار للمدينة من قبل القوات المغولية.

والواضح أن تلك الانتصارات التي حققها قتلغ خواجه، وكسبه المزيد من أراضي خصمه قد أفزعت السلطان علاء الدين الذي قرر ترك مدينة دهلي القديمة لقائده ملك علاء الدين، والدفاع عن العاصمة من الشمال حيث مدينة سيري(٥٢)، وبينما قوات المغول تضيق الخناق على دهلي، كان السلطان علاء الدين وقواده فى جدل حول كيفية إدارة تلك الأزمة، حيث رأى القائد ظفر خان ضرورة مواجهة المغول خارج العاصمة، وقتالهم حتى النهاية، رأى نظيره الغ خان ضرورة مهادنتهم، وعرض الصلح عليه، أو علي الأقل إطالة مدة الحصار، وإعاقة اقتحام المدينة حتى تصل الإمدادات من المناطق القريبة(٥٣).

تمخض هذا الجدل عن عداء مستحكم بين ظفرخان والغ خان، وقد قرر السلطان علاء الدين مواجهة المغول خارج دهلي، واستطاع هزيمة قتلغ خواجه، وإبعاده عن دهلي، وأرسل خلفه قائداه ظفرخان والغ خان، إلا أن الأخير سيطرت عليه شهوة الانتقام فترك ظفرخان يواجه المغول بمفرده فقتل مع ألفي جندي(٥٤)، وكانت القوات المغولية قد بعدت عن دهلي بمسافة ثمانية عشر فرسخا، حيث أخذ قتلغ خواجه يستعد لمنازلة السلطان علاء الدين مرة

أخري، ولكنه فوجئ بمقاومة كبيرة من جانب الخلج فتقهقر إلي إقليم البنجاب، وفي موضع «كياى» دارت بين الطرفين معركة أخري هزم فيها المغول، وارتد قائدهم قتلغ خواجه بمن تبقي معه باتجاه تركستان مرة أخري[٥٥] دون أن يحقق نصراً حاسماً على القوات الخلجية .

عاشت الهند عقب تلك الحملة ست سنوات في أمن وسلام، وقد استثمر السلطان علاء الدين تلك المدة في إصلاح أحوال البلاد الاقتصادية، ثم شرع في توسيع حدود دولته على حساب راجات الهنادكة، وكانت القوات المغولية تراقب أوضاع الهند عن كثب، وتنتظر الفرصة للانقضاض على البلاد من جديد، وفى خطأ عسكري واضح، قام السلطان علاء الدين بغزو قلعة رنتهبور، فأستولي عليها بعد عناء شديد[٥٦]، وقام بسحب عدد كبير من جند إقليم البنجاب لفتح مناطق الدكن و الكجرات، وبدلاً من تأمين دهلي نراه ينتقل مباشرة من غزو رنتهبور إلى غزو قلعة جيتور، ضارباً عرض الحائط بتحذيرات كبار القادة بضرورة الحذر والحيطة من غزو مغولي متوقع، وأثناء عودته من جيتور فقد السلطان علاء الدين الكثير من متاعه بسبب سقوط الأمطار بكثافة[٥٧].

ما كاد السلطان علاء الدين يستقر في دهلي شهراً واحداً حتى أخذت الأخبار تتوالى عليه بتقدم القوات المغولية في سرعة خاطفة مجتاحة إقليم البنجاب مستغلة ضعف الحاميات المغولية في لاهور و دبالبور، وكان على رأس تلك الحملة القائد «طغرى» مع مائة وعشرين ألف فارس وجندي، وقد تمكن من بلوغ مشارف دهلي[٥٨]، وأمام هذا الوضع اضطر السلطان علاء الدين إلى التحصن في مدينة سيرى، وشكل من الأهالي وبعض القوات العسكرية فرق خاصة للهجوم على معسكر المغول ليلاً في محاولة لتعطيلهم عن اقتحام العاصمة حتى قدوم المدد من الدكن و الكجرات[٥٩]، وعلى جانب آخر استطاع طغرى إيقاف توافد الجنود الخلج على العاصمة، وعقب مقتل بعضهم فضل البعض الأخر التوقف في مدينتي كول وبرن منتظرين عما تسفر عنه أحداث العاصمة[٦٠].

عاشت دهلي طوال شهرين في حصار شديد، واضطرابات عسكرية خطيرة، وفجأة قرر القائد المغولي طغرى فك الحصار، والانسحاب بجيشه باتجاه تركستان، وهنا ظن الأهالي أن بركة دعاء وتأييد الصوفي الكبير نظام الدين أولياء هي التي دفعت طغرى لاتخاذ هذا القرار[٦١]، بينما رأى البعض الأخر أن الخوف والفزع قد سيطر على القوات المغولية عقب وصول الأنباء بقرب تقدم القوات الخلجية من الكجرات والدكن[٦٢]، إلا أن الواضح أن الذي دفع طغرى لذلك هو اضطراب أوضاع تركستان بعدما دفع الغرور حاكمها داوو للاشتباك مع إمبراطور الصين المغولي تيمور أولجايتو في نفس العام[٦٣]، ولا شك أن داوو كان في حاجة شديدة لتلك القوات لمؤازرته وخصوصاً أن الحرب باتت تدور على أرضه .

اشتد ساعد السلطان علاء الدين عقب تلك الانتصارات التي حققها على المغول، الذين مازالوا يحاولون إيجاد موضع قدم لهم في الهند برغم ذلك الضعف الذي أصابهم في تركستان عقب وفاة حاكمهم القوى داوو، وجلوس ابنه الصغير قونجوق الذي لم يمكث في الحكم سوي

عامين حتى وافته المنية سنة (٧٠٨هـ/١٣٠٦م) وفى تلك الفترة هاجمت القوات المغولية الهند عدة هجمات قليلة تكبدت فيها خسائر فادحة في الأرواح والمعدات[٦٤]، وتمخض عنها سيطرة تامة للقوات الخلجية على الحدود الشمالية الغربية للهند .

بدأ السلطان علاء الدين يأخذ في الاعتبار صدّ الهجمات المغولية على حدوده الشمالية الغربية في سياسة دفاعية ثابتة، ترتكز على تحصين مدينتي لاهور والملتان، بهدف تأمين إقليمي البنجاب والسند، فعين على الأولى قائده المخضرم ملك تغلق، وعلى الثانية القائد عين الملك[٦٥] في محاولة منه لسد المنفذين الرئيسين للمغول إلى قلب دهلي .

في المقابل لم ييأس المغول من اختراق حدود الهند الغربية بعيداً عن مدينتي لاهور والملتان، وهذه المرة باختراق مضايق جبال الهمالايا ثم التقدم ناحية الشمال الشرقي، وحدث ذلك عام (٧٠٥هـ/١٣٠٥م) وكان يقود تلك الحملة القائدان على بيك و ترتاق خواجه[٦٦]، وقد فوجئ القائدان بسهولة اختراق مدن البنجاب من هذا الطريق، فراحا يتوغلا بقواتهما البالغ تعدادهما خمسين ألف فارس وجندي حتى بلغا مدينة أمروهي، حيث أدركا بعد فوات الأوان بوقوعهما في شرك الخلج الذي كان يقودهم في تلك المعركة أعظم قوادهم مثل ملك تغلق وبهرام أبيه، وفاتح الكجرات ملك كافور[٦٧].

دارت بين الطرفين معركة عنيفة هُزِم على آثرها المغول هزيمة ساحقة، ووقع القائدان على بيك و ترتاق خواجه في الأسر مع ثمانمائة من كبار قوادهم في الأسر، فأرسلوا جميعاً إلى دهلي، وتم قتلهم جميعاً تحت أقدام الفيلة في حشد عظيم من أهالي المدينة[٦٨]، هذا بجانب أسر عشرين ألف جندي وغنائم أخري، وقد سيق الأسرى إلى العاصمة، ونتيجة لكثرة عددهم فقد زهد التجار والأهالي في شرائهم، أما السلطان علاء الدين فقد احتفظ لنفسه بالعدد الكبير منهم، واستغلهم في تعمير وتجديد مباني العاصمة سيرى[٦٩] ليزداد بذلك عدد أفراد المغول المقيمين في دهلي وما حولها من مدن .

برغم تلك الضربات القاصمة حاول المغول الهجوم على الهند مرة أخري عام (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) بقيادة كبيك نامه مع ثلاثين ألف مغولي عبر نهر السند عند مدينة الملتان، ثم تقدم حتى بلغ نهر راوي، ومن ثم تحرك ضده القائد ملك تغلق، وتقاتل الطرفان عند شاطئ النهر، فحقق ملك تغلق نصراً حاسماً على المغول، وتم له أسر القائد كبيك نامه مع بعض القوات الأخرى وقتل ستة آلاف مغولي[٧٠]، وفى أول استعراض للقوة من نوعه تم قطع رؤوس القتلى المغول، حيث جمعت قرب بوابة بدوان بالعاصمة كدليل على النصر والظفر، أما كبار القادة فقد أرسلوا إلى سجون قلعة تبرنة، وبعد بضعة أيام أمر السلطان علاء الدين بقتلهم جميعاً[٧١]. لعل ذلك يكون درساً للمغول يمنعهم من تكرار محاولة الهجوم على الهند مرة أخري .

حاول المغول في أخر حملة لهم على الهند تعويض جزء ولو ضئيل من خسائرهم الفادحة في الهند، فتقدم إلى البلاد في نفس العام السابق القائد «إقبال مند» إلى إقليم

البنجاب، حيث أصاب بعض التوفيق فبلغ مشارف مدينة ناكور، وهناك فوجئ بالقوات الخلجية يقودها ملك تغلق الذي تثني له هزيمة المغول وقتل قائدهم . واسر خمسين ألف جندي من المغول[٧٢]. وكانت تلك أخر حملة وأخر هزيمة تعرضت لها القوات المغولية على أرض الهند.

ثبت تلك الانتصارات الطموح في نفس السلطان علاء الدين الذي تيقن تماماً بمدى ضعف ووهن عدوه، بعدما أضعفته كثيراً حروب الهند، بجانب تلك النزاعات التي وقعت بين حكام تركستان من المغول وكبار قادتهم [٧٣] . استغل السلطان علاء الدين هذا الوضع، وراح يشن حرباً هجومية على معاقل المغول خارج حدود الهند، وذلك لأول مرة في تاريخ الصراع بين الطرفين منذ تسعين عاما، وكان المكلف بهذا الأمر حاكم لاهور ملك تغلق الذي استولى على مدن قندهار وغزنه و كابل، حيث استحق على جهده العسكري الحصول على لقب «غازي» [٧٤] فأمن بذلك الحدود الشمالية الغربية للهند، وتم القضاء على النفوذ المغولي في تلك المناطق، وتغيرت استراتيجية القتال حيث بدأ المغول يدافعون عن أملاكهم بينما أخذت القوات الخلجية تتوسع في تلك أراضيهم .

ثالثا : أثر الهجمات المغولية على أوضاع الهند الداخلية :

(١) - الأثر الاقتصادي : الزراعة :-

أدت الهجمات المغولية على الهند بجانب انقضاضها على شرق العالم الإسلامي إلى إحداث تغيرات اقتصادية واجتماعية وثقافية كبيرة في الهند الإسلامية، وكانت أكبر تلك التأثيرات هي الخاصة بأحوال الزراعة، حيث اعتمد أهل الهند في الأساس على أراضي منطقة الدوآب - النهرين - وهى تلك الأراضي الممتدة بين نهري السند في الغرب ونهر الكنك في الشرق[٧٥]، وتلك المنطقة كانت من أكثر المناطق تضرراً من هجمات المغول، ويحكي لنا المؤرخ ضياء الدين برني ما حدث للأهالي من الفلاحين البسطاء أثناء غزوة قتلغ خواجه حيث تركوا متاعهم ومواشيهم غنيمة سهلة للمغول، الذين حملوا من محاصيلهم ما استطاعوا لذلك سبيلا، وجعلوا الباقي علفا للنار، ولم يجد هؤلاء البسطاء سبيلاً سوى الهروب باتجاه دهلي التي ضاقت بهم فلم يبق فيها سوق أو محل أو مسجد إلا وهو مكتظ بآلاف منهم، وإن أغلبهم فضل البقاء في تلك المدينة، والعمل في الأعمال المتدنية دون الرجوع إلى أملاكهم وأراضيهم خشية تكرار تلك الحادثة[٧٦] التي توالت مرات أخري .

تلك كانت حالة أراضي الدوآب، أما أخصب بقاع الهند وهى منطقة إقليم البنجاب ذات الأنهار الخمسة ستلج، بياه، راوي، جيناب، وجهليم فلم تسلم هي الأخرى من تدمير وخراب المغول، وخصوصاً أنها كانت أول المناطق التي يدخلونها، ويذكر أن حوالي خمسين ميلاً من أخصب تلك المناطق تحولت إما إلى أحراش أو ضربها البوار بسبب المغول بعدما تركها أهلها من المزارعين الذين كانوا دوماً يدفعون ثمن تأخر سلاطين دهلي عن نجدتهم[٧٧] ولا شك أن هذا

التخريب والدمار ازدادت وتيرته بفعل الرغبة في الانتقام بعدما تعرضت القوات المغولية للعديد من الضربات القاسية في العهد الخلجي .

ومما زاد الوضع سوءً خروج إقليم البنغال عن سلطة دهلي، واستغلال حكامه المحلين الفرصة لإعلان استقلالهم عن العاصمة، وكان هذا الإقليم يوفر المواد الغذائية الأساسية لسكان دهلي وما جاورها، وأهم السلع كانت الأرز والقمح والشعير، وذلك بفضل احتوائه على أعظم فروع نهر الكنك مثل بدما و بهاغي رتي[٧٨]، ناهيك عن كون أراضي دهلي تحتوى على تربة رملية لا تصلح لزراعة محاصيل هامة مثل الغلال والقصب[٧٩].

نتيجة لما سبق بات على أهل دهلي طوال فترة الغزوات المغولية الاعتماد على أراضي مدينتهم لتوفير الغذاء الضروري وقت الحاجة، ومما زاد من مأساتهم تلك المجاعات التي كانت تضرب الهند من وقت لأخر بسبب تأخر سقوط الأمطار، وكان أخطرها تلك التي وقعت في عهد السلطان جلال الدين فيروزشاه، وأودت بحياة عشرات الآلاف من أبناء دهلي بعدما فشل السلطان في استغلال محاصيل منطقتي الدوآب و البنجاب بسبب هجمات المغول[٨٠] مما ترتب عليه تفاقم الوضع داخل العاصمة .

أمام هذا الوضع السيئ أخذ سلاطين دهلي البحث عن حلول جذرية تنقذهم من تلك الاضطرابات الاقتصادية التي تسبب فيها المغول، وكان أولهم السلطان التمش الذي حاول استصلاح أراضي دهلي لتقليل الاعتماد على أراضي الشمال الغربي، فأنشأ حوضاً عظيماً خارج العاصمة لتجميع مياه الأمطار، وإعادة استغلالها، وبلغ طوله ميلين وعرضه ميلاً[٨١]، وقد ظل هذا الحوض يلعب دوراً أساسياً في تنشيط زراعة محاصيل هامة مثل القمح، ناهيك عن زراعة قصب السكر لأول مرة داخل الحوض نفسه في وقت سقوط المطر الخفيف، لذا وجه السلطان علاء الدين عنايته به، وعمل على تنظيفه وصيانته، وتوسيع مساحته[٨٢]، وبجانبه أنشأ حوضاً أخر كان يربط بين مدينتي دهلى وسيري، وكان له أهمية في توفير الماء اللازم لأهالي دهلى وقت حصار المغول لمدينتهم [٨٣]، نهيك عن أهميته في مجال زراعة واستصلاح أراضي العاصمة

بجانب تنشيط زراعة أراضي دهلي عمل سلاطين الهند على مواجهة الغزوات المغولية، واحتمالية حصارهم للعاصمة بإقامة صوامع غذائية لتخزين المحاصيل الأساسية، وأول من قام بذلك كان السلطان غياث الدين بلبن، وكان الأرز يمكث في تلك الصوامع لتسعين عاماً دون أن يفسد[٨٤] كذلك أمر السلطان علاء الدين بتخزين جميع الغلال التي تنتجها أرضى الخالصة الشاهانية لتقديمها للأهالي وقت الهجمات المغولية على العاصمة، وقد كان لها دور أساسي في تخفيف حدة الأزمة الاقتصادية التي تسببت فيها حملة قتلغ خواجه ثم طغرى في العهد الخلجى[٨٥].

- الصناعة :-

تأثرت الصناعة الهندية في العهدين المملوكي والخلجى تأثراً كبيراً بفعل الهجمات

المغولية المستمرة علي مركز تلك الصناعة في لاهور والملتان، حيث هجر صناع هاتين المدينتين ورشهم، ولحقوا بالعاصمة. أما أغلبهم فقد وقعوا أسرى في قبضة المغول فتم اقتيادهم إلى تركستان للعمل هناك، ناهيك عن توقف عمليات استخراج المواد اللازمة للصناعة في تلك المناطق والتي تحتاج إلى أمن واستقرار، وكان هذا الأمر غير موجود في تلك الفترة، ومن الصناعات التي تأثرت كثيراً صناعة الملابس التي كان مركزها الأساسي مدينة لاهور التي اشتهرت بملابسها الصوفية المتميزة(٨٦)، كما تأثرت صناعة الحلي بشكل ملفت للنظر بسبب سيطرة المغول على أهم مناطق إنتاج الفضة في جبال هندكوش، هذا بجانب اضطراب أوضاع إقليم السند الأدنى الذي تميز بإنتاج أكبر كمية من الذهب، ناهيك عن معدن النحاس والرصاص اللذين انتشرا في منطقة الملتان بجانب كابل التي خرجت بعيداً عن سيطرة سلاطين الهند، وأصبحت في ذلك الوقت جزءً من الإمبراطورية المغولية(٨٧) بيد أن ذلك قد دفع السلطان علاء الدين لمحاولة استرجاعها مرة أخري في أواخر عهده بهدف تنشيط مجال الصناعة من جديد.

وتضررت صناعة الجلود التي كان مركزها الأساسي إقليم السند حيث مدينة الملتان والتي كانت بجانب ذلك مركزاً متميزاً لصناعة الأسلحة، ونالت أيضاً صناعة إنتاج وتزيين الخشب نصيباً من هذا الإهمال، وكان مركزها الأساسي مدينة دبالبور(٨٨) التي تعرضت لمزيد من التخريب والتدمير على يد القوات المغولية . هذا بجانب صناعة الحلوى الهندية التي كانت تدر على القائمين عليها في مدن السند الأدنى أرباحاً طائلة وكان منها نوع انتشر في العالم الإسلامي باسم حلوى الفانذ(٨٩).

- التجارة :-

شملت أضرار الحملات المغولية التجارة الخارجية للهند، حيث سيطر المغول على المنافذ الرئيسة التي تربط الهند بالعالم الخارجي، وكانت أهم تلك المنافذ مدينة قندهار التي كان لها أهمية اقتصادية عظيمة، فكان يمر بها سنوياً أربعة ألف جمل محملة بالبضائع الهندية في اتجاهها إلى خراسان(٩٠)، وعلى جانب أخر سيطر المغول على مدينة كابل، وبالتالي سيطروا على ممر خيبر الذي يربط الهند بمدن خراسان و تركستان(٩١)، ومما زاد الأمر سوءً ازدياد الهجمات المغولية على مدينة الملتان التي تعد المنفذ البحري لتجارة الهند مع شبه الجزيرة العربية(٩٢)، مما أثر سلباً على عمليات التصدير والاستيراد .

أما في الشرق حيث إقليم البنغال فقد تأثرت تجارة الهند كثيراً بوجود المغول في الصين، حيث مارس المغول المزيد من نفوذهم على تجار الإقليم، مما عطل تجارة الحرير عبر هضبة التبت، وذلك باعتماد المغول على الطريق الجنوبي - نان لو - الذي يبدأ من قلب الصين باتجاه الشمال الغربي حتى غرب نهر جيحون(٩٣)، وقد حاول السلطان علاء الدين استغلال اضطراب العلاقات السياسية بين الخان «داوو» حاكم تركستان وحاكم الصين تيمور أولجايتو، وأقنع الأخير بضرورة تنشيط التجارة بين الهند والصين من جديد، وقد أصاب

نجاحاً ملموساً في هذا الصدد[٩٤] ولكن ذلك لم يكن ليصل لحالته قبل الهجمات المغولية حيث لازلت منافذ تجارة الحرير الصيني في قندهار وممر خيبر في قبضة مغول تركستان .

ترتب على ما سبق كساد تجارة الهند الخارجية، وحُرمت البلاد من تصدير أهم منتجاتها إلى خراسان وأوربا مثل التوابل والأواني، والحديد والفولاذ هذا بجانب الأقمشة الحريرية والأصباغ والعقاقير الطبية المتميزة، والصناعات الخشبية والحلي[٩٥] وعلي جانب أخر فشلت الهند في الحصول على العديد من المنتجات منها بل على رأسها الخيول العربية والفارسية والتركية، وأقمشة الكرباس البخارية، وحرير إيران المتميز مثل الحرير الكاشاني والهيراتي، والصيني بأنواعه الثلاثة السادة والملون والمشجر، ناهيك عن العبيد الترك[٩٦].

نتيجة لهذا الوضع الاقتصادي المضطرب فقد ارتفعت الأسعار بشدة في أوقات الهجمات المغولية، ومما زاد الأمر سوءً قيام التجار باحتكار السلع، وبيعها بأسعار مرتفعة في تلك الأوقات لتحقيق أرباح خيالية، وحتى لا يتفاقم الوضع تدخل السلطان علاء الدين، وأمر بقتل جميع التجار المحتكرين، والقضاء على المفسدين من المرتشين والمدلسين من كبار التجار[٩٧]، وجعل من دهلي مركزاً أساسياً لتجميع السلع، وتوزيعها على باقي المدن المتضررة من المغول، وعين مراقبين أشداء على الأسواق لمراقبة عمليات البيع والشراء، كان على رأسهم صديقه الغ خان[٩٨] بهدف توفير أكبر حماية ممكنة للمستهلك .

نتيجة للأضرار التي أصابت الزراعة في منطقتي الدوآب و البنجاب، فقد ارتفعت أسعار المواد الغذائية أثناء الهجمات المغولية على دهلي، فبلغ سعر من القمح سبعة عشر تنكه، وقد قذف هذا السعر حتى بلغ ستين تنكه، مما دفع السلطان علاء الدين إلى فتح المخازن السلطانية، وأمر أن يشتري الأهالي حاجاتهم من المواد الغذائية بأسعارها الأساسية[٩٩]، وحتى لا يتكرر هذا الأمر قام بتحديد أسعار الغلال، وإلزام الجميع بها فبلغ سعر سيرى القمح بسبعة ونصف جيتل، والشعير بأربعة جيتل، والعدس و الماش والشالي بخمسة جيتل، والموت بثلاثة جتيلات[١٠٠]، أما اللحوم فقد ارتفعت أسعارها بشكل كبير، حتى اضطر الأهالي من الفقراء إلى طبخ جلودها، وهذا ما دفع السلطان علاء الدين إلى رفع جميع الضرائب المقررة على الحيوانات، وحدد أسعارها فبلغ سعر الثور الجيد من ثلاثين إلى أربعين تنكه، والخروف الجيد بستة تنكات، والماعز بلغ الرأس الجيدة منه من اثني عشر إلى أربع عشر تنكه، وحتى لا يتلاعب القصابون في الميزان أمر بتكملة الميزان بقطعة لحم من المطفف(١٠١) أما سعر السكر فبلغ الآثار منه بـ جيتل واحد وآثار السمن البلدي بنصف جيتل أما خمسة آثار من الملح فبلغ سعرها جيتل واحد[١٠٢]

كانت أكثر السلع التي ارتفع سعرها نتيجة للهجمات المغولية هي الخيول، حيث أصبحت الهند عاجزة عن شرائها، لذا بلغ سعر الفرس الجيد من مائة وعشرين إلى مائة تنكه، والمتوسط من تسعين إلى ثمانين تنكه، والضعيف من سبعين إلى خمسة وستين تنكه[١٠٣]، والملاحظ أن الشيء الوحيد الذي انخفض سعره نتيجة للهجمات المغولية كان المماليك،

حيث كان ثمن المملوك التركي قبل الغزو قد بلغ ألف تنكه[١٠٤] ولما كثر عدد الأسرى المغول بعد تلك الهزائم التي لحقت بهم على يد السلطان علاء الدين فقد بلغ سعر المملوك المغولي الجيد من مائة وعشرين إلى مائة تنكه، والمتوسط من أربعين إلى عشرين تنكه، أما الضعيف فبلغ سعره من عشر إلى خمسة تنكات[١٠٥]، وعقب هزيمة القائد المغولي على بيك هبط هذا السعر حيث بلغ سعر المملوك الجيد عشر جيتل فقط[١٠٦]، وكان ذلك نتيجة طبيعية لتلك الغنائم العظيمة التي وقعت في أيدي المسلمين وكان منها الآلاف من المماليك المغول.

اعتمدت الهند كثيراً على أقمشة وحرائر خراسان و تركستان والصين، ونتيجة لقطع العلاقات التجارية مع تلك المناطق فقد ارتفعت أسعار الأقمشة في الهند بشكل كبير، واضطر السلطان علاء الدين إلي اتخاذ عدة إجراءات بهذا الخصوص منها انشأ أكبر مركز لبيع الأقمشة في دهلي أطلق عليه - سيري عدل - قصر العدل، ومدّ التجار بما يقرب من مليون تنكه لشراء الأقمشة من مناطق النفوذ الهندوكي في الدكن و أورسيا، وبيعها في سيرى عدل[١٠٧] هذا بجانب نشر قائمة بأسعار الأقمشة الأساسية مثل الحرير الدهلوي الذي بلغ سعر الذراع منه ست عشر تنكه، وبرد الشعر ثلاث تنكات، والبرد المقلم ثماني تنكات، وذراع لعل ناكوري بلغ أربعة وعشرين جيتل، وذراع شيرين يافت خمسة جيتل للذراع، و الكرباس الجيد بلغ الذراع منه بعشرين تنكه[١٠٨]، وكان الهدف من ذلك تعويض أقمشة تركستان وخاصة أقمشة الكرباس، وكذلك تعويض حرير الصين وإيران، ولكن ارتفاع هذين النوعين يدل عليه عجز الحكومة على توفيرها ناهيك عن ضعف جودة المنتج الهندي عن نظيره الصيني والإيراني.

(٢)- انتشار الإسلام بين المغول و الهنادكة:

على الوضع الاجتماعي فقد أثرت الهجمات المغولية على المجتمع الهندي تأثيراً كبيراً نظراً لاستقرار جماعات مغولية كبيرة في مناطق البنجاب و دهلي و البنغال، حيث سرعان ما اندمجت تلك الجماعات مع باقي الأهالي، واحتوتهم الشريعة الإسلامية، فدخلوا في الدين الإسلامي أفواجا، ويذكر أن أول استقرار للمغول في مدينة لاهور كان عام (٦٣٧هـ/١٢٤٠م) أثناء حملة قائدهم نيقودار، حيث تمت بينهم وبين الهنديات عدة زيجات فأنجبوا الجنس الذي أطلق عليه الخلاسون - الهجناء - حيث كان المغول شقر بينما الهنديات كن سمراوات[١٠٩]، وفى عام (٦٦٠هـ/١٢١٦م) استقرت جماعة أخري كانت قد خرجت على الخان هولاكو، وذلك على طول نهر جهليم، وقد حاول هولاكو القضاء عليهم فأرسل قائده أنكوجيه خلفهم، لكنه فشل في القضاء عليهم[١١٠] ولاشك أن الإسلام قد أخذ ينتشر بين تلك الجماعات عقب اندماجهم في المجتمع الإسلامي.

بيد أن الجماعات المغولية أخذت تتوغل في المجتمع الإسلامي شيئاً فشيئا، وعرفوا طريقهم إلى العاصمة دهلي، كما أضحي لهم منزلة رفيعة في المجتمع بل وفى الجيش المملوكي نفسه، والواضح أن ذلك لم يكن ليتأتي لهم دون إسلامهم، ونستطيع أن نستشف ذلك من قرار السلطان معز الدين كيقباد الذي اتخذه عام (٦٨٦هـ/١٢٨٥م) بضرورة التخلص من

جميع القادة المغول في الجيش، بعدما أخافه اتساع نفوذهم، وازدياد حشمهم وثروتهم، وقوة علاقتهم مع أمراء جده السلطان بلبن، ومن ثم قتل بضعة آلاف منهم، وأرسل من تبقي إلى قلعتى كواليار و كلنجر[١١١] حتى يتثني له الخلاص منهم جميعاً .

انتبه السلطان جلال الدين فيروزشاه بأهمية استيعاب قوة المغول، والاستفادة منهم بدلاً من قتالهم، وذلك عن طريق نشر الإسلام بينهم، وقد حدث ذلك عام (٦١٩هـ/١٢٩٢م) عندما اقنع القائد الغونبيسة بعد عدة مراسلات تمت بينهم بضرورة الاجتماع معه، وبحضور الشيخ الصوفي نظام الدين أولياء[١١٢]، الذي بذل جهداً كبيراً في إقناع هذا القائد بعدالة وسماحة الإسلام الذي يرعى حسب ونسب أبنائه، ومن جانبه عرض السلطان على الغونبيسة تزويجه من ابنته إذا اعتنق الدين الإسلامي، فتم له ما أراد[١١٣]، وسرعان ما لحقت باقي القوات المغولية بالقائد العام، ومن ثم قام السلطان بتخطيط موقع لإقامتهم داخل دهلي، أطلق عليه مغولبور - أرض المغول - وأطلق على هؤلاء المغول «المسلمون الجدد» [١١٤]، وكانت تلك أكبر محاولة ناجحة لنشر الإسلام بين مغول الهند .

أثمرت تلك السياسة الحكيمة التي انتهجها السلطان جلال الدين مع المغول عن الاستفادة بقوتهم في فتوح الجنوب والغرب الهندي، ومن جانبهم فقد بالغ المغول في ولائهم للسلطان جلال الدين، ولم يوافقوا على مبايعة قاتله السلطان علاء الدين، ومن ثم ساد بين الطرفين اضطرابات كبيرة ومصادمات عنيفة[١١٥]، كان المغول هم الخاسر الأكبر فيها، حيث تجمعوا في مدينة الملتان بقيادة الغونبيسة، فأرسل إليهم السلطان علاء الدين قائده الغ خان مع أربعين ألف جندي اقتحم عليهم المدينة، وقتل من وجده من المغول، وقبض على قائدهم الغونبيسة، وسمل عينيه[١١٦].

ثار المغول المقيمين في دهلي، واستطاعت جماعة منهم قتل ملك عز الدين الذي كان يعمل أمير حاجب الغ خان، وقتلوا معه ابن أخت السلطان علاء الدين، الذي أمر بجمع أقرباء وأهالي المسئولين عن هذه الجرائم، وقتلهم أمام أعين الحاضرين، وفى قسوة متناهية أمر بضرب أبناءهم أمام أمهاتهم حتى الموت[١١٧]، وقد أثرت تلك الحادثة على أبناء طائفة المغول، واستنكرها حتى مؤرخو عصر السلطان علاء الدين، حيث ذكر المؤرخ ضياء الدين برني مدي الذعر والخوف الذي أصاب الأهالي من تلك الفعلة، وإن ذلك لم يحدث من قبل في دهلي أن عوقب أولاد اتباع أحد بذنبه [١١٨]، وإن كان قد التمس للسلطان علاء الدين بعض العذر نتيجة تلك المكائد والمؤامرات التي تعرض لها مما جعله يفقد حلمه وصبره .

حاول باقي المسلمون الجدد من المغول العمل في الخفاء ضد السلطان علاء الدين، وفى تلك المرة تجمعوا حول وكيل البلاط «اكتخان» وهو أيضاً ابن أخت السلطان علاء الدين، وكان يطمع في الوثوب على عرش الهند، وحاول قتل السلطان علاء الدين أثناء ممارسته رياضة الصيد في منطقة «بتهلي» - ضاحية في دهلي - ولكنه فشل، مما دفع السلطان علاء الدين إلى

تعقبه ثم قتله داخل منطقة مغولبور، وقبض على أتباعه من المغول، فسمل أعين بعضهم وقتل الآخرين(١١٩)، وقد حاول المغول تكرار تلك المحاولة عام (٧١١هـ/١٣١١م)، ولكن السلطان اكتشف المؤامرة وأدرك مدي خطورة مسلمي المغول على حياته فأمر بجمعهم، وقتل في يوم واحد ما بين عشرين إلى ثلاثين ألفاً(١٢٠) ليقضى بذلك على تلك الطائفة، ويحرم الجيش من الاستفادة منهم مثلما فعل سابقوه من سلاطين المماليك وخاله السلطان جلال الدين فيروز شاه.

مثلما استفاد المغول من استقرارهم في الهند حيث اعتنقوا الدين الإسلامي استفاد أيضاً هنادكة البلاد من الغزوات المغولية، على الشرق الإسلامي بصفة عامة، وعلي شمال الهند وشرقها بصفة خاصة، حيث ترتب على هذا الحدث الجلل هجرة العديد من رجال الدين والعلماء والأدباء إلى الهند، ومن جانبهم استقبل سلاطين دهلي هؤلاء المهاجرين، واحتفوا بهم، وقربوهم إليهم، وكان السلطان بلبن يتناول عشاءه يومياً معهم، كما شيد لهم داخل دهلي خمسة عشر بناية، أطلق على كل واحدة منها اسم المنطقة القادم منها ساكنيها سواء في تركستان أو خراسان(١٢١).

كان على رأس الدعاة المهاجرين إلى الهند على أثر الهجمات المغولية الشيخ الكبير «معين الدين جشتي»، الذي كان واحداً من أبناء مدينة سجستان، وقد رحل إلى الهند ومكث قليلاً في دهلي قبل أن يستقر به المقام في مدينة أجمير(١٢٢)، ويقال أنه أدخل ما يقرب من سبعين ألف هندوكي في الدين الإسلامي، وذاعت شهرته زعيماً روحياً وإسلامياً بارزاً(١٢٣)، وقد وضع في مدينة أجمير أساس الطريقة الصوفية التي أطلق عليها «الجشتية» نسبة إليه، وذلك قبل وفاته عام (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) بعدما رسخ تعاليم الدين الإسلامي في نفوس أبناء الهند، وظل مقامه في تلك المدينة أحد أكبر المعالم الدينية التي يشد لها الرحال من أصقاع الهند المختلفة(١٢٤)، وكانت طريقته من أول الطرق الصوفية التي تكونت في الهند .

ومن بخاري أقبل على الهند الداعية الإسلامي الشيخ جلال الدين البخاري، حيث استقر به المقام في دهلي عام (٦٤١هـ/١٢٤٤م)، ثم رجع إلى إقليم البنجاب، وسكن قرية أتشي، حيث حول جمع غفير من أبنائها إلى الدين الإسلامي، وظل يدعو هنادكة ومغول البلاد للإسلام حتى وافاه اجله عام (٦٨٩هـ/١٢٩١م)، وظل أعقابه يسيرون على دربه، وكان أكثرهم من الأولياء الصالحين ممن ينظر إليهم بعين الاحترام والتقدير(١٢٥).

لعل من أقدم الدعاة الذين استقروا في الهند عقب سقوط خراسان في قبضة المغول هو الداعي الشيخ جلال الدين التبريزي، الذي حضر بنفسه فاجعة سقوط بغداد في يد المغول، وعلى أثرها رحل إلى الهند، وجال البلاد، وطاف فيها حتى استقر في إقليم البنغال في موضع جبل «كامر» ـ بين الصين والتبت ـ وظل يدعو أهالي تلك المنطقة للإسلام حتى وافاه أجله عام (٧٤٤هـ/١٣٤٤م) (١٢٦) بعدما أدي واجبه في نشر الإسلام في البنغال التي تحول فيما بعد مع إقليم البنجاب إلى اكبر مركز إسلامي في شبه القارة الهندية .

٣- الأثـر الثقافـي :-

بجانب التأثير الاقتصادي والاجتماعي للهجمات المغولية تأثرت أيضاً الحياة الثقافية ولكن تأثيرها كان فى هذه الحال إيجابيا ، حيث استفاد أهل البلاد من وجود هذا العدد الهائل من العلماء والأدباء ورجال الفكر فى الهند ، حيث ركز الوافدون الجدد على الجانب العملي فى التعليم مما ترتب عليه ظهور أعداد كبيرة من القضاة والمفتين الذين استفادوا من تراث علماء خراسان والعراق فى مجال العلوم الدينية[١٢٧].

من الفقهاء الذين استقروا فى الهند الشيخ أبو غفار الحسيني الخوارزمي الذي انتقل إلى الهند عقب سقوط خوار زم فى قبضة المغول ، مسكن مدينة لاهور ، وتولي منصب الإفتاء بها حتى وافاه أجله عام (٦٦١هـ/١٢٦٢م) [١٢٨]، وهناك أيضاً العلامة الشيخ محمود بن أبي الخير البلخي الذي كان له باعُ طويل فى علم الحديث، وكان السلطان بلبن يتردد على منزله فى دهلي كل أسبوع عقب صلاة الجمعة ، و يحظي بصحبته ، وتلقي العلم على يده ، وظل شيخنا هذا يستمتع بمنزلة اجتماعية بارزة حتى وافاه أجله عام (٦٨٧هـ/١٢٨٨م) حيث دفن عقب ذلك بجوار حوض السلطان التمش فى دهلي[١٢٩].

بجانب ما سبق قدم إلى الهند العالم إبراهيم بن شهريار الهمذاني قادماً من مدينة همذان ، الذي كان له باع طويل فى علوم القرآن والتصوف ، وقد مكث هذا الشيخ فى مدينة الملتان قرابة خمسة وعشرين عاماً يعلم أبنائها الفقه والتفسير ، وشيئاً من تاريخ التصوف الإسلامي[١٣٠]. ومن علماء الفقه الآخرين الشيخ برهان الدين النسفي ، والشيخ أبو بكر السجزي الذي اشتغل بالتدريس فى المدرسة الناصرية بدهلي ، وعنه أخذ عدد غفير من العلماء ، وكان يتمتع برعاية السلطان بلبن هو والشيخ سعد الدين الكردي الذي بلغ منصب قاضي قضاة دهلي في عهد السلطان التمش[١٣١] فكان من أبرز الشخصيات التي طورت ثقافة وتعليم الهنود الديني .

تغيرت ثقافة المجتمع الهندي بسبب وجود أعداد جمة من كبار الأدباء الذين فروا من بطش الهجمات المغولية واستقروا فى الهند ، ومن ثم ادخلوا في الهند المعاجم الأدبية فحفظوا لنا تراث البلاد الثقافي ، ويأتي على رأس تلك الكوكبة الأديب الشهير نور الدين محمد عوفي ، الذي ولد ونشأ بمدينة بخاري ، ودخل الهند عقب هزيمة السلطان جلال الدين منكبرتي ، فتقرب إلى حاكم لاهور السلطان ناصر الدين قباجه الذي عهد إليه بالتدريس فى المدرسة الفيروزية ، وأثناء إقامته ألف كتاب لباب الألباب - عقل العقول - ، وقدمه هدية للوزير أبي بكر الأشعري[١٣٢] ، وهذا الكتاب ينقسم لقسمين الأول لدراسة أحوال الشعراء من السلاطين والوزراء والأمراء ، والثاني يختص بشعراء الفارسية من المسلمين(١٣٣) وللكتاب أهمية كبري فى كشف النقاب عن شعراء كادت أخبارهم أن تندثر ، كما يعد المصدر الأول لدراسة الحياة الثقافية فى الهند الإسلامية من الفتح الغزنوى حتى دولة مماليك الهند .

انتقل العوفي إلى دهلي عام (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) ، فالتحق بخدمة السلطان التمش الذي عهد إليه بالتدريس فى المدرسة الناصرية ، وفى تلك الفترة ألف عوفي كتابه الثاني جوامع الحكايات ولوامع الروايات ، وذلك عام (٦٣٠هـ/١٢٣٣م) ، وقدمه هدية للوزير محمد بن أبي سعيد الجنيدي ، وهو يشتمل علي ألفين ومائة وثلاثة عشر حكاية تاريخية تطغي عليها الصفة الأدبية ، وقد ظل الأديب محمد عوفي يثري الحياة الأدبية فى الهند حتى وفاته عام (٦٣٢هـ/١٢٣٤م) (١٣٤) ، بعد أن أصبح أشهر مهاجر من تركستان .

من الأدباء الآخرين نجد شمس الدين المصري الذي استقر فى دهلي زمن السلطان علاء الدين الخلجى ، بعدما أرهقه الترحال بين مدن خراسان ، فمكث فى المدينة بضع سنين يدرس فنون الأدب والشعر العربي(١٣٥) ، ومن أبناء بخاري قدم الشاعر أمير روحاني حيث لجأ للسلطان التمش ، وحضر معه فتوحاته العسكرية ، ودوماً كان شعره تخليداً لغزوات هذا السلطان لمناطق النفوذ الهندوكي فسطر عام (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) مقطوعة شعرية بمناسبة غزو قلعة رنتهبور قائلاً (حمل جبريل الأمين الخبر إلى أهل السماء ، برسالة فتح السلطان شمس الدين)(١٣٦) .

عمل المهاجرون من المتصوفة على الارتقاء بالعلم ، وذلك من خلال تدريس بعض المقررات الدينية والأخلاقية داخل معسكرا تهم الروحية - الخانقاوات - التي انتشرت فى عدة مدن هندية ، وكان من بينهم الشيخ أبو بكر الطوسي الذي قدم الهند فى عهد السلطان بلبن ، وبني لنفسه خانقاه عظيمة فى قلب دهلي على نهر جمنا ، وقضي جل حياته فى تعليم الصغار القرآن الكريم وحفظ آياته(١٣٧) ، ومن سمرقند قدم الشيخ بدر الدين السمرقندي ، حيث استقر به المقام فى دهلي ، وفيها بني لنفسه خانقاه كبيرة ، وظل يدرس ، ويفيد أهل المدينة حتى وافاه أجله عام (٧١٠هـ/١٣١٠م) (١٣٨) وقد أضحي لمثل هؤلاء العلماء منزلة رفيعة فى المجتمع .

من العلوم التى ظهرت فى الهند وكانت ثمرة قدوم علماء خراسان للهند علم التاريخ الذي لم يكن للهنود علم به من قبل ، حيث اشتملت كتبهم الأدبية على أخبار أسطورية عن حكامهم السابقين لا تصلح لتكون أحداث تاريخية ذات قيمة ، وأول عمل تاريخي منظم ظهر فى الهند الإسلامية هو كتاب تاج المآثر الذي سطره المؤرخ صدر الدين محمد بن حسن النظامي النيشابوري ، الذي هاجر إلى الهند عقب الحرب المغولية الخوارزمية ، فالتحق بمدرسة السلطان التمش فى دهلي ، وفى تلك الفترة آلف كتابه الذي تناول فيه الأحداث التي وقعت فى الشرق الإسلامي فى الفترة من عام (٥٨٧هـ/١٢٠٦م) حتى عام (٦١٤هـ/١٢١٧م) (١٣٩) ، وبجانبه عمله فى مجال التدريس والتدوين التاريخي عمل مؤرخنا فى الأعمال الإدارية الأخرى ، وعهد إليه بمهمة جمع الضرائب(١٤٠) فأفاد أهل الهند كثيراً من علمه ، وأصبح كتابه البداية الحقيقية لنشأة علم التاريخ فى الهند الإسلامية .

هاجر إلى دهلي على أثر الهجوم المغول على خراسان المؤرخ الكبير منهاج الدين بن عثمان الجوزجاني، المولود بقرية جوزجان عام (٥٩٠هـ/١١٩٣م)، حيث انتقل إلى لاهور عام (٦٢٤هـ/١٢٢٦م)، ومنها انتقل إلى دهلي، وعمل مدرساً للعلوم الدينية والسير فى مدرسة السلطان التمش[١٤١]، ونتيجة لإتقانه علوم الفقه فقد أسند إليه السلطان ناصر الدين محمود بن التمش منصب صدر دهلي - الإفتاء - وأنعم عليه بلقب شمس الدين، ومن ثم آلف له الجوزجاني كتابه طبقات ناصري، وقدمه إليه على سبيل الهدية، وظل الجوزجاني يحتل مكانة أدبية وثقافية فى المجتمع الهندي حتى وافاه أجله عام (٦٩٨هـ/١٣٠٠م)[١٤٢]، وكتابه هو ثاني عمل تاريخي بعد كتاب تاج المآثر، وترجع أهميته إلى كونه المصدر الأساسي لدراسة تاريخ الغوريين فى خراسان والهند، كما أن صاحبه عاصر أحداثاً هامة وخطيرة من أخبار المغول والخوارزميين ومماليك الهند .

وصفوة القول : فقد مارس المغول المزيد من نفوذهم العسكري على الهند بسبب كسب غنائم عسكرية ومادية و حتى يتثنى لهم ملاحقة أعدائهم من الخوارزميين أو القادة المتمردين، ومن جانبهم فقد تصدي سلاطين الهند من المماليك و الخلج للقوات المغولية، بحزم وقوة و كبدوهم خسائر كبيرة فى الأرواح والمعدات، وعلى جانب آخر حاولوا استيعاب واحتواء القوة المغولية، وتوجيها بما يخدم مصلحة الدين الإسلامي، وقد تأتي ذلك عن طريق نشر الإسلام بينهم، ودمجهم فى الجيش والمجتمع .

تسببت الهجمات المغولية على الهند فى إحداث تأثيرات سلبية فى الاقتصاد الهندي حيث خُربت أراضي منطقتي البنجاب و الدوآب، وفر الفلاحون من أراضيهم خوفاً من بطش القوات المغولية، كما أدت الهجمات المغولية إلى تأخر عملية التصنيع، بعدما قبض المغول على أمهر صناع الهند الشمالية، وساقوهم إلى تركستان لخدمتهم، و بالتالي فقد تأثرت التجارة الخارجية بعدما سّد المغول منافذ تلك التجارة الرئيسة في مناطق قندهار و الملتان و البنغال وسيطرتهم على ممر خيبر من خلال تواجدهم فى مدينة كابل .

ربما كانت الاستفادة الوحيدة والأساسية للهجمات المغولية على الشرق الإسلامي بصفة عامة والهند خاصة، هي فرار أعداد كبيرة من العلماء والأدباء وكبار شيوخ التصوف إلى الهند، وإقامتهم الدائمة فيها، حيث احتفي بهم سلاطين البلاد، ووفروا لهم سبل العيش الكريمة، فألفوا وأبدعوا، حيث ازدهرت الحياة الثقافية فى الهند، ونشأت علوم لم تكن موجودة فى البلاد من قبل مثل التاريخ والتأليف الأدبي المعجمي، والطرق الصوفية وأشهرها الطريقة الجشتية .

الهـوامش :

(١) الجويني : ملك عطا الله، ت (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، تاريخ جهانكشا، ترجمة محمد التوبخي، ط دار الملاح للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م . ص ٧٥ .

(٢) القزويني: حمد الله مستوفى، ت (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، تاريخ كزيده، ترجمة محمود محروس قشطه، رسالة ماجستير، ١٩٦٨م، ص٢٠٦، البنغال : يقع هذا الإقليم فى أقصي شرق الهند يحده من الغرب مدينة بهار، ومرتفعات الهمالايا من الشمال، ومن الشرق خليج البنغال، أما الجنوب فتوجد منطقة أورسيا وهو يحتوي على ١٢سركار - مدينة - و ١١٠٩ بركانه - ضاحية .

Hakim Syied Abdlha , India during Muslim Rule , Luck now , 1977. P.50.

(٣) الجويني: تاريخ جهانكشا، ص١٤١ .ومن المستطاع تحديد مكان المعركة بالمكان المعروف بغراتراب - Ghara Trap قفزة الفرس – التي تقع أسفل معبر نيلاب (بارتولد، فاسيلي فلاديمرووفتش، تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، ط المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٦٢٥، ٦٢٦).

(٤) الجوزجاني : منهاج السراج أبو عثمان، ت (٦٩٨هـ/١٢٠٠م)، طبقات ناصري، تصحيح وتعليق عبد الحي حبيبي، ط كابل ١٣٣٤هـ، ص ٣١٧ . بارتولد : تركستان، ص ٦٢٦، ٦٢٧، دهلي: هي عاصمة الهند فى عصور مختلفة، وهي ذات إقليم متسع حيث الطول ١٢٨ درجة و٥٠ دقيقة والعرض ٢٥ درجة و٥٠ دقيقة (المباركبورى : قاضي أبو المعالى أطهر، رجال السند والهند، ط دار الأنصار، القاهرة ١٣٩٨هـ ١/٣٢) وكانت الهند فى تلك الفترة مقسمة لمناطق نفوذ كبري حيث سيطر أمراء الخلج على البنغال، بقيادة زعيمهم حسام الدين عوض الخلجى، أما إقليمي البنجاب والسند فكان تحت نفوذ السلطان ناصر الدين قباجه، وكانت دهلي تحت سيطرة السلطان شمس الدين التمش،وكان للقائد تاج الدين يلدز نفوذاً محدوداً فى مدينة لاهور .

Cambridge : History of India , vo 3 , Turk and Afghans New Delhi 1958 .pp.51,53.

(٥) خواندمير : غياث الدين بن همام الحسيني، ت (٩٤٢هـ/١٥٣٧م) حبيب السير فى أخبار أفراد البشر، ط طهران ١٣٣٣ ش ٤٠/٦٣١.

(٦) الجوزجاني : طبقات ناصري، ص ٤٥٤ وقد أسس تلك الأسرة السلطان قطب الدين أيبك الذي كان والياً على الهند من قبل السلطان شهاب الدين غوري، وعقب وفاة سيده عام (٦٠٦هـ/١٠٦٠م) أعلن نفسه سلطاناً مستقلاً على الهند، وقد تعاقب على حكم البلاد فى ظل الدولة المملوكة أحد عشر سلطاناً حكموا الهند أربعة وثمانون سنة، أما السلطان شمس الدين التمش فهو ثاني سلاطين تلك الأسرة وقد استمر فى حكم الهند ستة وعشرون عاماً قضاها فى حروب متواصلة لتوحيد البلاد، وتصدي للأمراء الهنادكة فى رنتهبور و مالوه، واستطاع أن يمدّ نفوذه حتى شمل إقليمي السند و البنجاب غرباً و سيالكوت شمالاً

وكلينجر شرقاً و مالوه غرب ذلك قبل أن يوافيه أجله عام (٦٣٣هـ/١٢٣٣م) (عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند فى العصر الإسلامي، ط دار الفكر العربي ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ص ٥١:٢٧١).

(٧) الجوزجاني : المصدر السابق، ص ٣١٤ . البنجاب، كلمة فارسية معناها الأنهار الخمس وهي التي تكون إقليم البنجاب وهى ستلج، بياه، راوى، جيناب، وجهليم، وفي جنوب البنجاب يقع إقليم السند الذي يفصل الهند عن إقليم مكران الفارسي (المباركبورى : رجال السند والهند، ٣٥/١) .

(٨) النسوي : محمد بن أحمد، ت (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي، ط دار الفكر العربي، ١٩٥٣م، ص١٦١، ١٦٢، كهكر : تمتد منازل أبناء تلك القبيلة الهندوكية من شاطئ السند حتى مدينة الملتان، راجا : كلمة سنسكريتية أصلها مها راجا بمعني الحاكم الكبير (بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين، ط القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، ص ٦١)

(٩) رشيد الدين : أبو الخير فضل الله الهمذاني، ت (٧١٨هـ/١٣١٨م)، جامع التواريخ، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة يحي الخشاب، ط دار النهضة الحديثة، بيروت ١٩٨٣م ن ص ٥٤٦، كلور : تقع تلك المدينة فى إقليم البنجاب على خط ٢٣,٠٠ شمالاً و ٧٥,١٠ شرقاً وقلعة برنوزج جنوبها Hakim : O P. cit . p. 61

(١٠) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٦٤، ١٦٥، انهلوره : تقع تلك المدينة ضمن حدود إقليم الكجرات على خط ٢٣,٥٢ شمالاً و ٧٠,٧٠ شرقاً Hakim : O P. cit . p. 69

(١١) رشيد الدين : جامع التواريخ، ص٥٤٧، أجه : معناها الأرض المرتفعة وتقع تلك المدينة على نهر السند، من توابع الملتان، وهي اليوم ضمن حدود مدينة أحمد بور الشرقية بباكستان (المباركبورى : رجال السند والهند، ٣١/١)، سدوستان : ويطلق على تلك المدينة أيضاً سيستان أو ساهون، وهي تقع فى أقصي إقليم السند Hakim : O P. Cit . p.66

(١٢) الجويني : تاريخ جهانكشا، ص ١٤٥، بارتولد : تركستان، ص ٦٢٦، الملتان : تقع تلك المدينة على بعد خمسة وعشرين فرسخاً من مدينة المنصور فى أقصي إقليم السند (ياقوت الحموي : الشيخ شهاب الدين، ت (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، معجم البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ٢٦٣/٥) .

(١٣) خواندمير : حبيب السير، ٦١٢/٤ .

(١٤) البنكاتي : فخر الدين أبو سليمان داود البنكاتي، روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، تصحيح وتعليق جعفر شعار، ط طهران ١٣٤٨هـ، ص٣٣٤ .

(١٥) البنكاتي : نفس المصدر، ص ٣٣٤، ٣٣٥ .

(١٦) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص١٧ .

(١٧) القزويني : تاريخ كزيده، ص٢١٠. لاهور: هي قاعدة إقليم البنجاب، يحدها من الشرق

دهلي، ومن الغرب الملتان وكشمير فى شمالها أما جنوبها فيحدها راجستان و دبالبور، ويبلغ طولها ٢٨٩ ك .م وعرضها ١٨٣ ك.م، وتحتوي على ٥ سركار و ٣١٦ بركانه Hakim : O P. Cit . p.60

(١٨) الجوزجاني: طبقات ناصري، ص ٤٤٧ .

(١٩) الجويني: تاريخ جهانكشا، ص ١٣٨ وننوه هنا أن أملاك جنكيز خان قسمت على أبنائه الأربعة مع بقاء الخان الأعظم فى الصين وهم جوجي وكان نصيبه أراضي القبجاق، جغتائى وكان نصيبه ما وراء النهر، أوكتاي وكان قد تولي منصب الخان مع حكم الصين، تولوي وكان نصيبه قراقورم وأراضي منغوليا، (عبد السلام عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية فى إيران، ط دار المعارف، ١٩٨١، ص١٠٠, ١٠١)

(٢٠) رشيد الدين : جامع التواريخ، ص٥٣، كشمير : يقع هذا الإقليم في أقصي شمال الهند، يحده من الجنوب مرتفعات الهمالايا ومن الشمال خراسان والصين و تركستان ومن الشرق التبت وأفغانستان من الغرب وطول هذا الإقليم ١٩٣ ك.م وعرضه ٩٦ ك.م .Hakim : O P. Cit . p. 62

ويذكر أن أبناء السلطان التمش قد تسارعوا فيما بينهم عقب وفاته عام (٦٣٣هـ/١٥٣٤م)، وكان يجلس فى ذلك الوقت على عرش الهند أبنه ركن الدين فيروز شاه، الذي ما لبث أن قتل بعد عام واحد من الحكم، ثم تولت بعده السلطانة رضية التي انشغلت بالقضاء على الثوار والمخالفين، وفي عهدها هاجمت القوات المغولية كشمير و البنجاب .

E.B.Havell : The history Aryan Rule in India . London N.D. p. 299.

(٢١) الجوزجاني : طبقات ناصري، ص ٤٦٤ .

(٢٢) ماركوبولو : رحلات ماركوبولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م، ٧٦/١، ٢١٥ .

(٢٣) الجوزجاني : طبقات ناصري، ص ٤٦٥ .

(٢٤) خواندمير : حبيب السير، ٦٢٢/٤ .

(٢٥) ماركوبولو : رحلات ماركوبولو، ٧٧/١ .

(٢٦) رشيد الدين : جامع التواريخ، ص ٢٢٢، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية فى إيران، ص ١٠٣، ١٠٤ .

(٢٧) البدواني : عبد القادر بن ملوك شاه ت (١٥١٣هـ/١٦٠٥م)، منتخب التواريخ بتصحيح مولوى أحمد على صاحب، ط كلكتا ١٨٩٨ع، ٨٨/١ .وكان إقليم التبت قد وقع تحت السيطرة الإسلامية بجهود محمد بختيار الخلجي عام (٥٩٦هـ/١١٠٢م) حيث نشر الإسلام فى مناطق بردهن وسمندر، وعلي جانب آخر فقد تولي السلطان علاء الدين حكم الهند عقب وفاة السلطان بهرامشاه عام (٦٣٩هـ/١٢٤٢م) واستمر فى الحكم حتى عام (٦٤٤هـ/١٢٤٦م) (الجوزجاني : ضبقات ناصري، ص ٤٢٣, ٤٧٠) .

(٢٨) الساداتي : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، ط دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة ٢٠٠١م، ص٩٧ .

(٢٩) K. A . Nilakanta : Advanced History of India . New Delhi 1986 . p. 346

(٣٠) رشيد الدين : جامع التواريخ، ص ١٤٤، ١٤٣ .

(٣١) ماركوبولو : رحلات ماركوبولو ، ١٢٣/٢ .

(٣٢) ماركوبولو : نفس المصدر، ١٢٣/٢, ١٢٤ .

(٣٣) غلام حسين سليم : تاريخ بنغاله، بسعي واهتمام مولوى عبد الحق عابد ، ط كلكتا ١٨٩٠م، ص٧٩, ٨٠ . أورسيا : تقع أورسيا جنوب إقليم البنغال، وأشهر مدنها دكا، أما جاجنكر أو كما يطلق عليها أحياناً آخري جابنكر أو جاج نكر فهي تقع ضمن ولاية كره كتنكه غرب أورسيا، سنكارم جنوبها Hakim : O P. Cit . p.53

(٣٤) ماركوبولو : رحلات ماركوبولو ، ١٢٤/٢ .

(٣٥) Camb : Hist of India . p.p 77,78

بلبن : السلطان غياث الدين بلبن، هو أحد أبناء قبيلة باره التركية، وقع في أسر المغول حيث اشتراه تاجر يدعي جمال الدين البصري، وباعه فى الهند للسلطان التمش، فدخل فى خدمته، وبلغ أعلي المناصب منها أمير صيد، ووالى مدينة هانسي، وأخيراً وزيراً للسلطان نصر الدين محمود، وذلك قبل جلوسه على عرش الهند عام

(٦٤٤هـ/١٢٦٦م) فرشته : محمد قاسم هندوشاه ت في النصف الأول من القرن الحادي عشر البحري، كلزار إبراهيمي، ط بمباي ١٨٣١م، ١٣٤/١:١٣٠)

(٣٦) M.Mujeeb : The India Muslims . London 1967 p.47 .

(٣٧) فرشته : كلزار إبراهيمي، ١٣٦/١ . سامانية : تقع تلك المدينة ضمن حدود إقليم دهلي عل خط ٨, ٣٠ شمالاً و ١٥, ٦٧ شرقاً Hakim : O P. Cit . p.35.

(٣٨) فرشته: نفس المصدر، ١٣٦/١, ١٣٧ جلس الخان تيمور قآن على عرش الصين عام (٦٧٠هـ/١٢٧٢م) حتى عام (٦٩٠هـ/١٢٩١م) وعرف فى المصادر الهندية باسم تمر (رشيد الدين: جامع التواريخ، ص ٣١١)

(٣٩) L.P.Sharma : The Sultanate of Delhi, New Delhi 1988 . p.110

(٤٠) الهروى: أحمد بخش نظام الدين، ت (١٠٠٢هـ/١٩٩٣م)، طبقات أكبري، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي، ط الهيئة ١٩٩٥م، ٩٥/١، أمير خسرو: أشهر شعراء وأدباء الهند، ولد عام (٦٥١هـ/١٢٥٣م) بمدينة بتيالي البنجابية، ونبغ فى مجالات عدة منها الموسيقي، وأشهر مؤلفاته فيها لحن ترانه وخيال، وفى الأدب ألف إعجاز خسروى، ومحسنات الكلام، وافضل الفوائد، أما فى التاريخ فله قران السعيدين وخزائن الفتوح وتغلق نامه، وأشهر دواوينه الشعرية تحفه الصغر و

وسط الحياة، وقد توفي عام (٧٢٥هـ/١٣٢٥م) (الحسيني: عبد الحي بن فخر الدين، ت ١٣٤١هـ/١٩٢٢م نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ط دار ابن حزم، لبنان ١٩٩٩م، ٢/١٥٧، ١٥٨).

(٤١) فرشته: كلزار إبراهيمي، ١/١٥٠. الخلج: طائفة من عظماء الترك، جمعهم واحد منهم يدعي بياغو، وأسكنهم منطقة قرب أرض الغور عرفت باسم الخلج، وأول ذكر له كان فى أيام السلطان محمود الغزنوي الذي استعان ببعضهم فى غزو الهند، وهناك رواية أخري تنسبهم إلى صهر جنكيزخان ويدعي قالج خان، ويذكر أن الخلج قد دخلوا الهند مع القوات الغورية وكان على رأسهم محمد بختيار الخلجى الذي فتح البنغال والتبت، ووجدت منهم مجموعة أخرى قاتلت المغول بجانب القوات الخوارزمية (الجوزجاني: طبقات ناصري، ص ٤٢٩، رشيد الدين: جامع التواريخ، ص ٤٢٠، خواندمير، حبيب السير، ٤/٦١٥، فرشته: كلزار إبراهيمي، ١/١٥٠، ١٥١) وقد برز من زعماء الخلج فى العصر المملوكي السلطان جلال الدين فيروز شاه، وكان أول سلطان خلجى يجلس على عرش الهند، ولم تستمر دولته كثيراً حيث جلس على عرش الهند بعد وفاته ابن أخيه السلطان علاء الدين الذي توفى عام (٧١٥هـ/١٣١٦م) فجلس على عرش الهند بعده كل من السلطان شهاب الدين عمر شاه وقطب الدين مبارك شاه، ونتيجة لضعف هذا الأخير فقد طمع الهنادكة فى عرش البلاد حتى تثني لواحد منهم وهو خسروشاه قتل السلطان مبارك شاه عام (٧٢٠هـ/١٣٢٠م) وجلس على عرش البلاد (الساداتي: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية، ص ١٠٦، ١١٤)

(٤٢) ابن بطوطه: محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي ت (٧٩٩هـ/١٤٠٢م)، تحفة النظار فى غرائب الأمصار، شرح وتحقيق طلال حرب، ط دار الكتب العلمية ١٩٨٧، ص ٥٠٢.

(٤٣) برني: ضياء الدين بن مؤيد الدين بن بارسك، تاريخ فيروزشاه، ألفه عام (٧٥٨هـ/١٣٥٧م)، ط الله آباد ١٩٣٢م، ص٢١٨.

(٤٤) P.K Munshi : The Struggle for Empire . Bomboy 1957. p.95.

(٥٤) البدواني: منتخب التواريخ، ١/١٨٣.

(٤٦) فرشته: كلزار إبراهيمي، ١/١٧٦، دبالبور: تقع تلك المدينة جنوب دهلي على نهر ستلج

(٤٧) خالقي: محمد حبيب نظامي، جامع تواريخ الهند، ط دهلي ١٩٨٤م، ص ٤٧٢ كواليار تقع جنوب أكرا على خط ١٤، ٢٦ شمالاً و ١٠، ٧٨ شرقاً. Hakim : OP. Cit . p.37

(٤٨) Sharma : OP. Cit . p.161

(٤٩) البدواني: منتخب التواريخ، ١/١٨٤. وكان يتم إعدام المخالفين بواسطة الفيلة فى ساحة القصر الملكي باستخدام فيلة مدربه على دق أعناق المخالفين بيدها أو تمزيقهم بأنيابها التي كانت تسكي بالحديد حسب رغبة السلطان وبتوجيه من سائسها (ابن بطوطه: الرحلة، ص ٤٩٨).

(٥٠) خالقي: جامع تواريخ الهند، ص٤٨٠. وقد جلس داوو على عرش تركستان عام (٦٩٠هـ/١٢٩١م) واستمر حتى عام (٧٠٦هـ/١٢٠٩م) وقد دانت له جميع بلاد ما وراء النهر عقب موت قايدو

حيث أخذ يفرض سيطرته على الإقليم تماما، وبنفسه كان يعين أو يقبل ما يشاء من أبناء قايدو، وفى تلك الفترة قد بزغ نجمه بشدة عقب هزيمته الخان الأعظم تيمور قآن والمزيد من التفاصيل عند راجع أرمنيوس فامبرى: تاريخ بخاري، ترجمة أحمد محمود الساداتي، ط القاهرة ١٩٨٧م، ص١٩٧ .

(٥١) نهاوندي : ملا عبد الباقي ت (١٠٢٥هـ/١٦١٦م). مآثر رحيمي، بتصحيح محمد هدايت حسين، ط كلكتا ١٩٢٥م، ١/١٢٤ .

(٥٢) Munshi : OP. Cit. P. 102

تقع مدينة سيرى شمال دهلي القديمة، وننوه هنا أن حكام المسلمين أخذوا فى توسيع العاصمة دهلي بتشييد مدن أخرى منها جهان بناه وتغلق آباد، و شاهجهان آباد .

(٥٣) نهاوندي : مآثر رحيمي، ١/١٢٤ .

(٥٤) خالقي : جامع تواريخ الهند، ص ٤٨١, ٤٨٢ .

(٥٥) برني : تاريخ فيروزشاه، ص ٢٥٩، وتقع كيلي على بعد ثلاثين فرسخاً غرب دهلي

(٥٦) نهاوندي : مآثر رحيمي، ١/٣٢٦ . و رنتهبور : تقع تلك المدينة شمال غرب دهلي .

(٥٧) خالقي : جامع تواريخ الهند، ص ٥٢٠، الدكن : تقع هضبة الدكن فى أقصى الجنوب الهندي، ويفصلها عن الوسط جبال وندهيا. أما الكجرات فهو إقليم متسع يقع جنوب نهر السند، وتبلغ مساحته ٤٥٨ ك.م طولاً و٤٣٥ ك.م عرضا، جيتور : أو شيتور فهي تقع غرب نهر شامبالا

Hakim : OP. Cit . p.p. 67.74.

(٥٨) Munshi: OP. Cit, p. 108.10

(٥٩) Ibid, p109

(٦٠) برني : تاريخ فيروزشاه، ص ٣٠٠ . كول : مدينة من أعمال أكبر آباد تقع على خط ٢٧,٥٤ شمالاً و٧٨,٦ شرقا، برن . تقع جنوب شرق لكهنوتي على نهر الكنك Hakim : OP. Cit . p.38

(٦١) الهروى: طبقات أكبري، ص ١/١٣٧ . نظام الدين أولياء : ولد بمدينة بدوان عام (٦٣٦هـ/٦٣٨م)، فأهتم بدراسة علوم الدين والفقه، ثم تفرغ للعبادة، وبني لنفسه خانقاه عظيمة فى دهلي، كانت مقصداً لسلاطين الخلج وال تغلق، وقد اعتقد الأهالي فى كرامته وولايته الصوفية، فوقروه وعظموا من شأنه، وقد توفي عام (٧٢٥هـ/١٣٢٥م)، ودفن فى دهلي، ولا يزال قبره أحد أكبر مزارات المدينة (الحسيني : نزهة الخواطر، ٢/١٩٥, ١٩٦)

(٦٢) **Sharma: OP. Cit . p.162**

(٦٣) فامبرى : تاريخ بخاري، ص ١٩٧ .

(٦٤) فامبرى : نفس المصدر والصفحة .

(٦٥) **Munshi : OP. Cit . p.110**

(٦٦) برني : تاريخ فيروزشاه، ص٣١٩ .

(٦٧) خالقي : جامع تواريخ الهند، ص ٥٥٦ . أمروهي : ربما المقصود بها مدينة أمرتسار Amritsar الواقعة جنوب شرق دهلي على نهر ستلج على خط ٣١,٣٧ شمالاً و٧٤,٥٥ شرقاً Hakim : OP. Cit . p.62

(٦٨) نهاوندي : مآثر رحيمي، ٣٤٧/١ .

(٦٩) برني : تاريخ فيروزشاه، ص ٣٢١ .

(٧٠) فرشته: كلزار إبراهيمي، ٢٠٥/١ ربما يكون هذا القائد هو نفسه الخان كيبك بن داوو الذي تولي عرش تركستان عام (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) وتم عزله فى نفس العام من قبل كبار القادة لسبب غير معروف وولوا مكانه أخيه الأصغر ويدعى أسن (فامبرى: تاريخ بخاري، ص١٩٨)

(٧١) الهروى : طبقات أكبري، ١٤٠/١، بدوان : كان لسور دهلي عدة بوابات تؤدي إلى الطرق الرئيسية لكبري المدن، ومنها مدينة بدوان الواقعة على خط ٢٨,٢ شمالاً و ٧٩,١٠ شرقاً أما قلعة تبرنه أو تيرانه فهي تقع ضمن مدينة دبالبور الواقعة شرق لاهور Hakim : OP. Cit . p.34

(٧٢) نهاوندي : مآثر رحيمي، ٣٤٧/١ . ناكور : وتنطق ناجور لأن الكاف فيها أعجمية، وهي تقع جنوب غرب دهلي من أعمال أجمير .

(٧٣) فامبرى : تاريخ بخاري، ص ١٩٧، ١٩٨، حيث ساد الضعف والفوضى بلاد ما راء النهر عقب موت الخان داوو، وتدخل القادة فى تولية وعزل الأمراء المغول وفى بعض الأحيان قتلوا بعضهم مثل الخان موانغان الذي اعتق الإسلام .

(٧٤) Mujeeb : OP. Cit . p.47

قندهار : تشتمل تلك المدينة على الوديان السفلي لأنهار ترنك، ارغنداب و أرغان، أما كابل : فهي تقع غرب مدينة جلال آباد، وتضم أنهار لوغر، وتكاد،ونهر جلال آباد، غزنه : تقع على نهر ارغند جنوب كابل ن ويقال لمجموع بلادها زبلستان (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٠١/٤)

(٧٥) Paul Masson : Ancient India and India Civilization . London 1967. p.40

(٧٦) تاريخ فيروزشاه، ص ٢٦١ .

(٧٧) Mujeeb : OP. Cit . p.47

(٧٨) Paul Masson : OP. Cit . p.40,4

(٧٩) المباركبورى : رجال السند والهند، ٣٣/١ .

(٨٠) الهروى : طبقات أكبري، ١١٦/١ .

(٨١) ابن بطوطه : الرحلة، ص٤٤٠ .

(٨٢) Hakim : OP. Cit . p.142

(٨٣) ابن بطوطه : الرحلة، ص ٤٤٠، ٤٤١ .

(٨٤) ابن بطوطه : نفس المصدر، ص ٤٣٩ .

(٨٥) الحسيني : نزهة الخواطر، ٢٠٦/٢ . الخالصة الشاهانية : يقصد به الأرض التابعة للسلطان علاء الدين وهى من أخصب أنواع الأراضي الهندية وكانت تزرع طول العام عنها راجع Hakim : OP. Cit . p.128

(٨٦) السيد محمد يوسف : البضائع الهندية، ثقافة الهند، عدد ٣/١٩٥٥م، ص ١١ .

(٨٧) M.S.Thacker : The wealth of India . New Delhi 1960. pp. 59.72

(٨٨) الهروى : طبقات أكبري، ٣٤/١، ٧٨/٢ .

(٨٩) السيد محمد يوسف : البضائع الهندية، ص١٣.

(٩٠) الساداتي : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية، ص٣١٠ .

(٩١) Mujeeb : OP. Cit . pp.46.47

ممر خيبر : يربط بين مدينة كابل فى الغرب ونهر الأندلس - السند - فى الشرق عبر منطقة بنون، بطول ٣٢٠ ك.م

(٩٢) خواندمير : حبيب السير، ٦١٢/٤ .

(٩٣) بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين، ص١١١ .

(٩٤) Mujeeb : OP. Cit . pp.48

(٩٥) بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين، ص١١٨ .

(٩٦) أبو الفضل : العلامة ابن مبارك الناكوري، ت (١٠١٠هـ/١٦٠٢م) آئيين أكبري، ترجمة وتحقيق بقلم كونونيل جريت، ط نيو دلهى ١٩٩٢م، ١٠/١ .

(٩٧) الهروى : طبقات أكبري، ١٣٥/١ .

(٩٨) خالقي : جامع تواريخ الهند، ص ٥٣٧ .

(٩٩) الهروى: طبقات أكبري، ١٧٣/١. المن : يساوي ٤ آثار، والآثار يساوي ٢٤ توله، والتوله تساوي ١٩٢ جرام، وبذلك يكون المن الهندي يساوي ٤٦٢٨ جرام (الحسيني نزهة الخواطر، ٢٠٧/٢، التنكه : العملة الأساسية التي كانت تستعمل فى الهند، وهي على وجهين أما ذهبيه، وكان يطلق عليها الصفراء وهي تساوي ١١ جرام، أو فضية وأطلق عليها البيضاء وهي تساوي ١٠,٧٦ جرام .
Hakim : OP. Cit . p.125

(١٠٠) فرشته : كلزار إبراهيمي، ١٩٥/١، سيري أو سيرس مكيال هندي يساوي ١٤٨,٨٦٦ جرام، أما الجيتل فهو عمله نحاسيه يبلغ وزنها ٢٠,٤٢١ جرام Hakim : OP. Cit . p.125

الشالي : أشهر أنواع الأرز الهندي وأجوده، كثرة زراعته في إقليم أوده فبلغ إنتاج البيكه - تساوي ٣٦٠٠ ذراع - حوالي ٥٦,٧ دام - الدام يساوي ٩٣٣ جرام، وكذلك الماش وهو نوع أقل جودة من الشالي،

وبلغ إنتاج البيكه منه ٢٨ , ٢٧ دام فى قصبة أوده (أبو الفضل : آئيين أكبري، ٢/٩١:٧٧) أما الموت فهو نوع من الحبوب المخصصة لعلف البهائم (ابن بطوطه : الرحلة، ص ٤٠٩)

(١٠١) خالقي : جامع تواريخ الهند، ص ٥٤٦، ٥٤٧ .

(١٠٢) الحسيني، نزهة الخواطر، ٢/٢٠٧ الآثار سبق تعريفه هامش ٩٩.

(١٠٣) Sharma : OP. Cit . p.142

حيث كانت الهند فقير فى مجال تربية وإنتاج الخيول الصالحة للاستخدام الحربي، وعرف فيها نوع أطلق عليه برازين، كان يستخدم فقط لجرّ وحمل الآلات العسكرية والأمتعة، لذا ارتفعت فيها أسعار الخيول بشكل كبير، واضطرت الحكومات الإسلامية فى كثير من الأحيان منع الأهالي من شراء أو بيع الخيول العربية والفارسية والتركية بدون علمها، (أبو الفضل: آئيين أكبري، ١٤٢/١).

(١٠٤) الهروى : طبقات أكبري، ٦٦/١ .

(١٠٥) الحسيني : نزهة الخواطر، ٢٠٧/٢ .حيث كان يتم خصي الأسرى المغول عقب وقوعهم في الأسر مباشرة ليستفاد منهم في خدمة البيوت (ماركو بولو:رحلات ماركو بولو، ١٣٣/٢).

(١٠٦) برني : تاريخ فيروزشاه، ص ٣٢١ .

(١٠٧) برني : نفس المصدر، ص ٣٠٨ .

(١٠٨) فرشته : كلزار إبراهيمي، ١٩٧/١، بجانب تلك الأنواع من الأقمشة مرتفعة السعر، أنتجت أقمشة أخرى للطبقة الوسطي منها الموسيلين، وهو خليط من الأنسجة الحريرية والقطنية والصوفية، أما فقراء البلاد فكانوا يستخدمون نوع آخر من الأقمشة عرف باسم الشيت كان يستخرج من وبر الجمال (السيد محمد يوسف : البضائع الهندية، ص١١) وبرغم ما كانت تعانيه صناعة الأقمشة والملابس فقد انتشر فى البلاد ثمانية وأربعين نوعاً من أفخر الأقمشة، استخدم أغلبها فى إنتاج المعاطف الخاصة بعلية القوم مثل تاكويوهي، شواز، أما السلاطين فكان يرتدون معاطف خاصة عرفت باسم شاهاجد (أبو الفضل : آئيين أكبري، ٩٥/١, ٩٨).

(١٠٩) ماركوبولو : رحلات ماركوبولو، ٧٦/١ .

(١١٠) رشيد الدين : جامع التواريخ، ص ١٢٥ .

(١١١) الهروى : طبقات أكبري، ١٠٠/١, ١٠١، كلنجر : تقع تلك المدينة على نهر جامونا، جنوب مدينة الله آباد .

(١١٢) البدواني :منتخب التواريخ، ص ١٢٥ .

(١١٣) خالقي : جامع تواريخ الهند ٤٥١ .

(١١٤) Nilakanta : OP. Cit . p.356

(١١٥) عصام الدين عبد الرؤوف : بلاد الهند فى العصر الإسلامي، ص ٧٨ .

(١١٦) Munshi : OP. Cit . p100

(١١٧) الهروى : طبقات أكبري، ١٢٦/١ .

(١١٨) تاريخ فيروزشاه، ص٢٥٣ .

(١١٩) خالقي : جامع تواريخ الهند، ص ٤٨٨, ٤٨٩ .

(١٢٠) برني : تاريخ فيروزشاه، ص٣٣١ .

(١٢١) فرشته : كلزار إبراهيمي، ١١٣/١، وهذه المقاطعات أو المساكن هي محلة عباسي، سنجري، خوارزمي، ديلمي، علوي، اتابكي، غوري، جنكيزي، رومي، سنقري، يمني، غزني، موصلي، سمرقندي، كاشغري، وعربي .

(١٢٢) أبو الفضل : آئيين أكبري، ٤٠٢/٣ .

(١٢٣) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام، ترجمة إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، وإسماعيل النجراوي، ط مكتبة النهضة، ط ١٩٧٣، ص٢٤٠ سجستان تقع جنوب غرب قندهار على نهر هلمند، أجمير: يحدها من الشمال مدينة جيبور، والجنوب انهلواره، وشرقها كواليار، وغربها جودهبور، وهي تحتوي على ٩ سركار و١٢٣ بركانه .Hakim : OP. Cit . p.59

(١٢٤) أبو الفضل : آئيين أكبري، ٤٤٢/٣ .

(١٢٥) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام، ص ٣١٦ أتشي: قرية فى مدينة بهالبور - دبالبور - على نهر ستلج، بخاري : من أعظم مدن ما وراء النهر طولها سبع وثمانون درجة، وعرضها إحدى وأربعون درجة، ويحيط بها سور طوله أثني عشر فرسخاً(ياقوت الحموي : معجم البلدان، ٣٥٣/١)

(١٢٦) ابن بطوطه : الرحلة، ص ٦١٥

(١٢٧) Aziz Ahmad: An Intellecutual History of Islam In India Edinpurgh U.S.A1958.52

(١٢٨) الحسيني: نزهة الخواطر، ٨٦/١ . خوارزم : تقع تلك المدينة على نهر جيحون مساحتها ثمانون فرسخاً فى مثلها، (البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق ت (٧٣٩هـ/١٣٤١م) مراصد الإطلاع، تحقيق على أحمد البجاوى، ط دار الباز للطباعة والنشر بيروت، ١٣٧٣هـ /١٩٥٤م، ٤٨٧/١).

(١٢٩) الحسيني : نزهة الخواطر، ١٢٧/٢ .

(١٣٠) G.H. philips :Historians of India Pakistan and Ceylon New yourk1962. p.131

همذان : مدينة من الجبال عذبها ماء وأطيبها هواء مساحتها أربع فراسخ فى مثلها (البغدادي: مراصد الإطلاع، ١٤٦٤/٣)

(١٣١) فرشته : كلزار إبراهيمي، ١٣٠/١, ١٣١ . واشتهرت فى الهند الشمالية عدة مدارس أهمها المدرسة الناصرية التى شيدها السلطان التمش تخليداً لذكري أبنه ناصر الدين محمود الذي توفي أثناء ولايته على البنغال، والمدرسة الفيروزية التى شيدها السلطان ناصر الدين قباجه فى مدينة أجه السندية، وفي أحياناً كثيرة يطلق عليها المدرسة الناصرية (عبد الحي الندوي : المدارس بالهند، ثقافة الهند، عدد ١٩٥٥/٢م، ص٨٤, ٨٣, ٨٢)

(١٣٢) محمد عوفي : ت (٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، لباب الألباب، بسعي واهتمام إدوار بروز انكليس ه ط ليدن ١٩٠٣م، ٢٨٩/١ .

(١٣٣) عوفي : نفس المصدر، ٩,١٠/١ .

(١٣٤) Husan quresh : The Administration of Sultanat of Delhi . 1944. p.179

(١٣٥) Aziz Ahmad : O P. Cit, p.67 .

(١٣٦) الهروى : طبقات اكبري، ٦٨/١.

(١٣٧) الحسيني: نزهة الخواطر، ٨٦/١ .

(١٣٨) الحسيني: نفس المصدر، ٨٨/١ سمرقند: هى مجمع رقيق ما وراء النهر، ويتصل بها جبل عالي يعرف بكوهك، وبها العديد من البساتين ومنزل السلطان (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٤٧/٣) .

(١٣٩) Philips : OP. Cit , p.123.

نيشابور : يطلق عليها أحياناً نيسابور، بينها وبين مرو ثلاثون فرسخاً (البغدادي : مراصد الإطلاع، ١٤١١/٣)

(١٤٠) Sharma : OP. Cit . p.3

(١٤١) Philips : OP , Cit . p.118 .

جوزجان قرية صغيرة من أعمال مدينة بلخ - مزار شريف حالياً .

(١٤٢) Hakim : OP. Cit , p.79.

قائمة المصادر والمراجع :-

(١) المصادر العربية :-

- البغدادي : صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق، ت (٧٣٩هـ/١٣٤١م)، مراصد الإطلاع، تحقيق على أحمد البجاوى، ط دار الباز للطباعة، بيروت ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

- ابن بطوطه : محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي، ت (٧٩٩هـ/١٤٠٢م)، تحفة النظار فى غرائب الأمصار، شرح وتحقيق طلال حرب، ط دار الكتب العلمية ١٩٨٧م .

- الحسيني : عبد الحي بن فخر الدين، ت (١٣٤١هـ/١٩٢٢م)، نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنواظر، ط دار ابن حزم، لبنان ١٩٩٩م .

- النسوى : محمد بن أحمد، ت (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)، سير السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي، ط دار الفكر العربي، ١٩٥٣م

– ياقوت الحموى : الشيخ شهاب الدين، ت (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، معجم البلدان، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠ .

(٢) المراجع العربية :-

– أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، ط دار الشرق ٢٠٠١م .

– بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين، ط القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م .

– عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاريخ الدولة المغولية فى إيران، ط دار المعارف ١٩٨١م

– عصام الدين عبد الرءوف الفقي : بلاد الهند فى العصر الإسلامي، ط دار الفكر العربي ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

– قاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري : رجال السند والهند، ط دار الأنصار، القاهرة ١٣٩٨هـ .

(٣) المصادر الفارسية :-

– البدواني : عبد القادر بن ملوك شاه، ت (١٥١٣هـ/١٦٠٤م)، منتخب التواريخ، بتصحيح مولوي أحمد علي صاحب، ط كلكتا ١٨٩٨ع .

– برني : ضياء الدين بن مؤيد الدين بن بارسك، تاريخ فيروزشاه، ألفه عام (٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م)، ط الله آباد ١٩٣٢ .

– البنكاتي : فخر الدين أبو سليمان داود البنكاتي، روضة أولي الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب، بتصحيح جعفر شعار، ط طهران ١٣٤٨هـ .

– الجوزجاني : منهاج السراج أبو عثمان . ت (٦٩٨هـ/١٢٠٠م)، طبقات ناصري تصحيح وتعليق عبد الحي حبيبي، ط كابل ١٣٣٤هـ .

– الجويني: ملك عطا الله ن ت (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، تاريخ جهانكشا، ترجمة محمد التوبخي، ط دار الملاح للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

– خواندمير : غياث الدين بن همام الحسيني، ت (٩٤٢هـ/١٥٣٧م) حبيب السير فى أخبار أفراد البشر، ط طهران ١٣٣٣هـ

– عوفي: محمد عوفي، ت (٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، لباب الألباب بسعي واهتمام إدوار بروز انكليسي، ط ليدن ١٩٠٣م .

– غلام حسين سليم : تاريخ بنغاله، بسعي واهتمام مولوى عبد الحق عابد، ط كلكتا

١٨٩٠م .

- رشيد الدين: أبو الخير فضل الله الهمذاني، ت (٧١٨هـ/١٣١٨م)، جامع التواريخ، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة يحي الخشاب، ط دار النهضة الحديثة، بيروت ١٩٨٣م .

- فرشته : محمد قاسم هندوشاه، ت فى النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، كلزار إبراهيمي، ط بمباي ١٨٣١م .

- أبو الفضل : العلامة ابن مبارك الناكورى، ت (١٠١٠هـ١٦٠٢م)، آئيين أكبري، ترجمة وتحقيق كونونيل جريت، ط نيودلهي ١٩٩٢م .

- القزويني : حمد الله مستوفي، ت (٧٥٠هت/١٣٤٩م)، تاريخ كزيده، ترجمة، محمود محروس قشطه، رسالة ماجستير، عين شمس ١٩٦٨م .

- نهاوندي : ملا عبد الباقي، ت (١٠٢٥هـ/١٦١٦م)، مآثر رحيمي، بتصحيح محمد هدايت حسين، ط كلكتا ١٩٢٥م .

- الهروى : أحمد بخش نظام الدين، ت (١٠٠٢هـ/١٥٩٣م) طبقات أكبري، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي، ط الهيئة ١٩٩٥م .

(٤) المراجع الاردية :-

- خالقي : محمد حبيب نظامي، جامع تواريخ الهند، ط دهلي ١٩٨٤م .

(٥) المراجع المترجمة :-

- أرمنيوس فامبرى : تاريخ بخاري، ترجمة أحمد محمود الساداتي، ط القاهرة ١٩٨٧م

- بارتولد فاسيلي فلاديمرووفتش : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، ط المجلس الوطني للثقافة الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

- توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النجراوي، ط مكتبة النهضة ١٩٧٠م .

- ماركو بولو: رحلات ماركوبولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٥ .

(٦) الدوريات العلمية :-

- عبد الحي الندوى : المدرس بالهند، ثقافة الهند، عدد ١٩٥٥/٢م .

- السيد محمد يوسف : البضائع الهندية، ثقافة الهند، عدد ١٩٥٥/٣م .

(٧) المراجع الإنجليزية :

Aziz Ahmad:An Intellectual History of Islam in India Edinpurgh.U.S.A 1969.

Cambridge : History of India, Vol 3, Turks and Afghans New Delhi1958.

E.B Havell : The History of Aryan Rule in India London .

Hakim Siyed Abdlhal : India during Muslim Rule. lucknow. 1977.

Husan Qureshi : The Administration of Sultante of Delhi 1944.

K.A.Nilakanta : Advanced History of India, New Delhi 1986 .

L . P . Sharma : The Sultant of Delhi New Delhi, 1988.

M .Mujeeb : The India Muslims, London 1967.

M.S. Thacker : The Wealth of India, New Delhi, 1960.

P . R Munshi : The Struggle for Empir,e Bomboy 1957 .

Paul Msaaon : Ancient India and India Civilzation , London 1967 .

د.أشرف محمد عبدالرحمن مؤنس (*)

موقف الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود من العدوان الثلاثى على مصر

الملك سعود والمؤامرات البريطانية- الأمريكية ضد مصر:

كانت العلاقات المصرية السعودية فى ظل الملك "سعود بن عبد العزيز آل سعود" وقادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر علاقات طيبة منذ قيام الثورة؛ فقد اعترف الملك "سعود" بها فور قيامها، كما كان أول حاكم عربى يزور مصر بعد قيام الثورة وذلك فى مارس ١٩٥٤م، أى بعد أشهر قليلة من توليه مقاليد الحكم فى المملكة فى ٩ نوفمبر ١٩٥٣م، وكانت زيارته لتعزيز العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية، وإظهار تضامنه معها فى قضيتها ضد الاستعمار البريطانى، وذلك كما ظهر فى قوله للسفير البريطانى فى مصر: إن العرب يعتبرون أن قضية مصر هى قضيتهم، ويدافعون عنها، وتحقيق السلام الحقيقى فى الشرق الأوسط رهن بتحقيق المطالب المصرية"(١)، وكان ذلك فى الوقت الذى كانت تتفاوض فيه مصر مع بريطانيا من أجل جلائهم عنها، بينما كانت بريطانيا تعمل على ضم مصر إلى التحالف الغربى المناهض للإتحاد السوفييتى بذريعة الدفاع عن الشرق الأوسط، وذلك فى محاولة منها للحصول على غطاء شرعى يضمن بقاء قواتها فى منطقة القناة(٢).

وقد شهد عقد الخمسينيات من القرن العشرين سلسلة من المحاولات التى قامت بها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لحماية مصالحهما الإستراتيجية فى المنطقة. كما بدأ تنسيق مصرى سعودى للحيلولة دون دخول المنطقة فى نطاق الأحلاف الغربية، ولذلك جرت عدة مراسلات بين الحكومتين المصرية والسعودية من أجل هذا الغرض منذ مايو ١٩٥٤م. كما استثمرت الحكومتان المشاعر القومية

---

*- مدرس التاريخ الحديث و المعاصر - كلية التربية جامعة عين شمس.

والوطنية المعادية للاستعمار السائدة فى المنطقة من أجل هذا الغرض، مما جعل الحكومتين البريطانية والأمريكية لا ترتاحان لهذا التعاون بين الدولتين، وعملا على إنهائه وذلك بإفساد العلاقة بينهما، كما عملا على عزل المملكة العربية السعودية حتى لا يصبح البترول سلاحا فى خدمة القضايا العربية(٣)، ولكن خططهما فشلت فى تحقيق هذه الأهداف، بل أن الأمر زاد سوءا بالنسبة لهما، إذ انضمت سوريا كذلك إلى هذا المحور المصرى السعودى، مما دفع الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة "أيزينهاور" (Eisenhower) إلى محاولة الوقيعة بين هذه الدول، وعزل مصر عن بقية الدول العربية(٤). فكلف سفيره السابق فى السعودية، والعميل فى وكالة المخابرات المركزية، رايموند هير (Raymond Haer) بوضع خطة تؤدى إلى إبعاد كل من السعودية وسوريا عن مصر حتى ينفرط عقد هذا التحالف الثلاثى الذى أصبح يثير المتاعب أمام الغرب فى المنطقة(٥).

وكانت خطة هير تتمثل فى عزل عبد الناصر عن طريق إبعاد سوريا عنه وإحداث فجوة بينهما، وذلك بتدبير انقلاب يطيح بحليفه«شكرى القوتلى» زعيم سوريا، وذلك بالتعاون مع المخابرات البريطانية والإسرائيلية، ثم محاولة اغتيال «عبد الناصر» بواسطة المخابرات الإسرائيلية التى كلفت يونانيا يدعى "أندرياس" (Andreas)، كان متعهدا لتنظيم الحفلات الرسمية فى مصر، بدس السم لعبد الناصر فى فنجان قهوته، ولكن هذه المحاولة فشلت، وكشف أمر اليونانى(٦).

وبالنسبة للسعودية فقد أورد «محمد حسنين هيكل» مضمون تقرير كتبه السفير المصرى فى الولايات المتحدة الأمريكية «أحمد حسين» بشأن الخطة الأمريكية للإيقاع بين مصر والمملكة العربية السعودية، يذكر فيه أنه توجد محاولات خطيرة للإيقاع بين «عبد الناصر» وبين الملك «سعود» بواسطة عملاء المخابرات المركزية الأمريكية وذلك بتصوير «عبد الناصر» للملك سعود على أنه ثائر متطرف، وأنه أخطر عليه من كل من النفوذ البريطانى والشيوعى، وكذلك بالادعاء بأن البعثة العسكرية المصرية فى الرياض تعمل على بث أفكاره بين القوات المسلحة السعودية، وأن من مصلحة الملك"سعود" ومصلحة عرشه وأسرته أن يبتعد عن «عبد الناصر»، وأن يقيم حاجزا قويا بينه وبين مصر(٧).

وقد دفع هذا التقرير «عبد الناصر» إلى ترتيب لقاء بينه وبين كل من الملك سعود والأمير "فيصل» فى جدة فى ٢٠ ابريل ١٩٥٦م، حيث أطلعهما على هذا التقرير، وحاول أن يطمئنهما على عمل البعثة العسكرية المصرية فى السعودية، وفوض الملك «سعود» فى التصرف مع أى فرد من البعثة يخرج عن مقتضى عمله بما يضر بالعلاقات بين البلدين. وكانت ثمرة هذا اللقاء هى إفشال الخطة الأمريكية للإيقاع بين الدولتين، وعقد اتفاقية عسكرية ثنائية بينهما(٨). كما كان هذا اللقاء وما نتج عنه أحد أسباب رفض الولايات المتحدة الأمريكية طلب مصر لتمويل بناء السد العالى، والضغط على البنك الدولى من أجل هذا الغرض أيضا، مما دفع «عبد الناصر»، كما هو معروف، إلى إعلان تأميم شركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦م(٩).

الملك سعود وتأميم قناة السويس:

عندما أعلن «عبد الناصر» قراره بتأميم قناة السويس أيد الملك «سعود» فورا هذه الخطوة(١٠)، وأعرب له عن تضامنه مع مصر، كما دعا فى أول سبتمبر ١٩٥٦م الحكومات العربية إلى مؤتمر عسكرى يعقد فى الرياض فى ١٣ من الشهر نفسه بغرض التشاور، واتخاذ الإجراءات الضرورية تجاه الأزمة التى تتعرض لها مصر(١١). وفى ٧ سبتمبر أعلن رسميا وقوفه إلى جانب مصر للحفاظ على استقلالها، والدفاع عن حقها فى تأميم القناة(١٢). كما رصد مبلغ عشرة ملايين دولارا لتكون تحت تصرف مصر، وذلك ردا على قرار بريطانيا تجميد أموال مصر فى بنوكها(١٣). يضاف إلى ذلك قراره فى أكتوبر من العام نفسه بإلغاء احتفالات السفارات والقنصليات السعودية فى الخارج التى كانت تقام سنويا فى ١٢ نوفمبر بمناسبة عيد جلوسه على العرش، وذلك تقديرا منه للظروف القائمة، وتوفيرا لنفقات هذه الاحتفالات التى كرسها للصرف على أسر الشهداء فى كل من مصر والأردن وسوريا(١٤).

وفى هذا الإطار صرح «يوسف ياسين» (١٥) وكيل وزارة الخارجية السعودية أثناء زيارته لمصر أن الملك «سعود» معنى بقضية القناة، وأنه يضع إمكانيات بلاده تحت تصرف مصر، وذلك لإحباط أى محاولة ترمى إلى الإساءة إلى الاقتصاد المصرى، وأن إسهامه – أى الملك– فى فك ضائقة مصر الاقتصادية كان خطوة أفزعت أولئك الذين يعتقدون أن مصر تقف وحدها فى هذه الأزمة(١٦).

وفى ٧ سبتمبر أخطر الملك سعود «عبد الناصر» بأنه قرر تأجيل زيارته لإندونيسيا وأفغانستان ليكون قريبا منه حتى يمكنهما التشاور بخصوص هذه الأزمة، كما أبلغه بأنه بدأ الاتصال بالأمريكيين فى محاولة للتأثير عليهم لحل الأزمة، وطلب منه أن يطلعه على خططه فى هذا الأمر(١٧).

وفى محاولة منها لحل الأزمة اقترحت الحكومة المصرية تشكيل هيئة من الدول التى تستخدم القناة لإجراء مفاوضات لإيجاد حل سلمى لمشكلة الملاحة فيها دون المساس بسيادة مصر واستقلالها. وقد أيدت السعودية هذا الاقتراح(١٨).

وبين ٢٢ و ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦م عقد مؤتمر فى الدمام بالمملكة العربية السعودية ضم كلا من الملك «سعود» و «عبد الناصر» و «شكرى القوتلى»، وفيه عقد حلف دفاعى بين الدول الثلاث المملكة العربية السعودية ومصر وسوريا(١٩). وفى هذا المؤتمر دعا «عبد الناصر» إلى استخدام البترول كسلاح فى مواجهة بريطانيا والغرب(٢٠).

موقف بريطانيا والغرب من قرار التأميم:

وفى الغرب تسارعت الأحداث بعد إعلان مصر تأميم قناة السويس، ففى ١٩ سبتمبر ١٩٥٦ عقد مؤتمر بين كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل لاتخاذ إجراء ضد مصر للرد على قرار «عبد

الناصر»، واتخذت فيه القرارات الآتية:

١- الدعوة إلى عرض الأزمة على هيئة الأمم المتحدة.

٢- تأليف هيئة للدول المنتفعة بقناة السويس للاتصال بمصر والتفاوض معها حول قرارها.

٣- إعلان رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في الانضمام إلى هذه الهيئة (٢١).

ورغم أن القرار الثاني من هذه القرارات كان يتفق والقرار المصري، إلا أن الحكومة البريطانية تجاهلت ذلك، وعرضت القرار على هيئة الأمم المتحدة على أنه اقتراح لها، وكذلك لتظهر أنها مع الحل السلمي للأزمة.

وفي ٤ أكتوبر تقدمت كل من بريطانيا وفرنسا بشكوى إلى مجلس الأمن ضد مصر، مدعيتان فيه أن مصر قد استولت على قناة السويس بشكل تعسفي، وأن هذا الإجراء هو خرق للاتفاقيات الدولية، كما أنه يعرض حرية الملاحة في هذا الممر الهام لأخطار كبيرة(٢٢).

وفي الوقت الذي اتخذت فيه هاتان الدولتان هذه الإجراءات الدبلوماسية، كانتا تعدان كذلك - بالاشتراك مع إسرائيل- لشن حرب على مصر، بل ووضعت الخطط العسكرية لذلك، يظهر هذا من تقرير أورده «محمد حسنين هيكل»(٢٣) مضمونه كتبه السفير المصري في واشنطن «أحمد حسين» ذكر فيه أن أحد أعضاء السفارة المصرية في واشنطن كان يتحدث مع أحد مسئولي وزارة الخارجية الأمريكية فقال له حول هذه التطورات «فالننتظر ما تجيء به الأحداث في الأسبوع القادم»، فرد المسئول الأمريكي قائلا: «في الأسبوع القادم لن يكون هناك مصر»(٢٤).

حاول «عبد الناصر» جاهدا تجنب الصدام مع الغرب، ولهذا وافق على قرار مجلس الأمن الذي صدر في ١٣ أكتوبر ١٩٥٦م، وتضمن ستة مبادئ، هي:

١- حرية الملاحة في قناة السويس دون أي تفرقة.

٢- احترام سيادة مصر.

٣- فصل إدارة القناة عن الأمور السياسية.

٤- تحديد رسوم عبور القناة بالاتفاق بين مصر والدول المستخدمة لها.

٥- توجيه جزء من إيرادات القناة لتحسين الملاحة بها وتطويرها.

٦- حل أي خلاف حول القناة عن طريق التحكيم(٢٥).

وقد أعلنت مصر التزامها بهذه المبادئ، رغم تضارب التفسيرات حول بعضها، وأعلنت استعدادها لإجراء مفاوضات مباشرة مع كل من بريطانيا وفرنسا للوصول إلى حل لمشكلة القناة فيما بينهم، كما وافقت على اقتراح السكرتير العام للأمم المتحدة «همرشلد» (Hammarshiold) بعقد اجتماع في جنيف في ٢٩ أكتوبر بين وزراء خارجية كل من مصر وبريطانيا وفرنسا للاتفاق على حل للمشكلة.

ورغم أن كلا من بريطانيا وفرنسا قد وافقتا على الاقتراح(٢٦)، إلا أن ذلك لم يكن سوى تغطيه لما قررتاه بالفعل، وهو شن عدوانهم على مصر (بالتعاون مع إسرائيل). وفى اليوم نفسه الذى اقترحه ’همرشلد‘ لعقد هذا الاجتماع، ففى هذا اليوم، أى ٢٩ أكتوبر، بدأت مقدمة هذا العدوان، وهو الهجوم الإسرائيلى على شبه جزيرة سيناء(٢٧).

الملك سعود والعدوان الثلاثى على مصر:

رفض الملك «سعود» العدوان الثلاثى على مصر، ووقف فى صفها موقفا قويا، وساندها سياسيا عربيا، ودوليا، كما ساندها عسكريا، واقتصاديا. وفيما يلى الإجراءات التى اتخذها فى كل مجال من هذه المجالات:

أ - سياسيا:

على المستوى العربى دعا الملك «سعود» حكام الدول العربية إلى مساندة مصر(٢٨)، مما دعا كثير من هؤلاء الحكام إلى إعلان حالة الطوارئ فى بلادهم(٢٩)، بل أن بعضهم، كما فى سوريا والأردن، أعلنوا حالة الاستنفار فى قواتهم المسلحة، تمهيدا لمساندة مصر عسكريا تنفيذا لاتفاقية الدفاع المشترك(٣٠)، ولكن ’عبد الناصر‘ رفض هذه الإجراءات حتى لا يعرض هذه الدول لأى اعتداء(٣١).

وفى إطار الموقف السعودى العربى المساند لمصر فى مواجهة العدوان الثلاثى حضر الملك «سعود» مؤتمر القمة العربية الذى عقد فى بيروت فى ١٣-١٤ نوفمبر ١٩٥٦م، وذلك للنظر فى الموقف السياسى الناتج عن العدوان، ولمساندة مصر فى هذا الموقف(٣٢). وقد أصدر المؤتمر قرارين هامين، هما:

١- ضرورة تنفيذ قرارات الأمم المتحدة، القاضية بانسحاب جيوش الدول المعتدية فورا من الأراضى المصرية إلى ما وراء خطوط الهدنة، فورا دون قيد أو شرط، وإلا ستحمل هذه الدول تبعة أى اعتداء على مصر. وقد هددت الدول المجتمعة بأنها ،فى حالة وقوع أى اعتداء جديد على مصر، ستتخذ تدابير للدفاع عن نفسها طبقا للمادة (٤١) من ميثاق الأمم المتحدة(٣٣)، وستطبق معاهدة الدفاع العربى المشترك(٣٤).

٢- العمل على حل مشكلة قناة السويس بما يتفق مع سيادة مصر وكرامتها فى نطاق الأمم المتحدة على أساس معاهدة ١٨٨٨م، والمبادئ الستة التى أقرها مجلس الأمن فى ١٣ أكتوبر ١٩٥٦م(٣٥).

ودوليا، حث الملك «سعود» دول حلف بغداد، وهى إيران والعراق وتركيا وباكستان، على مقاطعة حكومات كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل(٣٦)، وكانت هذه الدول فى ذلك الوقت مجتمعة فى مؤتمر لبحث العدوان الثلاثى على مصر، فأصدرت بيانا استنكرت فيه العدوان الثلاثى على مصر، ودعت القوات الإسرائيلية إلى الانسحاب فورا من مصر، كما دعت إلى احترام سيادة مصر واستقلالها عند بحث مشكلة قناة السويس فى الأمم المتحدة(٣٧).

ومن ناحية أخرى، خاطب الملك «سعود»، فور حدوث الاعتداء الثلاثى، الرئيس الأمريكى «أيزينهاور» فى برقية إليه يحثه على الوقوف فى وجه العدوان، ومساندة مصر، ونظرا لأهمية هذه البرقية نورد نصها فيما يلى:

«فخامة رئيس الولايات المتحدة مستر داويت أيزينهاور، علمت مما نشرته الأنباء مدى الاهتمام البالغ الذى أبديتموه فخامتكم بالعدوان اليهودى على الأراضى المصرية، والجهود التى بذلتموها لتحذير المعتدى، وإعرابكم عن أن أمريكا ستكون بجانب الدولة المعتدى عليها، وموقفكم هذا يعتبر هو انتصار لمبادئ العدل التى تناصرها الولايات المتحدة، ويعمل على تنفيذ هذه السياسة الرجل الشريف المحافظ على عهده ووعوده. وإنى إذ أشكر فخامتكم على رد هذا العدوان الغاشم، ونرجو أن تثق فخامتكم فى أن هدفنا هو المحافظة على السلم، وإنكم إذا لم تعملوا سريعا على وقف هذا العدوان، فإننا لا يمكن التكهن بنتائجه. ولقد رأيتم فخامتكم أننا كنا على حق حينما رأينا هذه المجموعة الصهيونية تشغل أرضا عربية، كانت وما تزال مثارا للقلق والاضطرابات فى الشرق، وإنى إذ أشكر صديقى العزيز على هذا الموقف، أرجو أن تستمر أعماله الفعالة فى معاونة المعتدى عليه، تنفيذا لوعدك حتى يستتب الأمن، ويعود إلى هذه المنطقة التى أفسدها العدوان الصهيونى»(٣٨).

وعندما وقفت الولايات المتحدة موقفا معارضا للعدوان الثلاثى، وأعلنت ذلك فى الأمم المتحدة، وذلك لأن هذا العدوان يضر بمصالحها فى المنطقة المتمثلة فى المحافظة على أمن قناة السويس كممر مائى حيوى، أعرب الملك «سعود» للرئيس «أيزينهاور» فى رسالة إليه(٣٩) عن تقديره لهذا الموقف(٤٠)، كما طالبه باتخاذ موقف ايجابى فى هذا الظرف السياسى. وربما كان من نتائج هذه الرسالة أن أعلن «أيزينهاور» ووزير خارجيته «جون فوستر دالاس» (John Foster Dallas) عدم رضائهما عن تصرف كل من بريطانيا وفرنسا ضد مصر، وحذرا الدولتين بأنه يمكن أن يؤدى إلى حرب عالمية، كما أعلنا عدم تأييدهما لهذا الإجراء(٤١).

ولم تكتف الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الإعلان، بل أنها تقدمت إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢ نوفمبر ١٩٥٦م بمشروع قرار طالبت فيه كلا من بريطانيا وفرنسا بوقف فورى لإطلاق النار والانسحاب من مصر(٤٢).

وعلى الرغم من أن كلا من بريطانيا وفرنسا قد وافقتا على هذا القرار إلا أنهما اشترطتا وضع قوة من البوليس الدولى تمثل فيها الدولتان على الحدود المصرية الإسرائيلية بصورة مؤقتة حتى إقرار الصلح بين مصر وإسرائيل، وكذلك قبول مصر لتسوية مشكلة قناة السويس بما يضمن مصالح الدول المنتفعة بها، أو قبول قوات بريطانية- فرنسية بشكل مؤقت حتى تتم هذه التسوية(٤٣).

وكانت هذه الشروط من الدولتين فى حقيقة الأمر محاولة للالتفاف حول قرار الأمم المتحدة، ومحاولة لإجهاضه. وهذا دفع الحكومة السعودية إلى قطع كل أشكال العلاقات

السياسية والاقتصادية بينها وبين الدولتين(٤٤)، وبدأت ذلك بمنع شحن وتموين جميع سفن الدولتين، وجميع السفن المتجهة إليهما بالبترول(٤٥). وقد استمرت هذه المقاطعة للسفن الانجليزية والفرنسية فى الموانئ السعودية قرابة الشهر(٤٦). وهذا الموقف من الحكومة السعودية أصابها بخسائر كبيرة تقدر بمليون دولار يوميا(٤٧). وكانت هذه أول مرة يستخدم فيها البترول كسلاح ضد الدول الغربية التى كانت تحصل، فى هذا الوقت، على ثلاثة أرباع ما تحتاجه من البترول من الدول العربية(٤٨).

ولم تكتف الحكومة السعودية بهذا الإجراء فقط، بل أنها قامت أيضا بطرد موظفى شركة السلاح الفرنسية التى كانت تعمل فى مدينة "الخرج" السعودية(٤٩).

ب- عسكريا:

أعلن الملك «سعود» التعبئة العامة لتجهيز القوات المسلحة السعودية لدفع هذا العدوان(٥٠). كما أبلغ "عبد الناصر" شخصيا بموقفه المساند لمصر(٥١) واستعداده لوضع كل إمكانات السعودية تحت تصرف مصر، وتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك(٥٢). بل إنه اتخذ إجراءات عملية لهذا الغرض، مثل وضع جميع مطارات المملكة وموانيها تحت تصرف مصر(٥٣)، وقد تحقق هذا عمليا عندما لجأت اثنتى عشر قاذفة مصرية إلى المطارات السعودية حتى لا يتم تدميرها فى مصر بواسطة طائرات التحالف الغربى، كما آوت إحدى الفرقاطات المصرية إلى الموانئ السعودية لهذا الغرض أيضا(٥٤)، وبهذا تحولت السعودية إلى عمق استراتيجى لمصر(٥٥).

ولم يكتف الملك «سعود» بهذه الإجراءات العسكرية فقط، بل أنه أمر أيضا بفتح مكاتب لقبول المتطوعين من السعوديين، واستدعى الجنود المتقاعدين إلى الخدمة، وشجع أمراء الأسرة المالكة على التطوع أيضا، فتقدم عدد كبير منهم، كان من أبرزهم الأمراء: خالد بن عبد العزيز (الملك خالد فيما بعد)، وسلمان بن عبد العزيز أمير الرياض، وعبد الله الفيصل وزير الداخلية ورئيس لجنة التبرعات لضحايا العدوان على بورسعيد(٥٦)، وكذلك بعض المسؤولين كان منهم الشيخ محمد رضا وزير التجارة، وكثير من أفراد الشعب، ووجهاء ورؤوس القبائل(٥٧).

ج- اقتصاديا:

واقتصاديا تبرع الملك «سعود» بمبلغ مليونى ريال سعودى، أى بما يساوى حينئذ مبلغ مائتى ألف جنية مصرى، للهلال الأحمر المصرى، ليتمكن من أداء مهمته فى معالجة جرحى الحرب من المصريين(٥٨)، كما أمر بتخصيص الأموال التى كانت ستنفق فى احتفالات عيد جلوسه على العرش لأسر ضحايا العدوان من المصريين(٥٩)، كما شجع أفراد الأسرة المالكة، والشعب على التبرع، وفتحت لهذا الغرض كثير من مكاتب التبرع فى كل أنحاء المملكة،

فأقبل الجميع على ذلك، وكان منهم رؤساء ووجهاء قبائل غامد وزهران، وأهالى المنطقة الشرقية، ومدينة الخبر، وغيرها من مناطق ومدن المملكة العربية السعودية(٦٠)، هذا بالإضافة إلى الأمير فهد بن فيصل أمير منطقة الرياض، وحسن الشربتلى وزير الدولة السعودى، وكثير من رجال الأعمال. هذا وقد بلغت جملة التبرعات ما يزيد عن مليون ريال سعودى(٦١).

الدوافع وراء موقف الملك "سعود":

والعرض السابق يبين أن الملك «سعود» قام بمجهودات كبيرة فى النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية من أجل مواجهة العدوان الثلاثى على مصر. وقد أثمرت هذه المجهودات، وبخاصة منع تصدير البترول إلى بريطانيا وفرنسا، ، بالإضافة إلى الموقف المساند لها عربيا ودوليا وبخاصة موقف الولايات المتحدة الأمريكية، فى دفع دول العدوان الثلاثى- بريطانيا وفرنسا وإسرائيل- إلى الانسحاب من مصر فى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦م. والسؤال الذى يجب أن يطرح هنا هو: ما هى الدوافع التى دفعت الملك «سعود» إلى اتخاذ هذا الموقف، والقيام بهذه الإجراءات كلها ؟

فى الحقيقة أن هناك عدة عوامل دفعت الملك «سعو» إلى اتخاذ هذه المواقف الصلبة ضد تصرفات بريطانيا ومعها فرنسا وإسرائيل ضد مصر، يمكن أن نجملها فيما يلى:

١- أن الملك «سعود» كان مؤمنا بما آمن به والده الملك «عبد العزيز» بأن كلا من مصر والسعودية يمثلان خط الدفاع الأول عن العروبة، وأن كلا منهما يمثلان عمقا استراتيجيا لها(٦٢). كما كان يعتقد بأن مصر هى رأس الأمة العربية، وإذا انتكست هذه الرأس فإن كل الأمة العربية ستنكس رأسها، ولن تستطيع أن ترفعها بعد ذلك(٦٣).

٢- أنه كان للمملكة العربية السعودية والأسرة الحاكمة السعودية ثأر بايت مع بريطانيا بصفة خاصة يرجع إلى ماقبل هذه الأحداث، وذلك عندما ساندت الأشراف الهاشميين، أبناء الشريف حسين أمير مكة وملك الحجاز، فيصل وعبد الله، وأنشأت لهما عرشين فى كل من العراق والأردن، ومن المعروف أنه كانت توجد عداوة قديمة بين الأسرة المالكة السعودية وبين أشراف مكة. ومن ناحية أخرى فقد اعترفت بريطانيا بالإمارات الخليجية الجديدة، وكان هذا على حساب المملكة العربية السعودية، وبخاصة فى ترسيم الحدود بينها وبين هذه الإمارات، وهذا يظهر بصفة خاصة من اعتداء بريطانيا على واحة البريمى السعودية(٦٤). وقد التقى عداء السعودية لبريطانيا مع عداء مصر لها لأسباب تاريخية معروفة.

٣- أن السعودية كانت ضد ادخال المنطقة العربية فى نطاق الأحلاف الغربية، وبخاصة حلف بغداد الذى كان يحظى بدعم بريطانيا، وهذا أيضا كان موقف مصر، ولهذا جرى تنسيق بين الدولتين لمحاربة هذه الأحلاف، ومنع دخول أى دولة عربية فيها، لأن هذا يعد خرقا

لميثاق جامعة الدول العربية، واتفاقية الدفاع العربى المشترك.

٤- أن السعودية قد عقدت ثلاث إتفاقيات عسكرية بينها وبين مصر، وقعت الأولى بينهما فى أعقاب الغارة الإسرائيلية على مصر فى مارس ١٩٥٥م، ووقعت الثانية فى أكتوبر من العام نفسه فى أعقاب الاعتداء البريطانى على واحة البريمى السعودية، ووقعت الثالثة نتيجة لمحاولة كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بذر بذور الخلاف بين الملك 'سعود' و'عبد الناصر'، والتفريق بينهما(٦٥). وهذه الاتفاقيات كانت تلزم الدولتين بمساندة بعضهما البعض فى حالة الاعتداء على أحدهما، وبهذا كان موقف السعودية من العدوان على مصر هو، من أحد جوانبه، تنفيذ لهذه الاتفاقيات.

ومن هذا يتضح أنه كانت توجد دوافع قوية دفعت الملك 'سعود' إلى مساندة مصر ضد العدوان الثلاثى عليها، فقد كانت هذه فرصة ليرد لبريطانيا بعض ما قامت به ضد المملكة العربية السعودية من مكائد ومؤامرات. وكذلك صد أطماعها فى المنطقة، كما أن هذا الموقف يأتى أيضا فى اطار الرفض العالمى للعدوان الثلاثى على مصر، سواء على المستوى الرسمى أم الشعبى.



الهوامش

(1) F. O. 371/ 108444, From Ralph Stevenson to Foreign Office, No 78, 20 March 1954.

(2) F.O. 371/102761 to F. O. 371/102766, "Negotiations between Egypt and UK: Reaction to Egyptian Demands for Evacuation for the Canal Suez" 1953.

(3) Foreign Relation of the United States (Near East and NSC, Vol. 2), Washington: United States Government Printing Office, 1954, PP. 112- 114.

(4) Eisenhower, D., Miandate for Change- The White House Years 1953- 1956, New York, Doubeleday, 1963, PP. 240-242.

(5) Foreign Realtions, 1956, Vol.5, PP.189-190.

(6) Love, K., Suez- The Twice Fought war, Longman, London 1969, PP. 90-91.

(٧) محمد حسنين هيكل : ملفات السويس، ط ١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٦، ص ٤٣٨-٤٣٩.

(٨) نفسه، ص ٤٣٩؛ إبراهيم المسلم، العلاقات السعودية المصرية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٤٣.

(٩) وقد انضمت اليمن أيضا إلى هذه الاتفاقية، انظر: محمد حسنين هيكل، نفسه، ص ٤٣٩-٤٤٠؛ محمد جلال كشك، كلمتى للمغفلين، ط ٢، دار ثابت، القاهرة ١٩٨٥، ص ١٥٧. وعن هذه الاتفاقيات انظر: مركز دراسات الوحدة العربية، مصر العروبة وثورة يوليو، بيروت ١٩٨٢، ص ٣٢١؛ محمد حسنين هيكل، نفسه، ص ٣٤٠؛ محمد جلال كشك، نفسه، ص ١٥٧.

(١٠) رسالة من الملك «سعود» إلى «جمال عبد الناصر» بتاريخ ١٩٥٦/٧/٢٦، وثيقة رقم (١٣٠). انظر أيضا: محمد حسنين هيكل، نفسه، ص ٧٩٩.

(١١) جريدة اليمامة السعودية، عدد ٤٥ بتاريخ ١٣٧٦/٢/٤هـ-١٩٥٦/٩/٩م.

(١٢) جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٤٢ بتاريخ ١٣٧٦/٢/٤هـ-١٩٥٦/٩/٩.

(١٣) New York Times, 8 September 1956**، وانظر كذلك: جريدة فلسطين، عدد ١١٢ بتاريخ ١٣٧٦/٢/٣هـ-١٩٥٦/٩/٨م.**

(١٤) جريدة اليمامة السعودية، عدد ٥١ بتاريخ ١٣٧٦/٣/١٦هـ-١٩٥٦/١٠/١٧م.

(١٥) عن «يوسف ياسين» انظر: أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس، «يوسف ياسين ودوره فى السياسة السعودية المعاصرة»، مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس، ١٥ (٢٠٠٤).

(١٦) جريدة الدفاع الأردنية، عدد ١٧٦ بتاريخ ١٣٧٦/٢/٥هـ-١٩٥٦/٩/١٠م.

(١٧) انظر نص رسالة الملك «سعود» إلى «جمال عبد الناصر» فى ١٩٥٦/٩/٧، وثيقة رقم (١٣٨)؛ وكذلك نص رسالته إلى «على صبرى» مدير مكتب «جمال عبد الناصر» فى ١٩٥٦/٩/٧م، وثيقة رقم (١٣٩). انظر: محمد حسنين هيكل، نفسه، ص ٨١٩-٨٢١.

(١٨) جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٤٧ بتاريخ ٩/٢/١٣٧٦هـ-١٥/٩/١٩٥٦م؛ جريدة اليمامة السعودية، عدد ٤٦ بتاريخ ١٠/٢/١٣٧٦هـ-١٦/٩/١٩٥٦م.

(١٩) جريدة اليمامة السعودية، عدد ٤٨ بتاريخ ٢٤/٢/١٣٧٦هـ-٣٠/٩/١٩٥٦م؛ جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٥٤ بتاريخ ١٨/٢/١٣٧٦هـ-٢٤/٩/١٩٥٦م.

(٢٠) مفيد الزيدى، تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن ٢٠٠٤، ص ٢٨٧.

(21) F.O.371/121771, "Political Relation between Israel and Arab States", Military Consequences, Including Action by UK and France at Suez", 1956.

(22) F.O371/118902,Military Action Of Uk And France at Suez International Repercussions, Casualities, Withdrawal of Embassy from Egypt, " 1956

(٢٣) محمد حسنين هيكل، نفسه، ص ٥١١.

(٢٤) نفسه ، ص ٥١٢.

(٢٥) محمود رياض، المذكرات، ج ٢، ط ١، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٨٦ص ١٥٣.

(٢٦) نفسه ، ص ١٥٤.

(٢٧) نفسه ، ص ١٥٣.

(٢٨) جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٨٧ بتاريخ ٣١/١٠/١٩٥٦.

(٢٩) انظر برقيات ملوك ورؤساء الدول العربية إلى الملك سعود فى جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٨٩ بتاريخ ٢/١١/١٩٥٦.

(٣٠) جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٩٠ بتاريخ ٤/١١/١٩٥٦.

(٣١) محمود رياض، نفسه، ص ١٥٤-١٥٥.

(٣٢) مؤتمر القمة العربى ١٣-١٤ نوفمبر ١٩٥٦، صادر عن جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٥٧.

(٣٣) وتنص هذه المادة على أنه فى حالة اعتداء دولة على أخرى فان المجلس يدعو إلى قطع العلاقات السياسية والاقتصادية معها كليا أو جزئيا، وقطع جميع طرق المواصلات البرية والبحرية والبريدية والبرقية والاذاعية معها. انظر: عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٦، ص ٥٠٢-٥٠٨.

(٣٤) تنص المادة الثانية من ميثاق الأمن العربى المشترك على أن أى اعتداء على أى دولة عربية يعتبر اعتداء على كل الدول العربية، ويجب على الموقعين على الميثاق اتخاذ تدابير جماعية أو فردية، بما فيها استخدام القوة، لرد هذا الاعتداء. انظر: ميثاق جامعة الدول العربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ١٩٤٦.

(٣٥) جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٣٠١ بتاريخ ١٦/١١/١٩٥٦؛ وجريدة اليمامة، عدد ٥٥ بتاريخ

١٩٥٦/١١/١٨؛ وجريدة الأخبار، عدد ١٣٦٤ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٦.

(٣٦) جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٣٢٩ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩.

(٣٧) جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٣٠١ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٦.

(٣٨) New York Times, 2 November 1956؛ جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٨٩ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢؛ جريدة اليمامة، عدد ٥٣ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤.

(٣٩) بتاريخ ١٩٥٦/١١/٣.

(٤٠) جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٩٠ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤.

(٤١) New York Times, 6 November 1956؛ جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٩٠ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤.

(٤٢) Foreign Relation, 1956, Vol.5, pp.280-282.;

(43) F.O.371/121804, "Political Relations between Israel and Arab States, Military Consequences, Including Action by UK and France at Suez", 1956;

وانظر كذلك: محمود رياض، نفسه، ص ١٥٨.

(٤٤) جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٩٣ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٧؛

New York Times, 9/11/1956.

(٤٥) جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٩٣ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٧.

(٤٦) إبراهيم المسلم، نفسه، ص ٤٦.

(٤٧) محمد حسنين هيكل، نفسه، ص ٩٠٩-٩١٠.

(٤٨) محمود رياض، نفسه، ص ١٦٤؛ New York Times, 23/12/1956.

(٤٩) جريدة الأخبار، عدد ١٣٥٩ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩.

(٥٠) صلاح بسيوني، مصر وأزمة السويس، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠، ص ٢٢٠؛ جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٨٧ بتاريخ ١٩٥٦/١٠/٣١.

(٥١) جريدة البلاد السعودية، نفس العدد السابق.

(٥٢) جريدة الأخبار، عدد ١٣٥٢ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١؛ صلاح بسيونى، نفسه، ص ٢٢٠.

(٥٣) إبراهيم المسلم، نفسه، ص ٤٦.

(٥٤) محمود رياض، نفسه، ص ١٥٥، ١٥٩.

(٥٥) نفسه، ص ١٥٩.

(٥٦) جريدة البلاد السعودية، عددى ٢٢٨٩ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢و ٢٢٩٠ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤. وكان منهم أيضا الأمراء: تركى بن عبد العزيز، بسطام بن عبد العزيز، سلطان بن عبد العزيز، وغيرهم،

انظر: جريدة البلاد السعودية، أعداد: ٢٢٩٥ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩؛ ٢٣٠١ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٦؛ ٢٢٩١ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٥؛ ٢٣٣٣ بتاريخ ١٩٥٦/١٢/٢٤؛ وجريدة اليمامة، عدد ٥٤ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١١.

(٥٧) جريدة البلاد السعودية، عدد ٢٢٩٥ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩.

(٥٨) New York Times, 19/11/1956؛ جريدة اليمامة، عدد ٥٤ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١١؛ جريدة الأخبار، عدد ١٣٥٩ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩.

(٥٩) جريدة الأخبار، عدد ١٣٦١ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٢.

(٦٠) جريدة البلاد السعودية، أعداد: ٢٢٩٠ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤، ٢٢٩٣ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٧، ٢٣١٦ بتاريخ ١٩٥٦/١٢/٤.

(٦١) جريدة اليمامة، عدد ٥٩ بتاريخ ١٩٥٦/١٢/١٦؛ جريدة الأخبار، عدد ١٣٦٣ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٤.

(٦٢) إبراهيم المسلم، نفسه، ص ٨.

(٦٣) محمد حسنين هيكل، نفسه، ص ٦٠٠.

(٦٤) محمد جلال كشك، نفسه، ص ١٥٦.

(٦٥) انظر هامش (٩).

قائمة المصادر والمراجع

١- المصادر

أ- المصادر العربية:

١- الوثائق: ملفات السويس:

وثيقة رقم (١٣٠): رسالة من الملك «سعود» إلى الرئيس «جمال عبد الناصر» بتاريخ ١٩٥٦/٧/٢٦م.

وثيقة رقم (١٣٨): رسالة من الملك «سعود» إلى الرئيس «جمال عبد الناصر» بتاريخ ١٩٥٦/٩/٧م.

وثيقة رقم (١٣٩): رسالة من الملك «سعود» إلى «على صبرى» (مدير مكتب جمال عبد الناصر) بتاريخ ١٩٥٦/٩/٧.

٢- الدوريات:

- جريدة «الأخبار»: العدد: ١٣٥٢بتاريخ١٩٥٦/١١/١م؛ العدد:١٣٥٩بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩م ؛العدد :١٣٦١ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٢م؛ العدد: ١٣٦٣بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٤م؛ العدد: ١٣٦٤ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٦م.

- جريدة «أم القرى» السعودية: العدد: ١٢٧١بتاريخ ١٩٤٩/٨/٢٨م؛ العدد: ١٦١٧بتاريخ ١٩٥٦/١٢/٤م.

- جريدة «البلاد» السعودية: العدد: ٢٢٤٢بتاريخ ١٩٥٦/٩/٩م؛ العدد:٢٢٤٧بتاريخ ١٩٥٦/٩/١٥م؛ العدد: ٢٢٥٤ بتاريخ ١٩٥٦/٩/٢٤م؛ العدد: ٢٢٨٧ بتاريخ ١٩٥٦/١٠/٣١م؛ العدد:٢٢٨٩بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢م؛ العدد: ٢٢٩٠بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤م؛ العدد: ٢٢٩١ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٥م؛ العدد:٢٢٩٣بتاريخ ١٩٥٦/١١/٧م؛ العدد: ٢٢٩٥بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩م؛ العدد: ٢٣٠١ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٦م؛ العدد: ٢٣١٦ بتاريخ ١٩٥٦/١٢/٤م؛ العدد: ٢٣١٧ بتاريخ ١٩٥٦/١٢/٥م؛ العدد: ٢٣٢٩ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٩م؛ العدد: ٢٣٣٣ بتاريخ ١٩٥٦/١٢/٢٤م.

- جريدة «اليمامة» السعودية: العدد: ٤٥ بتاريخ١٩٥٦/٩/٩م؛ العدد: ٤٦ بتاريخ ١٩٥٦/٩/١٦م؛ العدد: ٤٨ بتاريخ ١٩٥٦/٩/٣٠م؛ العدد: ٥١ بتاريخ ١٩٥٦/١٠/١٧م؛ العدد: ٥٣ بتاريخ ١٩٥٦/١١/٤م؛ العدد: ٥٤ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١١م؛ العدد: ٥٥ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٨م؛ العدد: ٥٩ بتاريخ ١٩٥٦/١٢/١٦م.

- جريدة «الدفاع» الأردنية: العدد: ١٧٦بتاريخ ١٩٥٦/٩/١٠م.

- جريدة «فلسطين»: العدد :١١٢بتاريخ ١٩٥٦/٩/٨ م.

٣- المذكرات:

محمود رياض، المذكرات، ط ١، ٢ ج، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٨٦.

٤- المؤتمرات:

جامعة الدول العربية: مؤتمر القمة العربية (١٣-١٤ نوفمبر ١٩٥٦م)، الأمانة العامة للجامعة العربية، القاهرة ١٩٥٧م.

- ميثاق جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، القاهرة ١٩٤٦م.

ب- المصادر الأجنبية:

١- وثائق وزارة الخارجية البريطانية:

- F.O.317/102781 to F.O.371/102766, Negotiations between Egypt and UK: Reaction to Egyptian Demands for Evacuation of the Canal Suez, 1953.
- F.O.371/108444, From Ralph Stevenson to Foreign, No.78, 20 March 1954.
- F.O.371/118902, Military Action of UK and France at Suez International Repercussions, Casualties, Withdrawal of UK Embassy from Egypt, 1956.
- F.O.371/121771, Political Relations between Israel and Arab States: Military Consequences, Including Action by UK and France at Suez, 1956.
- F.O.371/121804, Political Relations between Israel and Arab States: Military Consequences, Including Action by UK and France at Suez, 1956.

٢- وثائق العلاقات الخارجية الأمريكية:

- Foreign Relations of the United States (Near East and NSC, Vol.2), Washington, United States Government Printnig Office, 1954.
- Foreign Relations of the United States (Near East and NSC, Vol.5), Washington, United States Government Printnig Office, 1956.

٣- الدوريات:

New York Times: 8/9/1956; 1/11/1956; 6/11/1956; 9/11/1956; 19/11/1956; 23/11/1956.

المراجع العربية

إبراهيم المسلم، العلاقات السعودية المصرية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ٢٠٠٠م.

صلاح بسيونى، مصر وأزمة السويس، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠.

عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٦.

محمد جلال كشك، كلمتى للمغفلين، ط٢، دار ثابت، القاهرة ١٩٨٥.

محمد حسنين هيكل، ملفات السويس، ط ١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٦.

مفيد الزايدى، تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والمعاصر، ط ١، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن ٢٠٠٤.

- المراجع الأجنبية:

- Eisenbower, D., Miandate for Change, The White House Years, 1953-1956, New York, Dubleday, 1963.
- Love, K., Suez-The Twice Fought War, Longman, London 1969.

د. محمد سيد كامل (*)

الألقاب الفخرية والنعوت التشريفية في الدولة السلجوقية

يتناول هذا البحث الألقاب الفخرية الممنوحة لسلاطين الدولة من قبل خلفاء بنى العباس فى بغداد، بالإضافة للنعوت والمسميات التشريفية الممنوحة لكبار رجالات السلطنة السلجوقية من وزراء ومستوفين ورؤساء دواوين الطغراء والقضاة وغيرهم. وذلك من واقع الأحداث التاريخية فضلاً عن التراجم والسير التى لا تقل أهمية عن مصادر التاريخ، اعتماداً على قصائد الشعراء ومدائحهم فى السلاطين ورجالات البلاط السلجوقى.

لقد انتشرت الألقاب الفخرية بصورة كبيرة فى داخل نطاق العالم الإسلامى خاصة فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، فامتدت من الخلفاء القائمين على السلطة فى بغداد إلى الحكام شبه المستقلين فى المشرق الإسلامى، الذين حرصوا على الحصول على موافقة الخلافة على ألقابهم، مع تمتع الخليفة بحق تعيينهم حتى فى حالات استقلالهم استقلالاً فعلياً.

واللقب هو ما يطلق من الصفات الرسمية على سبيل التشريف، وبهذا يقتصر فيه على الألقاب الفخرية الرسمية التى تصدر عن الخلافة، ويصدق عليها فى ديوان الرسائل، بل تصبح الألقاب ذات أهمية إذا درست ما يحيط بها من ظواهر إجتماعية وسياسية ودينية، فتلقى بذلك الضوء على الأحداث السياسية.

*-مدرس بكلية دار العلوم - جامعة المنيا

لقد أصبح للتلقيب رسوم خاصة فى دار الخلافة نفسها من أهمها ما عرف باسم كتاب التنوية، حيث جرت العادة أن ينعم على الملقب بكتاب صادر من ديوان الخلافة له رسم خاص، فيفتح الخطاب بحمد الله على نعمه السابقة، والصلاة على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. ثم يقال: «وإن أمير المؤمنين بما خوله الله تعالى من نعمة يرى المن على خلصائه وإسباغ نعمه على أوليائه، واختصاص بالنصيب الأوفر من حياته، لذا رأى أن ينعتك (بكذا) لاشتقاقه هذا النعت من سماتك واستنباطه إياه من صفاتك، وشرفك من ملابس (بكذا) وطوقك بطوق، وقلدك بسيف من سيوفه، وعقد لك لواء من ألويته، وحملك على (كذا) من خيله (وكذا) من مراكبه(١)».

وبناء على ذلك فإن الألقاب الممنوحة تسجل فى ديوان الرسائل ببغداد، ويحتفظ بها بنسخة من الخطاب فى ديوان الولايات المختلفة، لذا قام السلاجقة بإنشاء دواوين مماثلة لدواوين الخلافة لتنظيم المكاتبات الإدارية، فقد جرت رسوم الكتب أن تكون «بأوضح خط وأفصح لفظ، وتكون السطور من أول القرطاس، ومن غير تفصيل فى أحد جانبى السطر، ويكون بين كل سطر وسطر سعة»(٢).

وقد جرت العادة أن يقدم الملقب إلى خزانة الخلافة الهدايا الفاخرة، والتحف النادرة لدرجة أنها أصبحت مصدر من مصادر الدخل الهامة للخزانة(٣)، فنرى أن السلطان طغرلبك لقبه الخليفة القائم بأمر الله العباس بلقب «ملك الشرق والغرب»، أرسل إلى الخليفة هدية عبارة عن خمسون ألف دينار وخمسون مملوكاً تركياً، ومعهم خيولهم وسلاحهم. كما أرسل عيد النوروز مع وزيره عميد الملك الكندرى عشرة آلاف دينار سوى ما أضيف إليها من الأعلام النفسية(٤).

وفى بعض الأحيان كان الخليفة العباسى يهدى الملقب بعض الهدايا المماثلة أو ينعم عليه بالخلع والملابس الفاخرة، ويقلده السيوف، فقد أهدى الخليفة «المقتدر بالله» «لملكشاه» عندما لقبه بلقب «جلال الدين» خلع قيمة عبارة عن سبع خلع والطوق والسوار، وأمر الخليفة «مختص الخادم» بتقليده بسيفين، كما خلع على الوزير «نظام الملك الطوسي» خلعة مطرزه بعبارة «باسم الوزير العادل الكامل نظام الملك رضى الخليفة»(٥). هذه الخلعة التى تحمل العديد من الألقاب الفخرية الممنوحة من قبل الخليفة للوزير الأول فى السلطنة السلجوقية نظام الملك فى عهد السلطان ملكشاه.

وعلى ذلك نستخلص أن الألقاب الفخرية لها أهميتها ورونقها الذى يرفع قدر صاحبها خاصة فى منطقة المشرق الإسلامى إلى درجات عالية من الرفعة والمنزلة العالية، لذا يشير الوزير نظام الملك(٦) إلى أن اللقب لابد أن يكون مناسباً لقدر الرجل وحقه، فلابد أن تكون ألقاب السلاطين والإمراء ناصر الدنيا والدين، وغياث الدنيا والدين وهذه ألقاب لائقة بهم لأن مصلحة الدين والدنيا معقودة بهم وعليهم ألقاب، أما القضاة والأئمة على نحو مجد الدين، وشرف الدين، وأما الوزراء ورجال البلاط فتكون ألقابهم «شرف الملك» و«عميد الملك» و«نظام الملك» و«كمال الملك» وأمثال ذلك.

١- تاريخ الألقاب وتطورها قبل العصر السلجوقى:

أطلق فى صدر الإسلام لقب «خليفة رسول الله» على الخليفة الأول أبى بكر الصديق، كما أطلق لقب أمير المؤمنين على الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، فأصبح هذا اللقب عام على جميع الخلفاء من بعده(٧).

ومع اقتباس العديد من مظاهر الحضارة الفارسية فإن العصر العباسى كثر فيه الألقاب العامة والخاصة، فضلاً عن ظهور ألقاب مضافة إلى الدولة وإلى الملة وإلى الدين، مما يعطى أصحابها خليط ممزوج من الحكم والدين فتسود السيطرة على شعوبهم، فلقب وزراء الخلافة بعدة ألقاب مثل أبو الحسن القاسم بن عبد الله أول من لقب «بولى الدولة»، وأبو على ابن مقلة الوزير الذى لقب «بعميد الدولة»(٨).

أما فيما يختص بالأمراء المستقلين فى المشرق وخاصة خراسان، فلم يلقب أحد منهم فى تلك الفترة المبكرة فقد أتخذ أمرائهم لقباً عاماً يطلق على جميع حكامهم وهو لقب «أمير» (٩)، وقد بدأ التلقيب منذ حكم سبكتكين الذى اتخذ لقب «ناصر الدولة»، واتخذ ابنه محمود لقب «يمين الدولة» و«أمين الملة»(١٠) ولم يتلقب أحد من آل سامان (١١) بسلطان أو شاهنشاه وهو اللقب الذى أنفرد به الوزير نظام الملك الطوسى السلجوقى (١٢) الذى أطلقه على الأمير نوح بن منصور ولكن للحقيقة التاريخية ليس هناك أى إشارات فى كتب المؤرخين تؤكد هذه المعلومة، وربما اختلط الأمر على نظام الملك فالمؤكد أن لقب «شاهنشاه» لم يمنح رسمياً من قبل الخلفاء العباسيين إلا فى حوالى سنة ٤٢٥هـ/ سنة ١٠٣٨م «لجلال الدولة البويهي» من قبل الخليفة «القائم بأمر الله»، وتلقب «عضد الدولة البويهي» بهذا اللقب دون إذن الخليفة العباسى وضربت على النقود وذلك فى حدود ٣٧٠هـ / ٩٨٠م(١٣).

وإلى جانب لقب الأمير كلقب عام على أمراء آل سامان فإن هناك ألقاب خاصة أطلقت عليهم كالأمير «العادل» إسماعيل(١٤)، والأمير «الرضا» نوح بن منصور (١٥)، والأمير «السعيد»وهو الأمير «أبو الحسن نصر»(١٦)، والأمير «الحميد»، وهو النعت الذى أطلق على الأمير نصر بن أحمد (١٧)، والأمير «السعيد» وهو الاسم الذى أطلق على الأمير منصور بن نوح(١٨)، وغيرها من النعوت الخاصة. وقد جرت العادة فى أثناء حكم آل سامان أن يلقبوا حكامهم أثناء حياتهم بلقب، فإذا ماتوا لقبوهم بغيره، فعلى سبيل المثال لقب الأمير إسماعيل «بالأمير العادل» فلما توفى لقبه الناس بالأمير «الشهيد»(١٩)، وخلع الخليفة المكتفى على الأمير أحمد بن إسماعيل بولاية خراسان(٢٠)وبعد مقتله أطلق عليه الناس لقب «الأمير الماضي»(٢١).

وفى حقيقة الأمر أن الألقاب فى الدولة السامانية لم تقتصر على الأمراء الحاكمين بل تعدى ذلك إلى الشخصيات البارزة فى الدولة، فقد منح قادة الجيوش بعدة ألقاب، فقد لقب أبو العباس تاشي الحاجب بلقب «حسام الدولة» (٢٢)، وقد لقب القائد «أبو على سيجور» بنقب أمير الأمراء «المؤيد من السماء»(٢٣)، كما منح الامير نوح السامانى هذا القائد لقب «عماد الدولة»، وذلك سنة ٣٨١هـ/ سنة ٩٩١م. عندما أسند إليه قيادة الجيوش السامانية(٢٤).

وقد منح الأمير «أبو الحارث منصور بن نوح» قائده «بكتوزون» لقب «سنان الدولة»(٢٥)، ومنح الأمير «نوح بن نصر» وزيره «أبو الفضل محمد بن أحمد السلمي» لقب «الحاكم الجليل»(٢٦).

هذا بالإضافة إلى اهتمام السامانيين بنقش أسمائهم وألقابهم على العملات الذهبية والفضية التى ضربت فى دار الضرب بعاصمتهم بخارى، والتى عرفت باسم البشرات العدلية نظراً لجودتها(٢٧)، كذا سار الغزنويون على نفس منوال ساداتهم فى هذا المضمار فنقشوا ألقابهم على عملاتهم.

ويمكن اعتبار ظهور الألقاب بصورة كبيرة فى نهاية الدولة السامانية علامة على استفحال نفوذ كبار رجال الدولة من قادة وحجاب ووزراء على حساب الأمراء أنفسهم، وليس أدل على هذا من اتخاذ القائد سبكتكين لقب تشريفى رفيع فى آخر حكم السامانيين لقب الوزير «الأجل»(٢٨)، وقد نقش هذا اللقب على مقبرته، ففى نص جنائزى من سنة ٣٩٧هـ/ نقش لقب «الوزير الأجل الحاجب أبو منصور سبكتكين أمير غزنة»(٢٩). وقد بدأ من حكم سبكتكين اتخاذ الكنية، حيث اتخذ لقب «ناصر الدولة»، ومن بعده اتخذ ابنه محمود لقب «يمين الدولة وأمين الملة» وهو اللقب الذى حصل عليه من الخليفة القادر بالله(٣٠).

وقد زاد الإهتمام بالألقاب وتنظيمها وظهور ألقاب جديدة فى العصر البويهى، فظهر لقب الشاهنشاه فى العصر البويهى(٣١)، ولقب الأمير على بن بويه بلقب «عماد الدولة»(٣٢)، ولقب الحسن بن بويه بلقب «ركن الدولة»(٣٣)، ومما يؤكد صحة وحقيقة اهتمام البويهيين بالألقاب الفخرية وإغداقها عليهم بصورة كبيرة ظهور ألقاب ذات طابع خاص مضافة إلى (الدولة) مثل «فخر الدولة» و «مؤيد الدولة»، و«تاج الدولة» وهو اللقب الذى أطلقه الخليفة «الطائع بالله» على عضد الدولة البويهى(٣٤). وغيرها من الألقاب التى أطلقت على أمرائهم، ليس هذا فحسب بل تعدى ذلك لإغداق الألقاب على وزرائهم، فقد لقب وزيرهم زالصاحب ابن عياد بلقب «كافى الكفاة»(٣٥)، ويشير البيرونى(٣٦)، إلى ذلك بقوله: أن هذه الألقاب ما هى إلا أكذوبة كبرى من أكاذيبهم الكثيرة، وأن الألقاب تعدت الوزراء فأطلقت على الشعراء، مثل الشاعر منصور بن على الرازي الذى لقب «بالمنطقي»، والشاعر أبو بكر محمد بن على السرخسي الذى لقب «بالخسروي» الذى أنشد أشعاراً باللغتين الفارسية والعربية فى الوزير البويهى الصاحب بن عباد(٣٧).

وبناء عليه فإن المؤلف البيرونى(٣٨)، يشكك فى ألقاب البويهيين ويعيب عليهم استخدام ألقاب ذات بريق ورنين ويتهم الخلفاء العباسيين بأنهم منحوا نعوت كاذبة إلى مواليهم ونسبوهم إلى الدولة. بينما يعلى من ألقاب سيده الأمير الزيارى زقابوس بن وشمكيرس، وينتهى من حديثه عن الألقاب إلى تقرير حقيقة استخلصها بنفسه بأن مولاه قابوس لم يختر لنفسه إلا لقباً بسيطاً لا يتجاوز معناه ما اتصف به من صفات عديدة رفيعة وهو «شمس المعالي»(٣٩)، وهو اللقب الذى أطلقه الخليفة الطائع بالله على هذا الأمير

الزيارى. وفى حقيقة الأمر هذا تحيز واضح من قبل هذا المؤرخ. فلو قارنا بين نفوذ وسلطان البويهيين وسعة ممتلكاتهم فى الدولة العباسية وبين الأمير قابوس وممتلكاته فى طبرستان وجرجان لأتضح الفارق الكبير، ولابد أن نشير هنا إلى أن الخليفة القادر بالله قد منح الأمير منوجهر «ابن قابوس» لقب «فلك المعالي»، وإن الخليفة المطيع بالله أنعم على الأمير بيستون بن وشمكير لقب «ظهير الدولة»(٤٠).

وقد تعددت ألقاب محمود الغزنوى فإتخذ لقب العادل، و«ظهير المسلمين»، «ملك الإسلام»، «الملك المؤيد»، «نصر الدين»، «جناح الدين»(٤١)، لذا يتضح لنا أنه كان مولعاً ولعاً شديداً بالإكثار من الألقاب حريصاً على حمل العديد منها، أما أهم الألقاب التى قيل أن محمود الغزنوى كان أول من تلقب بها من حكام المشرق الإسلامى، فهو لقب «سلطان» وهو اللقب الذى لم يتلقب به أمراء آل سامان أو آل زيار أو آل حسنوية(٤٢). وفى ذلك دلالة على أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم ولاة على الولايات أو حكاماً على الأقاليم لا تبلغ مرتبتهم مرتبة السلاطين(٤٣).

وفى حقيقة الأمر أن لقب سلطان لم يصبح لقباً عاماً إلا بعد أن تغلب بنو بويه على الخلفاء العباسيين واستأثروا بالسلطة دونهم، واتخذوا لقب السلطان سمة عامة لهم، وأن الملك أبو كاليجار البويهى- الذى دخل بغداد سنة٤٣٦هـ/١٠٤٦م نعت بلقب سلطان وبالرغم من ذلك لم يرد فى نقوشه أو على سكته هذا اللقب(٤٤). على الرغم من أن آثار محمود الغزنوى متمثلة فى نص تذكارى على برج مئذنة مسجد غزنه الجامع، نقش لقب السلطان الأعظم محمود بن سبكتكين، وربما كان هذا أقدم الأمثلة المعروفة لهذا اللقب على النقوش الأثرية(٤٥).

ومن اللافت للنظر أن نؤكد حقيقة تاريخية وهى أن لقب سلطان استخدم بصورة رسمية فى العصر السلجوقى، فقد كان طغرليك هو أول الحكام الذين تلقبوا بلقب «سلطان، وذلك عند دخوله بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، حيث منحه الخليفة القائم بأمر الله لقب «السلطان المعظم ركن الدنيا»(٤٦). ثم أصبح هذا اللقب يطلق على جميع حكام السلاجقة(٤٧).

وإذا نظرنا إلى وزراء حكام العصر الغزنوى، فإننا نرى تعدد ألقاب وزرائهم، ورجالات الدولة، فقد لقب الوزير أحمد بن حسن الميمندي بلقب «شمس الكفاءة»، ومنح وزير السلطان «مسعود» المسمى طاهر بن مشكاه لقب «ثقة الملك»(٤٨).

٢- السلاجقة وأشهر ألقابهم:

أهتم حكام السلاجقة بالحصول على الألقاب الفخرية من الخلافة العباسية، مع أسمائهم الأصلية فقد مثلت فى حياتهم السياسية مكانة عالية وشهرة كبيرة، فكانت هذه الألقاب أعظم تفاخراً مما سبقهم من حكام، وزادوا فى الطلب عليها والسعى فى الحصول عليها، فقد كان الخليفة العباسى يمنح الألقاب الدينية للسلطان السلجوقى إذا ما وافق على تفويضه السلطة والحكم على السلاجقة.

ومن الواضح أن الألقاب الممنوحة من الخلافة العباسية للسلاطين، كانت تتكون من مقطعين، المقطع الأول يشمل على لقب مضافاً إلى الدين والدنيا، مثال ركن الدين، جلال الدين، مغيث الدنيا والدين، غياث الدنيا والدين، محى الدنيا والدين، معز الدين، وهكذا. أما المقطع الثانى فكان منتسب إلى لقب الخليفة نفسه وهو أمير المؤمنين. وقد تمثل هذا الجزء من اللقب على ثلاثة نعوت، مثل يمين أمير المؤمنين، وبرهان أمير المؤمنين، وقسيم أمير المؤمنين. تلك الصيغة فى الألقاب الفخرية الدينية منحت لجميع سلاطين السلاجقة دون استثناء، وسوف أوضح ذلك فى الكلام القادم على ألقاب سلاطين السلاجقة فى إيران والعراق وكرمان.

ولابد أن نشير هنا إلى أن أمراء السلاجقة فى بداية حياتهم كانوا يتجذون بعض النعوت والمسميات التشريفية فقد كان اسم دقاق يعنى «القوس الحديد»، «وكان يطلق عليه تمر بالبع»، وسلجوق يعنى قربه ملك الترك، ولقبه «سباشي» أى قائد الجيش(٤٩)، أما بعد سنة ٤٢٨هـ/ ، وهى الفترة التى توسع فيها أمراء السلاجقة، حيث ملك جغرى بك مرو، وأصبح طغرل ملكاً على نيسابور، فقد اتخذ جغرى بك اسماً إسلامياً وهو داود(٥٠). ولقب نفسه فى الخطبة بلقب ملك الملوك، وكنى طغرل باسم أبى طالب(٥١)، ثم أطلق على نفسه لقب سلطان فكان أول سلاطينهم فى إيران(٥٢). وهذا اللقب أصبح علماً على أسمائهم فيما بعد.

وفى سنة ٤٤٧هـ/ سنة ١٠٥٦م دخل «طغرلبك» بغداد، فوضع الخليفة «القائم بأمر الله العباسي» إسمه فى خطبة الجمعة وعلى السكة فى بغداد، ولقبه بلقب السلطان «ركن الدولة طغرلبك يمين أمير المؤمنين»(٥٣)، وكثيراً ما كان يخاطب الخليفة السلطان فى مراسلاته بلقب «ركن الدين»، فعندما تمكن طغرلبك من القضاء على حركة البساسيرى، ودخل بغداد، مترجلاً أمام هودج الخليفة، فإن أمير المؤمنين قال له: اركب يا ركن الدين، وأثنى عليه ثناء جميلاً، وتبدل لقبه عند ذلك من «ركن الدولة» إلى «ركن الدين»(٥٤)، هذا بالإضافة إلى أن الخليفة «القائم» كان يخاطب «طغرلبك» بلقب «ملك المشرق والمغرب»(٥٥).

وعندما جلس السلطان «ألب أرسلان» على عرش السلطنة السلجوقية، منحه الخليفة «القائم بأمر الله» العباسي لقب السلطان المعظم «عضد الدولة» وكناه بأبى شجاع(٥٦)، كما زاد من ألقابه الفخرية بعد انتصاره على الدولة البيزنطية فى موقعة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ/ سنة ١٠٧١م، فقد ورد عليه كتاب الخليفة يحمل عدة ألقاب منها «الوالد السيد الأجل، سيد ملوك الأمم، ضياء الدين، غياث المسلمين، ظهير الإيمان، كهف الأنام، عضد الدولة القاهرة، تاج الملة الباهرة، سلطان ديار المسلمين برهان أمير المؤمنين»(٥٧). مما يدلل على أهمية «ألب أرسلان» وانتصاراته الحربية عند الخليفة حتى يلقبه بتلك الألقاب المتميزة الرفيعة المستوى.

ولما تولى «ملكشاه» عرش السلطنة مع وجود عدة أخوه أكبر منه بمساعدة الوزير «نظام الملك»، أعلنت الخطبة باسمه فى بغداد، ولقبه الخليفة بلقب «جلال الدين معز الدولة

ملكشاه، يمين أمين المؤمنين»، «الملك العادل»(٥٨)، بينما يشير البندارى(٥٩) إلى لقبه بأنه «جلال الدولة» وليس «جلال الدين معز الدنيا والدين ملكشاه قسيم أمير المؤمنين»، وقد كنى «ملكشاه» «بأبى الفتح». وقد اتخذت السيدة «تركان خاتون» زوجة ملكشاه تخلصها من لقب زوجها جلال الدين فكان يطلق عليها اسم «تركان خاتون الجلالية»(٦٠).

وعندما لقب «ملكشاه» بلقب «جلال الدولة»، خلع عليه الخليفة الخلع السبعة والطوق والسوار، وأمر الخليفة مختصاً بتقليد بسيفين(٦١)، وبعد وفاة «ملكشاه»، تمكنت زوجته «تركان خاتون» من اقناع الخليفة «المقتدر» بإعلان السلطنة لإبنها محمود الصغير، وأعلنت الخطبة باسمه فى بغداد وسائر الولايات التابعة للسلطنة، ولقبه بلقب «مغيث الدين، وناصر الدنيا والدين»(٦٢). ولما توفى السلطان محمود أعلن قادة الجيش أخاه «بركيارق» سلطاناً، فخطب له على المنابر باسمه إلى جانب اسم الخليفة المستظهر بالله العباسى، ولقب «بركن الدنيا والدين بركيارق يمين أمير المؤمنين»(٦٣)، بينما يشير البندارى(٦٣) على أنه برهان أمير المؤمنين، وكنى بأبى المظفر.

وعندما تمكن السلطان «محمد بن ملكشاه» من إنزال الهزيمة «بملكشاه بن بركيارق» وأمراء بركيارق صدقة وأياز، الذين رغبوا فى تولى ملكشاه، وقبض عليه وأودعه السجن، توجه السلطان «محمد» إلى بغداد، فأكرمه الخليفة «المستظهر بالله»، ولقبه السلطان «غياث الدين محمد قسيم أمير المؤمنين»، وكنيته «أبو شجاع»(٦٥).

ولما تولى «محمود بن محمد بن ملكشاه»، لقبه الخليفة «المسترشد بالله» بلقب «مغيث الدنيا والدين أبو القاسم يمين أمير المؤمنين»(٦٦)، كما لقب «أرسلان بن طغرل» بلقب السلطان «ركن الدنيا والدين أرسلان بن طغرل قسيم أمير المؤمنين»(٦٧).

ولما أعلن سنجر سلطاناً للسلاجقة وذلك بعد أن حكم خراسان لمدة عشرين عاماً والياً عليها، وكان فى تلك الفترة تلقب بلقب «ملك»، ثم أطلق عليه لقب «ناصر الدين»، ولما مات السلطان محمد أطلق سنجر على نفسه لقب سلطان، وذلك سنة ٥١١هـ/ سنة ١١١٨م، قام الخليفة المسترشد بالأمر بذكر اسمه فى خطبة الجمعة، واتخذ لنفسه لقبى والده «ملكشاه» وهما «معز الدنيا والدين» فصارت ألقابه كالتالى، «السلطان الأعظم معز الدنيا والدين سنجر بن ملكشاه برهان أمير المؤمنين»، وكنى «أبو الحارث معز الدين أحمد»، وقد زاد القزوينى (٦٨)، فى ألقابه بقوله: «سلطان سلاطين الدنيا، السلطان الأعظم معز الدين سنجر»، هذا إلى جانب اتخاذه لقب يدل على نوعية حكمه وإتصافها بالإنصاف والعدل فقد أطلق عليه لقب السلطان «العادل»، وكان توقيعه «اعتصمت بالله» (٦٩).

أما عن سلاجقة العراق فكان أول من تولى السلطنة منهم السلطان «محمود بن محمد بن ملكشاه»، الذى لقبه الخليفة «المسترشد» بالسلطان «مغيث الدين محمود يمين أمير المؤمنين»(٧٠).

ولما تولى عرش سلطنة العراق «طغرل بن محمد»، الذى تولى بعد وفاة أخيه وبمساندة عمه وذلك فى شوال ٥٢٩هـ/ ١١٣١م، والذى دارت فى عهدة معركة بينه وبين أخيه الأكبر «مسعود بن محمد» لقبه الخليفة المسترشد بالسلطان «ركن الدين طغرل يمين أمير المؤمنين»(٧١)، بينما يشير الراوندى(٧٢) أن لقبه كان السلطان «المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب طغرل بن محمد يمين أمير المؤمنين»، وقد وقعت بينه وبين أخيه الأكبر مسعود حروب، لم يتم لأى منهما الظفر أو الهزيمة، ولهذا عزل طغرل وتولى بدلاً منه مسعود السلطنة فى العراق، ولقبه الفخرى السلطان «المعظم غياث الدنيا والدين مسعود قسيم أمير المؤمنين»، وكنيته «أبو الفتح»(٧٣)، وفى سنة ٥٥٦هـ/ سنة ١١٦١م تولى سلطنة العراق «سليمانشاه بن محمد»، فلقبه الخليفة الراشد عند جلوسه على السلطنة بلقب السلطان «معز الدين سليمانشاه برهان أمير المؤمنين»، هذا إلى جانب تلقيبه بلقب «الملك المستجير». أما عن قصة تلقيبه بالملك المستجير فهى أنه فى سلطنة «محمد بن محمود» سادس سلاطين سلاجقة العراق، كان سليما نشاه حبيس قلعة قزوين، وتمكن بعد فترة من الفرار بمساعدة «فخر الدين زنكي» وألب أرغون البازدار ويوسف خوارزمشاه شقيق سليمانشاه من أمه، ولم يستطع السلطان محمد التصدى لهم فتوجه إلى أصفهان، لذا أتفق الأمراء على تولية سليمانشاه مكانه، ولكن سليمانشاه خشى على نفسه من هؤلاء الأمراء وقوتهم، ففر بالليل إلى مازندران، ومن بعدها التجأ إلى الخليفة العباسى، الذى أمده بالعدة والعتاد، ولقبه بلقب «الملك المستجير»(٧٤).

أما شعبة سلاطين كرمان التى تبدأ بقاورد بن جغرى بك، والتى تبدأ دولته عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥١م فقد أتصف قاورد بالشجاعة والعدل ولقب «بعماد الدولة»، وكان نقش خاتمه هو قره أرسلان، ولقبه الخليفة العباسى بلقب «ركن الدنيا والدين عماد الإسلام والمسلمين قاورد بن جغرى بيك»(٧٥)، وقد استمر قاورد فى حكم كرمان حتى سنة ٤٦٥هـ/ سنة ١٠٦٣م.

ومن حكام كرمان «سلطانشاه بن قاورد» الذى حكم لمدة عشر سنوات وأطلق عليه لقب «ركن الدين سلطانشاه بن قاورد، وتلقب الملك «تورانشاه» الذى تولى الحكم فى شهر رمضان سنة ٤٧٧هـ/ سنة ١٠٨٤م بلقب «الملك العادل محى الدين عماد الدولة تورانشاه»(٧٦).

وقد سار باقى حكام السلاجقة فى كرمان على نفس النهج فى المطالبة بالألقاب الفخرية من الخلافة العباسية، وكانوا يتمسكون بذكر أسمائهم فى خطبة الجمعة على منابر عاصمتهم ونقش أسمائهم على السكة إلى جانب اسم الخليفة العباسى القائم على الحكم، فقد لقب أرسلانشاه بلقب «محى الإسلام والمسلمين»، وهو الذى حكم اثنين وأربعين عاماً وجلس على العرش فى المحرم سنة ٤٩٥هـ/ سنة ١١٠١م، وتوفى سنة ٥٣٦هـ/ سنة ١١٤٢م، وتلقب ابنه «إيرانشاه» بلقب بهاء الدين»، وقد خرج عليه أهل كرمان وقتلوه(٧٧).

أما ابنه «محمد» الذى تولى الحكم فى كرمان خلفاً عنه فقد لقب «بمغيث الدنيا والدين محمد»واتصف بالعدل وبعد النظر وحب العلم والعلماء. كما تلقب ولده طغرلشاه بلقب «الملك محى الدنيا والدين»، وهو الذى حكم كرمان وعمان وفارس فى سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م(٧٨).

أما عن سلاجقة الروم فقد اتخذوا لأنفسهم لقب عام وهو «سلاطين الروم»، أما الألقاب التشريفية والدينية فإن ابن البيبى ذكر العديد منها مصاحبة لأسمائهم، فقد لقب أرسلان بن مسعود الذى تولى العرش لمدة عشرين عاماً «بعز الدين»، أما ابنه المسمى «كيخسرو» فقد اتخذ لقب «غياث الدين»، وهو الذى حكم ما بين ٥٧٨: ٥٩٨هـ/ ١١٨٣ : ١٢٠٢م، كما أطلق على «سليمان بن قليج أرسلان» لقب «السلطان القاهر ركن الدين سليمان»(٧٩).

كما لقب قليج أرسلان بن سليمان بلقب «عز الدين» وهو الذى تولى سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م، وجلس على العرش طفلاً صغيراً، واستمر فى السلطنة عاماً ونصف عام فقط(٨٠). كما لقب «كيخسرو بن كيقباد»، الذى تولى السلطنة سنة ٦٦٤هـ إلى ٦٨٢هـ/ ١٢٦٦: ١٢٨٤م، بلقب «غياث الدين»(٨١).

وفى حقيقة الأمر، فإننا نجد أن الألقاب الفخرية الرسمية التى تقلدها سلاطين السلاجقة كانت ألقاب ذات رنين وبريق ومتميزة بصورة واضحة فإلى جانب لقب السلطان والشاهنشاه، والذى دخل فى الإسلام كلقب فخرى فى الدولة العباسية منذ عهد عضد الدولة البويهى(٨٢)، وربما يرجع ذلك إلى أن التلقيب بلقب شاهنشاه كان نتيجة لإعتراض رجال الدين وفقهاء الشرعية من أهل السنة على إطلاق المرادف العربى لمعنى اللقب وهو ملك الملوك. ثم تلقب به سلاطين السلاجقة، الذين حرصوا على أن تكون الألقاب الممنوحة لهم تعبر عن دورهم فى الحفاظ على الإسلام متمشية مع روح المذهب السنى، مع اهتمامهم بالنعوت التشريفية اهتماماً يفوق الوصف، واعتزازهم بها بشدة، وتفاخرهم فى جميع المناسبات بتلك الألقاب دليلاً على ذلك.

٣- الوزراء والألقاب:

لم تقتصر الألقاب الفخرية والنعوت التشريفية والدينية على حكام السلاجقة، بل تعدتها إلى كبار رجال الدولة من وزراء ومستوفين وغيرهم من رجال البلاط.

ولابد أن نشير فى بداية حديثنا عن الوزراء والألقاب إلى أن الوزراء فى تلك الفترة التاريخية كانوا نوعين، فكان هناك وزير للخليفة القائم على الحكم، بالإضافة إلى وزير السلطان الذى توكل إليه المهام الإدارية فى السلطنة، وقد حرص الخلفاء والسلاطين على منح وزرائهم ألقاباً تشريفية، نظراً للخدمات الجليلة التى يقدموها للدولة. وقد كانت تلك الألقاب مضافة إلى الدين «كجلال الدين» و«معين الدين» بالنسبة لوزراء الخلافة، أما وزراء السلطنة فكانت ألقابهم تشمل على الملك، «كعميد الملك» الكندرى و«نظام الملك»، و«فخر الملك» وغيرها. هذا إلى جانب إتخاذ الوزراء لقب عام هو «الصدور»، أى الصدر الأعظم، ولقب فارسى عام أيضا هو خواجة برزك(٨٣).

وهناك منشور للوزارة صادر بشأن الصاحب «مجد الدين نصر»، وهو من إنشاء شرف الدين، الذى تولى الوزارة فى عصر سنجر جاء فيه مجموعة مميزة من الألقاب وهى:

«الصاحب الأجل المؤيد المنصور المظفر مجد الدولة والدين، صدر الإسلام والمسلمين، نظام الملوك والسلاطين، قوام الملك والأمة، تاج الممالك والملة، صفى الإمام ومجد الأنام، سيد الوزراء فى العالمين الخواجة العظيم السباق إلى البركات نصر الدين الصاحب المؤيد أمير المؤمنين أدام الله تمكينه(٨٤)».

لقد ترتب على وجود وزيرين فى الدولة العباسية حدوث احتكاك بينهما، فكان وزير السلطان أكثر نفوذاً وسلطة من وزير الخليفة لأنه كان يستمد نفوذه من قوة السلطان السلجوقى صاحب النفوذ الفعلى، أما بالنسبة لألقاب وزراء الخلافة العباسية فى العهد السلجوقى، فقد لقب الوزير أبو تراب الأثيرى الذى أختاره الخليفة «القائم بأمر الله» لمنصب الوزارة بلقب «حاجب الحجاب عز الأمة»(٨٥).

ولما عين «أبو نصر محمد بن محمد بن جهير» فى خلافة «القائم بأمر الله»، لقبه الخليفة بلقب «فخر الدولة» وقد تلقب بأكثر من لقب مثل «عميد الدولة» ، «شرف الدولة» واستمر فى هذاالمنصب حتى صفر سنة ٤٧٦هـ/ سنة ١٠٨٣م، عندما تدخل الوزير «مؤيد الملك»السلجوقى فى المطالبة بعزله متهماً إياه بالتدخل فى الفتنة فى بغداد بين طائفة الحنابلة، وطائفة الشافعية(٨٦) على الرغم من أن وزير الخليفة كان قد أمر بقرع الطبول أمام منزل الوزير السلجوقى فى كل وقت صلاة.

وفى خلافة «المقتدى بأمر الله» عين فى الوزارة ببغداد «محمد بن الحسين الروذراوري» ولقب بلقب «أبى شجاع عضد الدولة»، وكان نائباً عن أبيه الوزير «الحسين بن محمد بن الحسين» المقيم فى أصفهان(٨٧).

وقد منح الوزير «أبو على الحسن بن على بن صدقة» فى خلافة «المسترشد»، عدة ألقاب منها «جلال الدين سيد الوزراء، صدر الشرق والغرب، صفى أمير المؤمنين»، وقيل «جلال الدين صدر الوزراء، صفى أمير المؤمنين» ، هذا فضلاً عن لقبه الدينى «عميد الدولة»(٨٨).

كذلك توزر الخليفة «المسترشد» «أنو شروان بن خالد» الملقب «بشرف الدين» فترة من الوقت، ثم عند حضور السلطان مسعود إلى بغداد، خرج معه الوزير، فصار شرف الدين وزيراً للسلطان السلجوقى، وحل محله فى وزارة الخلافة نقيب النقباء «أبو القاسم على بن طراد الزيني» وذلك سنة ٥٢٧هـ/ سنة ١١٣٢م (٨٩)، وقد استمر ابن طراد الزينى فى الوزارة فى خلافة «المقتفى لأمر الله»، فلقبه الخليفة بعدة ألقاب هى «عون الدين»، «وسلطان العراق» ثم «ملك الجيوش» وذلك تقديراً لجهوده التى بذلها الوزير فى قيادة جيش الخلافة ضد أمراء السلاجقة الذين هاجموا بغداد عقب وفاة السلطان «مسعود» السلجوقى. هذا فضلاً عن عدة ألقاب أخرى كانت بمثابة تميز وتقدير لهذا الوزير منها: «شرف الأنام»، «معز الدولة»، «مجير الملة»، «سيد الوزراء»، «ظهير أمير المؤمنين»(٩٠).

وفى سنة ٥٦٣هـ/ سنة ١١٦٧م فى خلافة «المستنجد بالله» تولى الوزارة «أبو جعفر محمد بن أبى الفتحس فلقبه الخليفة عدة ألقاب منها «شرف الدين»، جلال الإسلام، معز الدولة، «سيد الوزراء»، «صدر الشرق والغرب» (٩١).

أما بالنسبة لوزراء السلطنة السلجوقية فيأتى فى مقدمتهم «أبو نصر الكندي» المعروف بالفراسة والذكاء، والملقب «بعميد الملك»، وقد بدأ حياته كاتباً فى الديوان، وبرع فى الاستيفاء حتى وزر لكل من طغرلبك وألب أرسلان(٩٢). وقد اشترك هذا الوزير فى حصار أصفهان فى بداية عهد «طغرلبك»، وجمع من أهلها مبلغاً كبيراً من المال يقدر بمائة ألف دنيار، حملها إلى خزانة السلطان، لذا نعته السلطان بلقب «الأمين». وقد تدخل «نظام الملك الطوسي» فى إقصائه عن منصبه وقتله وذلك سنة ٤٥٦هـ/ سنة ١٠٦٣م(٩٣).

ويعتبر «أبو على حسن بن على بن اسحاق الطوسى» أشهر وزراء السلاجقة قاطبة، ولقبه الفخرى هو «السيد الكبير سيد الوزراء صدر الإسلام قوام الدين، نظام الملك غياث الدولة»، وقد عرف فى التاريخ بنظام الملك. وهو أول وزير ترد كلمة «الملك» فى ألقابه فقد لقب بـ «قوام الملك»، ويبدو من أشعار المعزى أنه أطلق عليه لقب «قوام الدين نظام الملك» أو «قوام الملك نظام الدين» ، ولما كان اللقب الأول قد غلب على اسمه فقد اشتهر به أكثر من سواه، يمدحه الشاعر المعزى بقوله:

غياث دولة السلطان قـوام دين الرسـول
نظام مـلك الدنـيا سيـد أولى الألبـاب
قـوام الديـن رضـى المقتدى أتابك الشاه
كما يملأ عدل رضى الخليفة الآفـاق

ومن مدائح المعزى نستنتج أن من ضمن ألقابه «رضى أمير المؤمنين»، وبذلك تكون ألقابه: الوزير العاقل العالم العادل نظام الملك رضى أميرالمؤمنين(٩٤)، وقد أشار خواندمير(٩٥) إلى أن نظام الملك لقب «بتاج الحضرتين»، نظراً لكونه جمع بين وزارة السلطان «ألب أرسلان» ووزارة السلطان «ملكشاه»، وكان فى يده وزارة التنفيذ والتفويض لمدة ثلاثين عاماً وكانت علامته «الحمد لله على نعمه».

وقد تولى الوزارة فى عهد السلطان بركيارق بن ملكشاه عدد من الوزراء الأكفاء معظمهم من بيت نظام الملك، منهم «أبو عبد الله حسين بن نظام الملك» الملقب «بعز الملك» الذى رحل مع السلطان إلى بغداد سنة ٤٨٦هـ/ سنة ١٠٩٣م فى عهد «المقتدى العباسى»، وفى قصيدة للشاعر المعزى يمدح فيها الوزير يطلق عليه لقب الأمير «معز الدين» بدلاً من «عز الملك» (٩٦).

وقد اشتهر فى عهد السلطان بركيارق بن ملكشاه الوزير «أبو بكر عبيد الله بن نظام الملك»، الملقب «بمؤيد الملك» الذى خلع عليه السلطان خلعة تامة للوزارة، ولم يكن سن أولاد نظام الملك أكفى منه فى النظم والنثر، وعلامته «الحمد لله على النعم»(٩٧)، ولما عزل «مؤيد الملك» من الوزارة، منحها بركيارق إلى أخيه «فخر الملك».

ومن الوزراء المشهورين فى عهد السلاجقة الوزير «أحمد بن نظام الملك»، الذى كان يلقب قبل اعتلاء الوزارة بلقب «ضياء الملك»، فلما استوزره السلطان «محمد بن ملكشاه» فى سنة ٥٠٠هـ/ سنة ١١٠٦م منحه عدة ألقاب منها «قوام الدين، نظام الملك، صدر الإسلام(٩٨)» ، وقد اشتهر بلقب «نظام الملك الثاني».

وقد اختار السلطان «محمد سعد بن محمد» الأبى الملقب بسعد الملك والمكنى بأبى المحاسن، وكانت علامته «الحمد لله على نعمه»، وهو الذى أتهم بالتعاون مع الإسماعيلية وزعيمهم «أحمد بن عطاش»، لذا أمر السلطان بقتله هو أو تباعه(٩٩)، وتولى الوزارة من بعده «أبى منصور محمد بن حسين المبيدي» الملقب «بخطير الملك»، ولقد استمر فى الوزارة لمدة سبع سنوات، ثم تنازل عن الوزارة وتولى رئاسة ديوان الطغراء فى وزارة «ربيب الدولة»، ثم أعيد للوزارة مرة أخرى ولكن فى بلاط سلجوقشاه فى فارس (١٠٠).

وهناك عدداً من الوزراء كانوا يلقبون بعده ألقاب منها ما هو قبل جلوسهم على دست الوزارة ومنها ما كانوا يمنحوته بعد التنصيب، فهناك الوزير «أبو المحاسن سعد بن محمد آبي» الذى كان يلقب «بنصير الدين»، فلما تولى الوزارة لقبه السلطان «محمد» بلقب «سعد الملك»، واستمر وزيرا من سنة ٤٩٨ وحتى سنة ٥٠٠هـ/ سنة ١١٠٤ حتى سنة ١١٠٦م، وقد شارك هذا الوزير فى عدة معارك إلى جانب السلطان ضد الإسماعيلية فى قلعة ألموت، وتمكن من فتح قلعة خان لنجان، وقتل أحمد بن عطاش(١٠١).

كذلك كان يلقب «أحمد بن نظام الملك» قبل توليه الوزارة بلقب «ضياء الدين»، ثم لقب «بنظام الملك الثاني»، فأصبح لقبه «قوام الدين صدر الإسلام الخواجة الكبير ضياء الملك نظام الملك أحمد بن نظام الملك»(١٠٢).

ومن أشهر وزراء السلطان «مسعود بن محمد بن ملكشاه» الوزير «ابن دارست الفارسي» الذى لقب قبل دخوله الوزارة «بتاج الدين»، ثم أطلق عليه لقب «شمس الدين»(١٠٣).

أما وزراء السلطان «سنجر» فيأتى فى مقدمتهم الوزير «أبو طاهر بن سعد الدين بن على القمر»، الملقب «بشرف الدين» الذى كان حاكماً على مدينة مرو، ثم لقب «بوجيه الملك» بعد توليه دست الوزارة(١٠٤). والوزير «تغاربيك محمد بن سليمان الكاشغري»، الذى شمله السلطان «سنجر» بعطفة ورعايته بسبب معرفته باللغة التركية، ولقد أمر السلطان بقرع الطبول أمام منزله تكريماً له ولقبه بلقب «نظام الدين»، واستمرت وزارته أكثر من عامين(١٠٥).

ولقد وزر«أبو المحاسن نظام الملك بن عبد الرازق بن عبد الله» للسلطان سنجر ، وأطلق عليه لقب «شمس الدين قوام الدين» ، ثم زاد عليه لقب «شهاب الإسلام» ، وقد نظم المعزى قصيدة فى مدحه جاء فيها:

ما دام صدر الزمان قد نال من الملك الوزارة

فتهانى للوزارة بصدر الزمان

صاحب الدنيا قوام الدين نظام المملكة

سيد الوزراء وملكهم، ووزير ملك الزمان(١٠٧).

وهناك وزير آخر «لسنجر» هو «أبو نصر بن أحمد الكاشي» ، الذى لقبه «بمعين الدين» ، ذلك الوزير كان مقرباً من الخواتين والأمراء كثير الهدايا لهم، وقد أنعم عليه السلطان بدواه ذهبية وطبل وعلم، وقد أمر «معين الدين» ببناء المدارس والخوانق والأربطة والمؤسسات الخيرية فى جميع الأقطار(١٠٧).

أما الوزير «أبو القاسم بن حسن الدركزيني» ، المعروف بالكرم فقد أسند إليه السلطان «سنجر» الوزارة ولقبه بالوزير قوام الدين (١٠٨)، ولقبه من الخلافة «عماد الدولة» ، وقد أتخذ له نائباً فى الوزارة هو «عبد العزيز بن حامد» الملقب «بظهير الدين». ومجمل ألقاب الدركزينى هى «قوام الدين» و«زين الدين» و «زين الملك» و«عماد الدولة» و «ظهير الدين» ، ومن أجل هذه الألقاب كان هناك العديد من الصراعات على السلطة ومع العديد من الأمراء من أجل الحصول عليها(١٠٩).

ومما تجدر الإشارة إليه أن سلاجقة كرمان منحوا وزرائهم ألقاب ومسميات تشريفية فقد أطلق على وزير الملك قاورد بن ألب أرسلان لقب «ناصر الدين» وهو مكرم أبى العلا(١١٠) ، كما أطلق على ابنه عند توليه الوزارة وهو الوزير ناصر الدين أبو عبد الله مكرم بن العلاء لقب «مجير الدولة» ، وذلك فى فترة حكم «إيرانشاه» (٤٩٠هـ/ سنة ١٠٩٦م) ولقبه الشاعر المعزى فى أشعاره بذلك اللقب:

صاحب الجاه مجير الدولة وصدر الكفاة، صاحب الجاه «مجير الدولة» ، وصدر الكفاة «ناصر الدين» تابع كسرى ، فاتح الدنيا وبطل الزمان (١١١).

وكان وزير «طغرلشاه بن محمد» فى سنة ٥٥١هـ/ سنة ١١٥٦م هو الوزير «ضياء الدين أبو المفاخر» ، كمااشتهر الوزير «ناصر بن على الدركزيني» من وزراء سلاجقة العراق وذلك فى عهد سلطنة «داود بن محمود» ، وخاصة أنه مهد قواعد السلطنة لإبن السلطان داود(١١٣) ، ولقد تلقب الوزير «معين الدين بروانه كاش» وزير السلطان «ركن الدين سليمانشاه بن كيخسرو» من سلاجقة الروم بلقب بروانه وهو لقب كرئيس وزراء(١١٤).

٤- ألقاب المستوفى فى العصر السلجوقى:

اهتم كبار رجال الدولة السلجوقية بالحصول على الألقاب التشريفية، وحرصوا كل الحرص على اتباع حكامهم فى الحرص على النعوت والمسميات، خاصة تلك التى تصدر من السلاطين السلاجقة أنفسهم، فلم تتعد تلك الألقاب أن يطلق عليها نعوت شرفية، ومن هؤلاء موظفى الوظائف الإدارية والمالية فى الدولة، وعلى رأسهم وظيفة الاستيفاء وصاحبها يسمى المستوفى(١١٥)، وهو يلى فى المرتبة الوزير فى الدواوين الحكومية.

وأول ما يطالعنا من ألقاب المستوفين لقب «الأجل الأوحد»، وهو اللقب الذى أصبح من الألقاب الخاصة بعمال الديوان، وقد ذكر ذلك فى منشور استيفاء الممالك المحروسة الصادر باسم نظام كيخسرو بتاريخ شوال سنة ٥٦٣هـ/ سنة ١١٦٧م، حيث أشار إلى «الأجل الأوحد نظام الدين كيخسرو بن مجد الدين ورضى أمير المؤمنين أدام الله تأييده هو أوحد زمانه(١١٦)»، وهذا يدل على مدى تمسك المستوفين فى ألقابهم بالانتماء إلى أمير المؤمنين.

ومن أشهر المستوفين الذى لقبوا بألقاب شرفية أبى سعد محمد ابن منصور الخوارزمي، الذى تولى منصب رئاسة الاستيفاء لكل من السلطان طغرلبك وألب أرسلان، فقد لقب «بشرف الملك»، وكان أبو سعد فاحش الثراء، وشيد مدرسة فى بغداد لأصحاب المذهب الحنفى(١١٧)، وقد أرسل من قبل السلطان أرسلان إلى بغداد لمقابلة الخليفة المقتدر بالله وتقديم الهدايا النفيسة له، وذلك فى صفر ٤٥٩هـ/ سنة ١٠٦٦م، وكانت الهدية عبارة عن مصحف نفيس وياقوته حمراء، ورسالة خاصة من السلطان(١١٨). وقد عرف شرف الملك قبل تولية رئاسة ديوان الاستيفاء بلقب «عماد الدين»(١١٩).

ولقد كان شرف الملك من ممدوح أمير الشعراء المعزى، وذلك فى قصيدة تبين بعض ألقابه فيها «عماد الدين» «شرف الملك» الذى يفضل شمائله(١٢٠).

ممن تولى ديوان الاستيفاء فى عهد السلطان ملكشاه شمس الدين أبو الفضل أسعد بن محمد بن موسي الملقب «بمجد الملك القمي»، الذى كان يعمل فى بداية حياته نائباً فى ديوان الاستيفاء تحت أمره شرف الملك، ثم أرتفعت مكانته بعد أن ترك شرف الملك رئاسة الديوان فحل محله مجد الملك. كما كان أبو الغنائم المرزبان بن خسرو مستوفياً فى عهد ملكشاه ولقب «بتاج الملك»، وهو الذى بنى مدرسة بباب أبرز ببغداد سنة ٤٨٥هـ/ سنة ١٠٩٢م، أطلق عليها اسم المدرسة التاجية نسبة إلى لقبه(١٢١). ومن المهم أن أشير هنا إلى أن هذا المستوفى كان مقرباً من السيدة تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وعمل لديها فى الإشراف على ممتلكاتها، وقد عين فى بداية حياته فى خزائن السلطان والإشراف على دور الحريم السلطانى ثم مشرفاً على إدارة أراضى وضياع الخاتونية(١٢٢).

وفى عهد السلطان محمد بن ملكشاه تولى رئاسة الاستيفاء شمس الدين أبو سعد هندو بن محمد بن هندو القمي الملقب «زين الملك»، وقد انتهت رئاسته لديوان الاستيفاء بالقبض عليه

وعزلة وسجنه(١٢٣). كذلك عين أحمد بن حامد مستوفياً فى عهد السلطان محمد وقد لقب «بعزيز الدين» وكنى «بأبى نصر»، ومن أهم أعماله تشيد بيمارستان منتقل يشمل على الآلات الطبية والأدوات والخيم والأطباء المرافقين، وخصص هذا البيمارستان لجند السلطان وقواده(١٢٤).

كما شيد أبو نصر بن أحمد الكاشى الملقب «بمعين الدين نصير الدولة» مستوفى السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه عدة مدارس وأربطة ومؤسسات خيرية فى عدة أقطار، أوقف عليها القرى التى اشتراها من ماله الخاص(١٢٥).

واشتهر أبو نصر بن حامد بن محمد بن عبد الله الملقب «بعزيز الدين» المستوفى فى سلطنة محمود بن محمد، بعلو الهمة والميل إلى العلم، وتوفى سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م(١٢٦)، ومن أهم أعماله الخيرية بناء مكتباً للأيتام وأوقف أوقافاً عليه من ماله الخاص، وذلك فى محلة العتابين ببغداد، وكفل الأيتام بها على نفقة، وعلامته «أحمد الله على نعمه»(١٢٧)، كذلك ارتفع شأن مستوفى آخر فى عهد محمود بن محمد وهو أبو منصور اليزدي الملقب «بخطير الملك»، الذى قيل أنه مكث فى الدواوين وأعمالها ما يقرب من خمسة وأربعون عاماً ما بين ديوان الرسائل والإشراف والإستيفاء(١٢٨)، كذلك كان المستوفى محمد بن على الخازن الأزدي الملقب «بكمال الدين» فى عهد السلطان مسعود يتصف بالكفاءة والشجاعة والعدل(١٢٩). كما ذاعت شهره محمد بن عبد الكريم الأنباري المستوفى الملقب «بسديد الدولة» فى أعمال المال وشئون الاستيفاء(١٣٠).

٥- صاحب الطغراء والألقاب:

الطغرائى(١٣١) هو رئيس ديوان الإنشاء والطغراء، ويعتبر أبو الرضا فضل الله بن محمد الملقب «بكمال الدولة»، وإبنه أبو المحاسن معين الملك محمد الملقب «بسيد الرؤساء» من أهم الشخصيات التى تولت رئاسة ديوان الطغراء فقد كانوا من رجال الشعر والأدب والبلاغة، وكان سيد الرؤساء أبو المحاسن ينوب عن أبيه فى ديوان الرسائل، وهو من الكتبة المهرة ومن ندماء السلطان ملكشاه المقربين، الذى كان يأنس إليه السلطان كثيراً، وقد بلغت مرتبته لدى السلطان إلى درجة عالية، فى إحدى المرات كتب إليه يستبطئه بخط يده بيتاً باللغة الفارسية معناه: إنك لا تتأثر بالغيبة عنى فإنك تجد من تأنس به غيرى وأنا أتأثر بغيبتك فإنى لا أجد الأنسى بغيرك(١٣٢)، ولقد انتهت حياتهما بطريقة مفجعة حيث أمر السلطان بسمل عينى سيد الرؤساء وعزل كمال الدولة والده، ومن ثم أسند السلطان ملكشاه إلى شهاب الدين أبى بكر عبيد الله بن نظام الملك منصب رئاسة ديوان الرسائل ولقبه «بمؤيد الملك»، وعلى ذلك أختار مؤيد الملك أبا إسماعيل الطغرائي نائباً عنه فى الديوان، وهو الملقب «بصفى الدولة والملك».

ويبدو من أشعار المعزى أن سيد الرؤساء كان يتخذ لقباً حكومياً آخر وهو «مجد الدولة». فقد كان المعزى مرتبطاً بسيد الرؤساء ارتباطاً وثيقاً، فهو الذى قدمه

للسلطان، فمنحه لقب إماره الشعر «أمير الشعراء» ، وأنعم عليه بالخلع والانعامات السلطانية(١٣٣).

كما كان أسعد بن محمد – معلم السلطان سنجر- رئيساً لديوان الطغراء، صاحب الخط المميز (١٣٤)، وقد أختير أبو جعفر محمد بن أحمد مختار الزوزني رئيساً لديوان الطغراء والإنشاء بعد مؤيد الملك، ولقبه السلطان «بكمال الملك» الأديب مختار ، وقد اتخذ لنفسه نائباً عنه هو على بن حسين الأردستاني الملقب «بكيا مجير الدولة» والمكنى بأبى الفتح(١٣٥).

وفى حقيقة الأمر فإن السلطان ملكشاه قد أسند رياسة ديوان الرسائل والطغراء قبل مصرعه إلى جمال الدين مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازي، ولقبه هو «تاج الملك» وكنيته «أبو الغنائم» ، الذى تعلم آداب الكتابه عن والده، والتحق تاج الملك فى بداية حياته بخدمة القائد «قطب الدين ساوتكين» الملقب «بعماد الدولة» فى كرمان وفارس. وكان تاج الملك من ممدوحى كبار الشعراء فى عصرة، فقد مدحه الشاعر المعزي فى أربع قصائد يمكننا أن نقف منها على ألقابه، إذ جاء فيها.

فيفعل ما يفعله قلم تاج الملك .. الملك العادل

صدر الدنيا أبى الغنائم الذى بفضل سعادات الفلك

تتجه إلى أعتابه غنائم الفتوح والظفر المتكامل

ويبدو أن لقب «تاج الملك» مأخوذ من لقب أحد أبناء السلطان ملكشاه، وهو أبو شجاع أحمد الملقب «بملك الملوك، عضد الدولة، تاج الله، عدة أمير المؤمنين»، وهو الذى اختاره السلطان ليكون ولياً للعهد، ولقبه الخليفة المقتدى بالله العباسي بهذا اللقب، ولكنه توفى فى حياة والده سنة ٤٨١هـ/ سنة ١٠٨٨م. ويغلب على الأمر أن يكون تاج الملك كان موكلاً بأمره(١٣٦).

أما عن أشهر الكتاب فى ديوان الرسائل والطغراء الذين حصلوا من السلاطين السلاجقة على نعوت تشريفية فمنهم أبو سعد محمد الملقب «بأمين الدين الكاتب»، الذى صار كاتباً لخزانة السلطان محمد بن ملكشاه(١٣٧)، وكان للسلطان «سنجر» عبد اسمه قايماز لقبه بكبج كلاه أى «صاحب القلم المعوجة»، وكان السلطان يجله ويقدره، هذا إلى جانب منتجب الدين على بن أحمد الكاتب المعروف «ببديع الجويني» الملقب «بمؤيد الملك» و«منتخب الدين»، وهو صاحب مجموعة منشآت باسم عتبه الكتبة(١٣٨). ولابد أن أشير هنا إلى أن تلك الألقاب السابقة التى تمتع بها أصحاب الدواوين والكتاب المشهورين لم تكن كلها ألقاب فخرية ودينية، صدرت عن دار الخلافة العباسية فى بغداد وأقرها الخليفة، وأنما كانت معظمها نعوت ومسميات تشريفية يصدرها السلاطين للرفع من قيمة أصحاب دواوينهم وكتابهم المهرة، ولتعلى تلك الألقاب من قيمة الملقب وتزيد من مكانته بين موظفى الدولة والبلاط

السلطانى وكثيراً ما كان هؤلاء الكتاب شعراء ينشدون الأشعار فى المناسبات كما فعل فريد الدين الكاتب فى عهد سنجر(١٣٩) عندما خرجت من يده بلاد ما وراء النهر ووقعت فى يد جيوش الخطائين(١٤٠)، وقد عمل مؤيد الدين مزربان كاتباً فى عهد السلطان سنجر وارتفعت مكانته حتى وصل إلى منصب الوزارة وذلك بعد عزل الوزير عز الملك(١٤١).

٦- قادة الجيوش والالقاب:

يطلق على رئيس ديوان الجند اسم العارض، وقد اتخذ أغلب قادة الجيوش نعوت تشريفية من قبل السلاطين السلاجقة، فعل سبيل المثال كان رئيس ديوان العرض فى عهد السلطان طغرلبك يلقب «بخمارتكين الطغرائي» الذى تقدم إلى الكوفة فى نحو ألفى فارس لمنع البساسيرى من الإتجاه إلى الشام(١٤٢).

وفى عهد ملكشاه كان القائد العام على الجيوش السلطانية هو قطب الدين سادتكين، وهو الذى أطلق عليه السلطان لقب «عماد الدولة»، واختاره لحكم البلاد التى تحت إمرة عمه قاورد مثل فارس وكرمان، كذلك تولى أبو المعالى عضد الدين مفضل بن عبد الرازق بن عمر ديوان العرض فى عهد ملكشاه، الذى لقبه «بسديد الملك»، وقد ساند هذا القائد تاج الملك أبو الغنائم الشيرازي فى صراعه ضد الوزير نظام الملك الطوسى.

وعندما عزل الوزير سعد الملك الآبى أبا المفاخر القمي من منصب عارض الجيش عين أبو نصر أنو شروان المعروف «بشرف الدين» مكانه. ثم عين عثمان بن نظام الملك الملقب بشمس الملوك(١٤٣)، وفى عهد محمد بن ملكشاه كان عارض جيشه هو أبو المفاخر القمى، الذى غلب عليه فى اصطلاح الخاصة والعامة نعت «طرطبيل»، ولما عزله السلطان عين فى الديوان عز الملك بن الكافى الأصفهانى، وفى وكيلدار تولى أميرى القزوينى المعروف بالذكى ذو كيسه(١٤٤). وفى بداية إمارة سنجر على خراسان تولى صاحب الملك محمود مسمى على مار الملقب بزيه الدين والمعروف بأبى القاسم الدركزينى على ديوان العرض وقد أرسل نائبه المسمى الآنساباذى للأعتذار للملك محمود(١٤٥). وفى أثناء الحرب مع الخطائيين فى موقعة قطوان سنة ٥٣٦هـ/ سنة ١١٤١م، كان قائد جيوش السلطان سنجر هو حاكم مدينة نيمروز الملقب «بتاج الدين» ومكنى بأبى الفضل، وهو الذى نصح السلطان بالفرار بعد أن ضيق عليه الخطا(١٤٦).

أما عن أشهر قادة جيوش الملك محمد بن أرسلا نشاه من حكام كرمان فهو القائد الأمير عز الدين الملقب «بالغازي» وهو مشهور بالإنتصارات الباهرة(١٤٧).

وفى دولة سلاجقة الروم هناك العديد من القادة العسكريين الذين حققوا انتصارات باهرة للسلاجقة منهم القائد عبد المسيح الملقب «بفخر الدين»، الذى حقق انتصارات على الدانشمند فى سيواس وقيصرية وذل كفى عهد السلطان قليج أرسلان بن مسعود(١٤٨).

٧- القضاة والألقاب:

أما عن أشهر ألقاب القضاة فى الدولة السلجوقية، فلابد أن يشير إلى أنها تقع تحت مسمى النعوت التشريفية، وأنه كان لكل مدينة قاضى قضاه يحكم بين الناس يعين من قبل السلطان السلجوقى، فكان على هراة فى عهد السلطان محمد بن ملكشاه قاضى القضاة محمد بن نصر بن منصور الملقب «بزين الإسلام» والمكنى بأبى سعد(١٤٩). ويشير نظام الملك(١٥٠)، إلى أنه يجب أن يكون اللقب مناسباً لحق الرجل فلقب القاضى والإمام وعلماء الدين يكون نحو «مجد الدين» و«شرف الدين» و«شرف الإسلام» و«زين الشريعة» وغيرها.

أما قاضى القضاه على مدينة أصفهان فى عهد السلطان طغرل بن أرسلان بن طغرل القاضى صاعد بن مسعود الملقب «بركن الدين» والمعروف «بسلطان العلماء وملك قضاة الشرق والغرب»(١٥١).

وفى عهد السلطان سنجر كان قاضى القضاه فى السلطنة هو القاضى أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي المعروف باسم «إسداء المعروف» والمشهور عنه العدل والعدالة، وقد قتل فى سنة ٥١٨هـ/ سنة ١١٢٤م بخراسان (١٥٢).

٨- الولاة وحكام الأقاليم والألقاب:

أتسع نطاق الدولة السلجوقية وترامت أطرافها وشملت العديد من البلدان، لذا كان من الواجب على السلاطين المقيمين فى عاصمتهم سواء أصفهان أو همدان أن يعينوا من يقوم بضبط الأمور فى الأقاليم الممتدة، وأن يمنحوا بعضهم بعض الألقاب والنعوت التشريفية، فقد كان أبو القاسم على الجويني الملقب «بسالار بوزكان» - بمعنى رئيس الديوان باللغة الفارسية- يشغل منصب رئاسة مدينة نيسابور قبل مجئ السلاجقة إلى خراسان، ثم دخل فى خدمة طغرلبك، واستمر فى منصبه ثم رفع إلى منصب الوزارة سنة ٤٣٦هـ/سنة ١٠٤٤م(١٥٣)، وفى عهد ملكشاه عين على ولاية حلب الأتابك آق سنقر ولقب بلقب «قسيم الدوله»(١٥٤)، كما عين على ولاية الشام عمه تتش الملقب بلقب «تاج الدولة»(١٥٥)، وقد أمر السلطان ملكشاه بمنح أعمال عمه قاورد لسرهنك ساوتكين الملقب «بعماد الدولة»، وولاه ولاياته(١٥٦).

وفى عهد السلطان محمد بن ملكشاه تولى على ولاية همذان السيد أبو هاشم الحسني الملقب «بعلاء الدولة»(١٥٧). وقد استمر علاء الدولة فى رئاسة همذان فى عهد طغرل بن محمد بن ملكشاه، وبعد أن دفع إلى الوزير أبى القاسم ناصر بن على الدركزينى الأنسباذى الملقب «بقوام الدين» مبلغاً كبيراً من المال يقدر بعشرين ألف دينار(١٥٨).

وفى عهد السلطان سنجر ولى على مدينة نيمروز بأرض زابلستان الأمير أبو الفضل علي وأطلق عليه لقب «تاج الدين»، وهو الذى كان قائداً لجيش السلطان فى أغلب حروبه المتصلة التى تقدر تسع عشرة موقعه، وكان له مواقف مجيدة فيها(١٥٩). كذلك عين على ولاية طوس

سعيد بن العميد أبو على الحسين بن سعيد الذى لقبه سنجر بلقب «عز الملك»، وشغل إلى جانب ولاية طوس الإشراف على بعض ممتلكات الدولة من الأراضى. كما كان على رئاسة نيسابور والياً يسمى شمس الدين عبد الرازق بن عبد الله ابن أخى الوزير نظام الملك، وقد لقب السلطان سنجر هذا الوالى بلقب «شهاب الإسلام»(١٦٠). وفى ولاية الرى أقام الوزير نصير الدين محمود بن أبى توبة فى سلطنه سنجر جوهر المعروف «بالأمير الأجل»، وكان حاكم ولاية المراغة يدعى «الملك العادل» علاء الدين(١٦١).

٩- رجال العلم والفقهاء والندماء وألقابهم:

لم تقتصر الألقاب والنعوت على السلاطين والوزراء ورجال البلاط الحاكم، بل تعدته إلى رجال العلم والفقهاء، حتى صارت تلك المسميات علماً ونسباً عليهم، ولكن لابد أن نشير إلى أن تلك المسميات لم تصبح ذات القيمة الجوهرية كألقاب السلاطين، بل صارت نعوت ليس لها مولود أو معنى.

ففى عهد السلطان ملكشاه عين الشيخ الإمام أبو نصر الصباغ فى التدريس بالمدرسة النظامية بأصفهان، وقد لقب بلقب «شرف الأمة»، واستمر فى التدريس حتى وفاته فى شوال سنة ٤٧٨هـ/ سنة ١٠٨٥م(١٦٢).

كما كان من أرباب العمائم الشيخ الخليل أبو القاسم المعروف «بأوحد بهروز» والملقب «بالصفى الأوحد»، الذى كان عالماً جليلاً فى عهد طغرل بن محمد وأستمر حتى عهد السلطان مسعود الذى أمر بمصادرة أمواله وأموال أهله فبلغت مائتى ألف دينار، ثم أمر السلطان بقتله(١٦٣). ومن الملاحظ أنه عندما بنى السلطان طغرل المدرسة الشهيرة فى عهده فى عاصمة همذان، أوكل مهمة التدريس فيها إلى الإمام الشيخ علاء الدين مجد الإسلام، ولقبه «بملك العلماء أستاذ الملوك والسلاطين»، الأمير العمادى.

ولقد كان الراوندى صاحب كتاب راحة الصدور من ضمن علماء تلك الفترة، واسمه محمد بن على بن سليمان بن محمد بن أحمد بن الحسين ولقبه «نجم الدين» وكنيته «أبو بكر»، وقد درس الأدب وحصل لغة العرب، وكان طلب العلم وتحصيل المعرفة معيناً له على تحصيل الرزق، وذلك فى أيام القحط الذى أصاب أصفهان سنة ٥٧٠هـ/ سنة ١١٧٤م(١٦٤).

وفى عهد السلطان سنجر كان الشاعر المعزي، وهو محمد بن عبد الله النيسابوري الذى لقبه السلطان «بأمير الشعراء»، وأخذ تخلصه من لقب السلطان نفسه وهو «معز الدين»، فأطلق على هذا الشاعر أسم المعزى، ولقد كان أمير الشعراء الخواجة عبد الملك الملقب «ببرهانى النيسابوري» الأصل وهو والد الأمير المعزى، قد أتخذ تخلصه من لقب السلطان، ألب أرسلان ونعنى به «برهان أمير المؤمنين».

وقد برز عدد من العلماء فى عهد سنجر منهم الفقيه الإمام أبو القاسم عبد الله بن على بن إسحاق الملقب «بالفقيه الأجل»، التابع فى الفقة لإمام الحرمين عبد الملك الجوينى، من أهم الشخصيات العلمية البارزة فى عهده، وهو الذى كان يصدر فتاواه طبقاً لأحكام الشرع(١٦٥). كذلك أعتنى السلطان بإمام أصفهان المسمى عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندى الملقب «بصدر الدين»، حتى انتقل إلى بغداد فى آخر أيامه(١٦٦).

وقد أهتم السلطان سنجر بالندماء ومعظمهم كان من أهل العلم والخبرة مثل الأمير العميد كمال الدين المعروف بكمال البخارى وهو من أشهر ندمائه، وكان ماهراً فى الغناء والعزف(١٦٧). ومن ندماء السلطان سنجر أيضاً رجلاً يقال له الفلك(١٦٨).

وفى عهد السلطان «طغانشاه» بزر شاعر جليل هو «أبو بكر زين الدين بن إسماعيل الوراق الأزرقى الهروي»، الذى كان مولعاً بالتشبيهات الغريبة والتخيلات العجيبة وتصوير أشياء لا وجود لها(١٦٩)، وقد أشار الكرمانى فى كتابه(١٧٠) أنه من زمرة الشعراء المفوهين فى عهد السلطان «طغرلشاه» حاكم كرمان، وهو «أفضل الدين أحمد بن حامد الكوهنباتي» الملقب «بتاج الزمان»، الذى التحق بخدمة الإبن الأكبر من أبناء السلطان وهو أرسلانشاه وقد صار الأفضل الكرمانى نديماً خاصاً للسلطان فى سنة ٥٧٠هـ/ سنة ١١٧٤م، وقد أهتم الملك محمد بن أرسلانشاه بطبيبه الخاص فرفع من شأنه بين أطباء القصر ومن ثم أطلق عليه لقب «مختص الدين»، وهو رجلٌ عالم لطيف المحاوره والمزاح، وكان محمد بن أرسلانشاه كثيراً ما يمنحه ويهاديه فمن ضمن هداياه أحد الخيول العربية الأصلية بجهازها وعدتها المغربية مع جبه وعمامة(١٧١).

١٠- نساء القصر السلجوقى والألقاب:

حظيت المرأة السلجوقية بنصيب كبير من الألقاب والنعوت الشرفية، فقد كان هناك لقب عام على سيدات القصر، وهو لقب «الخاتون أى السيدة» (١٧٢)، ومن أشهر السيدات التى تلقبت بالخاتون السيدة «تركان خاتون» زوجة السلطان ملكشاه، والتى أطلق عليها لقب «تركان خاتون الجلالية» نسبة إلى لقب زوجها «جلال الدولة»(١٧٣)، والتى اتخذت المستشارين والوزراء وأصحاب الرأى لإدارة أمورها السياسيةوالإقطاعية.

كما تلقبت الزوجة الثانية فى عهد ملكشاه بنفس لقب خاتون وهى السيدة زبيدة أم السلطان بركيارق، وقد تدخلت فى الحياة السياسية بأن عملت على عزل الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك وأحلت بدلاً منه فى الوزارة أخيه عز الملك(١٧٤).

وفى عهد السلطان محمد بن ملكشاه تظهر شخصية سيدة هى «كوهر خاتون» زوجته التى تدخلت لصالح وزيرها أبو الحسن على بن أحمد السميرمى الملقب «بكمال الدولة» ضد وزير السلطنة وعميدها الوزير محمد الجوزقاني الذى يطلق عليه لقب «الأمير العميد»، وقد

لقيت هذه السيدة معارضة كبيرة فى نهاية عهد زوجها متمثلة من حاجب الحجاب الكبير أبى القاسم الدركزيني الملقب «بزين الدين»(١٧٥). وكان لهذه السيدة دور بارز فى تشجيع الشعراء، فقد كان موفق الدولة أبو طاهر من رجالاتها، وهو الذى أتخذ تخلصه من اسمها، فنسب إليها ، فعرف باسم الخاتونى(١٧٦).

كذلك تلقبت السيدة «كوهرخاتون» بلقب «مهد العراق»، وهى عمة السلطان ملكشاه وأخت السلطان ألب أرسلان، وهى من السيدات الحرائر المتدينات اللاتى امتلكن الضياع والأراضى الزراعية الواسعة(١٧٧). كما أطلق نفس اللقب «مهد العراق» على ابنة ملكشاه السيدة كوهرملك، وهى التى خطبها السلطان إبراهيم الغزنوي، وقد سميت بمهد العراق لأن السلطان بعثه من الرى إلى غزنه، وقد لعبت السيدة خاتون السفرية الملقبة «بتاج الدين» والدة السلطان محمد والسلطان سنجر دوراً بارزاً فى الحياة السياسية للسلاجقة فقد ارتفع شأنها من طبقة الجوارى إلى حريم القصر فى عهد ملكشاه(١٧٨).

ولابد أن أنوه هنا إلى سيدة أخرى، وهى السيدة والدة السلطان مسعود بن محمد، التى كانت حظية لدى السلطان، وهى تدعى «نيست أندرجهان» ، بمعنى «معدومة فى الدنيا»، والتى امتازت بالجمال الفائق، وكان لها شأن فى بلاط زوجها السلطان محمد بن ملكشاهبعد أن صارت أم ولد(١٧٩).

وفى دولة سلاجقة كرمان كانت السيدة «زيتون خاتون» الملقبة «بعصمة الدين»، والتى يطلق على أوقافها الأوقاف العصمية، من أشهر نساء القصور الملقبات وهى زوجة أرسلانشاه، التى أمرت ببناء مدرسة بدرب ماهان، ورباط وكانت تمتلك ما يقرب من نصف المبانى والمنشآت فى حى البرديين بفارس(١٨٠).

صفوة القول أن سلاطين السلاجقة حرصوا كل الحرص على الحصول على الألقاب الفخرية، كما حرص وزرائهم ورؤساء دواوينهم على التلقب بالنعوت التشريفية والمسميات، ولابد من أن نقرر أن هذه الظاهرة أخذت من أصول غير عربية، فالألقاب فارسية الأصل والنشأة، وأن إستخدامها فى العصر الإسلامى كان دليل على إتساع نطاق ونفوذ الملقب، كما تظهر ميوله فى المشاركة الفعالة فى التأثير الدينى والروحى على رعيته، باعتبار أن هذه الألقاب لكسب احترام وتقدير الرعية لأنها ممنوحة من قبل السلطة الدينية المعترف بها وهى الخلافة العباسية.

الهوامـش

١-حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، طبعة الدار الفنية ، القاهرة ، ١٩٨٩م.

٢-هلال بن الصابى : رسوم دار الخلافة ، ص ١٠٤ ، عنى بتحقيقه ميخائيل عواد، مطبعة العانى ببغداد سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م.

٣- Boswarth: The Litulature of the early Ghazavicts, p. 210, (Leiden ,1962).

٤- ابن الاثير : الكامل فى التاريخ، جـ ٩، أحداث سنة ٤٥٠ هـ، ص ٦٣٤، ٦٥٤، طبعة دار

٥-البندارى: مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٩؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص٣، ٢٤ ترجمة وتعليق حربى أمين سليمان، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

٦-سياست نامه: ص، ١٩٥، ١٩٧، ترجمة السيد محمد العزاوى، طبعة الرائد العرب سنة ١٩٧٥ م.

٧-هلال بن الصابى: رسوم دار الخلافة، ص١٢٨، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٥٩.

٨- Boswarth : The Litulature , p. 215.

٩-هلال بن الصابى : رسوم ، ص ١٣٠.

١٠- الكرديزى: زين الأخبار، ص ١٤٥، ترجمة عفاف السيد زيدان، طبعة القاهرة ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢م؛ عباس برويز: تاريخ ديالمة غزنويان، ص ١٩١، تهران سنة ١٣٣٦ هـ.ش.

سبكتكين هو مؤسس الدولة الغزنوية، وكان فى بداية حياته عبدا لالبتكين، الذى كان بدوره عبدا لدى نصر بن أحمد السامانى، الذى أسند إليه قيادة الجيش فى عهد نوح بن منصور، ثم تولى الحجابة فى القصر (Nazim: The Life and the Time of Mahmoud of Chazn, p.24. Cambridge, 1931.

القزوينى: تاريخ كزيده ، صـ ١٤٢ ، ترجمة مُحمود محروس قشطة رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس سنة ١٩٦٨ م؛ ميرخوندا : روضة الصفا ، صـ ٨٣ ، خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢١٤ ، ٢١٥؛ براون : تاريخ الأدب فى إيران ، ص١٠٥؛ كرمانى : نسائم الأسحار من لطائف الأخبار در تاريخ وزراء، ص ٣٦ بتصميم ومقدمة مير جلال الدين حسين ، وانشكاة تهران.

١١- لقد تلقى الامير نصر السامانى منشورا من الخليفة المعتمد العباسى بتولية حكم جميع اعمال ما وراء النهر ، فأصبح نصر أول حكام السامانيين الذين تم تعيينهم من قبل الخلافة، وكانوا من قبل يتم تعيينهم من قبل ولاة خراسان فقرأه الخطبة فى بخارى اسم الامير اسماعيل نائبا عن أخيه نصر إلى جانب اسم الخليفة المعتمد. Frye: Bukhara the Medieval Achievement , p.38 (London, 1965)

١٢- سياست نامة، ص ١٩٥.

١٣-حسن الباشا الألقاب الإسلامية، ص ٣٥٣.

Boswarth : The Litulature , p.p. 221, 217.

١٤- الكرديزى :زين الاخبار، ص ٢٣٩؛ نظام الملك، سياست نامه، ص ١٩٥.

١٥-ابن الأثير: الكامل ، ص ٧، أحداث سنة ٣٨٧ هـ، ص ١٨٤، خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢١٤؛ كرمانى، نسائم الأسحار، ص ٣٦.

١٦-الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٢٣٩.

١٧- Cambridge : History of Iran , V.4, p.141 (Cambridge , 1975)

١٨- الكرديزى : زين الأخبار، ص ٢٥٨؛ القزوينى، تاريخ كزبدة، ص ١٨.

١٩-نظام الملك : سياست نامه ، ص ٤٠ .

Cambridge : History of Iran , v.4, p.141 .

٢٠-الكرديزى : زين الاخبار ، ص ٢٣٦؛ ميرخواند ، روضة الصفا ، ص ٨٥.

٢١-الكرديزى : نفس المصدر السابق والصفحة.

٢٢-ميرخواند: روضة الصفا ، ص ٨٣ ، Cambridge : History , p.217

٢٣- الكرديزى : زين الاخبار ، ص ٢٧٠.

٢٤- Boswarth : The Litulature , p.217

٢٥- البيرونى: الآثار الباقية، ص ١٣٤؛ القزوينى : تاريخ كزيدة ، ص ١٩.

٢٦-يعتبر الوزير العتبى آخر الوزراء الأقوياء فى الدولة السامانية اذ ينتهى بوفاته عهد الوزراء العظام ، حيث صارت الامور فى يد كبار القادة والحجاب .

Frye : Bukhara the Medieval , p.40

٢٧- الأب انستاس مارى الكرملى: النقود الإسلامية وعلم النميات، ص ١٣٢، Frye : Ibid, 72

٢٨- Boswarth : The Litulature, p.217

٢٩- لقب الأجل بمعنى العظيم ، ويتضح أن هذا اللقب لم يكن يطلق فى القرون الأولى للهجرة إلا على أصحاب النفوذ من رجال الدولة ، وفى القرن الرابع الهجرى أطلق على أمراء الولايات الذين استطاعوا أن يستقلوا بحكم ولاياتهم عن الحكومة المركزية (حسن الباشا : الألقاب، ص ١٢٦، ١٢٧).

٣٠- الكرديزى: زين الأخبار، ص ١٤٥؛ عباس برويز : تاريخ ديالمة وغزنويان، ص١٩١.

٣١- Boswarth : Ibid, p.211

٣٢- البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ١٣٢، ١٣٣، نشر أدوار دسخاليبرخ، س ١٨٧٦ م؛ النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأرب، ص ٢٦، ص ٤٨ تحقيق محمد فوزى العنتيل ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م.

٣٣-النويرى : نفس المصدر السابق والصفحة.

٣٤-هلال بن الصابى : رسوم دار الخلافة ، ص ١٠٠.

٣٥-نظام الملك الطوسى : سياست نامه ، ص ١٩٧.

٣٦-الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ١٣٢.

٣٧-براون : تاريخ الأدب فى إيران ، ص ١٠٩.

٣٨-الآثار الباقية ، ص ١٣٢.

٣٩-قابوس: قابو سنامة المعروف بكتاب النصيحة، ص ١١٧، ترجمة أمين عبد المجيد بدوى ومحمد صادق نشأت، الطبعة الأولى، طبعة الأجلو، ١٣٧٨ هـ ، ١٩٥٨م. تأسست الدولة الزيارية فى طبرستان وجرجان واتخذ حكامها من مدينة آمل عاصمة لملكهم (نظامى عروض السمرقندى: جهار مقاله، ص ٩٩، قابوسنامة، ص١١٨) .

٤٠-قابوس: نفس المصدر السابق، ص١١٧ نظامى عروض السمرقندى: جهار مقالة، ص١٠٩.

٤١- حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٣٨٧ ، ٥٠٢ ، ٤٩٨.

٤٢-نظام الملك الطوسى : سياست نامه ،ص ٧٩؛ عباس برويز : تاريخ ديالمة وغزنويان،ص ١٩١؛ براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسي إلى السعدى ، ص ١٢٠.

٤٣-براون : نفس المرجع السابق ، ص ١٠٦.

لقد قيل ان السبب فى اتخاذ محمود للقب سلطان وإطلاقه عليه أن الأمير خلف بن أحمد حاكم سجستان وهو من فضلاء وعلماء العصر، وبلاطه كان مجلسا لاهل الشعر والعلم ن قد اسر على يد محمود وحمل إلى غزونه انظر:

نظامى عروض السمرقندى ، جهار مقاله ، ص ١٣١، فلما مثل أمام محمود صاح قائلا: أن محمود سلطان، انظر: نظام الملك الطوسى ، سياست نامة ، ص ١٩٤.

٤٤-حسن الباشا : الألقاب ، ص ٣٢٤.

٤٥-حسن الباشا : نفس المرجع السابق والصفحة Boswarth : The Litulature, p. 217

٤٦- الراوندى : راحة الصدر وآيه السرور ، ص ١٥٩ ، ١٨٥ ، ١٩٧.

٤٧- Boswarth : The Litulature, p. 223

لقب سلطان من أعظم الرتب وينقش وحده أو ينقش السلطان ابن السلطان أو سلطان الإسلام انظر: الأب انستاس مارى الكرملى: النقود الإسلامية، ص١٣٤ .

٤٨- نظامى عروض السمرقندى: جهار مقاله، ص١٣٩. تدرج الوزير أحمد بن الحسن الميمندى فى عدة مناصب إدارية قبل أن يصير وزيراً منها جباية الخراج، ورئاسة ديوان الرسائل. نظام عقيلى: آثار الوزراء، ص ١٥٣،

Nazim : The life and the time of Mohammed of Ghazm , P. 138)

٤٩- ابن الأثير : الكامل، ص ٩ ، أحداث ، سنة ٤٣٢ هـ ، ص ٤٧٣.

٥٠–ابن الأثير: الكامل، أحداث سنة ٤٣٢، ص ٤٨٠؛ عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٥٩.

٥١– الراوندى: راحة الصدور، ص ١٥٤؛ الأب انستاس مارى الكرملى: النقود الإسلامية ص ١٣٨.

٥٢–القزوينى : تاريخ كزيدة ، ص ٩٣.

٥٣–الراوندى: راحة الصدور، ص ١٥٩؛ البندارى، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٢؛ القزوينى: تاريخ كزيدة، ص٩٤.

٥٤–الراوندى: راحة الصدور، ص ٦٧٥.

٥٥–ابن الأثير: الكامل ص ٩، أحداث سنة ٤٤٩ هـ، ص ٦٣٤، البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٦.

٥٦–البندارى: تاريخ دولة آل سلجوم، ص ٣٠؛ عباس إقبال: تاريخ ايران بعد الاسلام، ص ٢٤٠.

٥٧–ابن الجوزى : المنتظم، ص ٨، ص ٢٦٠: ٢٦٥، الحسينى: زبدة التواريخ، ص ١١٥؛ الحسينى: اخبار الدولة السلجوقية، ص ٥٣.

ففى سنة ٤٦٣ هـ سار ألب أرسلان بجيشه لمحاربة الروم، وملكهم أرمانوس ، وهزمهم فى ملاذكرد وفرض عليهم الجزية انظر: الحسينى: نفس المصدر السابق، ص ٤٨ ، ٤٩ .

٥٨ – نظام الملك الطوسى:سياست نامه، ص ٣٣؛ القزوينى : تاريخ كزيدة : ص ١٠١.

٥٩–تاريخ دولة ال سلجوق ، ص ٥٠؛ أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة، ص ٣٥ .

٦٠–الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ٦٠ ؛ النويرى : نهاية الأرب، ص ٢٦، ص ٢٣٥، ٣٣٦؛ والخاتون لفظ تركى معناه السيدة، وصيغة الجمع منه خاتونات أو خواتين، استعمل هذا اللقب فى نص تأسيس بتاريخ ٥٠٤ هـ فى المدرسة الظاهرية بدمشق ، وهو نعت والده الملك دقاق. انظر: حسن الباشا : الألقاب، ص ٢٦٤، ٢٦٥ .

٦١–البندارى : مختصر تاريخ ، ص ٧٩، Howorth : the Northern Frontagers, p. 477

٦٢– الحسينى: زبدة التواريخ، ص١٥٦؛ القزوينى : تاريخ كزيدة : ص ١٠٩؛ عباس اقبال، الوزارة، ص١٤٧.

٦٣–الراوندى : راحة الصدور، ص ٢١٤ .

٦٤–تاريخ دولة ال سلجوق : ص ٨١.

٦٥– القزوينى : تاريخ كزيدة، ص ١١٧ .

٦٦– البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١١٤ .

٦٧– الراوندى: راحة الصدور، ص ٤٠٣؛ عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٢٨٧

٦٨– الراوندى : نفس المصدر السابق ، الحسينى ، زبدة التواريخ ، ص ١٣٥؛ القزوينى: تاريخ كزيدة ، ص ١٢٢ .

٦٩–البندارى: مختصر تاريخ ، ص ١٢٠.

٧٠–القزوينى : تاريخ كزيدة ، ص ١٣٠ ؛ الحسينى، زبدة التواريخ، ص ١٩١

٧١-القزوينى : نفسه ، ص ١٣٢.

٧٢-راحة الصدور : ص ٣٠٦

٧٣- القزوينى : تاريخ كزيدة : ص ١٣٣ .

٧٤-القزوينى : نفس المصدر السابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٠ .

٧٥- الكرمانى : بدائع الأزمان في وقائع كرمان، ص ٥٣ الطبعة الأولى ، ترجمة بديع محمد جمعه وثريا محمد على، طبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة سنة ٢٠٠٠ م؛ عباس أقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٢٤٥. كذلك أسس تتش ابن السلطان ألب أرسلان دولة فى الشام أطلق عليها سلاجقة دمشق والشام وهى التى تبدأ بأبو سعيد تاج الدولة تتش، الذى ولد سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥م انظر الحسينى: زبدة التواريخ، ص١٤٨.

٧٦- الكرمانى : بدائع الأزمان، ص ٦٧.

٧٧- القزوينى: تاريخ كزيدة، ص ١٦١؛ عباس أقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٨٣

٧٨-الكرمانى: بدائع الأزمان ، ص ٧٤ ، ٧٨

٧٩-ابن البيبى: تاريخ سلاجقة الروم، ص ٨٤، ٨٨، ١٠٠، ترجمة محمد علاء الدين منصور، طبعة دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٩٤م.

٨٠-القزوينى : تاريخ كزيدة، ص ١٦٧ .

٨١-ابن البيبى : تاريخ سلاجقة الروم ، ص ٣٤٢

٨٢- Boswarth : The Litulature, p. 221

٨٣- عباس إقبال : الوزارة، ص ٤٦.

٨٤-عباس أقبال : نفس المصدر السابق، ص ٤٧ .

- هو الوزير أبو طاهر بن سعد الدين بن على القمى الذى لقب فى بداية حياته «بشرف الدين» وذلك عندما كان عارضا فى عهد السلطان ملكشاه، وفى سنة ٤٨١ هـ اسند اليه حكم مدينة مرو، ولقبه الوزير نظام الملك بلقب «وجيه الملك»، ثم انتقل للعمل كرئيس لديوان والده السلطان سنجر ، ثم وزيرا للسلطان. انظر خواندمير: دستور الوزراء ، ص ٢٧٦.

٨٥-البندارى : تاريخ دولة ، ص ٢٤

٨٦-البندارى : نفس المصدر السابق ، ص ٧١ .

٨٧- ابن الجوزى : المنتظم، جـ ٩ ، ص ١٢٨ .

٨٨-محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة فى العهدين البويهى والسلجوقى ، ص ١٣٤ .

٨٩-البندارى : تاريخ دولة ، ص ١٦٣

٩٠- محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة ، ص ١٣٤ .

٩١-محمد مسفر الزهراني : نفس المصدر ، ص ١٣٥.

٩٢-ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، أحداث سنة ٤٥٠ هـ ، ص ٥٦١؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٤٤؛ نظام عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٠٤

٩٤- نظامى عرض السمرقندى : جهار مقاله ، ص ١٠٠؛ القزوينى ، تاريخ كزيدة، ص ٩٧.

٩٤-عباس أقبال : الوزارة ، ص ٦٩ ، ٧٢؛ كرمانى ، نسائم الاسحار ، ص ٤٩ .

٩٥-دستور الوزراء، ص ١٥٠؛ البندارى ، تاريخ دولة ، ص ٥٨ ، ٥٩

٩٦-عباس أقبال : الوزارة، ص ١٦٣ .

٩٧- البندارى : تاريخ دولة، ص ٨٣؛ نظام عقيلى، آثار الوزراء، ص ٢١٧

٩٨-كرمانى:نسائم الاسحار ، ص ٥٣ ؛ نظام عقيلى، نفس المصدر السابق، ص ٢٢٦ .

٩٩-القزوينى : تاريخ كزيدة، ص ١٢٠ .

١٠٠- الراوندى: راحة الصدور ص ٢٣٤؛ عباس اقبال: الوزارة ، ص ٢١٩؛ نظام عقيلى: آثار الوزراء، ص ٢٣٢ .

١٠١-نظام عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٢٧؛ كرمانى : نسائم الاسحار ، ص ٥٣.

١٠٢-خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٧٢؛ عباس اقبال ، الوزارة ، ص ٢٣٥ .

١٠٣-الراوندى : راحة الصدور ، ص ٣٢٥ .

١٠٤- ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٠ ، س ٧٨.

١٠٥- نظام عقيلى : آثار الوزراء ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

١٠٦- عباس اقبال : الوزارة ، ص ٣٥٣ .

١٠٧- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٧٦ ، ٢٨٢ .

١٠٨-خواندمير : نفس المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .

١٠٩- عباس أقبال : الوزارة ، ص ٣٩٨ : ٤٠٠.

١١٠- الكرمانى : بدائع الأزمان ، ص ٥٣ .

١١١-عباس أقبال : الوزارة ، ص ١٣٥.

١١٢- الكرمانى : بدائع الأزمان ، ص ٨٨ .

١١٣-القزوينى : تاريخ كزيدة ، ص ١٣١ .

١١٤-القزوينى : نفس المصدر السابق ،ص ١٧٠ .

١١٥- كلمة المستوفى من وفى بمعنى الوفاء ضد الغدر، فيقال وفى بعهده، وأوفى بمعنى الموافاة التى يكتبها كتاب دواوين الخراج فى حساباتهم، ومهمة المستوفى أشبه بوظيفة وزير المالية فى وقتنا الحاضر، تشمل إدارته ديوان الاستيفاء والإشراف على تنظيم إيرادات الدولة

ومصروفاتها . انظر الجوينى، عتبة الكنية، صـ ٤٦، بتصحيح واهتمام محمد قزوينى وعباس إقبال، ١٣٢٩ هـ. ش .

١١٦- عباس إقبال : الوزارة فى العهد السلجوقى ، ص ٤٨ .

١١٧- ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ١٢٨؛ ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، أحداث سنة ٤٥٩هـ، صـ٥٤.

١١٨- عباس إقبال : الوزارة ، ص ٨٤ .

١١٩- البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣٣ ؛ الحسينى : زبدة التواريخ ، صـ ١٢١.

١٢٠- عباس إقبال : الوزارة ، ص ٨٦ .

١٢١- ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، أحداث سنة ٤٨٢ ، ص ١٨٠ .

١٢٢- الراوندى : راحة الصدور، صـ ٢٢٣؛ نظام عقيلى، آثار الوزراء ، ص ٢١٦ .

١٢٣- البندارى:مختصر ، تاريخ صـ ٩٠١ ؛ نظام عروض السمرقندى : جهار ، ص ١٣٠

١٢٤- عباس إقبال : الوزارة ، ص ٢٧ .

١٢٥- خواند مير : دستور الوزراء، صـ ١٨٢، نظام عقيل : آثار الوزراء ، ص ٣٧٢ ، ٣٧٣.

١٢٦- البندارى : تاريخ دولة ، ص ١٢٩؛ الروائى ، نسائم الأسحار ، ص ٧٥ .

١٢٧- البندارى : مختصر تاريخ ، صـ ١٢٩ .

١٢٨- الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، صـ ٧٨؛ خواندمير: دستور الوزراء ، صـ ٢٩٠؛ كرمانى: نسائم الأسحار، صـ ٥٥ ، ٥٦ .

١٢٩ - الراوندى : راحة الصدور ، ص ٣٣٣؛ الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٢١٤ ، نظام عقيلى: آثار الوزراء، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

١٣٠ - ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٦ .

١٣١- الطغرانى كلمة، تركية الأصل بمعنى الختم وهى منسوبة إلى الطرة التى تكتب فى أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ، ومعناها نعوت الملك الذى صدر الكتاب بأمره وصاحبها بمثابة وزير للسلطان، وديوان الرسائل والإنشاء، شعبة من شعب ديوان الطغراء، يعمل فيه فريق من الموظفين، يطلق على الفرد فيه اسم المنشئ أو كاتب الرسائل انظر: عباس إقبال : الوزارة، ص ٤٤ .

١٣٢- نظامى عروض السمرقندى : جهار مقاله، صـ ١٠١ .

١٣٣- عباس إقبال :الوزارة ، صـ ٥٢ ، ٨٩ ، ٩٧ .

١٣٤ - البندارى : مختصر تاريخ ، صـ ١٢٩ .

١٣٥- عباس إقبال : الوزارة ، صـ ٨٩ ، ٩٠ .

١٣٦- عباس إقبال : نفس المرجع السابق ، صـ ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ .

١٣٧- البندارى : مختصر تاريخ ، صـ ٣٥ .

١٣٨– عباس أقبال : الوزارة، صـ ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

١٣٩– القزوينى : تاريخ كزيدة : صـ ١٢٣ ، ١٢٤؛ الحسينى : زبدة التواريخ ، صـ ٢٤٤.

١٤٠– الخطائيون: تنتسب هذه الدولة إلى مجموعة القبائل التركية الوثنية التى تدين بالبوذية، قامت على حدود تركستان فى عهد السلاجقة، وقد تأسست دولتهم فى حدود سنة ٥١٨ هـ /١١٢٤م، واتسعت دولتهم فشملت ما بين مملكة الخوارزميين فى الغرب ومساكن المغول فى الشرق، وأطلق على ملوكهم لقب كورخان. انظر: نظامى عروض السمرقندى : جهاز مقاله، صـ ١٠٨.

١٤١– خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٩٥ .

١٤٢– ابن الأثير : الكامل ،جـ ٩ ،أحداث سنة ٤٥٠ هـ ، صـ ٦٤٨ .

١٤٣– عباس أقبال : الوزراء ، صـ ١٤٥ ، ١٤٢ ، ٢٥٨ .

١٤٤– البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق :صـ ٩١ .

١٤٥– البندارى : نفس المصدر ، صـ ١١٣ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص٢٥٩ .

١٤٦– الراوندى : راحة الصدور ، صـ ٢٦٢ .

١٤٧– الكرمانى : بدائع الأزمان ، صـ ٧٦ .

١٤٨– القزوينى : تاريخ كزيدة ، صـ ١٦٥ .

١٤٩– عباس أقبال : الوزارة ، صـ ٢٣٥ .

١٥٠– سياست نامه ، صـ ١٩٥ .

١٥١– الراوندى : راحة الصدور ، صـ ٨٧ .

١٥٢– البندارى : مختصر تاريخ ، صـ ١٣٥ .

١٥٣– عباس أقبال : الوزارة ، صـ ٦٤ .

١٥٤– البندارى : مختصر تاريخ ، صـ ٧٩ .

١٥٥– البندارى : نفس المصدر ، صـ ٧١ .

١٥٦– البندارى : نفس المصدر ، صـ ٥١ .

١٥٧ – القزوينى : تاريخ كزيدة ، صـ ١٢٠ .

١٥٨– البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، صـ ١٥٠ .

١٥٩– الراوندى : راحة الصدور ، صـ ٣٥٧ – ٣٥٨ .

١٦٠ عباس أقبال : الوزارة ، صـ ٣١٨ ، ٣٤٩ .

١٦١– الراوندى : راحة ، صـ ٩٠ .

١٦٢– البندارى : تاريخ دولة ، صـ ٧٥ .

١٦٣– البندارى : نفس المصدر ، صـ ١٤٩ .

١٦٤- الراوندى : راحة ، صـ ٣٠٨ ، ٨٤ ، ٨٥ .

١٦٥ - عباس أقبال : الوزارة ، صـ ٤١٦ ، ٣٥٤ ، ١٢٤ .

١٦٦ - البندارى : تاريخ دولة ، صـ ١٣٤ .

١٦٧- نظامى عروض السمرقندى : جهار مقاله ، صـ ١٢٧ .

١٦٨- البندارى : تاريخ دولة ، صـ ١٤٣ .

١٦٩- نظامى عروض السمرقندى : جهار مقاله ،صـ ١٣٦ .

١٧٠- بدائع الأزمان فى وقائع كرمان ،صـ ٤ ، ٥ .

١٧١- الكرمانى : بدائع الأزمان ، صـ ٧٥ .

١٧٢- حسن الباشا : الألقاب ، صـ ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

١٧٣- البندارى : تاريخ دولة ، صـ ٦٢ .

السيدة تركان خاتون: أبنة طمغاج خان بن بغراخان من بنات ملوك الخانية فى تركستان وبلاد ما وراء النهر (القزوينى: تاريخ كزيدة، صـ ١٠٢ ولقد اعتنق القرة خانيون الإسلام على المذهب السنى مذهب الخلافة العباسية، دار وارتبطوا بصلات وثيقة بالخلافة

Horworth : The Northern Frontages of China Afrasyable Turks , P. 477 .

من أشهر حكام هذه الدولة فى بلاد تركستان وما وراء النهر الملك أيلك خان والملك قدرخان يوسف الذى تولى سنة ٤٠٤ هـ. والذى وقف إلى جانب السلطان محمود الغزنوى ضد أطماع أخيه «أيلك خان» فى خراسان. Howarth: The Northern, p. 479.

١٧٤- الراوندى: راحة الصدور ،صـ ١٤٢؛ كرمانى : نسائم الأسحار ، صـ ٥١ .

١٧٥- البندارى: تاريخ دولة، صـ ٩٧، ١٠٧؛ نظام عقيلى: آثار الوزراء، صـ٢٦٢؛ كرمانى: نسائم الأسحار، ص ٨٥ .

١٧٦ - الراوندى : راحة الصدور ، صـ ٢٠٥ ؛ كرمانى : نفس المرجع السابق ، ص ٧٦ .

١٧٧- الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية، صـ ١٦؛ الحسينى: زبدة التواريخ ، ص١٢٥ .

١٧٨- ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٩، صـ ٢٢٨؛ عباس أقبال : الوزارة ، صـ ٣٦٣ .

١٧٩- البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، صـ ١٦١ .

١٨٠- الكرمانى : بدائع الأزمان فى وقائع كرمان ، صـ ٧٣ .

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر والمراجع العربية :

– ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٥ م): أبو الحسن على بن أبو الكرم محمد ابن محمد: الكامل فى التاريخ، حـ ٩، حـ ١٠، طبعة دار صادر بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م.

– أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، طبعة دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

– أنستاس مارى الكرملى البغدادى: النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية القاهرة ١٩٦٨ م .

– البيرونى (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) : أبو الريحان محمد بن أحمد:

الآثار الباقية عن القرون الخالية، نشر إدوارد سخا ليبرخ ، سنة ١٨٧٦ م .

– حسن الباشا: الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

– ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) :أبو الفرج عبد الرحمن بن على

المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، جـ٨، جـ٩، جـ١٠، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن ١٣٥٨ هـ .

– محمد مسفر الزهرانى: نظام الوزارة فى العهدين البويهى والسلجوقى، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .

– النويرى (ت ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٣م): شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:

نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ ٢٦، تحقيق محمد فوزى العنتيل، مراجعة محمد طه الحاجرى، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م .

– هلال بن الصابى (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) : أبو الحسين هلال بن المحسن:

رسوم دار الخلافة، عنى بتحقيقه والتعليق عليه ونشره ميخائيل عواد، مطبعة العانى ببغداد سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .

ثانياً - المصادر والمراجع الفارسية :

– الأفضل الكرمانى (عاش فى النصف الثانى من القرن ٦ هـ):أحمد بن حامد .

– بدائع الأزمان فى وقائع كرمان، الطبعة الأولى، ترجمة بديع محمد جمعه وثريا محمد على ، مطبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية القاهرة ٢٠٠م.

- البنداري (٥٩٧هـ/ ١٠١٧م) الفتح به على بن محمد:
مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، الطبعة الثالثة، طبعة دار الآفاق الجديدة بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

- ابن البيبى (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٧٦م) : ناصر الدين يحى بن محمد: تاريخ سلاجقة الروم، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، طبعة دار الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٩٤م .

- خواندمير (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٦ م): غياث الدين بن همام الدين: دستور الوزراء، ترجمة حربى أمين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطى الصياد، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

- الحسينى (ت٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م): صدر الدين الحسن على بن ناصر: أخبار الدولة السلجوقية، أعتنى بتصحيح محمد إقبال، طبعة لاهور، سنة ١٩٣٢ م .

- ـــــ : زبدة التواريخ المعروف بأخبار الأمراء والملوك السلجوقية، الطبعة الأولى، تحقيق محمد نور الدين، طبعة دار إقرأ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .

- الراوندى (ت ٥٩٩ هـ / ١١١٩ م): محمد بن على بن سليمان: راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ترجمة ابراهيم الشواربى وآخرون ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٠ م .

- عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة ترجمة أحمد كمال الدين حلمى، طبعة الكويت ١٩٨٤م.

- ـــــ : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية: ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعى محمد السباعى ، طبعة دار الثقافة والنشر .

- عباس برويز: تاريخ ديالمة وغزنويان، تهران ١٣٣٦ هـ ، ش .

- قابوس (ت ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م) عنصر المعالى كيكاوس بن اسكندر: قابوسنامة المعروف بكتاب النصيحة، ترجمة محمد صادق نشأت، وأمين عبد المجيد بدوى، الطبعة الأولى، مكتبةالأنجلو المصرية ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

- القزوينى (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م): حمد الله أبو بكر أحمد بن نصر المستوفى: تاريخ كزيدة المعروف بالتاريخ المختار، ترجمة محمود محروس قشطة، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٦٨ م .

- الكرديزى (ت ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م): أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك محمد: زين الأخبار ترجمة عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

- الكرمانى : نسائم الأسحار فى لطائف الأخبار در تاريخ وزراء، بتصحيح ومقدمة مير جلال حسين خنجاه دانشكاه انتشارات انشكاه تهران .

- ميرخواند (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٤ م) : محمد بن خاوند شاه: روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلى، راجعه السباعى محمد السباعى، الطبعة الأولى، طبعة الدار المصرية للكتاب سنة ١٩٨٨م .

– نظام عقيلى (توفى فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى) : سيف الدين حاجى: آثار الوزراء، بتصحيح وتعليق مير جلال الدين حسين، تهران ١٣٣٧هـ . ش .

– نظام الملك الطوسى (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٧ م): أبو على الحسن بن على بن اسحق: سياست نامه، ترجمة السيد محمد الغراوى، الناشر مطبعة الرائد العربى، القاهرة سنة ١٩٧٥م .

– نظامى عروض السمرقندى (ت ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥ م) أحمد بن عمر: جهار مقاله، عليه خلاصة حواش العلامة محمد بن عبد الوهاب القزوينى، ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩م.

ثالثاً - المراجع الأوروبية :

أدوارد براون: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس إلى السعدى، ترجمة ابراهيم أمين الشوابى ، طبعة السعادة بمصر ١٩٥٤ م .

-Bowarth : The Litulature of the early Ghaznavicls (Leiden 1962) .

-Cambridge :History of Iran V.4 , (Cambridge , 1975) .

-Frye : Bukhara the Medieval Achievement (London , 1965) .

-Nazim : The Life and the Time of Mohamed of Ghazn , (Cambridge , 1931)

-Howorth : The Northern Frontagers of China , Afrasyabli Turks , Journal of the Royal Asiatic Society , (London , 1898) .-

د. فهد مطلق العتيبي (*)

Nelson Glueck and Nabataean Ethnicity: An Appraisal

Glueck (1970: 209) claims:

During our archaeological survey of the territories in southern Transjordan, once occupied by Edom and Moab, we discovered more than five hundred Nabataean watchtowers, fortresses, villages, and hamlets most of them situated in their day in the midst of cultivated fields, or alongside of travel and trade-routes. **These sites can be recognized as Nabataean, even in places where there are no standing ruins, by the evidence of Nabataean pottery** [my italics].

In another passage, he says: 'A kilometer before arriving at et-Telah, it was possible to identify the site as Nabataean by the countless fragments of Nabataean pottery strewn over the surface of the ground [...] '(Glueck, 1970: 61).

This led another writer to say:

Without a doubt, the archaeological approach to their [the Nabataeans] study has made possible the greater share of the cultural information that is available today; and it has assisted in clarifying and confirming much of the historical information. Probably the greatest contributor to the reservoir of archaeological information was Dr. Nelson Glueck, former president of Hebrew Union College and Jewish

* أستاذ مساعد بجامعة القصيم - المملكة العربية السعودية.